فــؤاد شـعبــان

من أجل صهيون



التراث اليهودي ـ المسيحي في الثقـافـة الأمريكيـة





من أجل صهيون

التراث اليهودي ـ المسيحي

في الثقافة الأمريكية

((من أجل صهيون لن نلزم الصمت،
ومن أجل القدس لن نخلد إلى الراحة))

رجل الدين الأمريكي هيمان همفري

[موعظة: أرض الميعاد (١٨١٩)]

منشـورات الـدار تخضـع للتحكيـم والتدقيـق اللغـوي

من أجـل صهيـون: الـتراث اليهـودي - المسـيحي في الثقافـة الأمريكية/فؤاد شعبان[د.م:د.ن، ٢٠٠٣].- ٤٤٤ص ٢٤سم.
١-٣٠٣,٤٠٩٧٣ ش ع ب م ٢-٩٧٣ ش ع ب م
٣-العنوان ٤- شعبان

مكتبة الأسد

ترمز الصورة في الغلاف إلى تصور النبوئيـين لمـا سيكون عليـه الهيكـل بعد إعادة بنائه على أنقاض المسجد الأقصى وقبة الصخرة

فـؤاد شـعبان
أستاذ في جامعة البترا
عمان - الأردن

من أجـل صهيـون

التراث اليهودي - المسيحي

في الثقافة الأمريكية



آفاق معرفة متجدّدة

الرقم الاصطلاحي : ١٦٩٣,٠١١

الرقم الدولي: ISBN:59239-159-1

الرقم الموضوعي: ٢٩٠

الموضوع: الأديان

العنوان: من أجل صهيون

التراث اليهودي — المسيحي

في الثقافة الأمريكية

التأليف: الدكتور فؤاد شعبان

الصف التصويري: دار الفكر — دمشق

التنفيذ الطباعي: المطبعة العلمية — دمشق

عدد الصفحات: ٤٤٨ صفحة

قياس الصفحة: ١٧ × ٢٥سم

عدد النسخ: ٢٠٠٠ نسخة

دار الفكر بدمشق

برامكة مقابل مركز الانطلاق الموحد

ص.ب: (٩٦٢) دمشق-سورية

فاكس: ٢٢٣٩٧١٦

هاتف: ٢٢٣٩٧١٧ — ٢٢١١١٦٦

http://www.fikr.com/

e-mail: info@fikr.com

دار الفكر

٢٠٠٣ الطفولة أمانة ومستقبل

الطبعة الأولى

رجب ١٤٢٤هـ

أيلول (سبتمبر)٢٠٠٣م

المُحتَويَاتْ

الموضوع	الصفحة



الإهداء

إلى روح والدي

و

إلى روح والدتي

اللذين غرسا فيَّ حب المعرفة

والبحث عن الحقيقة

كلمة الناشر

أذهلتني المعلومات التي أوردها هذا الكتاب.. اعتراني منها ما يشبه الزلزال.

لم تصدمني النبوءات المدمِّرة التي ترسُم للبشرية -وأنا ذرة منها- مصيرَها المشؤوم، كقدر محتوم؛ دمارٌ وخراب ودماء وأشلاء، وأسماء وأرقام، وإبادة وانتهاءُ زمان...

ما صدمني أنّ أمة؛ تتسنم اليوم ذروة الحضارة والتقدم، وترتقي أعلى درجات سلَّم التفوق العلمي والتكنولوجي والاقتصادي والسياسي، لتمسك بتفوقها زمام العالم، تتبنى إدارتها هذه النبوءات عقيدة راسخة، تعزوها إلى الله لتضفي عليها صفة القداسة، ثم تنسج منها خطة الله للدهر، ثم تزعم أن الله انتدبها لتنفيذ خطته بحذافيرها.. ادخرها لها آلاف السنين، تخلفت خلالها أيٌّ من مواعيدها المضروبة لها عن التحقق، وتهيبت خلالها أمم كثيرة أن تضطلع بها، مخافة أن تبوء إزاء الله والإنسانية بشيء من آثامها وأوزارها.. فإذا بها تنبري، مشمرة عن ساعد الجد، لحمل رسالة الدمار والخراب، مسخرةً كل طاقاتها، ومدَّخرات مواطنيها المتراكمة عبر سنوات البناء، وما قدموا فيها من جهد وكفاح..

ونظراً لطابع القداسة الذي أضفته على مهمتها، فقد أباحت لنفسها تجاوزَ جميع القيم والمكتسبات التي أحرزتها الإنسانية عبر كفاحها المرير، منذ أن كانت تعيش في الغاب وتحتكم إلى شريعته، كما أباحت لنفسها انتهاكَ كل الحرمات المترتبة على هذه القيم، وخرقَ كل القوانين الدولية التي تقف عثرة في طريقها، وتهميشَ كل

المنظمات التي شيدتها الإنسانية لصيانة مكتسباتها، ثم صنعت لنفسها مكيالين: أحدهما تكيل به ما يتعلق بمصالحها الخاصة الذاتية وتصرفاتها، والآخر للآخر المهدورة حقوقُه عندها، فمارست به أبشع أنواع التمييز العنصري، وهبطت به إلى حضيض الفساد الأخلاقي، ففقدت مصداقيتها، وخسرت ثقة الإنسانية بها.

كل ذلك كان بذريعة المهمة التي زعمت أن الله انتدبها للاضطلاع بها.

لقد قدَّم لنا المؤلف حصيلة جهده العلمي المكثف والمضني، بمنهجية علمية فائقة، وتصنيف دقيق للمعلومات، ولم يشأ أن يدخل في متاهة التحليل الدقيق لها ومناقشتها، متجنباً تحميلها بأي رأي شخصي، تاركاً ذلك للقارئ وفطنته وحصافته.

وإني لأستأذنه - بوصفي أحد هؤلاء القراء الذين ترك لهم أمر مناقشتها وتقويمها، وبما أحدثته قراءتي الأولى للكتاب فيَّ من صدمة هزت كياني، ودفعتني لإعادة ترتيب أفكاري - أن يسمح لي ببعض التقويم والاستنتاج..

أقول (ببعض)، لأنني - بدوري - أحرص على عدم مصادرة رأي القارئ، وعلى الاستفادة من تعدد الآراء لاستجلاء الحقيقة.

وهأنذا ألخص أفكاري عما أورده المؤلف - موثَّقاً - بما يلي:

لست بصدد توثيق نسبة النبوءات إلى الله، فلذلك مكانه من الدراسات اللاهوتية المعمقة، على اختلاف مذاهبها.

وعلى افتراض صحة هذه النسبة، وخلوها من التحريف الذي يقتضيه طول الأمد، وتعدد المصادر، وتباعد الأزمنة. فكيف سمح أبناء الله وأحباؤه لأنفسهم أن ينسجوا من هذه النبوءات (خطة الله للدهر)، وأن ينحتوا منها أوامر إلهية واجبة التطبيق، وأن يضعوا لتطبيقها برنامجاً وجداول زمنية ومهمات بشرية يقتسمونها بينهم؟!!

إن هذه النبوءات لاتعدو أن تكون معلوماتٍ، استقرت في علم الله المطلق، لا علاقة لها بإرادته، أي إنه سبحانه يعلمها.. يعلم أنها ستكون في سلوك الإنسان

وتصرفاته، ولا تخرج عن إطار اختياره المسؤول، إلى إطار الإرادة والأمر الذي يعفي الإنسان من المسؤولية، فهذه النبوءات تتحدث عن قتل وتدمير وإراقة دماء وفساد، حاشا لله أن يأمر بشيء منها، أو أن يعفي مرتكبيها من المسؤولية عنها، فالله تعالى، بمقتضى تعاليم سائر الديانات، إنما يأمر بالعدل والإحسان وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغي، ويحاسب الناس بمقدار ما ينفذون من أوامره ويجتنبون من نواهيه.

وربط هذه النبوءات بزمن محدد، وإسقاطها على أحداث معينة جارية، إنما ينم عن مخططات سياسية، وأطماع إمبراطورية مكشوفة، أعوزتها المسوِّغات الأخلاقية والقانونية، فراحت تبحث عن ذرائع لها خارج نطاق القيم الإنسانية والأعراف الدولية والمنطق العلمي العقلاني.

وفي تقديري أن قراء أمتي لن تثير فيهم نبوءات تدمير دمشق عام ٢٠٠٤، ومعركة هرمجيدون المرتقبة وغيرها، من الرعب ما يطمح إليه تجار هذه النبوءات ومروجوها ومستثمروها، بقدر ما تثير لديهم من إحساس بالمسؤولية عن تراثهم الفكري الغني، الذي ترنو إليه الإنسانية لتخليصها من الوهدة السحيقة التي تردت فيها على أيدي النبوئيين أدعياء التدين.

إنني واثق من أن قراء أمتي محصنون بتراثهم الثقافي العظيم من الانخداع بأوهام النبوءات، وقد وعوْا بعمق جواب السيد المسيح عن سؤال الطريقة التي يمكن بها التعرف على الأنبياء الكذَبة، فقال عليه السلام: ((من ثمارهم تعرفونهم)).

إن أكثر الناس سذاجة في أمتنا، لا يمكن أن يبيع أملاكه ويهرع إلى ذرا الجبال، إذا طلع عليه نبوئي مخرِّف، بنبأٍ يحدد له باليوم والساعة موعد قيام الساعة.

فلقد استقر في ضمير الإنسان العربي والمسلم:

أن أولياء الله المقربين إليه هم المتقون المتشبثون بموازينه للحق والخير والعدل.

وأن الناس كلَّهم لآدم، متساوون في الحقوق والواجبات، لا فضل لأحد منهم على الآخر إلا بالتقوى وعمل الخير، فالخلق كلهم عيال الله، وأحبهم إلى الله أنفعهم لعياله.

وأن كل إنسان مسؤول عن عمله، فلا تزر وازرة وزر أخرى، ولا يحمل جيل لاحق وزر جيل سابق، ﴿تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَلَكُمْ مَا كَسَبْتُمْ وَلَا تُسْأَلُونَ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [البقرة: ٢/١٣٤].

وأن خطة الله للتاريخ الإنساني تقوم على تكليف الإنسان بإعمال عقله الذي وهبه الله إياه وميزه به من سائر المخلوقات، وحمَّله مسؤولية الكدح المتواصل من أجل التخلص من نوازع الفساد وسفك الدماء التي توقعت الملائكة ولوغه فيها. وقد استطاع الإنسان عبر تاريخه الطويل ومعاناته أن يقطع أشواطاً بعيدة في تطبيق هذه الخطة الإلهية، وأحرز لمصلحتها مكتسبات ثمينة، ولا يزال يكافح على طريقها..

إنني واثق من أن معركتنا القادمة معركة ثقافية، سلاحها الفكر والمعرفة، وأن الفكر هو رأسمال الأمم في عصر المعلومات الذي نعيش، وأن إعمال الآلة العسكرية وإيقاد نيران الحروب والفتن، يمثل نكسة تاريخية برهنت الإنسانية بجدارة على قدرتها على تجاوزها لاستئناف تقدمها، وأن معركة هرمجيدون المرتقبة ستواجَه بضربة استباقية تبطل مفعولها، وأن الضربة الاستباقية هذه ستكون ضربة فكرية؛ تستأصل العفن والأورام التي اعترت عقول السذّج من بني البشر، وتفوِّت فرص الخداع والتزييف والتضليل الإعلامي على تجار الحروب والنبوءات، معتمدة على قوة الحق والعدل والإخاء والمساواة، وسيحل حوار الحضارات محل صراعها، ليسود بينها التعارف والتعاون والتكامل.

لكن هذه المعركة الفكرية الكبرى، تحتاج إلى إعداد دقيق ومضنٍ، فأمةٌ أضناها طول الأمد، وتصلُّب الشرايين، فأصابها بالعيِّ وقصر النظر والتخلُّف؛ لاغرو أنها تحتاج إلى إعادة تأهيل، تستجلي به كنوزها، وتقوِّم خطابها، وتشحذ هممها لاستئناف مسيرتها الحضارية، وأداء رسالة في المجتمع الدولي تؤهلها لتعود خيرَ أمة أخرجت للناس.

كلمة شكر وعرفان

أثناء عملي في عدد من الجامعات حظيت بالعون والتشجيع والاقتراحات السديدة من عدد كبير من الزملاء، وبالتجاوب والتقدير من الطلبة، وكان لزاماً علي أن أعترف بفضلهم جميعاً وإن لم يسمح المجال بذكر أسمائهم.

ويقضي شعوري بالوفاء أن أذكر بالتحديد الجامعات التي عملت فيها، وكان لكل منها أثر كبير في مسيرة عملي ومنهاج أبحاثي، وهي جامعة دمشق، وجامعة الرياض وجامعة (Duke) في أمريكا، وجامعة الإمارات العربية المتحدة، وجامعة البترا في الأردن.

من جامعة دمشق – موطني الأول – حصلت على منحة للبحث العلمي عام ١٩٨٢-١٩٨٣م مكّنتني من التفرغ التام للبحث والكتابة في الاستشراق الأمريكي، وكانت تلك البداية العملية لرحلة بحثية طويلة وثرية.

وكانت دعوة جامعة (Duke) لي أستاذاً زائراً في ذلك العام حيث وفرت لي مكتبتها المتميزة بحق، وخاصة قسم الكتب والمخطوطات النادرة، الكثير من المصادر الأولية من الكتابات الأمريكية منذ بداية الاستيطان في أمريكا، ومن أدبيات التبشير والرحلات. كل ذلك كان الأسس التي أقمت عليها أبحاثي منذ ذلك الوقت، وتلت ذلك زيارات متعددة للجامعة كنت دائماً أنهل من مواردها ما يغني عملي البحثي.

أثناء ذلك العام الدراسي منحني مدير مركز الدراسات العربية والإسلامية في تلك الجامعة الأستاذ الدكتور رالف بريبانتي لقب زميل متميز في المركز مما وفر لي

كل الأعمال المكتبية إضافة لبرنامج محاضرات عامـة، نظمهـا لـي في عشـر جامعـات أمريكية، تحدثت فيها عن موضوع الاستشراق الأمريكي وعلاقـات أمريكـا بالشـرق العربي، وكنت دوماً أعود بزاد من الاقتراحات والأفكار.

لكن أكثر ما أفدت منه في تلك الفترة هو اللقاءات المستمرة والمناقشات المتعـددة مع الأستاذ بريبانتي وكان دوماً مشجعاً ومضيفـاً بعـض وجهـات النظـر إلى أبحـاثي، وقد استمرت هذه العلاقة المثمرة حتى الآن، وهو يقـرأ كـل مـا أكتـب ويرسـل لـي بتعليقاته وآرائه.

وفي جامعـة (Duke) أيضـاً توطـدت علاقـــات وصداقـات مــع أســاتذة الأدب الأمريكي؛ كلارنس غوديس، وآرلـين تورنـر، ولويـس بـاد، وكـانوا مهتمـين دومـاً بأبحاث ووجهات نظر شـخص لا ينتمـي إلى ثقـافتهم. ولعـل مـن الوفـاء أن أخـص بالذكر لويس باد الذي ما زال يزودني بأعماله وآرائه بأبحاثنـا المشـتركة، وبكـل مـا أطلبه من المصادر التي أحتاجها في عملي.

وفي جامعة الإمارات العربية المتحدة يولي سمو الشيخ نهيان بن مبارك آل نهيان، وزير التعليم العالي والبحث العلمي الرئيس الأعلى للجامعة المناهج البحثية في الجامعة عناية خاصة. وقد أفدت شخصياً مــن هـذه الرعايـة طيلـة ثمـاني سـنوات، فلسـموه أتقدم بالشكر والعرفان.

ولقـد كـان مـن حسـن طـالعي أن كـانت أولى الصداقـات التي أتيحـت لـي في الإمارات العربية المتحدة هي صداقتي مع معالي الأستاذ أحمد خليفة السـويدي الـذي تفضل وبادر منذ عام ١٩٨٤ لدعوتي لإلقاء محاضرات في الموسم الدبلوماسي لوزارة الخارجيـة وفي المجمـع الثقـافي في أبــو ظبــي عــن مواضيــع الصهيونيــة الأمريكيــة والاستشراق الأمريكي، وكان لتشجيعه وتقديـره أكـبر الأثـر في اسـتمرار عملـي في هذه الأبحاث.

كما أن مركز جمعة الماجد للثقافة والتراث في دبـي بـإدارة سـعادة الأسـتاذ جمعـة الماجد استضافني عدة مرات للمحـاضرة والمناقشـة والإسـهام في مؤتمـرات ونـدوات المركز، وهو بحق نموذج لمراكز الثقافة والبحث المتميزة.

وفي جامعة البترا شملني معالي رئيس الجامعة الأستاذ الدكتور محمود السمرة برعاية خاصة واهتمام بما أكتبه واقتراحات وملاحظات سديدة أفدت منها كثيراً، فللأستاذ الدكتور السمرة أزجي كل تقدير وشكر.

ويُذكر لجامعة البترا أنها توفر البيئة العلمية المثالية للباحثين ولأعضاء الهيئة التدريسية.

وقد بادرت لجنة حوار البترا الشهري برئاسة معالي الأستاذ الدكتور خالد الكركي ثم الدكتور بلال الجيوسي إلى دعوتي لإلقاء محاضرات عامة والمشاركة في ندوات الجامعة الثقافية، وكان لتشجيع الزميلين الكريمين ومناقشاتهما لأبحاثي أثر كبير في متابعتي هذه الأبحاث.

كما تفضل كل من الدكتور بلال الجيوسي والسيدة هدى أبو غنيمة بقراءة بعض فصول هذا الكتاب والتعليق عليها وتصويب بعض الأخطاء، فلهما الشكر على جهودهما. وفي مناسبات عديدة أثناء قيامي بهذه الأبحاث كنت ألجأ إلى الزميلة الدكتورة نهى الخليلي من كلية العلوم لإسداء العون الفني في الحصول على المعلومات والمواد الفنية من الشبكة العالمية وإنزالها على النصوص المكتوبة، فلها كل الشكر على مساعداتها. كما أن قسم الإعلام في الجامعة دعاني مراراً للتحدث إلى طلبته في مواضيع هذا الكتاب وكنت أتزود بوجهات نظر إضافية في كل من هذه الجلسات.

ولابدَّ لي من أن أذكر بالعرفان والتقدير الأستاذ الدكتور جون إسبوزيتو مدير مركز التفاهم الإسلامي – المسيحي في جامعة جورجتاون في واشنطن الذي بادر بالكتابة إلي منذ ثلاثين عاماً مثنياً على بعض بحث نشر لي عن موضوع موقف أمريكا من الشرق العربي، وقد استمر اهتمام الأستاذ إسبوزيتو وتشجيعه، وكان أن دعاني منذ عامين ضمن برنامج المركز للمحاضرة أمام مجموعة من أساتذة الجامعات الأمريكية، وكانت لمداخلاتهم ونقاشهم لي أثر كبير في وجهة سير أبحاثي، وما زال الأستاذ إسبوزيتو يتابع أعمالي باهتمام وتشجيع مشكورين.

كما أن كلاً من الزميلين أ.د.كلير براندابور (أستاذة الأدب الأمريكي) وأ.د.كارين لاهورد (أستاذة الأديان المقارنة) ما زالتا تزودانني بالمواد والمراجع وبآرائهما فيما أكتب منذ فترة طويلة.

وأدين أيضاً بالكثير للأستاذة الدكتورة جاكي إسماعيل والأستاذ الدكتور طارق إسماعيل من جامعة كالغاري في كندا لاستمرار اهتمامهما بأبحاثي وتشجيعهما لي، ولإصرارهما على دعوتي للتحدث في مؤتمرات العلوم السياسية والاجتماعية، ثم باستعمال كتابي عن الاستشراق الأمريكي مرجعاً في المواد التي يدرسانها. لقد أضافا بالفعل إلى منهاجي البحثي منظوراً لم أكن لأنتبه له لولاهما.

وقد جمعتني بالأستاذ محمد فاروق الزين والدكتور عدنان جودت المارديني منذ ربع قرن تقريباً صداقة واهتمام مشترك بشؤون الاستشراق والعلاقات الثقافية، وكان لجلسات النقاش وتبادل الآراء والمواد والمراجع معهما فائدة كبيرة لي في عملي.

وفي أثناء فترة تجاوزت الثلاثين عاماً كان الصديق الأستاذ الدكتور محمد العمادي خير قارئ ناقد لمعظم ما كتبته، مشجعاً لما يراه جديراً ومنبهاً بلطف إلى هفوات القلم والفكر، فله شكر خاص على كل ذلك.

عملت السيدة هنادة ماجد المومني كل جهد في طباعة مادة هذا الكتاب فاستحقت الشكر على ذلك.

كما أذكر بالتقدير بصورة خاصة مؤسسة دار الفكر للطباعة والتوزيع والنشر على جهود العاملين فيها في إخراج هذا الكتاب على هذه الصورة من الإتقان الفني.

وأخيراً، وليس آخراً، كانت زوجتي خير عون لي بإسداء النصح والتشجيع المستمر على العمل، وأولادي الذين زودوني باستمرار بالمواد والمراجع من الولايات المتحدة الأمريكية دون كلل أو تردد، فلهم كل المحبة والعرفان.

ولعل إهداء هذا الكتاب يفي رمزاً مختصراً لطاعة أمر الله عز وجل: ﴿وَقُلْ رَبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيراً﴾ [الإسراء: ١٧/٢٤].

والحمد لله رب العالمين في الأول والآخر.

مُقَدِّمَة

ثمة عوامل كثيرة ساهمت وما زالت تساهم في تكوين الشخصية الثقافية الأمريكية، وهي تؤثر أيضاً في سلوك الأمة الأمريكية وفي تفكيرها. أحد هذه العوامل هو التراث اليهودي - المسيحي الذي دخل في صلب تكوين الثقافة الغربية بصورة عامة، والأمريكية بصورة خاصة. ومع أن العالم الغربي يتأثر بالتراث اليهودي - المسيحي والرؤى الصهيونية، فإن أمريكا تتميز بأنها أُسست منذ بداية الاستيطان الإنجليزي في نصف القارة الشمالي على الفكر البروتستانتي الطهوري الذي يتصل اتصالاً وثيقاً بالكتاب المقدس وخاصة العهد القديم منه.

منذ تأسيس المستوطنات الأولى كان المستوطنون الطهوريون يشبهون أنفسهم بالقبائل الإسرائيلية في رحلتها الكتابية من مصر إلى أرض كنعان، ويطلقون على مدنهم وبلداتهم أسماء كتابية من قصص بني إسرائيل وأرض الميعاد. وعندما نالت أمريكا استقلالها صور الأمريكيون دولتهم الفتية على أنها «إسرائيل الله الأمريكية» والنموذج الذي يجب على العالم أن يحتذي به. ومنذ القرن التاسع عشر انتقل هذا التمثيل الرمزي الكتابي إلى تطبيق عملي «لآمال صهيون» على أرض الواقع الجغرافي في الأراضي المقدسة. وما زال هذا الفكر اليهودي - المسيحي يعمل بصورة جلية في سلوك الأمريكيين ومواقفهم من العالم العربي والنزاع العربي - الإسرائيلي حتى اليوم.

تهدف هذه الدراسة إلى عرض إشباع الفكر الأمريكي بهذا التراث اليهودي- المسيحي على مختلف مستويات المجتمع بأوساطه الدينية والسياسية والأدبية وغيرها. ولا نقصد من التركيز على هذا العامل أن نغفل أو نقلل من شأن العوامل الأخرى. فالاعتبارات السياسية الداخلية، والاعتبارات الجيوبوليتيكية، والعلاقات الخارجية، والعوامل الاقتصادية وغيرها تكتسب بدرجات متفاوتة بتغير الظروف أهمية كبيرة في تأثيرها على مواقف أمريكا وسياساتها. إلا أن هذا التراث اليهودي - المسيحي لم يأخذ نصيبه من الدراسة المنهجية خاصة في العالم العربي، وهو ما نحاول عرضه في هذه الدراسة.

ونركز هنا على ثلاثة عناصر أساسية في الثقافة الأمريكية رفدت الفكر اليهودي - المسيحي على مر السنين. هذه العناصر هي:

أولاً: الصورة الذاتية الاصطفائية التي يعبر عنها الأمريكيون، خاصة في علاقة أمريكا مع الله والقَدَر. وسنجد في أعمال رجال الدين والسياسة والأدب وغيرهم تصورهم لأمريكا التي خلقها الله لهدف أسمى ولتنفيذ مهمة مقدسة من أجل البشرية.

ثانياً: الاعتقاد الجازم بحتمية تاريخية مقرونة بالإيمان اليقيني بخطة شاملة وضعها الله للدهر، لها مراحل مرسومة محددة تبدأ مع بدء الخليقة، وتنتهي بنزول مملكة الله على الأرض.

ثالثاً: هذان العنصران - الحتمية التاريخية، وخطة الله للدهر - مرتبطان ارتباطاً وثيقاً بالجغرافية المقدسة (أرض الميعاد)، مما يضع العالم العربي وفلسطين بصورة خاصة في بؤرة هذا الفكر الكتابي الأمريكي ودور أمريكا في خطة الله.

كان من نتيجة ارتباط هذه العناصر الثلاثة بعضها ببعض أن أصبح العداء تجاه الإسلام والمسلمين صفة ملازمة للفكر اليهودي - المسيحي. ذلك أن

الإسلام والمسلمين ((يحتلون)) هذه الأراضي المقدسة، وهم بذلك يشكلون عقبة في طريق تحقيق ((النبوءات الكتابية))، ولاسيما أن تحقيق هذه النبوءات لا يعتمد فقط على ((استعادة)) هذه الأراضي بل أيضاً على نهاية الإسلام و((هداية)) المسلمين.

إن تحليل هذه العناصر المكونة للثقافة الأمريكية، يشمل عملية استقراء منطقي تحليلي للتاريخ، بهدف التوصل إلى فهم أفضل للحاضر الأمريكي. إذ إن فهم ثقافة أية أمة يعتمد اعتماداً كبيراً على دراسة التطور التاريخي لهذه الثقافة. فالتاريخ كما يقول الكاتب الأمريكي الزنجي جيمس بولدوين: ((ليس مجرد نص نقرؤه، وهو لا يحكي قصة الماضي فقط. بل على العكس من ذلك، إن قوة التاريخ تنجم عن أننا نحمله في تكوين شخصيتنا وفي هويتنا، ونخضع لتأثيره ولو بشكل لا شعوري في كثير من أفعالنا وأقوالنا، والتاريخ حاضر أبداً في كل ما نفعله... ذلك أننا نأخذ من التاريخ أُطر تفكيرنا وميولنا وتطلعاتنا)).

من دراسة التاريخ الأمريكي يتبين لنا أن التراث اليهودي – المسيحي يشكل جزءاً حيوياً من الثقافة الأمريكية. بل إن هذا التراث يدخل في تركيب نسيج هذه الثقافة على شكل خيوط وألوان ورسوم تتكرر مع بعض التنوع من حين لآخر، لكنها لا تنقطع أبداً.

وقد اكتسبت عناصر التراث اليهودي – المسيحي في العقود القليلة المنصرمة قوةً وتأثيراً كبيرَين في أوساط اليمين المسيحي المتطرف واليمين السياسي، مما كان له أكبر الأثر في سياسة أمريكا الخارجية فيما يتعلق بالعالم العربي بصورة خاصة. ويحتم هذا الأمر على العرب أن يدرسوا هذا التيار الفكري – السياسي في أمريكا ويعوا تداعياته وخطره على الشعوب العربية كلها.

ولا بد من الإشارة هنا إلى أننا حين نتحدث عن هذا العامل الثقافي – الديني في أمريكا فنحن نقصد المسيحية الغربية ذات المنشأ والتطور الغربيين، وهي

تشويه وتحريف واضحان للمعتقدات المسيحية الحقة التي نؤمن بها في الشرق العربي. لقد اختطف الغرب الدين المسيحي وعمل فيه تشويهاً وتحريفاً وتعديلاً لكي يستجيب لظروفه وأهدافه، كما سيتبين لنا في هذه الدراسة.

كان من نتائج التطور الغربي للمسيحية أن أصبح الكثير من مذاهبها – خاصة البروتستانتية منها – تجعل من العهد القديم وقصص بني إسرائيل محور معتقداتها ومبادئها. هذه المسيحية اليمينية المتطرفة هي ما جاء بها المستوطنون الطهوريون الأوائل إلى العالم الجديد. ثم نشأت عنها مذاهب أكثر تطرفاً وإغراقاً بالتركيز على العهد القديم، وهذا هو ما أصبح يعرف في العقود القليلة الماضية بالتراث اليهودي – المسيحي.

وتجدر الإشارة هنا إلى أمرين على غاية من الأهمية:

أولاً: هنالك أعداد كبيرة من المسيحيين الأمريكيين الذين ينتمون إلى كثير من الكنائس والمذاهب المعتدلة التي لا تشاطر اليمين المسيحي معتقداته المتطرفة، بل هي تعلن اعتراضها على هذه المعتقدات وعلى السلوك الذي يصدر عنها. من هذه الكنائس – على سبيل المثال لا الحصر – الكاثوليكية، ومجلس الكنائس الوطني الذي يضم عدداً كبيراً من المذاهب البروتستانتية وغيرها، ومجلس الكنائس العالمي، ومذهب الموحدين وغيرهم.

ثانياً: في علاجنا لليمين المسيحي في أمريكا وعقائده ومبادئه، ندرك تمام الإدراك أن التطرف موجود في معظم الأديان والمذاهب. كما ندرك أن معظم الأديان تشمل خططاً إلهية للكون وتصورات للساعة الأخيرة. لكننا هنا لسنا في صدد المقارنة بين الأديان ولا في معرض إدانة البعض أو الدفاع عن البعض الآخر. هدف الدراسة، كما أوضحنا، هو تحليل موضوعي للتطور التاريخي للفكر اليهودي– المسيحي في أمريكا.

كما أننا في دراستنا لليمين المسيحي ولمبادئه والنصوص الكتابية التي يتبناها - وخاصة النبوئية منها - لا نهتم بدحض هذه النصوص أو إثبات صحتها أو مقارنتها بالنبوءات التي ترد في أديان أخرى. اهتمامنا هنا ينصب على إدراك تأثير هذه المعتقدات والنصوص على سلوك اليمين المسيحي وفكره، فإدراكنا لهذا الأمر يمكننا من معرفة ما ينطوي عليه بالنسبة لنا.

إن من واجب المفكرين والباحثين العرب أن يدرسوا هذا الاتجاه - على الأقل - في الثقافة الأمريكية وأن يتصدوا له عن علم موثق، ودون إفراط في الحماس أو إثارة للمشاعر. فالغرب ما زال منذ قرون يبذل جهوداً كبيرة في دراسة الثقافة العربية الإسلامية، ويبرز منها ما يصفه ((بالإسلام السياسي)) و ((التطرف الإسلامي)) و ((الأصولية الإسلامية)) و ((الإرهاب الإسلامي))، ويتهم لذلك الإسلام والمسلمين بالإرهاب واستغلال الدين لأهداف سياسية ودنيوية.

لكن قلة من الباحثين العرب قد حاولوا دراسة الميول والنزعات الإرهابية في التطرف المسيحي واليهودي، وخاصة الإرهاب الفكري الذي يمارسه هذا التطرف. وفي الوقت الذي يوجه بعض المتطرفين الغربيين تهمة الإرهاب إلى المسلمين، يعجزون عن إدراك درجة الإرهاب الذي تسببه دعواتهم إلى تحقيق ((نبوءات)) استعادة ((أرض الميعاد)) وهدم المسجد الأقصى في سبيل ((إعادة بناء الهيكل)).

وقليلاً ما يدرك هؤلاء الغربيون المتطرفون العنف الذي ينتج عن هذه الدعوات، خاصة في تصرفات المسيحيين المتطرفين، وفي سياسة أمريكا التي تدعم أعمال الإرهاب والقتل الجماعي وهدم المنازل وسياسة ((الإغلاق)) التي تعزل مئات الآلاف من الفلسطينيين في ما يشبه معسكرات الاعتقال، إضافة إلى الدعوة إلى تطهير عرقي، كل هذا تحت بصر وسمع المجتمع اليهودي - المسيحي في أمريكا، بل وبدعم منه.

إن تسخير الدين والمشاعر العقائدية لدى الأمريكيين - وبصورة خاصة هذه الأساطير والنبوءات الكتابية - يهدف إلى إضفاء نوع من الشرعية على أكثر الأعمال وحشية وتعصباً، كما أنه يعمل كمخدر للأحاسيس الإنسانية، لأنه يدعي أنه يستند إلى أسس من الإيمان وعلى رخصة إلهية. والأخطر من هذا هو عندما تستلم زمام الأمور جماعة ترسم سياساتها على هذه الأسس العقائدية.

الإسلاميون المتطرفون ليسوا الوحيدين الذين يدّعون المعرفة بمقاصد الله ويعملون على تحقيقها. بل إن اليمين المسيحي - كما سيبين هذا البحث - يصورون خطة الله للكون والبشرية بتفاصيل مذهلة، ويربطون بها الأحداث السياسية والتاريخية، ويبنون عليها ما ينطوي عليه المستقبل، ويعملون على تحقيقه بأنفسهم.

توجد في أمريكا عشرات المراكز والهيئات والمؤسسات الأكاديمية والسياسية التي تهتم بالدراسات المتعلقة بالعالم العربي والعالم الإسلامي. وفي المقابل ليس في العالم العربي - على ما نعلم - أية مؤسسة أكاديمية أو غير ذلك تتخصص بإجراء دراسات عن الثقافة الأمريكية وتاريخها، وما يتصل منها بالعرب والمسلمين على الأخص. هذا مع الاعتراف بالجهود الفردية الرائدة لأشخاص مثل إدوارد سعيد، وعبد الوهاب المسيري، وإبكار السقاف، وجرجي كنعان، وندرة اليازجي، ومحمد فاروق الزين وغيرهم.

ولعل من الجدير بالإشارة أن بعض فصول هذا الكتاب هي ترجمة - بتصرف - لمواد وردت في كتاب للمؤلف صدر باللغة الإنجليزية في أمريكا عام ١٩٩٠ بعنوان:

«الإسلام والعرب في الفكر الأمريكي المبكر: جذور الاستشراق في أمريكا»

Islam and Arabs in Early American Thought: The Roots of Italis Orientalism in America.

إلا أن الكتاب المذكور يتوقف في معالجته لموضوع التراث اليهودي - المسيحي عند نهاية القرن التاسع عشر. وقد أصبح من الضروري معالجة هذا الموضوع بمظاهره الحديثة ورصد تداعياته الاجتماعية والسياسية خاصة فيما يتعلق بموقف أمريكا الراهن من العالم العربي.

لجأنا في هذه الدراسة إلى اقتباس نصوص كثيرة من المصادر الأولية بصورة خاصة، لأن هذه المصادر ليست متوافرة للقارئ، إذ إن معظمها يعود إلى القرون السابع عشر والثامن عشر والتاسع عشر، وهي في طبعات نادرة أو مخطوطات موجودة في مكتبات أمريكية قليلة. كما قصدنا من هذه النصوص المقتبسة أن نبين تنوعها وتوزعها على مختلف شرائح المجتمع الأمريكي. وترفد هذه المعالجة أيضاً مصادر ثانوية حديثة تضيء بعض جوانب الموضوع وتضيف وجهات نظر متنوعة فيه.

كما أن وسائل الإعلام الحديثة على أنواعها - من صحف ومجلات وكتب وإذاعات مرئية ومسموعة والشبكة العالمية - وفرت مواد كثيرة وهامة، خاصة فيما يتعلق بالتطورات السياسية الأخيرة في أمريكا وبموضوع الألفية ونهاية الزمان. وسائل الإعلام هذه أصبحت مصدراً لا غنى عنه لما تمارسه من تأثير على الجمهور الأمريكي وما تعكسه من اتجاهات فكرية في أمريكا. ولا شك أن رواج هذه الوسائل واستمرار تسارعها جعلا منها مصدراً هاماً يتصف برصد أحدث التطورات في هذه الاتجاهات.

ولما كانت هذه الدراسة تعالج الخطاب الأمريكي الديني والسياسي، خاصة في نظرته إلى العالم العربي والإسلامي، فقد عمدنا إلى اقتباس تعابير هذا الخطاب مثل «المحتلين المسلمين» و «استعادة القدس» والكثير غيرها كما وردت دون إظهارها في إشارات اقتباس ودون التعليق عليها. كما أننا وجدنا من الضروري أن نورد أسماء الأنبياء والرسل والكتب المقدسة دون عبارات

التبجيل وترديد الصلاة والسلام عليهم، لأن ذلك يخرجها من سياق الخطاب الأمريكي الديني.

وبعد، فهذا الكتاب يحاول أن يلبي حاجة، ويسد ثغرة في الدراسات العربية التي تعالج وجهاً من أوجه الاستشراق الأمريكي، فأرجو أن يقدم الفائدة للقارئ العربي في هذا المجال، وأن يكون حافزاً للمفكرين العرب لطرق مختلف جوانب هذا الموضوع الهام.

والله من وراء القصد وهو ولي التوفيق.

ربيع الأول ١٤٢٤هـ

أيار، ٢٠٠٣م

فؤاد شعبان

الباب الأول

قبل أمريكا

((القدس وجبل صهيون يجب أن يتم بناؤهما على يد المسيحيين كما أعلن الله على لسان نبيه في المزمار رقم ١٤)).

كريستوفر كولومبس

الفصل الأول

كريستوفر كولومبس والأراضي المقدسة

(Christopher Columbus)

١٤٥٤ -١٥٠٦

((إيمان كولومبس بأن الله قدر له أن يكون وسيلة لنشر الدين كان أقوى بكثير من رغبته بالثروة والشهرة)).

صامويل ايليوت موريسون

الشائع عن كريستوفر كولومبس أنه كان مغامراً ومكتشفاً يدفعه حبه للمغامرة وحماسه لوطنه بالتبني (إسبانيا) إلى البحث عن الشهرة والسلطة والثروة. وما من شك بأن هذه الحوافز الشخصية كانت من العوامل الهامة التي دفعت بكولومبس إلى المغامرات التي أدت في النهاية إلى اكتشاف مناطق وشعوب جديدة وضمها إلى التاج الإسباني.

ولقد تعددت الصفات والسمات التي أعطاها الباحثون لهذا المغامر، والتي يسردها المؤرخ ديلنو ويست (Delno West) بقوله:

((يعتبر كولومبس بحق أول بطل أمريكي بكل ما يترتب على هذا اللقب من حقوق ومزايا وأساطير وخرافات وانتقادات. فلقد وُصف كولومبس بصاحب الخيال الخصب، الدؤوب، الشجاع، الذكي، الجاهل، المقدام، صاحب الخط

الجميل، الأناني، المتواضع، الجشع، الكريم، المتمسك برأيه، اللحوح، الإسباني، اليوناني، اليهودي، عضو رهبنة القديس فرانسيس، العالم، الزاهد، التاجر، عضو المحفل الماسوني... وغير ذلك»[1].

وكان من الشائع أيضاً في العصور الوسطى أن المحيط الأطلسي (بحر الظلمات كما كان كولومبس ومعاصروه يسمونه) يبتلع كل من يحاول ركوب أمواجه. لكن كولومبس ومعاصريه كانوا كثيراً ما يقرؤون بأن وراء ذلك المحيط الكبير تقع أراضي الشرق بما فيها من ممالك وثروات وكنوز، وبخاصة مملكة «الخان العظيم» (The Great Khan) التي كان الأوروبيون يتغنون بشوارعها المرصوفة بالمرمر ومنازلها المسقوفة بالذهب.

كان الأوروبيون - خاصة الرحالة والمكتشفون منهم- يدركون أن من يفلح في اجتياز الطريق الغربية للوصول إلى الشرق سيبلغ ممالك ومدناً تمنحه شهرة وثروة لا حدود لهما، كما أن الملوك والأمراء الذين سيدعمونه ويمولون رحلته سوف يكسبون نفوذاً وقوة عظيمين.

كان كريستوفر كولومبس-هذا الأجنبي الإيطالي الذي وفد من جنوا إلى إسبانيا- يفاخر بأنه جاب كل أنحاء العالم المعروفة آنذاك، وركب المخاطر للوصول إلى جميع أقطار العالم المسيحي. كما أنه قصد قصور ملوك أوروبا وأمرائها محاولاً إقناعهم بتقديم الدعم المادي والمعنوي والسياسي لمشروعه (مشروع الهند العظيم) الذي كان يخطط له منذ مدة طويلة، ويهدف إلى الإبحار عبر «محيط الظلمات» إلى أراضي الشرق وممالكه.

ولكن مع أن كولومبس قدم لهؤلاء الملوك والأمراء، الواحد تلو الآخر، ألواناً من الوعود المغرية مادياً وسياسياً إذا هم دعموا هذا المشروع بالمال والعتاد ووسائل الإبحار، ورغم أنه أمضى قرابة سبع سنوات في أواخر القرن الخامس عشر في سعيه هذا، فإنه لم يلق القبول الذي كان يرجوه.

إلا أن كولومبس لم يكن يسعى فقط لتحقيق الشهرة والثروة لنفسه أو السلطة والتوسع لملوك أوروبا وأمرائها. بل كان له هدف رئيسي أسمى - في نظره هو- كرس له كل جهوده بل وحياته. كتب مرة عن هذا الهدف إلى ملك وملكة إسبانيا فرديناند وإيزابيلا، قائلاً إنه يريد أن يكتشف ممالك ومدناً جديدة يضمها إلى التاج الإسباني، ويهدي شعوبها إلى الدين المسيحي، ثم يجندها في ما سماه بـ ((حرب الحياة أو الموت ضد إمبراطورية محمد))[٢]. وأضاف أيضاً بأن هدفه النهائي هو ((استعادة)) الأراضي المقدسة، وخاصة القدس ومهد المسيح وذلك تمهيداً لنزول مملكة الله على جبل صهيون[٣].

كان ذلك أول تصريح مكتوب معلن أدلى به كولومبس يبين فيه شمولية خططه وأهدافه التي كان يرمي إلى تحقيقها من رحلاته الغربية.

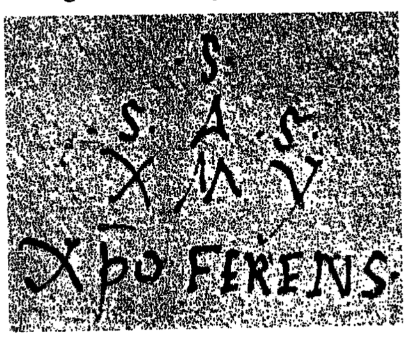
يقول مؤلفو ((دليل الألفية الجديد))[٤] إن أفكار كولومبس عن النبوءات المقدسة ساعدته على إقناع ملك وملكة إسبانيا على تمويل رحلته، التي كانت في الحقيقة تشمل خطة أكبر بكثير من ((مشروع استكشاف الهند)). ففي سريرته كانت هذه الرحلة الخطوة الأولى في حرب صليبية يستطيع بها ملكا إسبانيا وكولومبس ((استعادة)) الأراضي المقدسة وإرجاعها إلى الدين المسيحي... وفي سنواته الأخيرة بقي كولومبس على اعتقاده بأن يد الإرادة الإلهية والنبوءات المقدسة تقوده في جهوده. وأثناء رحلته الرابعة (١٥٠٢-١٥٠٤) كان البحار المسن المتعب يسمع أصواتاً ويبصر رؤىً، وكانت الرسالة التي يستلمها من الله تحثه دوماً على المضي قدماً في جهوده تلك.

وقد أصبحت رسالته التي بعث بها إلى العرش الإسباني فور عودته من رحلته الأولى وأرخها في ١٤٩٢/٢/١٥ خطة عمل ومنهاج حياة التزم به طيلة عمره. طبعت هذه الرسالة فيما بعد في عام ١٤٩٣، وترجمت إلى لغات عديدة كما أعيدت طباعتها عدة مرات بحيث أصبحت وثيقة رسمية تمثل البرنامج

الإيديولوجي للأوروبيين في حملاتهم الاستكشافية الاستعمارية والتبشيرية. ويلخص كولومبس هذا البرنامج الشمولي في الرسالة كما يلي: ((غزو العالم وهداية البشرية إلى المسيحية، واستعادة الأراضي المقدسة، والإعداد لإنشاء مملكة الإله على جبل صهيون في موقع الهيكل))(٥).

كان كولومبس يعتقد أيضاً، وبصورة لا تقبل الشك، أن العناية الإلهية اختارته لتحقيق أهداف الخالق ونبوءات الكتاب المقدس. راوده هذا الاعتقاد منذ نعومة أظفاره، وازداد حماساً وقناعة منذ بدأ يفكر ((بمشروعه العظيم)). بل كان كولومبس يعتبر حياته رحلة متواصلة نحو هذا الهدف النهائي(٦).

كما يؤكد مؤرخو كتاب ((الأمة الأمريكية)) (١٩٨١) (ص٢) أن ((كولومبس تصور نفسه رسول الوحي المستقبلي الكتابي الذي ينبيء باستعادة القدس وهداية اليهود)). كان كولومبس يوقع اسمه بصيغة مميزة، وهي ((كريستوفرنز))(Christopherens)، وتعني باللاتينية ((حامل المسيح))(٧).



توقيع كريستوفر كولومبس ((كريستوفرنز))
وهو التعبير اللاتيني الذي يعني ((حامل المسيح))

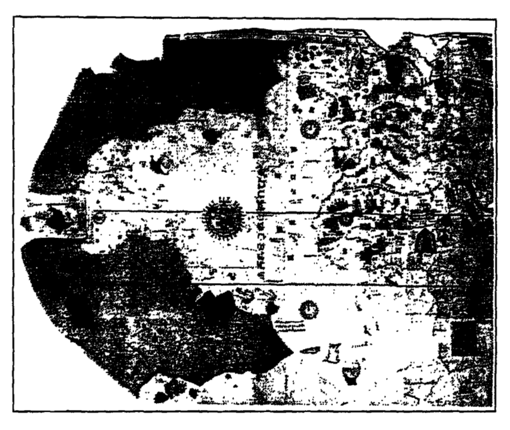
اعتقد كولومبس أن إعطاءه اسم كريستوفر لم يكن بمحض المصادفة، بل هو تقدير إلهي يرمز إلى ما رسمه الله له من خطة ومهمة مقدسة لحمل الدين المسيحي إلى جميع شعوب العالم. بل ذهب به هذا الاعتقاد إلى تفسير اسم عائلته، كولومبس، وهو يعني اليمامة، التي قال إنها ترمز إلى طير يحمل المسيح على جناحيه.

وقد كتب ابنه فرديناند في سيرته أن مهمة كولومبس المقدسة كمبشر عالمي كانت شبيهة بمهمة القديس كريستوفر الذي حمل المسيح الطفل عبر النهر الهادر على كتفيه. كما أن كولومبس نفسه أسرّ إلى دفتر يومياته يوم الجمعة في ١٤٩٢/١١/١٦: ((لقد زرعت الصليب في كل مكان وطئته قدماي سواء في الجزر أو القارات))(٨).

اعتبر كولومبس حياته بمثابة رحلة تبشيرية إلى العالم كله، يحمل رسالة المسيحية إلى الشعوب الغارقة في ظلمات الجهالة. فقد كتب إلى ملك وملكة إسبانيا يصف رحلته الأولى عبر الأطلسي: ((أرسلت لسموكم تقريراً عن بلاد الهند وعن ملك فيها يدعى ((الخان العظيم)). كم مرة أرسل هو، وأسلافه من قبله، إلى روما يطلب رجالاً علماء بأمور ديننا لكي يرشدوه وشعبه إلى الإيمان. لكنه، وكثيراً من الأمم، وقعوا في الكفر وآمنوا بمذاهب وأديان مضللة. لكنكم – وأنتم الأمراء الكاثوليكيون المؤمنون– محبون للدين ساعون لنشره والتبشير به، قررتم إرسالي – أنا كريستوبال كريستوفران– لكي أستطلع طريقة تمكننا من إرشاد الأمم إلى الدين القويم))(٩).

كان كولومبس يعرف أن معاصريه الأوروبيين يفهمون ما يقصده بتوقيعه هذا، فالبيئة الفكرية الأوروبية كانت تزودهم بالرموز الشبيهة. وكان أحد الذين رافقوا كولومبس في رحلتيه الأولى والثانية إلى العالم الجديد، خوان دي لاكوستا (Juan de la Costa) هو الذي رسم خريطة العالم التي اعتمد عليها

كولومبس ومعاصروه. وهي أقدم خريطة للعالم ما زالت موجودة حتى الآن، وفيها تغطي صورة القديس كريستوفر كل مساحة الجزء الغربي المجهول من العالم(١٠).



خريطة خوان دي لا كوستا،
وتغطي صورة القديس كريستوفر العالم الغربي المجهول

ويشير هذا الرمز للقديس كريستوفر (حامل المسيح عبر العالم) إلى التطلع الغربي لنشر المسيحية بين شعوب العالم، وخاصة العالم الجديد.

وهكذا فعندما أبحرت في فجر يوم ١٤٩٢/٨/٣ من ميناء بالوس (Palos) مجموعة من السفن الإسبانية بقيادة السفينة سانتا ماريا (Santa Maria) كان قبطان هذه السفينة وقائد الحملة رجلاً من جنوا بإيطاليا اسمه كريستوفر

كولومبس. استطاع كولومبس بعد جهد كبير أن يقنع ملك وملكة إسبانيا بدعم رحلته وتمويلها وتزويدها بما يلزمها من سفن وبحارة ومؤن.

ومع أن كولومبس كان بحاراً متمرساً في علوم الفلك والجغرافيا، ومع أنه كان يصطحب معه الأيدي المهرة في قيادة السفن عبر المحيطات والبحار، بما في ذلك صاحب أشهر خريطة للعالم، إلا أن هذا الملاح كان في قرارة نفسه يتبع الخريطة الروحية التي زودته بها قراءاته المستمرة للكتاب المقدس. وكان مقتنعاً بدقة هذه الخريطة وبتفوقها على الخرائط التي زوده بها العلماء والجغرافيون.

كانت ثقة كولومبس بخبرته ومعرفته مكمّلة، وليست بديلة، لاعتقاده الراسخ بالجغرافيا المقدسة. كما أن إيمانه بحرفية النصوص المقدسة - وخاصة النبوئية منها - قد أرست لدية أسس الإيمان بخطة كونية لها بداية ونهاية وهي من وضع خالق الكون نفسه. هذه هي الحتمية التاريخية التي تداخلت في تفكير كولومبس ومعاصريه مع تصورهم للقدرية الإيمانية. وكان هذا المزيج - إضافة إلى عنصر الجغرافيا المقدسة- الحافز المبني على اليقين المطلق والذي دفعه إلى ركوب المخاطر في سبيل استشراف مستقبل البشرية ضمن تلك الخطة الكونية.

كان كولومبس، مثله في ذلك مثل معاصريه الأوروبيين المؤمنين، ينظر إلى الكتاب المقدس على أنه دليل الطريق في الخطة الإلهية لماضي الكون وحاضره ومستقبله. درس كولومبس الكتاب المقدس دراسة دقيقة، وكان يحمله معه في حله وترحاله، ويستشهد بنصوصه في كل ما يكتب من رسائل ويوميات وغيرها. وكان إلى ذلك يضع بخط يده ملاحظات وهوامش على نصوص الكتاب المقدس، وخاصة النبوئية منها. وكانت اقتباسات كولومبس من الكتاب المقدس تأتي من جميع أسفار العهدين القديم والجديد، من سفر التكوين إلى كتاب الرؤيا. ولقد كتب أحد المؤرخين عن كولومبس قائلاً: ((كان الكتاب المقدس مرجعه الرئيسي والنهائي لتاريخ العالم، ماضيه ومستقبله))[١١].

في إطار هذا التفكير يمكننا اعتبار كولومبس في طليعة أجيال متعاقبه من المبشرين الغربيين الذين انتشروا منذ ذلك الوقت وحتى الآن في جميع أنحاء العالم، والذين نشطوا بصورة خاصة في العالم العربي والأراضي المقدسة.

هذا الحماس التبشيري المبكر جعل بعض المؤرخين يعتبرون كولومبس من أوائل المتطرفين المتحمسين للتبشير بالإنجيل (Evangelists) في التقليد الحديث للكنائس اليمينية المتطرفة التي نشطت منذ القرن التاسع عشر وحتى الآن.

ومن أجل إدراك أهميه هذا الأمر لا بد من التذكير بأن كل هذه الأنشطة التبشيرية التي مارسها جل حياته جاءت قبل قيام الحركة الإصلاحية الدينية (Protestant Reformation) بقيادة مارتن لوثر، أي قبل نشوء الكنائس المسيحية البروتستانتية المتطرفة (Evangelical Churches) التي اشتهرت بحماسها التبشيري. بل إن ما يعطي كولومبس قصب السبق في هذا المضمار أنه كان قد توفي عام (١٥٠٦) قبل أن يعلن لوثر قوائم «المواد الاحتجاجية» على الكنيسة البابوية بعشرة أعوام. ويستدل أيضاً على عدم تأثر كولومبس بهذه الحركة الدينية والكنائس التبشيرية التي نشأت عنها من أن كولومبس استفاد في تمويل نشاطاته هذه من الأموال التي كان المسيحيون يدفعونها إلى الكنسية البابوية ثمناً «لصكوك الغفران» التي كانت موضوعاً أساسياً في احتجاج لوثر على تلك الكنيسة وثورته عليها.

وبهذا المعنى يمكن القول بأن حماس كولومبس المبكر هذا يضعه في أوائل من بشروا بالتفسير الحرفي للكتاب المقدس، وبخاصة نصوصه النبوئية التي تتعلق بالأراضي المقدسة والتي تدعوا في نهاية الأمر إلى إنشاء «مملكة الله» على جبل صهيون في الأراضي المقدسة الجغرافية[١٢].

وفي هذا الإطار أيضاً يمكن إدراك ما قصده المؤرخ الديني ويست (ص٦-

٧) حين وصف كولومبس بأنه «أول بطل أمريكي عظيم»، إذ أنه سبق المهاجرين المستوطنين الأوربيين في أمريكا الشمالية، كما سبق الحركات التبشيرية الحرفية في القرنين الثامن عشر والتاسع عشر في تفسيره الحرفي لهذه النصوص النبوئية في الكتاب المقدس.

لم يكن كولومبس رجلاً تقياً مؤمناً وحسب، بل كان متطرفاً في ورعه وحماسه الديني إلى درجة جعلته مهووساً بتفسير حرفي للنصوص النبوئية وحملته على تكريس حياته لتحقيق ما اعتبره أهداف الخالق للبشرية. أدرك ذلك الجانب من فكر كولومبس معاصروه ومن عرفوه عن كثب. فقد كتب ابنه فرديناند عن ذلك قائلاً: «كان متشدداً متطرفاً في حماسه الديني لدرجة تجعلك تظنه منتمياً إلى حركة أو مذهب ديني متطرف»[١٣].

كما أكد ذلك معاصر كولومبس الأسقف بارتولوم دي لاكاساس (Bishop Bartolome de Las Casas) حين تحدث عنه بإعجاب شديد وامتدح إيمانه المطلق وصلواته واعترافاته المتكررة، إذ قال: «كان يستحوذ على كولومبس الاعتقاد الجازم بأن الله كلفه بمهمة مقدسة لهداية العالم كله ونشر دين المسيح بين الشعوب الجاهلة في كل مكان»[١٤].

وقد أدرك بعض من كتبوا عن كولومبس مؤخراً هذا الجانب من فكره، فكتب صامويل إيليوت موريسون (الحائز على جائزة بوليتزر) عن كولومبس قائلاً: «هذا الإيمان بأن الله قدر له أن يكون وسيلة لنشر الدين كان أقوى بكثير من رغبته بالثروة والشهرة»[١٥].

كما أكدت الكاتبة كي بريغهام (Kay Brigham) هذه الفكرة حين أشارت إلى أن كولومبس «قد توفرت له معرفة واسعة بخطة الله للعالم التي نزل بها الكتاب المقدس، وبصورة خاصة بالدور الهام الذي قدر له أن يلعبه في تحقيق إرادة الله»[١٦].

كان كولومبس يصر دوماً على دور العناية الإلهية في حياته ونشاطاته الاستكشافية، فكتب مرة: ((من يستطيع الإثبات بأن هذا الحماس كان مجرد شعور شخصي لدي؟ لقد كانت يد الروح القدس تحثني بوهج نورها المنبعث من الكتاب المقدس، وتلح علي أن أمضي في هذا الطريق)). كما أكد كولومبس أن يد الروح القدس لم تكن تقتصر في ايحائها له بالأمور العامة المجردة، بل كانت تتدخل في تفاصيل حياته. فالله مثلاً هو الذي قدر له أن يقوم برحلته الأولى وقدر للرحلة أن تتكلل بالنجاح. ((كنت أحس بوجود يد الله وبوحي خاص يعلمني بأنه بإمكاني تحقيق مشاريعي. كانت مشيئة الله أن تتحقق معجزة رحلتي إلى بلاد الهند)).

ويؤكد الكاتب صامويل إيليوت موريسون ذلك حين يقول: ((ليس ثمة شك في أن إيمان كولومبس كان حقيقياً وخالصاً)). بل كان اتصاله المتكرر مع قوى غير مرئية عنصراً حيوياً في جميع طموحاته وإنجازاته.

يقودنا كل هذا إلى القول انه ما من شك أبداً في أن الحافز الرئيسي لحماس كولومبس ((لمشروعه العظيم)) كان حافزاً دينياً وليس سياسياً أو طموحاً شخصياً. فقد نظر كولومبس إلى رحلاته وأنشطته كلها في إطار مهمة دينية مقدسة، بل كان على يقين بأن العناية الإلهية هي التي رسمت خطة حياته لتتفق مع دوره في خطة كونية قارب العالم فيها على الانتهاء، إذ قال مرة: ((لقد جعلني الله رسولاً للأرض والسماء اللتين تحدث عنهما في كتاب الرؤيا (٢١ :١)، بعد أن تحدث عنهما على لسان النبي إشعياء، ولقد أراني الله المكان الذي أجد فيه الأرض والسماء الجديدتين))[١٧].

هذه الرسالة السماوية هي التي قصدها كولومبس حين كتب إلى ملك وملكة إسبانيا يخبرهما بأنه عندما كان شاباً كان غالباً ما تتراءى له الروح القدس في أحلامه تخاطبه مباشرة: ((سوف يجعل الله اسمك الممجد معروفاً في

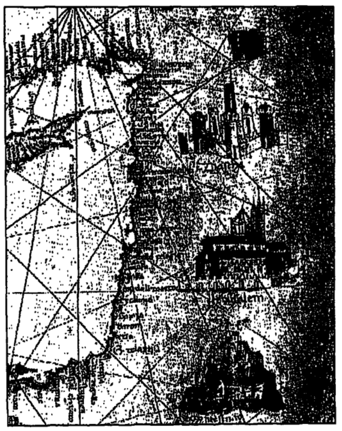
كل أنحاء العالم، وسوف يعطيك مفتاح أبواب المحيطات التي كانت محكمة الإغلاق أمام غيرك))(١٨).

وكان المناخ الفكري في عصر كولومبس مهيئاً لقبول مثل هذه الرؤى والتخيلات، خاصة إذا كانت تتعلق بالإعداد لتحقيق نبوءات قرأها معاصروه بين سطور النصوص المقدسة. فنحن نرى اعتراف معاصري كولومبس بجهوده وقبولهم لادعاءاته بالرؤى المقدسة والمهمات التي كلف بها. فقد كتب لاكاساس في ذلك يقول : ((إن كولومبس فتح الطريق لاكتشاف مناطق شاسعة... وأمم كثيرة أصبحت الآن مهيأة للانضمام إلى صفوف المؤمنين بالخالق وبدينه الحق الذي أرسله)). كما أشاد معاصرو كولومبس بجهوده بنصب صليب خشبي ضخم في كل مكان اكتشفه، مشيرين بذلك إلى إعجابهم بأنشطته وتأييدهم لها.

لازمت هذه الأفكار والأهداف كولومبس حتى أواخر أيامه، وكان دوماً يدلل على صحتها بالاستشهاد بالنصوص الدينية. بل لقد كان آخر أعماله (وهو كتابه الوحيد) كتاباً بعنوان ((كتاب النبوءات أو الرؤيا))(Libro de la Profecias, The Book of Prophecies) وهو عنوان كتاب الرؤيا، الكتاب الأخير من العهد الجديد. يعرض كولومبس في هذا الكتاب بالتفصيل رؤياه وسعيه لتحقيق ((أهداف ونبوءات العهدين القديم والجديد))كما تراءت هذه النبوءات له ولمعاصريه. وقد اقتبس كولومبس لهذا الكتاب عنوان أحد أكثر كتب العهد الجديد تنبؤاً بمستقبل البشرية ومستقرها.

أشار كولومبس إلى العديد من نصوص الكتاب المقدس على أنها أدلة وبينات تثبت بعثته المقدسة إلى البشرية. فهو طالما اقتبس من ((سفر الرؤيا)) النص التالي: ((وهناك قطعان أخرى لم تنضم إلى رعيتي، ولا بد لي من الوصول إليها. ولسوف يسمعون ندائي حتى لا يكون سوى قطيع واحد وراع واحد)) (الرؤيا

(يوحنا) ١٠ :١٦). كما كان كولومبس يستشهد بالنص التالي من ((سفر إشعياء))كدليل قاطع على أن العناية الإلهية اختارته لتحقيق مهمته المقدسة هذه، حيث الحديث عن القدس ((وعودة)) الشعب المختار إليها: ((إن الجزائر تنتظرني وسفن ترشيش في الأول لتأتيك بنيك من بعيد وفضتهم وذهبهم معهم لاسم الرب إلهك وقدوس إسرائيل لأنه قد مجدك)). (سفر إشعياء ٦٠ :٩).



حمل كريستوفر معه في رحلاته خريطة معاصرة للشاطئ الشرقي للبحر المتوسط تبين موقع القدس، لكي تذكره دوماً بالبعد الروحي لمهمته وهدفه النهائي وهو تحرير القدس والإعداد لمملكة المسيح

وبالفعل كان ((المشروع العظيم))، مشروع الرحلة إلى بلاد الهند، كما وصفه كولومبس، مجرد جزء حيوي من خطة كونية مقدرة حسب برنامج زمني للماضي والحاضر والمستقبل. اعتقد كولومبس، كما اعتقد الكثيرون من

معاصريه، أنه لم يبق سوى ١٥٥ سنة على ظهور ((المسيح الدجال))، تمهيداً لقيام الساعة. وهكذا كان الهدف من رحلاته عبر المحيط إلى الشرق جزءاً من حملة مقدسة لهداية أمم أخرى وجمع الثروات لتوظيفها في تمويل ((حملة صليبية)) رابعة وأخيرة يقودها العرش الإسباني لاستعادة جبل صهيون وموقع الهيكل.

كما دلل كولومبس على رؤياه تلك وعلى مصداقية أهدافه بنص من (المزمار ٢ :٦-٨): ((أما أنا فقد مسحت ملكي على صهيون جبل قدسي. أني أخبر من جهة قضاء الرب. قال لي أنت ابني. أنا اليوم ولدتك. اسألني فأعطيك الأمم ميراثاً لك وأقاصي الأرض ملكاً لك)).

علق كولومبس بخط يده على عدد من هذه النصوص النبوئية، مبيناً دوره هو ومعاصريه في هذه المسرحية الكونية. فقد خصه الله، في اعتقاده، بميزات وقدرات تجعله مؤهلاً أكثر من غيره لإنجاز أعمال عظيمة من أجل البشرية. فهو يقول مثلاً: ((إن الله حباني بمعرفة عميقة في علوم البحار وكل ما هو ضروري من علم الفلك والحساب والجغرافيا والهندسة. ولقد زودني بالمهارات لرسم خرائط الكون وتحديد مواقع المدن والأنهار والجبال والمحيطات والجزر والموانئ)). وكان يفاخر أيضاً بأنه أبحر في كل المحيطات والبحار من المتوسط وشواطئ إفريقيا إلى موانئ إيرلندا وما بعدها.

لكن كل هذه المؤهلات والعلوم التي كان كولومبس يدعيها لم تكن لتنفعه لولا أيمانه بأن العناية الإلهية هي المؤهل الأول والأخير الذي يساعده على تحقيق أهدافه. ولا أدل على ذلك من سرده لحادثه وقعت له أثناء رحلته الأولى. ففي يوم ١٤٩٢/٩/٢٣ كانت سفينته تائهة في بحر لفه الهدوء فسكنت أشرعتها ويئس بحارتها من العودة إلى إسبانيا. لكن كولومبس يقول إن يد العناية الإلهية تدخلت فتحركت الأشرعة دون رياح تدفعها فتحركت معها السفينة، وما كان من كولومبس إلا أن علق بأن تلك معجزة من السماء كالتي رافقت النبي موسى وأنقذته من فرعون وجيشه.

تمسك كولومبس بهذا المعتقد، فكتب إلى فرديناند وإيزابيلا في أواخر أيامه أنه أمضى سنوات عديدة من حياته يناقش العلماء في مشروعه العظيم من الناحية العلمية والجغرافية دون أن يقتنعوا بحجته. لكن نبوءة المسيح -حسب قوله - تحققت على يده كما وردت في النص المذكور من سفر إشعياء. ويمضي كولومبس قائلاً بأن جميع العلوم والأفكار والخرائط لم تنجح في تحقيق مشروعه، لكن نبوءة إشعياء هي التي تحققت على يديه بفضل العناية الإلهية.

وهكذا فإن هذا البحّار الذي أشتهر بمغامراته واكتشافاته لم يعتبر مشروعه العظيم مغامرة ذات معنى وفائدة علمية أو وطنية فحسب، بل كان هذا المشروع في نظره يقع ضمن خطة كونية رسمها الله للبشرية، بدأت مع بدء الخليقة وستنتهي دون أي شك بعودة المسيح وهداية الأمم واستعادة الأراضي المقدسة من أيدي ((المحتلين الكفرة)).

أحتل الأوروبيون في أثناء تلك الفترة من تاريخ أوربة والعالم المسيحي الجزيرة الإيبيرية (الأندلس) وأخرجوا المسلمين منها أو أجبروا من بقي منهم على اعتناق المسيحية. وكان ذلك الحدث الهام (الذي تزامن مع دعوة كولومبس لمشروعه العظيم) حافزاً على حماس ديني أوربي تبشيري جديد، ولموجة من الطموحات الاستعمارية لدى الأمم الأوربية. كان كولومبس يذكر العرش الإسباني وملوك أوربة وأمراءها بتداخل هذه المصادفات التاريخية وتوافقها، ويدلل بذلك على تدخل العناية الإلهية في جميع ما يقع في تاريخ البشرية ضمن خطة الإله للكون.

أطلق كولومبس على عام ١٤٩٢ (عام رحلته الأولى إلى بلاد ((الهند))) صفة ((السنة العجيبة)) لأنها شهدت أحداثاً تنبئ باقتراب نهاية الزمان. فقد رأى في توحيد إسبانيا وطرد المسلمين منها، وفي طرد اليهود من أوروبا لكي ((يعودوا)) إلى الأرض التي وعدهم الله بها، وفي انتخاب البابا الجديد من

إسبانيا، واعتلاء ملك وملكة مؤمنين عرش إسبانيا - رأى كولومبس في هذه الأحداث وفي اكتشافاته الجديدة آيات تدل على فتح بوابات الشرق أمام أوربا. وكان لظهور دولة إسبانية قوية دليلاً في نظره على أن الله قدر لهذه الدولة أن تسيطر على العالم، مما ينبئ بقرب الخلاص ونهاية الزمان بقدوم مملكة الله.

وضع كولومبس رسالته المذكورة إلى الملك فرديناند والملكة إيزابيلا في مقدمة قصة اكتشافاته ومغامراته، وشرح في الرسالة أنه عرض نفسه دليلاً لقيادة ((الحملة الصليبية)) الأخيرة، قائلاً :((إن القدس وجبل صهيون سوف يتم بناؤهما على يد المسيحيين، كما قال الله على لسان نبيه في المزمار رقم ١٤)). والمزمار المذكور يحتوي على النص التالي الذي يشير إليه كولومبس: ((ليت من صهيون خلاص إسرائيل. عند رد الرب سبي شعبه يهتف يعقوب ويفرح إسرائيل)).

كما لجأ كولومبس في البرهنة على آرائه إلى كتابات رجل الدين الراهب (الآبي) واكيم من مدينة فيوري (Abbey Joashim of Fiori) وهو الذي تنبأ بأن ((استعادة)) الأراضي المقدسة سوف تتم على يد شخص إسباني.

ومع تتابع الأحداث ونجاح كولومبس في اكتشافاته ازدادت قناعته بأن الله اختاره شخصياً لتحقيق أهداف خطته الكونية، بل لقد زاد اعتقاده بالحتمية التاريخية اليقينية في تصميمه على المضي قدماً في رحلاته الاستكشافية وفي الدعوة إلى ((حملة صليبية)) جديدة. وكان في ذلك كله يلتمس العون والإلهام من الكتاب المقدس ومن نصوصه النبوئية. ضمن سياق هذا الإطار الفكري كان كولومبس يهدف إلى وضع جميع الثروات والكنوز التي يجمعها في اكتشافاته الجغرافية في خدمة الجيوش التي ((ستحرر)) القدس.

كتب كولومبس إلى العرش الإسباني لدى عودته من رحلته أنه على استعداد لتجهيز (٥٠,٠٠٠) جندي و (٤,٠٠٠) فارس، إذا قرر فرديناند

وإيزابيلا قيادة حملة ((لتحرير مهد المسيح في القدس)). وقال لهما ((سوف يكون النصر حليفكما في مشروع القدس إن كنتما مؤمنين))(١٩).

وفي إصرار كولومبس على تحقيق الهدف الرئيسي وهو ((تحرير كنيسة المهد وهيكل سليمان))، كان أيضاً يشبه نفسه بالنبي داود. ألم يترك داود الأموال والثروات لسليمان لبناء الهيكل على جبل صهيون؟ وهو أيضاً سوف يوفر الأموال للعرش الإسباني ((لاستعادة)) تلك المواقع إيذاناً بنهاية الزمان. فقد قال مرة: ((إن العالم الجديد سوف ينقذ المدينة القديمة، مدينة داود))(٢٠).

غامر كولومبس هذا الشعور منذ نعومة أظفاره، كما سبق وأوضحنا عن الرؤى التي كانت تراوده. ثم قرأ كولومبس كتاب القديس أوغسطين الشهير ((مدينة الله)) (The City of God, 426) (عام ٤٢٦م) والذي توقع فيه بناء على حسابات معقدة مبنية على نصوص الكتاب المقدس ونبوءاته أن نهاية العالم ستحدث بعد ٧٠٠٠ عام منذ بدء الخليقة. اعتمد كولومبس ومعاصروه على نبوءة القديس أوغسطين وأجروا بعض الحسابات واستنتجوا أن نهاية الزمان ستكون بعد ١٥٥ عام منذ بدء تنفيذ مشروع كولومبس العظيم.

كان أوغسطين في كتابه قد قسم تاريخ الخليقة إلى سبعة عصور، واعتقد كولومبس ومعاصروه أنهم يعيشون في العصر السادس التي تتسارع فيه الأحداث نحو الفساد والآثام وتنحدر أخلاق البشر إلى أن يصعد المؤمنون إلى السماء (الارتقاء أو الرقي) (Rapture) لملاقاة المسيح. ثم ينزل المسيح مع جيش من القديسين في العصر السابع ويخلص البشرية من الشر وجيش الشيطان في معركة مجيدو (Armageddon) ويتربع على عرش مملكته الأرضية لمدة ألف عام.

في تلك الفترة كثرت الشائعات والتنبؤات في أوروبا عن اقتراب ساعة الخلاص، وكان أكثر هذه التنبؤات تأثيراً في كولومبس تلك التي قالت بأن منقذ ((أرض صهيون)) سيأتي من إسبانيا. وكان ذلك حافزاً له على الإلحاح في

مراسلاته مع العرش الإسباني وفي يومياته وكتاباته الأخرى على عرض تمويل «الحملة الصليبية الأخيرة» لتحرير الأراضي المقدسة بقيادة إسبانية.

كانت فكرة تخليص الأراضي المقدسة من المسلمين قد راودت مسيحيي أوربة لقرون طويلة، وقد رأينا كيف شنت أوربة غزوات «الحروب الصليبية» في القرنين العاشر والحادي عشر لتحقيق ذلك الهدف. اعتبر كولومبس ذلك أمراً قابلاً للتحقيق في عصره نتيجة إنجازاته والتنبؤات التي رافقتها. بل كان أيضاً يعتقد بيقين تام أن الله اختاره ليلعب دوراً هاماً في تحرير الأراضي المقدسة.

لكن تحقيق هذا الهدف، أي «تحرير الأراضي المقدسة»، لم يكن في نظره عملاً معزولاً عن غيره من أحداث التاريخ، ماضيه ومستقبله. بل كان جزأً من خطة إلهية للكون والبشرية، وكان «تحرير الأراضي المقدسة» من علامات الساعة، كما كانت هداية الأمم الأخرى إلى الدين المسيحي. وهكذا فإصرار كولومبس على تمويل وتجهيز حملة صليبية كان جزأً من جهوده في تحقيق علامات أخرى من علامات الساعة مثل نشر الدين المسيحي بين أمم الأرض وتجنيدها في هذه الجهود لاستعادة الأراضي المقدسة.

تمثل حياة كولومبس وجهوده وكتاباته فكراً متكاملاً يحمل إيمانه القوي بتفسير حرفي لبعض نصوص الكتاب المقدس ونظرته للكون والتاريخ على أنهما يخضعان إلى خطة تاريخية حتمية، والإيمان بيد العناية الإلهية في وضع هذه الخطة وتنفيذها.

أوضح كولومبس، في غير موضع، إيمانه المطلق بأن العناية الإلهية اختارته ليلعب دوراً مركزياً في خطة الله للكون والتاريخ. فقد تحدث مرة في يومياته قائلاً: «من يستطيع أن يلقي بظلال الشك على النور الذي غمرني من الروح القدس والذي أكد لي بوضوح رائع في أربعة وأربعين سفراً في العهد القديم وأربعة مبشرين بالأناجيل، كلهم يحثونني على المضي قدماً بتنفيذ مشروعي،

ويبثون فيّ الحماس المتأجج لهذا العمل))[٢١]. ولا شك بأن كتابه اليتيم ((كتاب الرؤيا (النبوءات))) يمثل برنامج عمل مبني على هذا اليقين المطلق.

ولعله من الغريب أن الباحثين والمؤرخين لم يتطرقوا بتعمق إلى هذه الحوافز والأهداف الدينية في نشاطات كولومبس إلا في العقود القليلة الأخيرة. كما أن كتابه الوحيد ((كتاب الرؤيا)) لم يترجم إلى اللغة الإنجليزية بكامله إلا منذ سنوات معدودة. وهو الذي يبين فيه كولومبس نفسه دوافعه الدينية وأثرها في حياته. ويقول المؤرخ الديني جون فيلان (John Phelan) في إصرار كولومبس على اعتقاده بمهمة مقدسة: ((سيطر على كولومبس تصوره لنفسه كأداة في يد العناية الإلهية التي اصطفته لتحقيق النبوءات، وبخاصة المتعلقة بتحرير القدس))[٢٢].

الفصل الثاني

التراث اليهودي ـ المسيحي

الأرضية التاريخية

((في طريقه إلى دمشق تعرض بولس لتجربة صوفية سيكولوجية أصبحت تعرف بالاهتداء، لكنه مضى فيما بعد لوضع أكثر النظم اللاهوتية تعقيداً)).

رود هورتون و هربرت إدواردز
((أرضية الفكر الأدبي الأمريكي))

كان من النتائج الهامة لحركة مارتن لوثر الإصلاحية البروتستانتية (في أوائل القرن السادس عشر) إعادة صياغة العقيدة المسيحية في أوروبا، وكان لتلك العملية أثر كبير في دعم وتطوير التراث اليهودي ـ المسيحي في العالم الغربي. (علماً بأن مارتن لوثر نفسه كان يعبر عن كراهية اليهود والخوف منهم).

ولا بد من شيء من التبسيط والاختصار هنا في سرد قصة أثر الحركة البروتستانتية في تطور هذا التراث، بصورة خاصة في أمريكا[1].

كان أحد بنود الاحتجاج على الكنيسة البابوية التي عرضها لوثر هو احتكار الكنيسة والكهنوت لقراءة الكتاب المقدس بلغات لم تعد معروفة لعامة الشعوب المسيحية. كانت الكنيسة بذلك تستأثر لنفسها بتفسير النصوص

المقدسة لرعاياها وتلعب دور الوسيط بينهم وبين الخالق، بل جعلت الكنيسة نفسها موكلة عن الله في الحكم على إيمان اتباعها ومنحهم الغفران أو إدانتهم مما يفضي بهم إلى جحيم دائم.

وبعد أن تم انفصال الكنيسة البروتستانتية عن كنيسة روما بدأت حركة ترجمة الكتاب المقدس إلى اللغات السّيارة في أوروبا المسيحية. وبذلك أصبحت النصوص المقدسة متوفرة لعامة القراء وأصبح الكتاب المقدس - بعهديه القديم والجديد- تدريجياً مرجع الناس في عقيدتهم وعبادتهم.

في الفترة التي تلت حركة مارتن لوثر الإصلاحية ظهر عدد من المذاهب الفرعية للبروتستانتية مثل الكالفينية (التي كانت تتبع أفكار جون كالفن إلى اليمين من لوثر) والإنجليكانية (وهي الكنيسة الرسمية لإنجلترا التي كان يرأسها ملك إنجلترا وهي أقرب المذاهب البروتستانتية إلى الكاثوليكية وتسمى في أمريكا الإبيسكوبالية). كانت هذه المذاهب كلها تعتبر العهد القديم جزءاً أساسياً من الكتاب المقدس، لكن جماعة الطهوريين (Puritans) التي ازدهرت في أمريكا وأرادت ((تطهير)) كنيسة إنجلترا من بقايا الكاثوليكية، كانت تتبع تعاليم جون كالفن وتحتل أقصى اليمين من البروتستانتية، وكانت تخص العهد القديم بمكانة تكاد تفوق مكانة العهد الجديد. وكان تأثير الطهوريين كبيراً على الفكر الديني في أمريكا لأنهم كانوا من أوائل المستوطنين في الشمال الشرقي من أمريكا الشمالية.

كان اليهود في العصور الوسطى وحتى أوائل القرن السابع عشر يعيشون على هامش المجتمعات الأوروبية، بل وكانوا في معظم الحالات يخضعون للاضطهاد والاحتقار، إلا أن الثورة البروتستانتية وترجمات الكتاب المقدس حفزت الكثير من الأسئلة عن مكانة اليهود وطبيعة معتقداتهم والإله الذي يعبدونه. وحدث بصورة تدريجية تحول في نظرة المسيحيين في أوربا إلى وجود

اليهود بينهم، وأثارت معرفة الناس بنصوص العهد القديم فضولهم حيال مفاهيم العهد والشعب المختار وأرض الميعاد وكل الأساطير التي وردت عن اليهود وديانتهم وأنبيائهم.

وكما هي العادة في حالات كهذه، بدأت عملية إعادة تقييم اليهودية في الأوساط الأكاديمية والكنسية ثم راحت تتسرب إلى صفوف العامة من الشعوب البروتستانتية. وكان من نتائج هذه العملية أن خفت وطأة تهميش اليهود وغموض مكانتهم في تاريخ البشرية، وبدأ عهد جديد أعطيت لهم فيه أهمية خاصة في خطة الله للكون. (هذا مع العلم بأننا لا نغفل أهمية الحركات الدنيوية العلمانية في عصر التنوير التي حاولت التشكيك في المعتقدات الدينية كلها مسيحية ويهودية. كما لا نغفل محاولات عدد من رجال الدين والفلاسفة الفصل بين اليهودية والمسيحية).

لكن أغلبية المفكرين البروتستانت حاولت رسم رابطة بين اليهودية والمسيحية وصيغة لتعايشهما وذلك بإعادة تعريف طبيعة الدين المسيحي ومعتقداته على نحو جعل الرابطة بين اليهودية والمسيحية أمراً لا جدال فيه، وكانت قمة هذا التحول في إنجلترا في سماح حكومة الكومونويلث (١٦٤١–١٦٦٠) لليهود بالعيش فيها بصورة مشروعة.

وحتى استمرار اضطهاد اليهود واحتقارهم في بعض أنحاء أوروبا كان يفسر في الأوساط البروتستانتية على أنه عقوبة السماء لقتلهم المسيح، وبالتالي على أنه دليل على حقيقة وجودهم حلقة في مسيرة الله للتاريخ. وكانت المذاهب الرئيسية في أوروبا، بعد حركة لوثر الإصلاحية، تقول بأن رفض اليهود المستمر لعيسى بن مريم على أنه المسيح المنتظر– إضافة إلى صلبهم إياه– هو أيضاً دليل على أنهم الحلقة الرئيسية في التاريخ الديني للبشرية منذ آدم وحتى الآن. كما كانت هذه المذاهب تستند أيضاً في هذه المقولات على الكتب المقدسة اليهودية

- خاصة العهد القديم - لأنها تسرد هذا التاريخ غير المنقطع. وهكذا كانت أوربا الغربية قد بدأت منذ عصر التنوير باعتبار العهد القديم وغيره من الأدبيات الدينية اليهودية مصادر إلهية للدين وللتاريخ. فعندما كتب عراب لويس الرابع عشر (بلوسيت Blossuet) ((التاريخ العالمي)) وضع اليهودية في التاريخ بصورة متصلة مع تاريخ المسيحية. وفي إنجلترا كان رجال الدين في الكنيسة الأنجليكانية متفقين على نظرية الاستمرار التاريخي هذه، وعندما كتب همفري بريدو (Humphrey Prideaux) - كاتب سيرة الرسول محمد - عمله الرئيسي بعنوان ((إيضاح الصلة بين العهد القديم والعهد الجديد)) (Old and New Testament Connected) أثبت فيه الاستمرارية والتناسق والتوافق في الخطة الإلهية للتاريخ فوضع العهدين القديم والجديد في محور هذه الاستمرارية. كما أن اسحق نيوتن (Isaac Newton) كتب آلاف الصفحات يدعم فيها استمرارية خطة الله ومصداقية الكتاب المقدس بكامله بحسابات فلكية ورياضية معقدة. وركز نيوتن على قيمة العهد القديم واليهود في تاريخ البشرية ضمن الخطة الإلهية، بما في ذلك النبوءات المقدسة والعهد وأرض الميعاد وعودة اليهود تمهيداً لتأسيس القدس الجديدة. بل لقد أعطى نيوتن اليهود الأسبقية في رسم معالم الحضارة البشرية في قوانينهم ومعتقداتهم وعلومهم.

وقد عبر محمد فاروق الزين عن هذا التحول في النظرة إلى اليهود بقوله: ((إن حركة الإصلاح الديني البروتستانتية زودت اليهود بفرصة تاريخية نادرة وفريدة حصلوا بنتيجتها على الاحترام، والدعم الهائل وغير المشروط من المسيحية الغربية بسبب إيمان الأصوليين بالدور الكبير المفترض أن يلعبه اليهود في ((سيناريو المجيء الثاني)). فاليهود حصلوا على فلسطين باعتبارها ((الأرض الموعودة)) والمسيحيون الأصوليون ضمنوا بذلك تحقيق عودة المسيح الوشيكة))[٢].

وفي الواقع، فقد شهد القرنان السابع عشر والثامن عشر في أوروبا اتجاهاً في الأوساط الأكاديمية والدينية يقدم تصوراً تاريخياً مثالياً لإسرائيل كمصدر للمسيحية. وكان هذا الاتجاه الفكري الديني يعتبر موسى أعظم مشرّع للبشرية ويعطيه الأولوية على اليونان وتشريعاتهم.

وهكذا فعندما احتدم الجدال بين مختلف الأطراف السياسية في أوروبا من جمهوريين وديمقراطيين وأرستقراطيين وملكيين لجأ كل من هذه الأطراف إلى تشريعات موسى والعهد القديم لإيجاد حجج تدعم موقفه، كما وجد كل منهم فيما كان يدعى ((الجمهورية العبرانية)) سوابق لنموذج الحكم الذي يدعو له.

وفي فترة الحرب الأهلية في إنجلترا في منتصف القرن السابع عشر كان المدافعون عن الكومونويلث والحكومة البرلمانية يشبهون حكمهم وحكامهم بإسرائيل وأنبيائها وأبطالها. كما كان مشرعو هذه الحكومة يأخذون حرفياً من سفر التثنية لنصوص قوانينهم. وفي العالم الجديد - كما نبين في هذا البحث- أخذ المستوطنون الطهوريون يشبهون مستوطناتهم بإسرائيل الجديدة ويأخذون من تشريعات موسى لدساتيرهم ويقارنون زعماءهم بزعماء إسرائيل. وقد ذهب الطهوريون في أمريكا إلى أبعد مما ذهب إليه الأنجليكانيون وغيرهم من البروتستانت في إعطاء العهد القديم وإسرائيل الموقع المركزي في معتقداتهم وسلوكهم.

كما كان علماء اللاهوت الكاثوليك حتى قبل الثورة البروتستانتية يدرسون نبوءات العهد القديم لإثبات مصداقية الدين المسيحي وصدق النبوءات التي وردت في أناجيل العهد الجديد حول خطة الله للدهر ونهاية الزمان. وكانوا بذلك البادئين بدراسة التوافق والاستمرار بين العهدين. ونرى نماذج كثيرة من هذه الجهود في نبوءات نهاية الزمان التي بدأت منذ القرن الميلادي الأول.

مع انتشار ترجمات الكتاب المقدس، خاصة العهد القديم (بعد نجاح الثورة البروتستانتية) في أنحاء كثيرة من أوربة ازداد اهتمام العالم البروتستانتي باليهود، وبإعادة نسيج التاريخ بحيث ترتبط اليهودية والمسيحية في خط مستمر. انكب رجال الدين -خاصة علماء العبرية المسيحيون- على دراسة النصوص المقدسة والتاريخية اليهودية، كما استعانوا بالعلماء اليهود لفك رموز التلموذ وغيره من النصوص اليهودية. لقد أدت كل هذه التطورات إلى تغيير جذري في التصور المسيحي الأوربي لليهود واليهودية، ورأى مسيحيو أوربة في هذه النصوص أدلة على رسالة المسيح وعودته المنتظرة. كما قرر بعض علماء الدين المسيحيين في أوروبة بأن بقاء اليهود رغم شقائهم وعذابهم هو الدليل على عقوبتهم والدور الرئيسي الذي سيلعبونه في خطة الله للبشرية والكون.

الفصل الثالث

المسيحية الغربية

الجدال حول تهويد المسيحية

((يمكننا أن نقول الآن بثقة كبيرة إن (الكتاب) ليس تاريخاً لماضي أحد. إن قصة إسرائيل المختار والمنبوذ، التي يقدمها، هي مجاز فلسفي للجنس البشري الذي ضل طريقه. فالتراث نفسه هو خطاب حول تعرّف ذاك الطريق. إننا بإضفاء الصفة التاريخية على هذا التراث، قد فقدنا رؤية المركز الفكري لـ (الكتاب)، كما فقدنا رؤيتنا لمركزنا. إن مسألة الأصول التي هيمنت على الأبحاث الحديثة في (الكتاب) تنتمي إلى اللاهوت أكثر مما تنتمي إلى التاريخ.

إنها تسعى وراء معنى (الكتاب) في بداياته. فهي بذلك، تشاطر المطلب الهلنستي الذي هو أيضاً مطلب الكتاب: أن نعزو تراثاتنا حول أنفسنا وحول الرب إلى الخلق)).

توماس طمسن

((الماضي الخرافي: التوراة والتاريخ))

المسيحية الغربية - وهي موضوع مركزي في هذا البحث - كانت وما زالت عاملاً له تأثير وأهمية كبيران في تشكيل موقف الغرب، وبخاصة أمريكا، من القدس والأراضي المقدسة، ومن ثم، من النزاع العربي - الإسرائيلي.

ولا بد في البداية من التأكيد بأن هذا العامل الثقافي - الديني الأمريكي هو من المعتقدات ذات المنشأ والتطور الغربيين، وهو بشهادة عدد كبير من المفكرين المسيحيين - شرقيين وغربيين- تحريف وتشويه واضحان للمعتقدات المسيحية الحقة التي نؤمن بها - مسيحيين ومسلمين- في الشرق العربي وفي الأراضي المقدسة بصورة خاصة.

كتب عن هذا المسار الغربي للمسيحية المتطرفة الدكتور جرجي كنعان يقول: ((إن أكبر عملية تزييف في التاريخ تتم بصمت وتآمر هي عملية تهويد المسيحية)). كما فند كنعان ما سماه ((خرافات التوراة وأساطيرها ومزاعمها الباطلة)) التي بنيت عليها إسرائيل ((الدولة العرقية الثيوقراطية))[١].

وفي رده على اليهودية المسيحية، قال ندرة اليازجي ((تعرضت لنبوءات التوراة عن المسيح وأثبت أنها لا تمت بصلة إلى المسيح الكوني الذي نقرأ عنه في الإنجيل، وبرهنت على أن ((المسيح في التوراة مصطلح يكتنفه الغموض، وأن النبوءات لا تنطبق على من ولد في بيت لحم من عذراء))[٢].

كما أن محمد فاروق الزين يشرح بدراسة عميقة لتطور الفكر المسيحي الغربي الفرق الشاسع بين المسيحية الأصلية ومسيحية بولس والمجامع الكنسية، في كتابه ((المسيحية والإسلام والاستشراق)) (دار الفكر، دمشق، الطبعة الثانية، ٢٠٠٢، خاصة الفصل الثالث).

ولعل هذا شيء مما قصده الفيلسوف الفرنسي روجيه جارودي بقوله ((إن مسيح بولس ليس السيد المسيح))[٣].

هذه المسيحية الغربية هي أيضاً ما اصطلح مؤخراً على تسميتها ((التراث اليهودي - المسيحي)) (The Judeo – Christian Heritage) في أمريكا بصورة خاصة. وهي التي يذهب اليمين المسيحي المتطرف في أمريكا إلى تسميتها

((الصهيونية المسيحية)) (Christian Zionism). ومن الجدير بالإيضاح هنا أن عبارة ((المسيحية الصهيونية)) التي يستعملها كثير من الكتاب العرب كترجمة للعبارة الإنكليزية لا تؤدي المعنى الدقيق للمفهوم باللغة الإنكليزية. فالعبارة الإنكليزية تضع كلمة المسيحية في محل الصفة وكلمة الصهيونية في محل الاسم، وبذلك يكون أتباع هذه المعتقدات صهيونيين يتصفون بالمسيحية وليس العكس. وسنحاول في هذا البحث إيضاح طبيعة هذا التراث اليهودي- المسيحي ومعتقدات الصهيونية المسيحية.

المسيحية الغربية إذن هي مؤسسة غربية المنشأ والتطور، وهذا ما جعل عدداً من المفكرين يقولون: إن الغرب قد اختطف المسيحية وعمل فيها تشويهاً وتحريفاً عبر القرون لكي تستجيب لظروفه وأطماعه الآنية والمستقبلية.

وقد اعتمدت المسيحية الغربية المتطرفة قراءة حرفية لبعض نصوص الكتاب المقدس، ففرضت على نفسها وعلى الآخرين نظرية الحتمية التاريخية التي تستند إلى ما اعتبرته خطة الله للكون، ماضيه وحاضره ومستقبله. ووضعت المسيحية الغربية القدس والأراضي المقدسة وإسرائيل في مركز هذه الخطة الإلهية.

وإنه لما يجعل مناقشة أصحاب هذه العقائد الغربية أمراً شبه مستحيل، هو أنهم يتبنون نظرية الحتمية التاريخية على أسس من القدرية الإيمانية التي تستند بدورها إلى عقيدة التدبير الإلهي (Dispensationalism) وهي أمر لا نقاش فيه مع المؤمنين به. فهم يسوقون النص تلو النص من الكتاب المقدس - بعهديه القديم والجديد -لإثبات عقيدة بنيت في الأصل على القراءة الحرفية لهذه النصوص. والأمر الذي يجعل هذا الموضوع مركزياً بالنسبة إلى بحثنا، هو أن دعاة هذه العقيدة الغربية يجعلون عنصر الجغرافيا المقدسة - الشعب المختار وأرض الميعاد- أساساً لها، وهم بذلك يضعون المنطقة العربية والأراضي المقدسة والنزاع العربي -الإسرائيلي في مركز ما يعتبرونه النبوءات المقدسة في خطة الله للكون. وهذا

العنصر الأخير هو ما جعل هذه العقيدة أمراً ليس مهماً فقط لكنه أيضاً من الخطورة بمكان يجعل من الضرورة دراسته ومعرفته معرفة جيدة.

ومع أن الجدال بين دعاة هذه العقيدة ومعارضيها ليس شأننا هنا، فقد يكون من المفيد أن نبين بعض الحجج التي يقدمها من لا يؤمن بهذا التفسير للنصوص المقدسة.

أدرك كثير من المفكرين والنقاد الغربيين هذا الأمر؛ أن الكتاب المقدس لدى المسيحيين الغربيين هو عمل تمت كتابته وتطويره في الغرب، وبذلك أصبح يعبر عن تطور المسيحية في مسارها الغربي. كتب فريدريك كاربنتر في معالجة لموضوع الاستشراق في أعمال الكاتب الأمريكي رالف والدو إمرسون ((إن الكتاب المقدس هو كتاب المسيحية. والمسيحية هي دين الغرب، لذا أصبح الكتاب المقدس بالنسبة إلى جميع الغربيين ولإمرسون جزءاً من الأدب الغربي))(٤).

والكاتب اليهودي الأمريكي الشهير الفرد ليلينثال الذي كان من أوائل من عارضوا إنشاء وطن قومي لليهود (انظر ((ثمن إسرائيل)) ١٩٥٠) يقول في خرافة القومية اليهودية وفي جهود المسيحيين واليهود المتطرفين: ((إن صانعي الأساطير قد استغلوا العبرانيين والإسرائيليين والشعب اليهودي بالقول باستمرارية تاريخية لهذه الأساطير))(٥). وهو في ذلك يكشف عن زيف عملية كتابة التاريخ بناءً على قراءة حرفية للنصوص المقدسة. ويدرك ليلينثال الطريقة التي يستعملها المتطرفون للتغطية على المآسي التي تسببها هذه القراءة، بل لتبريرها لأنها كما يوحون لأتباعهم، مشيئة الله، حيث يقول: ((المشكلة الفلسطينية هي مأساة إنسانية، وسيطرة جماعة أجنبية على فلسطين وعلى أهلها من العرب- مسيحيين ومسلمين- إضافة إلى تشريدهم وإرهابهم ومحاولات إبادتهم. هذه المشكلة تضع العالم كله، والكنيسة بصورة خاصة، وجهاً لوجه أمام قضية أخلاقية إنسانية لا يمكن التهرب منها)). ويفسر ليليينثال عدم مواجهة

الكنيسة لهذه المشكلة بقوله:

((إن فرض حظر على مناقشة مصداقية المحرقة أو أي من تفاصيلها قد لجم العالم المسيحي الغربي بصورة عامة وكنائس أمريكا بصورة خاصة، حتى إن أي تلميح بالعداء للسامية يستخدم لإرهاب المسيحيين ووضعهم دون أي قيد أو شرط في صف الصهيونية وإسرائيل. لقد قيد هذا الخوف من تهمة المعاداة للسامية جميع العالم المسيحي الغربي وأرهبه))(٦).

مع أن ليلينثال يضع يده على بعض من أسباب سكوت بعض الكنائس المسيحية على هذه المأساة الإنسانية - الإرهاب اليهودي والخوف من تهمة معاداة السامية - لكنه يغفل السبب الرئيسي وراء تأييد بعض الكنائس لأعمال الصهيونية وإسرائيل الإرهابية، وهو هذا الاعتقاد بالقراءة الحرفية والمشوهة للكتاب المقدس. هذا هو العامل الثقافي في تاريخ المسيحية الغربية، العقيدة الصهيونية - المسيحية التي تشكل مكوناً هاماً مستمراً في الفكر الغربي.

كما أن دافيد شيلتون في دراسته الموضوعية الدقيقة للنصوص النبوئية (((المحنة الكبرى))١٩٨٥) يستنتج أن ((عدداً كبيراً جداً من المسيحيين ينتظرون حدوث المحنة الكبرى. لكنهم سوف يصابون بخيبة أمل مرة لأن هذه الحادثة وقعت بالفعل عام ٧٠ للميلاد)). مشيراً بذلك إلى خطأ الإصرار على قراءة النبوءات المقدسة في ضوء الأحداث الراهنة والمستقبلية.

لقد أدى استخدام المسيحيين الغربيين المتطرفين للنصوص المقدسة على أنها نبوءات ستتحقق حرفياً - تاريخياً وجغرافياً - إلى الكثير من المآسي والآلام خاصة في العالم العربي. وما زال الداعون إلى تحقيق هذه النبوءات يسعون إلى استكمالها على الأرض العربية تمهيداً لنزول مملكة المسيح الألفية على الأرض. ولقد عالج هذه النزعة المشوهة للنصوص الكتابية عالم الكتاب المقدس الشهير

توماس طمسن بقوله: ((كثير من الحكاية والشعر الكتابيين (نسبة إلى الكتاب المقدس) يضع امتلاك الأرض والأمة بين موضوعاته الأكثر مركزية)). وأضاف بأن القليل من الناس لا يدركون أهمية هذين ((العنصرين من الكتاب بالنسبة إلى السلام والحرب في فلسطين وإسرائيل منذ نهاية الحرب العالمية الأولى)). قال طمسن إن النقاش قد تحول إلى ((تساؤلات بخصوص لمن أعطى يهوه هذه الأرض أولاً، أو كيف يمكن استخدام قصص الكتاب لتسويغ القرارات السياسية التي - عندما تقع في القصة - تعد جرائم بحق الإنسانية)). ويضع طمسن المسؤولية عن القيم التي تنسب إلى الله نتيجة هذا التفسير السياسي للكتاب على كاهل علماء الدين والكتاب بالذات، ويقول إن المفهوم الضمني لهذا الكتاب، هو أنه ليس مسيحياً، وأنه ليس يهودياً، لكنه أصبح كذلك في مسار التاريخ. وحين شاركت المسيحية واليهودية في جعله كتابهما عمدتا إلى تغييره))(٧).

يحاول طمسن في كتابه أن يقدم قراءة نقدية للأدب الكتابي لكي يقلل من العنف والشر الذين أثبت التراث اليهودي - المسيحي المتطرف أنه قادر عليهما، ويقول إن المهمة الأولى للباحث هي أن يخفف من حدة ((التشوهات التي أضفيناها على الماضي باستعماله لأغراض لم تكن مقصودة منه أبداً))(٨).

وقد بلغ التطرف في ربط النبوءات المقدسة بالأحداث السياسية الراهنة في الشرق الأوسط وفي رسم أحداث نهاية الزمان درجة جعلت حتى المؤمنين بهذه النبوءات يحذرون من العواقب الخطيرة. قال مؤلفو ((دليل الألفية الجديد)) إن الاعتقاد الكتابي بنظرية آخر الزمان، والتي تنص على أن التاريخ بأكمله موجه نحو إعادة تأسيس إسرائيل والمملكة الألفية والأرض الجديدة، هذا الاعتقاد هو ضروري لإعطاء معنى وهدف للمبدأ المسيحي المركزي للخليقة ولسقوط الإنسان ولتجسيد الله في المسيح ولعمل الروح القدس ولمهمة الكنيسة. هنالك

هدف عام وراء أحداث اليوم الأخير العظيمة والتي يحـرك الله التـاريخ نحوهـا، يجعلها ذات مغزى وعلاقة بالوقت الحاضر.

لكن كما أكدنا سابقاً على المرء أن يتوخى الحذر بألاّ يرسـم خططـاً دينيـة للمستقبل تتبع نبوءات ساذجة في رسم أحـداث اليـوم الأخـير. كـل هـذا يمثـل تخميناً بشرياً. وأضاف المؤلفون بأن أحد أخطار هـذه التعـاليم والأفكـار الألفيـة هو التركيز المفرط والمتعمد علـى تأسيس دولـة إسـرائيل السياسـية ودورهـا في إحداث اليوم الأخـير. والخطـر الأكـبر هـو الميـل إلى اسـتخدام القـوة في سـبيل الوصـول إلى النهايـة، وخاصـة في تسـوية النزاعـات الدوليـة التـي لهـا اتصـال بالأفكار الألفية(٩).

هذا التركيز المتطرف على تحقيق النبوءات الألفية على أرض الواقع التـاريخي والجغرافي جعل الدكتـورة كـاثرين ويسـنغر (أسـتاذة تـاريخ الأديـان في جامعـة لويولا في أمريكا) تحذر من أن التركيز على القـدس نقطـة رئيسـية في التوقعـات الألفية، ورغبة اليهود بهدم قبـة الصخـرة المقدسـة لـدى المسـلمين وإعـادة بنـاء الهيكل مكانها، كل هذا يلقى دعمـاً كـاملاً مـن اليمـين المسـيحي المتطـرف في الغرب لأن ذلك يؤكد توقعاته لمعركة هَرْمَجَدّون ونزول المملكـة الألفيـة. لكـن النتائج السياسية، كما تقول ويسنغر، لهدم قبة الصخرة سـتكون أكثر خطـورة مما يعتقد معظم الناس(١٠).

كما أن المؤرخ الديني الأمريكي تيموثي ويبر، في تفسيره لسـبب التحـالف بين اليمين المسيحي الأمريكي وإسرائيل، يحذر من الخطـر الكبـير الـذي يشـكله هذا التصور المبسط لمخططات أحداث الأيام الأخيرة. يقول ويبر: ((يبين تـاريخ المسيحية بكل وضوح أن الاعتقاد بالتدبيرية الإلهيـة كمـا يفسـرها عامـة النـاس وكل نظريات الأيام الأخيرة التفصيلية، كل هذه تقـود إلى الاعتقـاد بنـوع مـن الجبرية التي تسلب الإرادة والعمل الإنساني مبرراتـه. فـإذا كـان المسـتقبل ثابتـاً

وحتمياً، فالناس لا يقومون سوى بأدوار مرسومة لهم دون القدرة على تغيير نتائج هذه المسرحية الإلهية أو أي من أحداثها. فإذا كان المرء عالماً بهذه العملية فهو يستطيع أن يتعرف شخصياتها وأن يقوّم أداءهم ويصدر الأحكام عليهم. عندما يعلم المرء كيف ستنتهي المسرحية فليس ثمة مفاجآت غير متوقعة))[١١].

هذا الاتجاه اليميني في الغرب الذي يلح على رؤية تحقيق النبوءات في الأراضي المقدسة سوف يقود إلى كوارث كبرى لأن هذا الاتجاه يقود الغرب إلى رغبة أكيدة، ولو كانت خفية، لتحقيق هذه النبوءات بشكل أو بآخر. إن الخطر الكبير الذي تحمله الإيديولوجية الألفية هو التركيز المتطرف على تأسيس دولة إسرائيل وكأنه تحقيق لخطة الله. وهذا يؤدي إلى خطر أكبر وهو محاولة إثبات صحة هذه الخطة باستعمال القوة.

وعندما يرتبط هذا التفكير الألفي بالتصور الأمريكي الذاتي كالقدس الجديدة، ينظر المتطرفون الأمريكيون إلى دورهم من منظور مشوه يزداد تشويهها كلما ازدادت قناعة أمريكا بصلاحها وفضيلتها وتصبح المناعة التقليدية ضد هذا الشعور الطيباوي أضعف.

وقد قال في ذلك المؤرخ الديني الأمريكي روبرت بيلا ((لقد استعمل تصور أمريكا الذاتي على أنها إسرائيل الله منذ البداية تبريراً لأكثر الأعمال وحشية وعاراً في معالجة الآخرين. في الخطاب الصهيوني الأمريكي يوصف سكان أمريكا الأصليون والزنوج الإفريقيون المستعبدون وكل أعداء أمريكا بأنهم جيش الشيطان - وتتصرف أمريكا من منطلق مفهوم ((القدر البيّن)) الذي رافق الفكر الأمريكي منذ البداية))[١٢].

وتزداد خطورة هذا الاتجاه الفكري الديني حين تصبح نسبة كبيرة من الأمة تؤمن به وحين ترقى إلى السلطة فيها مجموعة من المتطرفين المؤمنين بهذا الفكر، وخاصة قد أصبحت هذه الأمة القوة العظمى الوحيدة في العالم.

هوامش الباب الأول

الفصل الأول: ((كريستوفر كولومبس))

1. West, p. 1.
2. Burner, p. 23.
3. Harley, p. 51.
4. Clouse, p. 87.
5. Harley, p. 29.
6. Burner, p. 2.
7. Watts, pp. 3-4.
8. Harley, p. 61.
9. Miller, p. 7.
10. Harley, p. 61.
11. Harley, p. 49.
12. Miller, p. 4.
13. Miller, p. 4.
14. de les Casas, p. 35.
15. Morison, p. 28.
16. Brigham, p. 184.
17. Miller, p. 3.
18. West, p. 2.
19. ولا شك بأن كولومبس ومعاصريه كانوا مطلعين على كتاب أسرار الحروب الصليبية الذي كتب في أوائل القرن الرابع عشر والذي قدر بأن يكون مبلغ (٢١٠,٠٠٠) فلورين ذهبي يكفي للإعداد لحرب صليبية والاستيلاء على الأراضي المقدسة.
20. Cummins, p. 45.
21. West, p. 2.
22. Phelan, p. 23.

الفصل الثاني: «التراث اليهودي – المسيحي: الأرضية التاريخية»

١- يمكن للقارئ الرجوع إلى المراجع التالية للاطلاع على المزيد من التفاصيل عن هذا الموضوع:

محمد فاروق الزين: "المسيحية والإسلام والاستشراق" (دمشق، دار الفكر، الطبعة الثانية، ٢٠٠٢).

Horton, Rod and Herbert Edwards, Backgrounds of American Literary Thought (N. Y., 1952).

Douglas, Mary and Steven Tipton, eds. Religion and America (Boston, 1983).

Encyclopedia of the American Religious Experience (N.Y. 1988), Scribner American Civilization Series.

Humphrey Prideaux, The Old and New Testament Connected in the History of the Jews and Neighboring Nations from the Declension of the Kingdoms of Israel and Judah to the Time of Christ, 2 vols. (London, 1716-1718).

Edward Gibbon, The Decline and Fall of the Roman Empire (London, 1954).

٢- الزين، ص ٢٧٩.

الفصل الثالث: ((المسيحية الغربية : الجدال حول تهويد المسيحية))

١- كنعان، ص٨.

٢- اليازجي، ص٨.

٣- جارودي، ص١٣.

٤- Carpenter, pp. x-xi

٥- Lilienthal, p.10

٦- المصدر نفسه، ص ٤٨٦-٤٨٧.

٧- طمسن، ص ٢٨-٢٩.

٨- المصدر نفسه، ص٢٩.

٩- المصدر نفسه، ص٣٠.

١٠- Wessinger, p.4

١١- Webber, p. 42

١٢- Bellah, p.14

الباب الثاني

أمريكا والتراث اليهودي المسيحي

((ثقافة الغرب تستقي من ثلاثة مصادر رئيسية هي أثينا وروما وإسرائيل))

توماس س. ايليوت
((خواطر في تعريف الثقافة))

الفصل الأول

التراث اليهودي - المسيحي في أمريكا

((الكتاب المقدس هو كتاب المسيحية، والمسيحية هي دين الغرب)).

فريدريك كاربنتر

((إمرسون وآسيا))

تمهيد

في يوم ٢٠٠١/١/٢٥ أقيم أمام مبنى الكابيتول في واشنطن حفل تنصيب رئيس الجمهورية الأمريكية جورج بوش الابن، وفي اليوم التالي أقيم في الكاتدرائية الوطنية في العاصمة الأمريكية قداس وصلاة بهذه المناسبة. ألقى الموعظة الدينية بهذه المناسبة القس المعمداني فرانكلن غراهام ونُقل الحفل - مثل الحفل في اليوم السابق- على جميع الشبكات التلفزيونية الرئيسية في كل أنحاء أمريكا. والواعظ فرانكلن غراهام هو أبن القس المعمداني الشهير بيلي غراهام ووريث الإمبراطورية المعمدانية المنتظر (ويرد ذكر كلا الرجلين في مواضع عدة في هذا البحث).

إن إقامة قداس واحتفال صلاة في الكاتدرائية الوطنية بمناسبة مثل مناسبة تنصيب رئيس الجمهورية هي أمر ذو دلالة واضحة على دور الدين في الحياة الأمريكية، لكن هذا الحفل بالذات يكتسب أهمية كبيرة هنا لأنه حدث بمناسبة

استلام إدارة يمينية سياسياً ودينياً زمام الأمور وبسبب تولي فرانكلن غراهام بالذات إلقاء الموعظة في هذه المناسبة.

لكن الأمر الأكثر أهمية هو الموعظة التي ألقاها وما تمثله من رموز التراث اليهودي – المسيحي في الحياة العامة في أمريكا:

مقدمة الموعظة تتحدث عن مناسبة تنصيب رئيس الجمهورية، تليها فقرة عن المسيح والكتاب المقدس الذي هو مصدر الحكمة كلها. ثم ينتقل غراهام إلى الحديث عن قصص بني إسرائيل وأنبيائهم والأمثلة والنماذج التي يقدمونها للسلوك الفاضل الخير. يقول غراهام إن الله قدم أمثلة ((عظيمة في العهد القديم خاصة في سيرة الملك داود أعظم ملوك إسرائيل، بل أعظم القادة في تاريخ البشرية)). ويعلن غراهام في هذه الموعظة أن الله ((قد بارك الملك داود وبارك أمة إسرائيل من أجله))، ثم يضيف مخاطباً الأمة الأمريكية: ((وأعتقد أن الله اليوم سوف يبارك رئيس جمهوريتنا ونائبه إذا نحن سلمنا بأمر الله وأطعناه)). ولا ينسى الواعظ المعمداني أن يهيب بالرئيس أن يتأسى بالملك داود لكي تحل عليه بركة الله وعلى أمته كما حلت على إسرائيل من أجل داود. فقد خص الله شعب إسرائيل بالرحمة والبركة في عهد قطعه على نفسه، ولا شك أنه سيخص الأمة الأمريكية كذلك بالبركة والرحمة.

يشبّه غراهام حفل تنصيب الرئيس بوش في اليوم السابق بتنصيب الله للملك داود ملكاً على قبائل إسرائيل في مدينة إبراهيم الخليل. ويقول غراهام إن الملك داود نجح في توحيد قبائل إسرائيل بعودته إلى الإيمان وطاعة الله، فأعطاه الله النصر على أعداء إسرائيل، فأصبحت إسرائيل ((قوة عظمى)).

ولا ينسى غراهام أن يذكر الحضور مراراً بأن أعداء إسرائيل هم أعداء الله، وأن أحباء إسرائيل هم أحباء الله.

ونموذج آخر من السلوك في الحياة العامة في أمريكا يوضح التراث اليهودي

– المسيحي في الثقافة الأمريكية جاء على شكل حادثتين مأساويتين في تاريخ برنامج الفضاء الأمريكي. فصلت هاتين الحادثتين فترة ست عشرة سنة وتلت كلتا الحادثتين تصريحات وطقوس تحكي ببلاغة رموزها ودلالاتها – مثلما تحكي موعظة فرانكلن غراهام – التطور المعاصر لهذا التراث اليهودي – المسيحي الذي أصبح المكون الرئيسي للمعتقدات الشائعة خاصة في أوساط اليمين المسيحي.

الحادثة الأولى وقعت في ١٩٨٦/١/٢٨ حين انفجرت سفينة الفضاء الأمريكية تشالنجر بعيد إقلاعها بثوان قليلة. أصيبت الأمة الأمريكية بصدمة كبيرة، وسارع الرئيس رونالد ريغان إلى توجيه خطاب عبر شاشة التلفزيون يحاول مواساة الشعب والتأكيد على أن الإيمان بالتدبير الإلهي سيكون عوناً على اجتياز المحنة، وقال إن أولئك الرواد ((انفلتوا من قيود الأرض الدنيئة وصعدوا إلى حيث يلامسون وجه الله)).

الحادثة الثانية وقعت بتاريخ ٢٠٠٣/٢/١ حين تناثرت أجزاء مكوك الفضاء كولومبيا قبيل هبوطه بدقائق، وفقدت أمريكا ستة رواد فضاء إضافة إلى أول رائد فضاء إسرائيلي كان ضمن طاقم الرحلة. خاطب الرئيس جورج بوش الابن الأمة عبر شاشة التلفزيون بعد الحادثة بقليل واقتبس في خطابه نصاً من سفر إشعياء عن صعود المؤمنين إلى السماء لملاقاة الله، وأضاف بأن الرواد السبعة ((لم يعودوا إلى وطنهم، لكننا نضرع إلى الله أن يكونوا سالمين في مسكنهم)).

في هذين الخطابين اللذين يعبران عن ردة فعل عفوية من زعيمين قوميين يحاولان أن يمسحا دموع الأمة، اختار كل منهما التعبير البياني بشكل استعارة تأخذ دلالاتها من صورة كتابية عن حادثة ((الارتقاء أو الرقي)) التي تأتي مع نهاية الزمان حسب النبوءات المقدسة إعداداً لنزول مملكة الله. المؤمنون، حسب هذه النبوءات، ((يؤخذون إلى المسيح حين يظهر في الغيوم)) – تماماً كما صعد

رواد الفضاء- قبل ((المحنة الكبرى)) حيث ينضمون إلى جيش القديسين الذي سيهزم جيوش الشر في معركة مجيدو.

في المناسبات العامة التي يلقي فيها رئيس الجمهورية خطاباً أو كلمة، يكتب هذا الخطاب خبير أو أكثر يعمل مستشاراً في مكتب الرئيس ويتم التشاور مع رئيس الجمهورية حول كل عبارة وكلمة، كما أن الرئيس عادة ما يعدل وينقح الخطاب قبل إلقائه بحيث يكون تعبيراً دقيقاً عن أفكاره ومبادئه ومعتقداته. وفي الحالات الطارئة مثل هاتين الحادثتين، من الممكن أن يكون خطاب الرئيس ردة فعل مباشرة وتكون كلمته تعبيراً مباشراً عفوياً عن أفكاره وأحاسيسه. ومهما يكن من أمر فقد جاءت كلمتا الرئيسين ريغان وبوش - وهما ينتميان إلى اليمين المسيحي- بتعابير رمزية مشتقة من خطاب التراث اليهودي - المسيحي المتطرف والقراءة الحرفية للنبوءات المقدسة.

لكن تتمة أحداث فاجعة المكوك كولومبيا هي أكثر وضوحاً في دلالاتها ورموزها اليهودية - المسيحية.إذا أقيم بعد الحادثة بأيام قليلة حفل لتأبين الرواد السبعة في الهواء الطلق في مدينة هيوستن، وكان برنامج الحفل مليئاً بالرموز والنصوص الصريحة المشتقة من التراث العبري في الثقافة الغربية. بدأ الاحتفال النقيب في سلاح البحرية الحاخام هارولد روبنسون بتلاوة أبيات لشاعر عبري باللغة العبرية ثم ترجمها إلى الإنجليزية. بعد ذلك تلا الحاخام صلاة من العهد الجديد بالإنجليزية وترجمها إلى العبرية. ثم تحدث نقيب آخر من أصدقاء الرواد وعدد مناقب كل منهم. وعندما ذكر قائد الرحلة جوشوا هازبند نوّه بإيمانه العميق، وقال إنه في اجتماع ضم أفراد أسرته وأصدقاءه قبيل الرحلة بساعات كان آخر نشاط له هو تلاوة بعض نصوص الكتاب المقدس التي تروي وعد الله للإسرائيليين بإعطائهم أرض الميعاد.

كانت كلمة الرئيس جورج بوش في هذا الحفل مؤثرة جداً توجه فيها بالعزاء لعائلات الضحايا وأصدقائهم وقال إن الأمة تشاركهم حزنهم. ثم ذكر

الرئيس اسم كل واحد من الرواد وامتدح مـا اتصفـوا بـه مـن شـجاعة وإيمـان. وعندما ذكر الرائد الإسرائيلي أغدق عليه عبارات المحبة والإعجاب لأنه «بطل وطني شارك في حربين دفاعاً عن وطنـه». كمـا ذكـر الرئيـس بـوش أن الرائـد الإسرائيلي مرَّ أثناء الرحلة فوق وطنه، «فوق أرض إسرائيل».

وكان ختام الحفل تلاوة بالعبرية للمزمار رقم ٢٣ من مزامير داود.

مع أن هاتين الحـادثتين المعـاصرتين تحمـلان الكثـير مـن الـدلالات والرمـوز العبرية في التراث الثقافي الغربي فهذا لا يعنـي فقـط أنهمـا تدخـلان في التفكـير اليومي الواعي للشخص الأمريكي العادي في حياته اليومية. بل إن مـا يضـاعف من أهمية هذا التراث وقوة تأثيره هـو أنـه يشـكل جـزءاً أساسـياً مـن الذاكـرة الثقافية التي تخاطبها هذه الرموز والصـور الكتابيـة وتسـتثير مـا يكمـن في هـذه الذاكرة من معتقدات ومشاعر. وسواء كانت الكلمات الملقاة في هذه المناسبات تعبيراً عفوياً أم معدّة بشكل مقصود فثمة براعة في استعمال الصور والرموز التي تحفز ذاكرة الأمة الثقافية.

هذا النظام الكلامي (أو المنظومة الكلامية) (The Order of words) –كما يصفه الناقد نورثروب فراي – هو جزء من تـأثير الأدبيـات الكتابيـة في الثقافـة الغربية. والجزء الآخر، النظام السلوكي (The Order of things)، هـو التعبـير العملي عن هذا التأثير وهـو مـا نعالجـه في أدبيـات اليمـين المسـيحي الأمريكـي وتصرفاته. إن ذكر غراهام لإسرائيل في موعظته في سياق قصـص الإسـرائيليين الكتابية ينسحب بصورة تلقائية في أذهان أبناء هذه الثقافة على إسـرائيل الدولـة السياسية الحديثة، كما يحدث ذلـك فيمـا يتعلـق «بأحبـاء إسـرائيل» و «أعـداء إسرائيل». وسيتضح مـن دراسـتنا لليمـين المسـيحي المتطـرف أن هـذا الأمـر لا يغيب أبداً عن مقاصد أصحاب هذه الأدبيات الحديثة وأهدافهم. كما لا يغيـب عنهم ذكر الرئيس المتعمد للتعبير الكتابي «أرض إسرائيل» في سياق حديثه عـن دولة إسرائيل.

الفصل الثاني

وطن أعطيه لشعبي

الحجاج الطهوريون في العالم الجديد

((وعينت مكاناً لشعبي إسرائيل))

(سفر صاموئيل الثاني)

(في مقالة عنوانها ((وعد الله لمستوطنته))١٦١٩)

بقلم الزعيم

الديني الأمريكي جون كوتون

كان لمعتقدات الطهوريين ولأسلوب حياتهم تأثير قوي ومستمر في الفكر الأمريكي الديني والدنيوي وفي مسيرة التاريخ الأمريكي بصورة عامة. يمكن رؤية هذا التأثير في تطور نظام الحكم الأمريكي، وفي السلوك والعادات الاجتماعية والفردية، وفي مختلف الحركات الدينية، وفي النزعة التبشيرية التي ميزت سلوك الأمة الأمريكية في القرن التاسع عشر، وغيرها. كما نرى هذا التأثير الآن في المدارس والمذاهب الأمريكية الحديثة مثل الحركات التي يقودها وعاظ متطرفون مثل جيري فالويل وبات روبرتسون وهي حركات تتمتع اليوم بشعبية كبيرة وتأثير قوي في الفكر الأمريكي والسياسة الأمريكية.

كما يتمثل تأثير هذه المعتقدات الطهورية المبكرة في موقف الأمريكيين السياسي والثقافي من ((الآخرين)) بصورة خاصة من المسلمين والعرب، وهو ما سنعالجه بالتفصيل في هذا البحث.

يتفق في هذا الرأي عدد من المؤرخين الأمريكيين البارزين، ومنهم على سبيل المثال سيدني ي. آلستروم الذي يقول في أثر المذهب الطهوري في مسيرة التاريخ الأمريكي:

((كان رواد الفكر الطهوري بحق مؤسسي الأمة الأمريكية... كما أن الفكر الطهوري - لحسن الحظ أو لسوئه- وضع الأسس الدينية وشكل الميول الفكرية السائدة في جميع الولايات الأمريكية التي أعلنت استقلالها عام (١٧٧٦). لقد وضع هذا الفكر قالب القيم المثالية للشعب الأمريكي واتجاهاته السياسية والاجتماعية بشكل مباشر ودائم))[١].

وما من شك أن على الباحث أن يعود إلى بدايات المجتمع الطهوري للأمة الأمريكية للتعرف على العوامل المكونة لصورة الأمريكيين الذاتية وإدراكهم لشخصيتهم وما تمتاز به، وبالتالي للتعرف على صورة العرب والمسلمين ومنطقتهم الجغرافية في الفكر الأمريكي.

لعله من غير الضروري هنا أن نسرد قصة الاستيطان المبكر في ((العالم الجديد)) (وهو الاسم الذي عرفت به القارة الأمريكية بعد اكتشافها) وخاصة في النصف الشمالي من القارة حيث توضّع الاستيطان الإنجليزي بالذات وحيث تركزت المستوطنات الأولى ذات الميول الدينية. هذا التاريخ أصبح معروفاً وعالجته مراجع تاريخية كثيرة [٢]. إلا أنه من الضروري استعراض بعض التطورات الدينية والسياسية والاجتماعية للأمة الأمريكية، خاصة الأفكار والمفاهيم والأحداث التي ساهمت في تكوين الفترة الأولى من الفكر الديني

والتراث اليهودي – المسيحي، كما ساهمت أيضاً بتشكيل صورة العرب والمسلمين وعالمهم في الفكر الأمريكي.

لم يتم انتقاء هذه الأفكار والمفاهيم والأحداث بطريقة عشوائية، وهي ليست شاملة لجميع العناصر التي ساهمت في تشكيل هذه الصورة. بل لقد اعتمد انتقاؤها على تدرج تأثيرها أهمية وأثره في موقف أمريكا التاريخي من العرب والمسلمين. فالهدف من دراسة هذه العناصر هو إيضاح تطور هذا التراث وهذا الموقف منذ نشوء المجتمع الأمريكي الشمالي، وبالتالي الدور الذي لعبته في توجيه سلوك أمريكا الثقافي والسياسي نحو العالم الإسلامي.

تشمل هذه المفاهيم والأفكار ما يلي:

١- الاعتقاد الذي حمله المهاجرون الأوائل بوجود خطة إلهية (من تدبير الإرادة الإلهية) شاملة للعالم، يلعب فيها الطهوريون بهجرتهم إلى العالم الجديد دوراً هاماً. كما اعتقد هؤلاء المهاجرون أن أمريكا كانت موجودة في عقل الله لأهداف محددة منذ بداية الخلق.

٢- الاعتقاد بأن البروتستانتيين الطهوريين الذين غادروا أوروبا (وخاصة إنجلترا) واستوطنوا العالم الجديد هم شعب الله، اختارتهم العناية الإلهية للخلاص والهرب من فساد العالم القديم وآثامه ولإنشاء مملكة الله في الأرض، وهم في ذلك يشبهّون أنفسهم بقبائل إسرائيل في هروبها من مصر إلى أرض كنعان.

٣- اعتقاد المستوطنين الطهوريين بأنهم على علاقة تعاهدية مع الله، وبأنهم شركاء في تنفيذ مهمة حددها الله لهم في هذا العالم.

٤- الاعتقاد بأن الشراكة التعاهدية مع الخالق تشمل مهمة خطيرة عاجلة وهي تنوير بقية أمم العالم وهدايتها وإنقاذها من الجهالة والظلام.

٥- الاعتقاد بأن هذه الشراكة التعاهدية جعلت من الشعب الأمريكي الطهوري مجتمعاً دينياً يتمثل كنيسة القديسين الأرضية (المرئية) (The Church of Visible Saints)، وبالتالي فأفراد هذه الكنيسة هم مواطنو مملكة الله المرتقبة.

هذه المعتقدات والأفكار، وهي مثالية بطبيعتها النظرية، اتسمت برؤيا مستقبلية جعلت لها تأثيراً قوياً على سلوك الأمريكيين العملي أيضاً سواءً أكانوا أفراداً عاديين في المجتمع أم شخصيات قيادية تملك اتخاذ القرارات الحيوية. وقد بقي هذا التأثير قوياً منذ ذلك الوقت حتى الآن. والنتائج هي ما نراه اليوم من تصرفات ومواقف مغرقة في التطرف - والعنصرية أحياناً- نحو الشعوب والمذاهب والأديان الأخرى، خاصة الإسلام والمسلمين.

الحجاج والخطة الإلهية

احتلّ مفهوم «الخطة الإلهية» موقعاً مركزياً في معتقدات وسلوك المجتمع الطهوري الأول الذي استوطن بعض أجزاء أمريكا الشمالية في أوائل القرن السابع عشر. وما زال هذا المفهوم يسيطر على تفكير المجتمعات المسيحية المتطرفة في أمريكا اليوم. رأى الطهوريون في التفاصيل الدقيقة لحياتهم اليومية، وفي حياتهم الخاصة والعامة، تحقيقاً للخطة الإلهية التي وجدت منذ بدء الخليقة. ذلك أن يد العناية الإلهية في اعتقادهم تتحكم بأعمالهم ومصيرهم كما تتحكم بجميع الأمور والأحداث في هذا الكون.

ونحن نجد في يوميات ومذكرات أفراد المجتمع الطهوري الأول (مثل «مذكرات» صموئيل سيوال) مدى الاعتقاد بالعناية الإلهية وأثره في سلوكهم اليومي وأسلوب حياتهم. في إطار هذه الخطة الإلهية نظر الحجاج الطهوريون إلى رحلتهم إلى العالم الجديد (كما ينظر المسيحيون الأصوليون اليوم إلى

الأحداث السياسية العالمية). اعتبر الحجاج تأسيس مستوطناتهم الأولى في العالم الجديد دليلاً على اختيار الله لهم وبركته لأنهم المبشرون برسالته إلى العالم.

يبين سلوك وكتابات العديد من الحجاج المؤسسين (The Pilgrim Fathers) والأجيال التالية إيمانهم المطلق بأنه منذ لحظة اختيارهم للهجرة إلى العالم الجديد إلى انتقاء المواقع التي أنشؤوا فيها مستوطناتهم إلى الأدوار والمهمات التي أوكلت إلى كل فرد من المجتمع – كل ذلك كان جزءاً من الخطة الإلهية. فحين كتب زعيم الطهوريين جون كوتون مقالته التي وسمها ((وعد الله لمستوطنته)) (God's Promise to His Plantation) زين صفحة الغلاف بالنص التالي من سفر صاموئيل الثاني(Second Samuel 7: 10)(٣):

((وعينت مكاناً لشعبي إسرائيل فيسكن في مكانه ولا يضطرب بعد)).

وقد بين كوتون هذا المفهوم بوضوح حين خاطب المستوطنين قائلاً ((كان اختيار موقع المستوطنة الأولى هو أول بركة من الله...)) وكانت كل خطوة بعد ذلك من ((انتقاء المهاجرين إلى انتقال هذا الشعب أو ذاك إلى موطن أو آخر، كل ذلك كان قراراً إلهياً))(٤).

كما أن أول مؤرخ ديني للأمة الأمريكية، وهو كوتون ماذر، وجد من الضروري في القرن السابع عشر أن يحافظ على هذا المفهوم حياً في ذاكرة ((الأجيال القادمة، أحفاد أولئك العاملين في المهمة المقدسة، خشية أن تنسى هذه الأجيال وتهمل المهمة الحقيقية التي أوكلها الله لإنجلترا الجديدة)). ثم يفصل ما ذر هذا الأمر بقوله:

((باختصار، لقد أصدر الله أوامره إلى المؤمنين من شعبه من الأمة الإنجليزية مستثيراً ضمائر الآلاف الذي لم يكونوا يعرفون بعضهم من قبل، فجعلهم يقررون بالإجماع أن يهجروا كل متاع العيش الهانئ في بلدهم وأن يعبروا محيطاً

هادراً خطراً إلى صحراء أكثر خطورة وعذاباً. وكان هدفهم الوحيد هو حمل مسؤولية تنفيذ قضاء الله))[٥].

كان المهاجرون الذين استقروا في العالم الجديد إذن - مثلهم مثل البروتستانت الأوروبيين - يؤمنون بخطة قدّرتها العناية الإلهية. إلا أن ما جعل هذا المفهوم لدى المستوطنين أكثر عمقاً وتأثيراً هو أنهم والأجيال التي تلتهم اعتقدوا جازمين أن لهم دوراً ومكاناً مركزيين في هذه الخطة، حتى لكأن الله انتقاهم بالذات لتنفيذ إرادته في هذه الخطة. وهكذا نجد الحجاج الطهوريين والأجيال الأمريكية التالية كثيرا ما يشبهون أنفسهم وأوضاعهم بالأسطورة الدينية ((للشعب المختار)). رأى الكثيرون منهم وجه الشبه بينهم وبين قبائل إسرائيل. فعلى سبيل المثال رأى زعيم إحدى المجموعات المهاجرة الأولى وهو جون وينثروب وجه الشبه حتى في العقاب الذي أوقعه الله على أتباعه حين قال: (((ربما أراد الله بهذا العقاب أن يدفعهم إلى التوبة عما اقترفوه من خطايا ويكون العقاب وسيلة خلاصهم كما فعل الله حين أرسل الإسرائيليين إلى القفار وجعلهم ينسون جميع ملذات مصر ومتعها، مما كان مؤلماً أول الأمر، لكنه باركهم فيما بعد (سفر التثنية ٣٠ : ٣-١٦))[٦].

كما برزت في أثناء المراحل الأولى للاستيطان حركات وخلافات انفصالية دينية، فعمدت الأطراف المتخاصمة إلى استعمال النصوص الدينية لدعم آرائها ومعتقداتها. وهكذا فإن الثائر الديني روجر ويليامز كتب في (((رسالة إلى وينثروب)) مشبهاً وضعه بوضع ((شعب الله المقهور الذي تشتت في ضواحي بابل)). في حين خاطب وينثروب قائلاً :(((إن وضعكم أسوأ بكثير. إذ بينما يعامل آخرون في إسرائيل الله هذه كل من يخشى الله باحترام، فإن تفكيركم وضمائركم تدفعكم إلى اضطهاد عباد الله وطردهم من سلطانكم. لكنني أعلم أن الله لن يهجر أحباءه في النهاية وستنقلب أخطاء العمالقة ومصر وبابل وبالاً علينا جميعاً))[٧].

وفي سياق الصراع بين المستوطنين وسكان البلاد الأصليين (الهنود الحمر) نرى الزعيم الديني انكريس ماذر يشبه المستوطنين المسيحيين بشعب الله المختار وتدخل العناية الإلهية لنصرتهم بتدمير الهنود الحمر كما دمر الله المصريين وأعداء شعبه المختار(٨).

ولئن صور المستوطنون في العالم الجديد أنفسهم كشعب الله المختار الذي جاء ذكره في الكتاب المقدس، فقد كان من الطبيعي أن يشبهوا قادتهم بأنبياء وشخصيات الكتاب المقدس. فحين كتب الزعيم الديني إنكريس ماذر يؤبّن حاكم مقاطعة نيو انجلند شبهّه وهو على فراش الموت ((بيعقوب وهو يبارك أبناءه الذين أحاطوا به، وبداوود الذي خدم شعبه بأمر الله)). ثم اقترح ماذر أن تكتب على قبره ((عبارات قالها يوسف يصف نحميا ملك إسرائيل))(٩).

بقي تصوير الأمريكيين أنفسهم كشعب الله المختار من ثوابت الفكر الديني الأمريكي عند العامة والنخبة، مع أن هذا التصوير اتخذ أشكالاً متنوعة بتنوع الحقبة التاريخية. فالرئيس الأمريكي الأول جورج واشنطن الذي لم يكن من عادته الخلط بين السياسة والدين يكتب ((رسالة إلى العبرانيين)) في مدينة سافانا (بولاية جورجيا) فيقارن حالة المهاجرين إلى أمريكا بحالة القبائل الإسرائيلية ويعبر عن أمله بأنه كما خلص الرب الإسرائيليين من الاضطهاد في مصر، ((وغرسهم في أرض الميعاد فقد أظهر إرادته مؤخراً بتأسيس الولايات المتحدة كأمة مستقلة، وما يزال يرويها بمياه السماء والبركة الدينية والدنيوية التي حبا بها ذلك الشعب الذي يتخذ يهوه رباً))(١٠).

لقد لعب تشبيه الأمريكيين بالشعب المختار دوراً هاماً في حياة المجتمع الأمريكي الأول، كما أخذت الحركة التبشيرية التي ازدهرت في القرن التاسع عشر بهذه الفكرة وطورتها لتتلاءم مع أهدافها. يشرح مؤرخ أمريكي حديث (بيري ميلر) هذا التطور قائلاً: ((لمدة عقود طويلة بقيت المستوطنات الطهورية تعتقد بإيمان مطلق أنها شعب مختار دخل في عهد مع الله))(١١).

عهد الله مع شعبه المختار

كان لعبارة ((الشعب الذي دخل في عهد محدد مع الله)) التي ترد في الكتاب المقدس أثر كبير في فكر وخيال أجيال عديدة من الأمريكيين. فقد افترضت المعتقدات البروتستانتية أن الذين يؤمنون بكنيسة المسيح الحقيقية يتمتعون بعلاقة خاصة مع الله، تلك العلاقة التي سموها ((عهد البركة)) أو ((عهد الرحمة)) (Covenant of Grace). لم يكن هذا العهد يشمل تمييزاً لهذا الشعب بالرحمة فقط بل هو تميز أيضاً بمسؤولية جسيمة نتيجة هذا الاختيار. وكان الطهوريون المؤمنون يقولون ان العهد لم يكن ملزما لهم فيما يتعلق بالشؤون الدينية فقط، بل في حياتهم اليومية وكل شؤونها.

وقد أكد أهمية هذه العلاقة التعاهدية مع الكنيسة ومع الله عدد من المؤرخين الأمريكيين، إذ يقول سيدني ألستروم مثلا: ((إن الأمر الأساس الذي يمكننا من فهم تصورهم لتنظيم حياتهم الدينية والاجتماعية هو العهد. فقد تركزت على هذا الأمر الاهتمامات العقائدية التي تميز بها علماء الدين الإنجليز وفيما بعد الطهوريون الذي استوطنوا نيو إنجلند في العالم الجديد. كانت شريعتهم بحق شريعة تعاهدية مع الخالق)). ويتضح هذا من أقوال كثير من الطهوريين الأوائل. فقد خاطب جون بريستون معاصريه قائلاً: ((إن مبدأ العهد هو أساس كل آمالكم. وهو الأساس الذي نشأ عليه كل إنسان. ليس أمامكم من مبدأ سواه، فقد عقد الله عهداً معكم وأنتم طرف في هذا العهد معه))[١٢].

لم يكن أمام المستوطنين، وهم يبدؤون حياة جديدة مفعمة بالصعاب، خيار آخر سوى هذا العهد. ولئن كانت الإرادة الإلهية هي التي اتخذت القرار نيابة عنهم، فقد قبلوا هم هذا العهد بحماس. ولعل أفضل تعبير عن هذه العلاقة التعاهدية مع الله يرد في الوثائق الدستورية (التي تسمى أحيانا بالعهد) للمستوطنات الطهورية الأولى في العالم الجديد. وفي التأريخ لبعض هذه

المستوطنات نقرأ عن ((الإيمان التام الذي ألزم هؤلاء المسيحيين أنفسهم بالعهد))[١٣].

ونص دستور بلدة سالم (The Salem Covenant) الذي ورد في وثائق تلك البلدة يدعو مواطنيها إلى تطبيق بنود العهد على كل تفاصيل حياتهم وأن يعتبروا أنفسهم ((شعب الله)) وأن يتعاملوا كما يتعامل ((أعضاء كنيسة المسيح)) وأن ينشروا الكتاب المقدس، وخلاصة القول أن يعيشوا كما لو كانوا أولياء الرب في الأرض يرعون عهده.

وضعت فكرة العهد التي ميزت المجتمع الأمريكي المبكر– وضعت هذا المجتمع في مكانة مميزة في العالم. إذ لكي يكونوا مؤهلين لنشر نور الكتاب المقدس والمبادئ الأمريكية كان لا بد لهم من احتلال هذه المكانة الخاصة. وأضاف الأمريكيون الأوائل في حملاتهم التبشيرية مؤهلاً آخر هاماً وهو انحدارهم من نسل إبراهيم ووراثه العهد الذي أعطاه الله له. ففي خضم الحماس التبشيري في القرن التاسع عشر مثلاً استعمل القس صموئيل ووستر هذه المؤهلات في موعظة ألقاها بمناسبة رحيل بعض المبشرين إلى الأراضي المقدسة عام ١٨٠٥. قال ووستر إن الله أعطى عهداً للبشرية كلها بواسطة عهده لإبراهيم: ((بواسطتك أبارك جميع الأمم)). إلا أن هنالك شروطاً لوراثة هذا العهد أهمها أن يكون المرء ((مؤمناً)) وأن يكون معمداً في كنيسة المسيح الحق. وهذه المؤهلات كما قال ووستر تتوفر في الأمريكيين أكثر من أية أمة أخرى خاصة الأمم الكاثوليكية. وختم ووستر موعظته بالقول ((إن كل من تعمد منكم في المسيح قد اتبع تعاليم المسيح، وإن كنتم متوحدين مع المسيح فأنتم من نسل إبراهيم وبالتالي فأنتم أعضاء في علاقة العهد مع الله))[١٤].

هذه العلاقة حملت الأمريكيين مسؤولية نشر الكتاب المقدس بين بقية الأمم، لذلك دعا ووستر المبشرين الأمريكيين الذين كانوا يهمون بالمغادرة إلى الأراضي المقدسة:

((اذهبوا، ومن أعالي كالغاري وجبل صهيون أعلنوا لقبائل إسرائيل في التيه ولأتباع النبي الزائف ولجميع شعوب الأرض أن ينبوع النور قد تدفق لتطهير جميع الأمم وأن الراية قد رفعت لتلتف حولها))(١٥).

رحلة الطهوريين إلى العالم الجديد

الحج إلى مملكة الله

كان المستوطنون ذوو الميول الدينية ومن تبعهم من المهاجرين يعتقدون أن رحلات الحج والتبشير لم تكن نشاطات للترفيه والمتعة وإرضاء الفضول الثقافي، بل كانت الرحلة بصورة عامة في سياق المعتقدات البروتستانتية بالدرجة الأولى عملاً تعبدياً له هدف معين. وفي الواقع كانت حياة الشخص المسيحي كلها تعتبر رحلة روحية في الطريق إلى مملكة الرب. وكانت هذه الرحلة الرمزية غالباً ما تنتهي بالإنسان في الأراضي المقدسة الرمزية، موقع مملكة الرب. ويتضح هذا الأمر من عناوين الكثير من السير الذاتية مثل سيرة إسحاق بيننغتون ((رحلتي الروحية إلى الأراضي المقدسة))، وسيرة توماس غرين ((بلاغ إلى العالم عن رحلتي خروجاً من مصر إلى أرض كنعان عبر القفار والبحر الأحمر هروباً من فرعون)) (١٦٥٩).

لم تكن مقارنة تجربة المهاجرين الأوائل بتجربة الإسرائيليين الكتابية تقتصر على المخاطر التي واجهوها في بيئة عدائية وحسب، بل امتد هذا التشبيه ليمزج بين الخطاب الديني الكتابي والجغرافيا المقدسة وبين التجارب الحياتية الحقيقية وليشمل قصة الهروب من مصر عبر سيناء والبحر الأحمر إلى أرض كنعان. فمثلاً، عشية مغادرة مجموعة ((الحجاج)) بقيادة جون وينثروب إلى العالم الجديد عام ١٦٢٩، جلسوا ينصتون بخشوع إلى موعظة أكدت بتعابير كتابية أنه ((حين يلفكم الله برداء رحمته ويبعث فيكم الحياة والقوة... فهنالك تقع أرض

الميعاد))[١٦]. كما أن ويليم برافورد زعيم أول مجموعة طهورية تهاجر إلى العالم الجديد (عام ١٦١٩) تأمل أوضاعهم السيئة في بيئة معادية بعد متاعب الرحلة البحرية وذكر أتباعه بأن الكتاب المقدس أسبغ رحمته على رسوله وأتباعه حين ارتطمت سفينتهم بصخور الشاطئ وقابلهم البرابرة المتوحشون. لكنه طمأن هذه المجموعة من المهاجرين بأن الله أرسلهم إلى القفار لتأسيس مملكته وأنه لن يتخلى عن شعبه[١٧].

ويجد الدارس لهذه الحقبة من تاريخ الاستيطان الإنجليزي للشمال الشرقي من أمريكا أن هذا الخطاب الكتابي المتعلق بقصص الإسرائيليين كان الخطاب المفضل في كتاباتهم. ففي وصف الزعيم الطهوري كوتون ماذر لتجربة المهاجرين الإنجليز الذين وصلوا إلى شاطئ نيو إنجلند عام (١٦٢٣) قال: ((كان بينهم عدد من الزعماء ذوي الفضيلة الذين جاؤوا يسعون لتحقيق مجد إسرائيل الصغيرة هذه رغم أنهم جابهوا حين وصولهم ظروفاً صعبة كالتي جابهها بناة هيكل القدس))[١٨]. ولم تثن الظروف الصعبة التي واجهها الحجاج عن السعي لتحقيق الهدف الرمزي ((بإعادة بناء هيكل القدس)). يصف المؤرخ الأمريكي فيرنون بارينغتون ذلك الهدف بقوله: ((كان تأسيس مملكة الله في الأرض القصد من مجيء الطهوريين إلى أمريكا))[١٩].

هيمنت فكرة ((مملكة الله)) على تصرفات وكتابات الأمريكيين الأوائل الذين اعتقدوا أنهم شركاء في عهد مع الله، كما حددت موقفهم من الآخرين الذين لا ينتمون إلى هذه المملكة. ولا يزال تأثير هذه الفكرة يتردد في أوساط اليمين المسيحي في أمريكا حتى الآن، كما سنرى فيما بعد. كانت هذه الشراكة مع الله هي التي عبر عنها ويليم برافورد حين وصف رحلة أتباعه إلى العالم الجديد قائلاً ((إن حماسهم كان قوياً لنشر كلمة الله بكتابه المقدس في بقية أنحاء العالم))[٢٠]. وكان تأسيس ((مملكة الله)) أو ((إسرائيل الأمريكية)) رؤيا

دينية استمرت تتردد على لسان الأمريكيين حتى أواسط القرن التاسع عشر حين تحول الاهتمام نحو تأسيس مملكة الإله إلى ((أرض الميعاد)).

يصف المؤرخ الأمريكي ريتشارد نيبر في كتابه الشهير ((مملكة الله في أمريكا)) مراحل تطور هذه الرؤيا والأشكال التي اتخذتها بقوله: ((في الفترة الأولى من الحياة الأمريكية حين وضعت الأسس التي بنيت عليها الأمة كانت عبارة ((مملكة الله)) تعني ((سيادة الله))، وفي فترات اليقظة الدينية وحركات الأحياء الديني كانت تعني ((حكم المسيح))، وفي العصر المتأخر جداً أصبحت هذه العبارة تعني ((المملكة الأرضية))[٢١].

على أنه في جميع هذه المراحل كان الأمريكيون يعتقدون أنهم مواطنون في هذه المملكة يتمتعون بمكانه مفضلة لدى حاكمها. وهذا ما جعل الأمريكيين منذ البداية يشعرون بعبء المسؤولية المترتبة على هذه المواطنة، وتشمل هذه المسؤولية واجب نشر النور والثقافة بين الأمم الأخرى.

اتخذ المستوطنون في مقاطعة نيوإنجلند وخلفاؤهم لقب ((نور العالم((وهو اللقب الذي أطلقه الكتاب المقدس (إنجيل متي ٧ :١٤) على أعضاء كنيسة المسيح الحقة: ((أنتم نور العالم)). ردد العالم الديني والمربي الأمريكي (رئيس جامعة ويسليان) ستيفن أولين هذه العبارة في منتصف القرن التاسع حين وصف أمريكا ((بمستودع الكتاب المقدس وكلمة الله ووسيلته الوحيدة))[٢٢].

كان جون وينثروب قد أكد عام ١٦٢٩ أن هدف الاستيطان الأساسي هو ((نشر الكتاب المقدس بين الهنود الحمر، وبذلك توسيع رقعة مملكة المسيح وإنقاذ الهنود من قبضة الشيطان))[٢٣].

وكان اعتقاد هؤلاء الطهوريين والأجيال المتعاقبة من الأمريكيين أنهم المواطنون المفضلون في مملكة المسيح هو الذي جعلهم ينتشرون في أنحاء العالم

لتوسيع ((مملكة المسيح))، سيما وأنهم كانوا يشكون في صحة معتقدات غيرهم من المذاهب المسيحية خاصة الكنيسة الكاثوليكية. وجون وينثروب نفسه صرح بأن الحماس لإنشاء المستوطنات في نيوإنجلند كان رداً على ((الجهد الكبير الذي يبذله البابويون في نشر ديانتهم وخرافاتهم وفي توسيع مملكة المسيح الدجال هناك))(٢٤).

لقد أدى هذا الشعور بأن الأمريكيين يملكون الكلمة الحق فيما بعد إلى الجدال والصدام مع الكنيسة الكاثوليكية في جهود التبشير في العالم العربي. إذ أنهم أصروا على أنهم يمثلون ((النور الحق وعلى أن كنيستهم تتميز عن جميع الأنظمة الأخرى، سواء كانت دينية أو أخلاقية، والتي كانت في معظمها شريرة تماماً في أعمالها وميولها، تقود إلى الشر باستمرار))(٢٥).

تميز المشروع التبشيري الأمريكي في كل مراحل تطوره بالشعور بأن إنقاذ العالم كله من الجهالة والتأخر هو أمر عاجل وذو أهمية قصوى. كما تميز هذا المشروع بالموقف المتفائل الذي اتصف به المبشرون رغم الإخفاق والمخاطر التي كانوا يعرضون أنفسهم لها. وكان مصدر هاتين الميزتين هو الاعتقاد بأن الله هو الذي كلفهم بهذه المهمة، لذلك فهي جديرة بالنجاح في نهاية الأمر. وقد وصف الباحث الأمريكي الحديث فرديدريك ميرك هذا الموقف بقوله: ((كان هنالك شعور بمهمة مقدسة لانقاذ العالم استحوذ على قلوب الحجاج الأوائل وخلفائهم... وقد ظهر ذلك لدى الأجيال المتعاقبة من الأمريكيين دون أن يتغير))(٢٦).

وقد نظر جيل المبشرين في القرن التاسع عشر إلى الماضي واستوحوا الحماس والالتزام بهذه الأهداف من المستوطنين الطهوريين، فقال أحد هؤلاء المبشرين: ((إن طبيعة شعبنا تبين بوضوح أن الله جعل منا أمة مبشرة)). ورسم هذا المبشر صورة تفصيلية بوضع أمريكا الجغرافي والسكاني والسياسي واستنتج

من ذلك اختيار الله لها لنشر نور الكتاب المقدس والحضارة معاً بين ((مجتمعات متعددة من الكفار والمحمديين والبوذيين والبابويين، والبيض والملونين والعبيد والأحرار))[٢٧].

كان هذا الشعور بالمسؤولية إضافة إلى الاعتقاد بأن العالم بكل مجتمعاته ومذاهبه وأعراقه بحاجة ماسة ليد العون الأمريكية هو الذي دفع الأمريكيين إلى هذا المشروع التبشيري بحماس شديد.

الفصل الثالث

رؤيا صهيون

الأسطورة الأمريكية ((للمدينة على الجبل))

بالقصص الديني يشغل هذا الراحل نفسه في رحلته الشاقة، بينما
يبتسم له الوحي، لا فرق عنده إن سجد في البساتين الجميلة أم مشى
دون هدى في السهول الخضراء فقلبه يخفق دوماً لكل نسمه تحمل
شذى من هواء أدوميا.

(من قصيدة ((ألحان من فلسطين))
١٨١٦ بقلم جون بيربونت)

شاعر أمريكي مغمور يكتب عام ١٨١٦ قصيدة طويلة عنوانها ((ألحان من فلسطين)) (Airs of Palestine) . هذا الشاعر هو جون بيربونت (Pierpont John) ومع أنه لم يكن قد زار الأراضي المقدسة فهو يسرد قصة ملحمية لرحلة خيالية مقلداً بها أسلوب الملاحم الكلاسيكية. لكنه خلافاً للملاحم التقليدية لا يستقي الوحي من جبل ((برناسوس)) أو ((أوليمبس))، بل يلجأ إلى آلهة الشعر الأخرى فيقول:

لا، لا ، سأسلك طريقاً أجمل

سأترك اليونان وسحرها، وأقصد فلسطين،

أعشق السير على ضفاف الأردن،

أتوق لغرس قدميّ في تربة الحرمون،

أعشق آلهة الوحي التي ألهمت إشعياء

وفي مغارات الكرمل المقدس آوي إلى السكينة

وأزين مجالس الأصدقاء بوردة شارون الأبدية(١).

في هذه الفترة المبكرة من التاريخ الأمريكي يذهب شاعر أمريكي في رحلة خيالية إلى الأراضي المقدسة حيث يسرد القصص الدينية للأماكن بتفاصيلها وتداعياتها الثقافية، وبصورة خاصة تلك المتصلة بما يسميه ((آلام صهيون)) .(The Woes of Zion)

هذه القصيدة هي مثال واحد فقط من محاولات أمريكية مبكرة للتعبير عن ما يمكن اعتباره أولى الأساطير الأساسية في الثقافة الأمريكية وأكثرها رسوخاً واستمراراً –تلك هي أسطورة ((المدينة على الجبل)). وتعبير ((المدينة على الجبل)) هو تعبير من النصوص المقدسة يقصد منه مدينة القدس، وعلى الأخص القدس الجديدة على تلة صهيون التي سوف يحكم منها المسيح مملكته الألفية الأرضية. وهي المدينة التي سينتشر منها نور الهداية الذي سيعم البشرية كلها. هذه المدينة أيضاً كانت تسمى في العديد من الكتابات الأمريكية – والغربية بصورة عامة – ((بمدينة الملك العظيم)) أي مدينة النبي داود، مما يبين هذا المزج المبكر بين الفكر المسيحي واليهودي في الثقافة الأمريكية.

لا شك أن الصورة الشعرية الخيالية التي نراها في قصائد مثل ((ألحان من فلسطين)) وفي كتابات الأمريكيين منذ ذلك الوقت، تحكي قصة مكوّن أساسي من مكونات طفولة أمريكا الثقافية وهو مفهوم رؤيا صهيون. وسيتبين من دراسة الثقافة الأمريكية بصورة متعمقة أن هذا المفهوم بقي عاملاً هاماً في تفكير

الأمريكيين وسلوكهم عبر القرون وحتى اليوم. كما سيتضح أيضاً أن هذا المفهوم يتخلل نسيج الخطاب الثقافي - الديني الأمريكي ويحدد بعضاً من ملامحه، خاصة في الحركات الدينية التي بدأت بحركة ((اليقظة العظيمة)) الدينية الأولى، وحتى الآن.

ومع أن الكاتب الأمريكي ر.و.ب. لويس (R.W.B.Lewis) أصرّ في كتابه الشهير ((آدم الأمريكي)) (The American Adam) على أن الإنسان الأمريكي تخلص من ماضيه الثقافي الأوروبي، فهو مع ذلك يتحدث عما يصفه ((بأشكال الخطاب المتمايزة والخاصة)) التي ما زالت تتخلل الفكر الأمريكي[٢]. أحد أشكال هذا الخطاب هو تصور أمريكا على أنها ((المدينة على الجبل)) ومنارة الحضارة والأمان للعالم. يتضح هذا التصور في مقولة الكاتب الأمريكي رالف والدو إيمرسون (Ralph Waldo Emerson) في أواسط القرن التاسع عشر بأن الأمة الأمريكية هي ((آخر محاولة للعناية الإلهية لإنقاذ العرق البشري))[٣]. علماً بأن إيمرسون كان أحد قادة الفكر الداعين إلى ((فطام)) أمريكا من حليب الثقافة الأوروبية وانسلاخها عن الأفكار الإنجليزية البالية.

أمريكا في هذا الخطاب كانت ((إسرائيل هذا العصر)) كما عبر عن ذلك كثير من الكتاب والمفكرين سواء أكان ذلك في الخطب الوطنية الحماسية أم في المواعظ الدينية. من ذلك ما كتبه الروائي الأمريكي الشهير هيرمان ميلفيل (Herman Melville) مؤلف رواية ((موبي ديك، أو الحوت الأبيض)). قال ميلفيل: ((كما تخلصت إسرائيل من خطايا المصريين وعبوديتهم وأعطاها الله عهداً خاصاً بها، تحررت من تراث أسيادها وفتحت لها أبواب جديدة تحت الشمس، ونحن الأمريكيين- الشعب الخاص المختار- نحن الأمريكيين- إسرائيل هذا العصر- نحن مشاعل الحرية للعالم أجمع. لسبعين سنة خلت هربنا من العبودية. وإلى جانب حقنا الطبيعي الذي أعطانا إياه الرب- وهو قارة قاحلة

من الكرة الأرضية- فقد منحنا أيضاً مساحات واسعة من مناطق الجاهليين السياسيين الذين لا شك سيفدون علينا في المستقبل لكي ينعموا بأمان سفينتنا دون أن يرفع أحد سيفاً في وجه آخر.

لقد قدر الله أموراً ذات شأن عظيم لعرقنا، ونحن نشعر بأمور عظيمة تعتمل في نفوسنا. سوف تتبعنا بقية الأمم قريباً. فنحن رواد هذا العالم، نحن الحرس في الخطوط الأمامية، أرسلنا الله إلى قفار الجاهلية لكي نشق طريقاً جديدة في هذا العالم الجديد الخاص بنا. إن البشرية تتطلع إلى ما كتبه الله لعرقنا أن يمنحها. لا شك أن المسيح السياسي قد نزل فينا)) (٤).

يسترجع هذا الاتجاه الفكري الذي كان منتشراً في أوساط أمريكية كثيرة تراكمات ثقافية موغلة في الفكر الغربي كما يبين طموحات أمريكا المستقبلية، كل ذلك في إطار المعتقدات الكتابية. ومع أن هذا الخطاب الثقافي الذي استعمله أبناء جيل ميلفيل والأجيال اللاحقة كان يعالج أموراً سياسية واجتماعية، فهو ولا شك يستلهم النصوص المقدسة لتعابيره وأفكاره على حد سواء. إن تعابير ((الشعب الخاص))، و((الشعب المختار)) و((منارة العالم)) وغيرها كانت مألوفة لدى معاصري ميلفيل في تراثهم الديني. كما أن الرؤيا المستقبلية التي عبر عنها هؤلاء المفكرون الأمريكيون في نشر النور لجميع أنحاء العالم كانت تستمد الكثير من نبوءات ((مملكة الله)) و((المدينة على الجبل)).

في إطار هذا الخطاب الثقافي، وضمن حدود الإرث الأسطوري نفسه ينتقل الشاعر بيربونت من ضفاف نهر أوهايو إلى ضفاف نهر الأردن، حيث النهر الأول يدخل في تجربة الشاعر الجغرافية الواقعية، والثاني يصدر عن الجغرافية الروحية في ميراث الشاعر الثقافي. مفهوم ((ضفاف نهر الأردن)) يستحث خيال الشاعر بما وصفه فيرنون بارينغتون ((بكنعان آمالهم)) في حديثه عن الأساطير المؤسسة للثقافة الأمريكية (٥). وهو أيضاً يعبر عن الرؤيا نفسها التي أوحت

للشاعرين تيموثي دوايت (Timothy Dwight) وجول بارلو(Joel Barlowe) وغيرهما بصور ((يشوع الأمريكي)) و ((داود قائد الثورة)) في الملاحم الوطنية كما سنرى فيما بعد. هذه الرؤيا بقيت تعمل في الفكر الأمريكي وكان من نتائجها أن بادر الأمريكيون بالارتحال إلى ضفاف الأردن الحقيقي في الأراضي المقدسة، حجاجاً ومبشرين وسائحين ومستوطنين يسعون إلى ((مملكة الله في القدس)).

كانت ثمة أمثلة كثيرة تعبر عن هذه الأسطورة الأمريكية المبكرة المتمثلة في رؤيا صهيون. وفيما يلي سنحاول تتبع النمط الذي اتخذته مسيرة هذه الأسطورة من صورة أمريكا كمدينة على الجبل إلى التزام قومي بإعادة تأسيس القدس الجديدة في الأراضي المقدسة. لقد اتضح في عصرنا هذا أن الخروج بهذه الأسطورة من السياق الأمريكي إلى سياق الجغرافية المقدسة وتحقيق النبوءات كان وما زال عاملا هاما في تحديد الملامح الرئيسية لسلوك الأمريكيين على مر القرون.

إسرائيل الأمريكية

منذ عام ١٦٣٦ بحث الزعيم الديني جون كوتون في نصوص الكتاب المقدس عن دستور نموذجي تقتبسه إحدى المستوطنات الجديدة. ثم خرج بما وصفه ((تشريعات موسى)). ووصف مؤرخ معاصر هذه العملية كما يلي:

((حينئذ طلب المستوطنون من السيد كوتون أن يجد من القوانين التي حكم بها الله شعبه القديم تشريعاً لهم.... وبالإضافة إلى بعض عناصر الديمقراطية اليونانية، أوصاهم بأن لا يشارك بالترشيح أو الانتخاب إلا المؤمنون حقاً بالرب يسوع المسيح. وفي كل الأمور أوصاهم بنظام ثيوقراطي أقرب ما يمكن لمجد إسرائيل الشعب ((المميز عند الله))[٦].

وهكذا فإن الشاعر الأمريكي لم يكن الوحيد الذي يفضل الوحي من فلسطين على وحي آلهة الشعر اليونانية، بل لجأ مؤسسو النظام الأمريكي المبكر إلى قوانين موسى والشعب المختار في وضع دستورهم.

اعتبر مستوطنو العالم الجديد الأوائل أنفسهم عباداً ليهوه تحكمهم مبادئ قانون موسى. وكان هؤلاء المستوطنون مهيئين لهذا التركيز على خطاب العهد القديم في حياتهم العامة والشخصية بفضل عامل أساسي يصفه المؤرخ بارينغتون ((بالتزام واعٍ بالمعتقدات العبرانية التي حولت الإنسان الإنجليزي إلى طهوري متطرف))[٧].

والشواهد كثيرة على عملية التحول هذه، لعل أبرزها ما حدث لزعيم أول مجموعة مهاجرين طهوريين، جون وينثروب، الذي يقول عنه بارينغتون إنه ((انتظم في مدرسة الكتاب المقدس الإنجليزي فاستثارت القصائد العبرية خياله الشعري. ومثل الكثيرين من معاصريه الطهوريين، شعر وينثروب بالمتعة الكبيرة في قراءة سفر قصائد سليمان))[٨].

كان وينثروب، مثله في ذلك مثل رفاقه المهاجرين إلى العالم الجديد، يدرك المهمة الخاصة التي وضعتها لهم القدرة الإلهية والعلاقة الخاصة التي تربطهم بالله. وعندما غادروا ((مملكة الكنيسة الأنجليكانية)) إلى ((مملكة الله)) خاطب وينثروب أحد أقربائه مودعاً: ((نحن نضع مصائرنا بيد العناية الإلهية التي تحفظ كل من يلتزم بإيمانه بالرب. والآن أدعو إلى الله، أمل إسرائيل، وموئل كل من يلجأ إليه أن يجمع قلوب عباده على الإيمان والطهر))[٩]. رأى وينثروب علامات عن رضا الله عن مشروعه فباع كل ممتلكاته واتخذ عدته للرحلة إلى أرض الميعاد. وبعيد وصوله إلى الشاطئ الشرقي للعالم الجديد رأى أيضاً آيات تدل على ذلك في ((تدمير الله للسكان الأصليين بطاعون معجزة جعل جزءاً كبيراً من البلاد خالية من السكان))[١٠].

وهكذا فإن هذه «البقية المختارة من إسرائيل» كانت مدركة لمهمتها مصممة على تحقيقها بإيمان لا يتزعزع. فقد منحهم الله أرضاً مأوى لهم، وكانت مسؤوليتهم وتميزهم تتمثلان في تنفيذ مشيئة الله بتأسيس مملكته. وكان تأسيس «صهيون في القفار» يتطلب إدراكاً للمهمة المقدسة وإيماناً بها، كما كتب وينثروب مخاطباً أتباعه عام ١٦٢٨:

«سوف نجد أن رب إسرائيل يمشي بيننا وسوف يتغلب عشرة منا على ألف من أعدائنا عندما نمجده ونعبده. وعلينا أن نعتبر أنفسنا المدينة على الجبل تتطلع إلينا عيون البشر»[١١].

ولقد أضفت تجربة الانتقال إلى عالم جديد (مع كل ما لازم هذا الانتقال من مصاعب ومآسي) تعابير ورؤى مجازية على اللغة اليومية لهؤلاء المهاجرين. فقد كانت تجاربهم اليومية في نظرهم، كما يصفها تشارلز فيدلسون، «لا هي بحوادث تاريخية ولا بمجازية خيالية، إنما كانت تجارب جمعت بين موضوعية التاريخ ومعاني الكتاب المقدس»[١٢]. فقد اعتادوا على تطبيق الاستعارات الكتابية على حياتهم اليومية بصورة تعكس إيمانهم المطلق بمكانتهم المضمونة مع قديسي وأنبياء النصوص المقدسة. فعملية الترميز هذه، كما يقول فيدلسون، كانت تشغل أفكارهم باستمرار. وهكذا فقد كان تعبير «القفار» كما استعملوه في وصف رحلتهم تجمع بين الأربعين سنة من رحلة العبرانيين وتجاربهم هم في مجاهل الشواطئ الأمريكية.

كان خطاب الطهوريين يتألف من إنزال قصص الكتاب على تجربتهم اليومية. ففي تفكيرهم – وفي عقل الله كما كانوا يعتقدون – كانت قصص الكتاب وتجاربهم واحدة. فلم تكن «قفار التجربة العبرانية» تمثل تجربتهم في العالم الجديد وحسب، بل كان عبور الإسرائيليين صحراء سيناء والبحر الأحمر أيضاً رمزاً لعبورهم المحيط الأطلسي إلى «كنعانهم الجديدة».

كان المستوطنون والأجيال اللاحقة من الأمريكيين حتى أواسط القرن التاسع عشر يستمعون باستمرار إلى القادة السياسيين والدينيين وهم يذكرونهم بأصولهم الثقافية العبرانية ضمن هذا الخطاب الرمزي. فهذا إدوارد جونسون ينصح الطهوريين بأن ((يدعوا باستمرار مع القائد المقدام يوشع أن تتوقف الشمس في جبيبون والقمر في وادي أيجلون))[١٣]، حيث ينزل الرمز الكتابي الأزلي على تجربتهم اليومية. وضمن هذا الإطار أيضاً أعطوا مواعظ المناسبات الانتخابية في القرنين الثامن عشر والتاسع عشر العناوين الرمزية: ((وسائل الخير لإسرائيل)) (بقلم جون وايتنغ بوسطن ١٦٨٨) و ((موسى وهارون)) (بقلم توماس باكينغهام، نيو لندن، ١٧٢٩) و ((آمال مدينة القدس)) (بقلم إسحاق ستايلز، نيو لندن، ١٧٤٢).

كما شمل هذا الترميز الكتابي في خطاب الأمريكيين الأوائل استعمال قصص بني إسرائيل في حفلات تأبين قادتهم، مثل خطبة ناثانيال آبلتون (بوسطن ١٧٢٤) بعنوان ((رجل عظيم تفقده إسرائيل))، وخطبة صامويل ويلارد في تأبين جون هال ((خسارة عامة تستحق دموع إسرائيل)).

وهكذا فإن خطاب المهاجرين الأمريكيين وخلفائهم في القرون اللاحقة يدل على الاعتقاد بأنهم ((القلة المختارون)) -بقايا الإسرائيليين- الذين قاوموا فساد مصر وظلمها ولجؤوا إلى كنعان. ومن هذا العالم الخيالي الكتابي استقوا أسماء أعطوها لبلدانهم الجديدة مثل كنعان، و((سيناء))، و ((بيت لحم)) و ((الناصرة)) وغيرها (يوجد في أمريكا على الأقل ١٢ مدينة وبلدة اسمها ((Hebron الخليل)) و ٦ مدن اسمها بيت لحم وعدد آخر بأسماء سيناء والقدس والناصرة وغيرها). بل لقد اعتقد زعيم من زعمائهم اعتقاداً جازماً بأن مقاطعة نيو ميكسكو سوف تكون بحق القدس الجديدة المدينة على الجبل.

هذه الأسطورة الملحمية، كما تمثلها الطهوريون في حياتهم اليومية، استمرت تعمل، بل زادت حدتها، في فترة الثورة والاستقلال. فقد كانت الأطراف المناصرة للثورة والمعارضة لها تستعمل – كل بدورها – تعابير النصوص المقدسة في جدالها أثناء الثورة ضد الإنجليز. كما كان الثوار كثيراً ما يصفون أنفسهم بشعب إسرائيل والمستعمرين الإنجليز بشعب مصر وفرعون.

أمريكا المستقلة ومملكة الله

وفي الواقع، عندما فكر الكاتب والسياسي تيموثي دوايت (Timothy Dwight) عام ١٧٧١ (حتى أثناء حرب الاستقلال) بكتابة ملحمة شعرية تحكي قصة الكفاح من أجل الاستقلال، لجأ إلى ((سفر يوشع)) كمصدر للمادة التي استعملها في قصيدته ((غزو أرض كنعان)) (The Conquest of Qanaan) . في هذه القصيدة عالج دوايت حرب الاستقلال في السياق المجازي للحروب بين الإسرائيليين وأعدائهم من الفلسطينيين. وكانت قمة الإثارة في هذه الملحمة تتمثل في انتصار الإسرائيليين بقيادة يوشع –رمز جورج واشنطن– على الكنعانيين. وتبدأ القصيدة بهذه الأبيات من الفصل الأول:

القائد الذي أعطى شعب إسرائيل المختار

إمبراطورية إسرائيل وأرض الميعاد

قدرت له السماء الانتصار المقدس

وقدرت لقلمي أن يصور ذلك الانتصار

في مقدمة الملحمة يوضح دوايت للقارئ أنه أينما وردت عبارات ((القائد)) و((البطل)) و ((الزعيم)) في سياق الجيش الإسرائيلي فالمقصود يوشع. وقد أهدى الشاعر ملحمته ((غزو أرض كنعان)) إلى ((جورج واشنطن: القائد العام

للجيوش الأمريكية، مخلص وطنه ودعامة الحرية وأمل البشرية)). ومن الجدير بالذكر هنا أن دوايت كان قد كتب إلى جورج واشنطن يستأذنه بإهداء الملحمة إليه، وذكر أن عنوان الملحمة سيكون ((غزو أرض كنعان بقيادة يوشع)). كما أن الكاتب دوايت كان قد كتب مقالة عن طموحات الثوار الأمريكيين قال فيها ((إن ثمة شمساً جديدة تسير في سماء هذه السنة الرائعة، ولن تكمل دورتها حتى ترى اليهودي وقد عاذ وانغرس في شجرة الزيتون التي كان قد اقتلع منها))(١٤).

الملحمة الثانية التي كتبت في الاستقلال كانت بعنوان ((رؤيا كولومبس)) (The Vision of Colombus) بقلم جول بارلو (Joel Barlowe) (١٧٨٧) وهي لا تقل عن الأولى دلالة على ترسخ فكر العهد القديم في الثقافة الأمريكية. هذه الملحمة تسرد قصة الأمة الأمريكية منذ بدء الخليقة وحتى استقلال أمريكا، حيث تلعب هذه الدولة الفتية دوراً مركزياً في تاريخ العالم. في هذا الحلم - الرؤيا- يحمل كولومبس ملاك ويطير به عبر التاريخ منذ بدايته. وتحتل الجزء الأول من الحلم رحلة كولومبس من أوربا عبر الأطلسي إلى العالم الجديد تماماً كما رحل الإسرائيليون بقيادة النبي موسى عبر سيناء والبحر الأحمر إلى أرض كنعان. وعند وصول كولومبس إلى شاطئ القارة الأمريكية يبارك الله له بأرض كنعان الجديدة التي ستنزل فيها مملكة الله الألفية. وترد في أول القصيدة هذه الأبيات فترسم معالم البيئة المجازية:

مثل النبي العظيم الذي وهبت عصاه المقدسة

معجزات الله إلى أبناء إسرائيل

والذي قاد جموعهم عبر المياه الهادرة

إلى حدود أرض الميعاد الجميلة

والجدير بالذكر هنا أن كلا الشاعرين كانا يحتلان مكانة مرموقة في الأوساط الفكرية والسياسية الأمريكية. فتيموثي دوايت كان أحد الموقعين على وثيقة إعلان الاستقلال التي صدرت عن مؤتمر فيلادلفيا الذي كان يمثل الولايات الثلاث عشرة التي ثارت على الاستعمار البريطاني. وجول بارلو كان أحد المفاوضين في باريس في قضايا الرهائن الأمريكيين في بلدان المغرب العربي. وجول بارلو أيضاً كان من المثقفين المتأثرين تأثراً كبيراً بالفكر الكتابي اليهودي. فعندما قررت الجمعية العامة لكنائس ولاية كونيتكت أن تراجع كتاب المزامير عهدت إلى جول بارلو بهذه المهمة. ويقول كاتب سيرة بارلو، تشارلز تود، بأن إعادة بارلو صياغة هذه المزامير لا يعادلها جهد أي من سابقيه. ويعطي تود مثالا على ذلك نص المزمار رقم ١٣٧:

على ضفاف مياه نهر بابل

وقف أسرى قبائلنا بيأس مميت

بينما تراءت لهم ذكرى انكسار صهيون

تختلط فيها أشلاء أطفالهم وأحبائهم

(والنص كما ورد في النص العربي للكتاب المقدس هو:

((على أنهار بابل هناك جلسنا. بكينا أيضاً عندما تذكرنا صهيون. على الصفصاف في وسطها علقنا أعوادنا. لأنه هناك سألنا الذين سبونا كلام ترنيمة ومعذبونا سألونا فرحاً قائلين رنموا من ترنيمات صهيون. كيف نرنم ترنيمة الرب في أرض غريبة. إن نسيتك يا أورشليم تنسى يميني، ليلصق لساني بحنكي، إن لم أذكرك، إن لم افضل أورشليم على أعظم فرحي. اذكر يا رب لبني أدوم يوم أورشليم القائلين هدوا هدوا حتى أساسها. يا بنت بابل المخربة طوبى لمن يجازيك جزاءك الذي جازيتنا. طوبى لمن يمسك أطفالك ويضرب بهم الصخرة))).

كل هذا يبين ترسخ فكرة صهيون في الثقافة الأمريكية منذ البداية. هذه الفكرة التي جعلت الأمريكيين يقارنون أوضاعهم بقصص الإسرائيليين وزعماءهم بقادة إسرائيل وأنبيائها، هي أيضاً حاضرة في ذهن الأمريكيين في حالات اليأس والأسى كما تشاهد في مواعظ التأبين وفي المزمار المذكور.

يبدو هذا بوضوح تام في تجربة تيموثي داويت الذي كان في ملحمته يقارن انتصار الثورة الأمريكية بانتصارات الإسرائيليين، كما أن دوايت ذاته لجأ إلى المصدر نفسه حين خالجه اليأس والقنوط بالمستقبل فتوقع نهاية أمريكا ممثلاً إياها بنهاية الزمان التي يصفها ((بيوم انتقام الله، وعام التعويض عن آلام صهيون)).

وكذلك عندما احتدم الخلاف بين الدولة المستقلة وإنجلترا ثم أعلنت الحرب بينهما عام ١٨١٢، ناشد الواعظ دافيد أوسغود أبناء وطنه موبخاً: ((يا أبناء إسرائيل، لا ترفعوا السيف في وجه رب آبائكم، فإنكم لن تفلحوا))[١٥].

ولعل تاريخ تعامل المهاجرين مع السكان الأصليين في أمريكا يعطينا نموذجاً طريفاً لهذه الرؤيا الصهيونية في الفكر الأمريكي. ففي أثناء فترة الاستيطان الأولى حيث لاقى المهاجرون الكثير من الصعاب في العالم الجديد كانوا يشبهون أنفسهم بقبائل إسرائيل -الشعب المختار- ويرون في الهنود الحمر أعداء إسرائيل. فهم أحياناً المصريون أتباع فرعون وأحياناً أخرى الكنعانيون. إلا أنه وفي القرن التاسع عشر مع انتشار الحركات الألفية والأصولية راحت بعض الأوساط الأمريكية تروج للفكرة القائلة بأن الهنود الحمر هم بقايا القبيلة الإسرائيلية التائهة (المفقودة). وفي الواقع صدرت دراسات جدية أكاديمية عن هذا الموضوع مثل كتاب يعزى إلى تشارلز أيفانز بعنوان ((قبائل إسرائيل التائهة: أو أصل الرجال الحمر)) (١٨٦١). وكتاب إسرائيل وولسي بعنوان ((وجهة نظر حول الهنود الأمريكيين: تبين أنهم من سلالة قبائل إسرائيل الاثنتي عشرة)) (١٨٢٨). كما أن أتباع كنيسة المورمون كانوا يعتقدون أن سكان أمريكا الأصليين هم بقايا القبائل الإسرائيلية، كما نرى من بحثنا في تلك الكنيسة.

والطريف في الأمر أن بعض الجماعات من قبائل الهنود الحمر (رغم أن هذه القبائل تشتهر بالتراث الشفهي الذي يعود بهم في التاريخ إلى أقدم العصور) صدقت هذه النظريات. ففي عام (١٨١٨) حين كان ليفي بارسونز يعد للسفر إلى الأراضي المقدسة للانضمام إلى الجهود التبشيرية هناك، مهد لهذه الرحلة بجولة تبشيرية في منطقة فيرمونت بين القبائل الهندية. وبعد إحدى المواعظ التي أعلن فيها أنه سيتوجه إلى الأراضي المقدسة، أرض الميعاد، ((من هذا المكان حيث يحيط به أحفاد إبراهيم، تقدم منه أحد زعماء القبائل الهندية وألقى خطبة بلغته الهندية وبالإنجليزية، وتمنى له النجاح في مهمته ثم سلمه نسخة من الخطبة باللغتين طالباً منه أن يسلمها إلى ((اليهود أجدادنا في القدس))[١٦].

شهد القرن التاسع عشر في أمريكا عدة أحداث وحركات دينية جعلت فكرة ((المدينة على الجبل)) -إسرائيل الأمريكية- تتحول جغرافياً بالتدريج لتصبح ((المدينة على الجبل)) في فلسطين وفي القدس على الأخص -في ((أرض الميعاد)) الكتابية. عبر الكثيرون من المبشرين والسياح والرحالة والحجاج وغيرهم بصورة مؤثرة جداً عن أساهم وغضبهم على حالة الأراضي المقدسة. كان الجميع يتمنى أن يأتي اليوم الذي تعاد فيه هذه الأراضي ((لأصحابها الشرعيين)). ففي عام ١٨٧١، على سبيل المثال، نظرت الأمريكية إيلين كلير ميلر إلى منطقة شرقي المتوسط قائلة: ((في هذه الأراضي الشرقية نزلت أكثر كلمات الوحي سمواً. ويشعر المبشر هناك بمسؤولية نحو تحقيق حرفي للوعد العظيم الذي أعطي لشعب النبي إشعياء- هذا الوعد الذي يتحقق من الناحية الروحية بالسلام والسعادة والبركة حيثما تهتدي النفوس بحق إلى الله))[١٧].

ثم توجه ميلر اهتمامها إلى ذلك الوعد: ((سوف يجتمعون على كلمة واحدة حين يأتي الرب بصهيون ثانية)). ثم تنشد متوقعة تحقيق ذلك الوعد:

حين يرتفع الحجاب

عن أعين جميع الأمم.

حين يجلي النور الظلام

وترتفع العظام من القبر

حين تسعى جميع الأمم

إلى الإله العظيم

حين يسألون عن الطريق إلى صهيون

وعيونهم جميعاً عليها

ثمة أسباب عديدة لهذا التحول في رؤيا صهيون من موقعها الرمزي في إسرائيل الأمريكية في العالم الجديد إلى الأراضي المقدسة في العالم القديم. كان أحد العوامل الرئيسية أن الأمريكيين بدؤوا بإنشاء علاقات مع العالم الإسلامي والعربي بدءً من أواخر القرن الثامن عشر وأثناء القرن التاسع عشر، وكانت هذه العلاقات تجارية ودبلوماسية ومصادمات عسكرية، مما أدى إلى اكتشاف الأمريكيين الأراضي المقدسة الجغرافية. وعامل آخر كان له أثر كبير في هذا التحول، وهو الحركات والمذاهب الدينية الحماسية من صحوة دينية يمينية إلى مذاهب المورمون والميلريين والمجيئيين السبتيين وغيرها. ضمن هذه الحركات الدينية جاءت الأفكار الألفية والحماس التبشيري الأمريكي. وكانت الأفكار الألفية والحماس التبشيري من العوامل التي وجهت الاهتمام إلى الأراضي المقدسة وإلى أهمية ((إعادة إنشاء القدس)).

الأفكار الألفية واهتمام أمريكا بالشرق

بقيت الأفكار الألفية تلازم الأمريكيين منذ تأسيس مجتمعهم في العالم الجديد لكنها اكتسبت قوة وزخماً في القرن التاسع عشر. وبالفعل فإن كتابات

الأمريكيين تحمل الكثير من الإشارات إلى ((آيات الساعة)). جاءت إحدى هذه ((الآيات)) أو البشائر من قلم أحد أوائل الزعماء والمؤرخين الدينيين في أمريكا وهو إنكريس ماذر (Increase Mather) الذي قال: ((كم مرة دعونا الله أن يفرق جمع الذين أرادوا تدميرنا ويصيبهم بالغرور ويهزمهم، كما دعا داود الله حين كان أبسالوم يلاحقه)). ويذكر محرر أعمال ماذر أن ((آيات الساعة)) كانت حاضرة في أذهان ماذر ومعاصريه. ويضيف بأن تفسير إعادة الاهتمام بهذه الأفكار في تلك البقعة من العالم يكمن في انتشار الأفكار الألفية آنذاك [١٨].

فالأفكار الألفية وتوقعات نهاية الزمان ليست أمراً جديداً، بل هي تتجدد بين كل فترة وأخرى (كما سنرى في الفصل الخاص بالألفية). والواقع أن توقعات آخر الزمان تتضح من نظرة إلى عناوين بعض مواعظ إنكريس ماذر. على سبيل المثال الموعظة التي ألقاها عام ١٧١٣ وعنوانها:

((موعظة تبين بأن المشيئة الإلهية تعلن عن أن ثورات عظيمة على وشك الوقوع الآن: مع نصوص مقدسة توضح الأسس الكتابية للأمل بأنه في فترة سنوات قليلة سوف تتحقق نبوءات ووعود رائعة)).

كانت عادة قراءة ((المشيئة الإلهية)) في الأحداث المعاصرة أمراً يميز التفكير الديني الأمريكي في القرن التاسع عشر. وقد علق على ذلك المؤرخ الأمريكي ريتشارد نيبور بقوله: ((كانت التوقعات الألفية تزدهر بشكل ملحوظ تحت تأثير اليقظة الدينية العظيمة)) [١٩]. بل إن الشخصية الرائدة في هذه اليقظة، جوناثان إدواردز قال:

((من المحتمل أن الأعمال الرائعة الصادرة عن روح الله ما هي إلا بداية ما تخبئه الإرادة الإلهية والذي تنبأ به الكتاب المقدس، وهو ما سيتبعه إعادة خلق البشرية والعالم. وهنالك إشارات كثيرة إلى أن هذا العمل سوف يبدأ في أمريكا)).

قادت هذه التوقعات جوناثان إدواردز إلى القول بأن الوقت قد حان بالفعل للخلاص، ((وهو آخر أعمال الله العظيمة.... لقد بدأت القدس الجديدة بالنزول من السماء ولم يشهد العالم قط مؤشرات سماوية أكثر دلالة على ذلك))[٢٠].

الواضح من دراسة التطور الفكري في أمريكا أن هذه الحركات الدينية والمذاهب الجديدة التي برزت في القرن التاسع عشر كانت أمريكية المنشأ وأن التفكير الألفي كان له أثر كبير في الشعب الأمريكي. كانت إحدى هذه الحركات الجديدة تسمى بالمجيئيين (Adventists) والمجيئيين السبتيين التي يصفها كتاب معاصر عنوانه ((دليل جميع الأديان)) (A Dictionary of All religions) كما يلي: ((يفسرون وقت ومكان عودة المسيح في ضوء بعض النبوءات التي يعتبرونها تنبئ بفترة حكمه في الأرض)).

ويليم ميلر (١٧٨٢– ١٨٩٤)

نشأ ويليم ميلر[٢١] في شمالي ولاية نيويورك وقاده حماسه الديني وتفسيره الحرفي لبعض نصوص الكتاب المقدس إلى تحديد موعد مجيء المسيح بعام ١٨٤٣. وقد أخبر ميلر أتباعه في عام ١٨٤٣ أنه ((على يقين وقناعة تامة بأنه في وقت ما بين ٢١ آذار عام ١٨٤٣ و ٢١ آذار عام ١٨٤٤، طبقاً للحسابات اليهودية، سوف يأتي المسيح ويحضر معه قديسيه)). استطاع ميلر أن يكسب الكثير من الأتباع بمواعظه الحماسية التي كانت تتخذ أحياناً طابعاً مفرطاً من الصياح واشتراك المصلين بالغناء والتراتيل لدرجة سقوط بعضهم في نوبات إغماء ورعشة. وكان معظم ما يتحدث عنه يتعلق بمجيء المسيح المرتقب (حسب نبوءات وتوقعات ميلر) وغفرانه لمن يؤمنون به ويتبعونه عند ظهوره. استغرقت مواعظه مدة إجمالية تزيد عن (٦٢٧) ساعة حسب مصادر معاصرة وكان الحضور في الهواء الطلق يتجاوز آلاف المصلين.

لم تتحقق نبوءة ميلر في الفترة التي حددها، واعترف هو بخطأ في حساباته قائلاً: ((إخوتي، لقد انقضى عام ١٨٤٣ ولم تتحقق آمالنا، فهل نهجر السفينة؟ كلا .. كلا.. لا نعتقد أن النبوءات قد انتهت. فالحسابات تقضي بأن نأخذ (٤٥٧) يوماً إضافية إلى عام ١٨٤٣ للحصول على رقم (٢٣٠٠) يوم، وبذلك سوف ندخل عام ٤٥٧ قبل الميلاد)). لكنه رغم إصرار أتباعه تردد كثيراً في تحديد موعد دقيق، إلا أنه رضي أخيراً وحدد يوم (٢٢) تشرين الأول لمجيء المسيح.

ولما كان يوم ٢١ تشرين الأول توافدت حشود كبيرة من المؤمنين من أتباعه إلى قمم التلال المجاورة دون خشية من ظروف الطقس البارد العاصف ودون الإعداد لقضاء ليلة كاملة هناك. أمضى الناس ليلتين كاملتين بانتظار الحدث العظيم، إلا أنه حين لم تتحقق النبوءة، أصيب الجميع بخيبة أمل كبيرة جعلت الشك واليأس يخيم على الكثيرين حتى أن بعضهم عمد إلى الانتحار، خاصة أن الكثيرين منهم كانوا قد باعوا أو تنازلوا عن كل ما يملكونه.

وحين قام القس جورج بوش بإعادة كتاب ((القاموس الديني)) (لمؤلفه تشارلز باك)، لطبعة أمريكية عام ١٨٥٤ أضاف ملحقاً بعنوان ((المؤمنون بالمجيء: أي المجيئيون)). يصف بوش هؤلاء المجيئيين على أنهم ((جماعة من المسيحيين لهم صلات بجميع المذاهب التبشيرية اليمينية في الولايات المتحدة. وهم يشتقون اسمهم من الاعتقاد بمجيء المسيح الثاني القريب ومنحه الخلاص والرحمة للذين يؤمنون به وينتظرونه))[٢٢]. ويضيف بوش بأنه رغم علاقاتهم بجميع المذاهب الأخرى فإن مبادئهم الغريبة كانت من دعوة شخص اسمه ويليم ميلر الذي ينتمي إلى الكنيسة المعمدانية في لوها مبتون في نيويورك))[٢٣].

كانت الصلة الرئيسية لهذه الفئات الألفية بالموقف الأمريكي من الشرق والأراضي المقدسة على الأخص، هي نتيجة موقفهم الخاص من الشعب

اليهودي يتبوأ اليهود– حسب المبادئ الأساسية لمذهب الألفيين– مكانة مركزية في المملكة الثانية، وكان جمعهم من الشتات شرطاً أساسياً للمجيء الثاني. ويسرد «القاموس» المبادئ التي يؤمن بها معظم الألفيين:

«يعتقد البعض بأن الفكرة الألفية ما هي إلا احتفاظ المسيحية بالاعتقاد اليهودي بمجيء المسيح المبكر، واستعادة القدس وإعادة أعمارها. ويشمل هذا الاعتقاد بمملكة أرضية جمع اليهود من الشتات. كما يطبقون مبدأ الخلاص هذا على بعض الأمميين»[٢٤]. اعتقد الكثيرون من قادة هذه المجموعات الألفية بأن الوقت قد حان لمجيء المسيح، إلا أن ميلر كان أكثر دقة في تحديد موعد لهذا الحدث.

من أكبر هذه المجموعات الألفية الأمريكية المنشأ مذهب المورمون الذي أسسه رجل اسمه جوزيف سميث في النصف الأول من القرن التاسع عشر.

مذهب المورمون

قصص أساطير إسرائيل هذه، إذن، استعملت رمزاً للأمة الفتية كما رأينا في التاريخ الفكري الأمريكي المبكر وحتى أواسط القرن التاسع عشر. لكن هذه الأساطير لعبت دوراً في الحياة الأمريكية الدينية اليومية أيضاً. من ذلك استعمال قصص الأساطير المقدسة النبوئية في وسط أمريكي ديني المنشأ وهو مذهب المورمون (Mormon Church) ولقبها الرسمي «كنيسة عيسى المسيح لقديسي اليوم الأخير» (The Church of Jesus Christ of Latter-Day Saints).

أنشئت هذه الكنيسة في النصف الأول من القرن التاسع عشر، وكان تطورها المبكر يتصف بالغموض وباضطهاد الكنائس السائدة آنذاك والسلطات المحلية لها. لكن ما إن حل عام ١٨٧٧ حتى كان عدد أتباعها قد بلغ (١٤٠,٠٠٠) عضواً يتوزعون على (٣٥٠) مستوطنة وبلدة. والجدير بالذكر

أن هذا المذهب حسب إحصاءات أخيرة هو من أكثر المذاهب ازدياداً في أمريكا اليوم.

مؤسس هذا المذهب هو شخص اسمه جوزيف سميث (١٨٠٥-١٨٤٤) (Joseph Smith) الذي نشأ في ولاية نيويورك في النصف الأول من القرن التاسع عشر. وهي الفترة التي تلت استقلال أمريكا. أثار قلق سميث الجدال والحماس الدينيين الكبيرين اللذين كانا سائدين في فترة شبابه، ولم يجد في المذاهب والفرق الدينية المعاصرة إجابات عن أسئلة كانت تراوده عن الدين. ادعى بعد ذلك أنه جاءه في الحلم «الأب والابن» ونصحاه ألا يأبه بهذه المذاهب، وبشراه بأنه سيكون له شأن كبير في مستقبل المسيحية. ثم أتاه في حلم آخر ملاك اسمه موروني (Moroni) ونبأه أن الله اختاره نبياً لحمل الرسالة المقدسة إلى العالم. أخبره موروني أن ألواح الدين الصحيح التي حملتها القبيلة الإسرائيلية التائهة (المفقودة) مخبأة تحت صخرة في تلة معينة في ولاية نيويورك. ذهب سميث إلى ذلك المكان حيث وجد الألواح ومعها «نظارة ترجمة» خاصة بها. استعمل سميث تلك النظارة وترجم بواسطتها نصوص تلك الألواح إلى اللغة الإنجليزية وأصبح هذا الكتاب هو الكتاب المقدس لدى مذهب المورمون، ويسمى «كتاب المورمون» (The Book of Mormon). ادعى سميث بعد ذلك أن الألواح فقدت، لكنه عرضها على ثمانية من أتباعه المخلصين قبل فقدانها ووقع هؤلاء الأشخاص على وثيقة بذلك، وهي تتصدر كل طبعات كتاب المورمون.

طبع كتاب المورمون عام ١٨٣٠ وهو خليط غريب من نصوص العهد القديم والأساطير الشعبية والمعتقدات المعاصرة الرائجة.

يقول الكتاب إن القبيلة الإسرائيلية الثانية عشرة استقرت في القارة الشمالية وأتت معها بهذه الألواح وإن سكان أمريكا الأصليين هم بقايا هذه القبيلة.

وكتاب المورمون يحكي قصص بني إسرائيل وأنبيائهم وعهد الله معهم وتاريخ الأمة الإسرائيلية، بما يتناسب مع تفكير جوزيف سميث والأوضاع الأمريكية المعاصرة. وهكذا نقل هذا المذهب فكرة أرض الميعاد وأسبغها على أمريكا في بيئة دينية شهدت ظهور عدد من الحركات والمذاهب الدينية تؤمن بإعادة إنشاء مملكة الله على تلة صهيون وتأسيس إسرائيل الجديدة. ادعى سميث أنه رسول الله وأن رسالته تشمل إعادة بناء الهيكل في قدس جديدة في أمريكا.

بعد أن تعرض أتباع مذهب المورمون للسخرية والاضطهاد حيثما حل بهم المقام، وبعد أن قتل سميث وأخوه في سجن في مدينة كارتج، قادهم زعيمهم الجديد بريغام يونغ (Brigham Young) إلى حيث يستطيعون العثور على ((صهيون الجديدة في القفار)). انتهى بهم المطاف في منطقة سوت ليك سيتي بولاية يوتا (Salt Lake City, Utah) حيث استقروا وشيدوا ((هيكل القدس الجديدة)) الذي ما زال المركز الرئيسي لأتباع هذا المذهب. وكان استقرار المورمون في مدينة سولت ليك بالنسبة لهم تحقيق معجزة سماوية دعمت ((رؤيا صهيون)) في تفكيرهم الديني وجعلتهم يكرسون أنفسهم لتحقيق نبوءة إعادة تشييد الهيكل. وهيكل كنيسة المورمون في سولت ليك سيتي هو نموذج معماري جميل. وقد عبر أحد زوار الهيكل في منتصف القرن التاسع عشر عن دهشته وإعجابه بهذا الصرح قائلاً: ((إن المرء ليغفر لسكان هذا المكان حماسهم وإيمانهم بهيكل القدس الجديدة هذا، فهم ينظرون إليه بعين النبوءات الكتابية، ولا عجب في ذلك لأن الهيكل يذكرنا بهيكل القدس القديمة)).

في كتاب المورمون (الفصل الثالث عشر، ص ٥١٢-٥١٣) تتحدث إستر (Esther) عن ((قدس جديدة ستنشأ في أمريكا))، وتصف هذه المدينة مراراً على أنها ((الموقع المعد للقدس الجديدة التي ستهبط من السماء وتكون موئل الرب وحرمه)).

ومع أن أتباع كنيسة المورمون لا يعتبرون أنفسهم من البروتستانت ويؤرخون لبدايتهم في العهد القديم، إلا أن ((قدسهم الجديدة)) ليست في نظرهم بديلاً ((للقدس القديمة)) و((لمملكة صهيون)) التي وردت في النبوءات. بل إن مذهب المورمون يصر على أن جمع شتات اليهود في فلسطين سيحدث لا محالة تحقيقاً لنبوءات النصوص المقدسة. وفي كتاب المورمون تقول إستر: ((لكن القدس القديمة أيضاً ستأتي وسيبارك الله سكانها لأنهم شركاء في العهد الذي قطعه الرب على نفسه لأبيهم إبراهيم)).

كما تجدر الإشارة إلى جماعة دينية أخرى تؤمن بالألفية وقدوم مملكة الله وهي الجماعة المسماة ((بالهزازين)) (Shakers). إلا أن هذه المجموعة كانت تؤمن بمجيء المسيح على المستوى الروحي، ولم تحدد موعداً لفكرة إعادة بناء الهيكل. نادى الهزازون بقرب عودة المسيح ودعوا المسيحيين المؤمنين للإعداد لدخول مملكته.

ومع حلول النصف الثاني من القرن التاسع عشر ازدادت أعداد المجموعات الألفية وأعداد أتباعها. صدرت عن هذه المجموعات مئات الكتب والمواعظ والمقالات والدوريات واحتدم الجدال بين المؤمنين بالألفية الأرضية وخصومهم. علق جورج بوش في ((القاموس)) على ذلك بقوله: ((هنالك أربعة أو خمسة ملايين كتاب ومقالة أثناء السنوات الثلاث الماضية في أمريكا والمناطق البريطانية وغيرها حيثما كانت اللغة الإنجليزية سائدة. كما يوجد الآن في الولايات المتحدة خمس دوريات أسبوعية مكرسة لنشر هذا المذهب، واثنتان في كندا.

وتوجد أعداد كبيرة من الجماعات الدينية من المجيئيين في معظم الولايات الشرقية والشمالية والوسطى))[٢٥].

بينما كانت بعض هذه الحركات الألفية تؤمن بتفسير حرفي للنبوءات الكتابية حول المجيء الثاني، ألح بعضها على التفسير المجازي. وكان معظم

الحرفيين يعتبرون الأراضي المقدسة -خاصة جبل صهيون المطل على القدس- الموقع الجغرافي لحدث المجيء الثاني. من جهة أخرى، فإن قلة من هذه المجموعات تقول بموقع للمجيء في الولايات المتحدة الأمريكية. في جميع الأحوال أخذت أمريكا مكانة مرموقة بوصفها «إسرائيل الله»، مع أن التعبير المجازي شهد تحولاً في التفكير الألفي إلى الموقع الجغرافي في «أرض الميعاد». إذ إن أمريكا كان مقدراً لها في كل الأحوال أن تتقيد «بعهدها مع الله» وتلعب دوراً رئيسياً في خطة الله لإعادة بناء مملكته في القدس الجديدة. وكان العديد من الأمريكيين مستعدين لحمل تلك المسؤولية.

آيات الساعة والعالم الإسلامي

كانت الإشارة إلى علامات الساعة ترد في الكثير من المواعظ والخطب والأعمال الأدبية. فدستور «جمعية الكتاب المقدس الأمريكية» مثلاً، أعلن أن «كل شخص حكيم قد لاحظ أن هذا الزمان يحفل بالأحداث العظيمة، فعالم السياسة قد شهد تحولات وانقلابات رائعة صممت لجعل أصحاب الحكمة يؤمنون بتوقعات عظيمة». كما لاحظ الدستور أن «هذه التوقعات قد استثارت أمتنا لحمل مسؤولياتها بنشر كلمة الحق الواحد كما أتى بها ابنه. وما من مشهد أكثر روعة من مشهد أمة تبذل كل إيمانها ومهاراتها وكنوزها من أجل مملكة المخلّص وهي مملكة الفضيلة والسلام»[٢٦].

رأى الألفيون علامات الساعة في الظواهر الطبيعية والأحداث السياسية الدولية، خاصة المتصلة بالعالم الإسلامي. وغالباً ما كان الألفيون يتخذون وضع الإمبراطورية العثمانية مثالاً واضحاً على قرب المجيء الثاني. فمثلاً نجد جورج بوش يتحدث عن موعد تقريبي لهذا الحدث العظيم في ضوء النبوءات الكتابية حيث يقول:

((إن الأشهر الخمسة، والساعة، واليوم، والشهر، والسنة، أي ما يذكره سفر الرؤيا (١٠) في الرقم ٥٤١ سنة و ١٥ يوماً يمكن أن تكون قد بدأت منذ دخول مؤسس الدولة العثمانية إلى نيكوميديا، وهي مقاطعة يونانية، لكي يبدأ حروبه في ٢٧ تموز عام ١٢٩٩. وقد انتهت هذه الفترة في ١١ آب عام ١٨٤٠. وهو يوم أرسل الحلفاء إنذارهم النهائي لمحمد علي فوضعوا موعداً لنهاية الإمبراطورية العثمانية))[٢٧].

كانت النظرة الأكثر شمولية لتاريخ الإسلام في ظل النبوءات هي تلك التي قدمها هنري جيسب (Henry Jessup) وهو نموذج المبشر الأمريكي في العالم الإسلامي. نظرة جيسب الكونية للعالم تمثل كل حدث في التاريخ في سياق خطة مسبقة وضعها الله للكون من بدء الخليقة حتى نهاية الزمان، حيث تسود الأرض مملكة المسيح. فهو يقول إن كل الأحداث والثورات والتحولات والحروب في الألفي سنة الأخيرة ما هي إلا وسائل للإسراع بمجيء مملكة الله. ويضيف جيسب في موعظة عام ١٨٨٤ في إحدى زياراته لأمريكا من الشرق حيث أمضى (٥٣ سنة) بأنه على الرغم من المشككين بقيمة التبشير فهو يؤمن بأن ((عربة الله المنتصرة سوف تتقدم لأن مملكة الله هي نتيجة تطور ونمو من المستويات الدنيا إلى المستويات العليا، من الأسس إلى الأبراج، من البذرة إلى الثمار، من النبوءات إلى تحقيقها))[٢٨].

ويضمن تقدم وتطور مملكة الله هذه كل الأحداث في تاريخ الإسلام. في الواقع يعتقد جيسب بأن نشوء الإسلام وتطوره وإبادته القريبة هي كلها عناصر في تحقيق نبوءات الخطة الإلهية. يتضح هذا من نظرة واحدة إلى عنوان أحد أعمال جيسب المحببة إلى قلبه وهو: ((أفول الهلال وبزوغ الصليب: قصة كامل عبد المسيح)) (١٨٩٨)، كما أن جيسب يعطي صورة أكثر تفصيلاً لهذا الموضوع في كتابه ((مشكلة التبشير المحمدية)) (The Mohammedan

Missionary Problem 1879) . يرى جيسب يد العناية الإلهية في تزامن حدثين تاريخيين عظيمين وقعا في القرن السابع، وفي علاقة هذين الحدثين ببعضهما وتأثيرهما على مستقبل البشرية وظهور مملكة المسيح في الأرض. هذان الحدثان هما نشوء الدين الإسلامي وما يصفه جيسب بـ ((مَسيْحَة العرق الأنجلو ساكسوني في بريطانيا)). كما أن أحداثاً أخرى في تاريخ الإسلام كانت ضمن خطة الله لعودة المسيح. أحد هذه الأحداث هو هزيمة الجيش الإسلامي على يد جيوش فرديناند في غرناطة عام ١٤٩٢ وهي التي أدت إلى إبادة المسلمين في الأندلس أو طردهم منها. يقول جيسب إن عام ١٤٩٢ هو العام الذي شهد أيضاً اكتشاف كولومبس لأمريكا مما أدى إلى توسع وانتشار العرق الأنجلو ساكسوني المسيحي في مناطق أخرى من العالم. (أصداء مدهشة لكريستوفر كولومبس!!).

ويضيف جيسب أن أحداثاً أخرى في تاريخ الإسلام التي قد تبدو ضارة للمسيحية والعالم المسيحي هي في الواقع جزء من خطة الإله تمهيداً لمجيء المسيح ومملكته. فحرب القرم مثلاً التي ((استهلكت قدرات الإمبراطورية التركية لمدة طويلة وأثارت التطرف الإسلامي وهددت بإعاقة عجلة التمدن والحرية والنور، حققت في الواقع ضماناً وحماية للحرية المدنية للمجموعات التبشيرية في تركيا، وأعطت إنجلترا الحق بالتدخل لحماية هذه المجموعات)) [٢٩]. كما يعتقد جيسب أن الصراعات الدينية التي وقعت في سورية والتي شكلت خطراً على الأقليات المسيحية، كانت عاملاً في إعطاء هذه الأقليات قدراً أكبر من الحرية والحماية. ويعطي جيسب مثالاً أكبر أثراً على قدوم مملكة الله وهو ثورة عرابي في مصر عام ١٨٨٢، إذ يقول:

((ثارت ثائرة التطرف الإسلامي مرة أخرى وسالت دماء المسيحيين في شوارع الإسكندرية، إلا أن تدخل إنجلترا وهزيمة ثورة عرابي وضعت حداً

للحماس الإسلامي وحطمت آمال أي اتحاد إسلامي كان سيشكل خطراً على تقدم الحضارة في الشرق. وما هذا كله سوى دليل لا شك فيه على عمل يد الله الحكيمة ومشيئته التي تحكم كل شيء لتحقيق مجده))[٣٠].

المبشرون الأمريكيون وإعادة بناء القدس الجديد

في العديد من الأوساط الدينية، خاصة في المؤسسة التبشيرية، جرت محاولات للعثور في التجربة الأمريكية على تحقيق النبوءات المتعلقة بإعادة بناء القدس الجديدة. فمثلاً في موعظة عنوانها ((أرض الميعاد)) ألقاها القس هيمان همفري يوم ٢٩ أيلول عام ١٨١٩، نجد محاولة لإيجاد تماثل بين أمريكا والنبوءة. يبدأ همفري موعظته بالنص الكتابي (يشوع ١ :١٣) ((امتلاك الأرض)) والنبوءات والعهود الكتابية هي علامة واضحة بالنسبة لهمفري ومعاصريه وللمؤسسة التبشيرية بصورة عامة. وتبين الموعظة التعلق الشديد بالفكرة الصهيونية وحلم ((غزو أرض كنعان)) اللذين كانا يراودان الجماعات الألفية والتبشيرية في أمريكا منذ بدايات القرن التاسع عشر.

حمل همفري المؤسسة التبشيرية مسؤولية تحقيق ذلك الحلم، إذ يقول: ((إن الله، حاكم هذا العالم ومالكه، وجد من المناسب إعطاء كل أرض كنعان لإبراهيم ونسله ميراثاً أزلياً. وقد كرر هذا الوعد وأكده مرة تلو الأخرى لإسحاق ويعقوب لأنهما وارثين لهذا العهد. لكن هذا العهد لم ينفذ فوراً، بل سمح الله للكنعانيين أن يملؤوا الأرض بآثامهم وجعل الإسرائيليين يعانون في الأسر في مصر، حتى قضى الله لموسى أن يعود بهم عبر سيناء ويقف على قمة الجبل الذي يطل على أراضي الأردن الخصبة ويضحي بحياته. لكنه قبل ذلك سلم الراية والعهد بأمر من الله إلى يشوع لينفذ أوامر الإله)).

ثم يروي همفري قصة بطولات يشوع في غزو أرض كنعان والمطالبة بميراثه

الشرعي الموعود. وبعد ذلك عندما تقدمت به السن وزع الأرض على شعبه وحث أتباعه على طرد الجاهليين منها. لكن همفري ينهي الموعظة بتعداد الأراضي التي ((ما زال على المسيحيين امتلاكها)).

((فالمساحات الشاسعة من أملاك الكنيسة ما زالت تحت سيطرة الكفار... والمسيحية اليوم تملك القوة والموارد التي ستمكنها باسم الله ودون تأجيل أن ترفع علمها في كل أرض يحتلها الكفار. وما من شك أن علامات وآيات مقدسة تظهر كل يوم تدل على أن المؤسسة التبشيرية هي صاحب هذه المهمة)).

يذكر همفري المصلين في كنيسته بأهمية وعجالة المهمة المقدسة التي تحملها الكنيسة في أمريكا، قائلاً لهم بأن الجبل الذي تقف عليه الكنيسة يشرف على الأراضي المقدسة. وهكذا فقد كان استعمال تعبير ((الكنيسة على الجبل)) يتراوح بين المعنى الحرفي للأراضي المقدسة والمعنى المجازي العام بالمهمة الهائلة التي تقع على عاتق الكنيسة وهو ((هداية العالم كله)). ويصبح التعبير أكثر حدة في استعمال همفري في سياق الكتاب المقدس حيث تتخذ الكنيسة صفة جبل صهيون نفسه وهي تخاطب رعاياها : ((لسوف تنتظرني الجزر، وسفن المحيطات سوف تأتي بأبنائي من كل مكان بعيد إلى اسم الله ربك وإلى رب إسرائيل))[٣١].

ويضيف همفري بأن الآلاف من الناس يلبون دعوة الكنيسة ويهرعون لمساعدة الرب ينادون بصوت واحد:

((من أجل صهيون لن نلزم الصمت

ومن أجل القدس لن نخلد إلى الراحة))

ترددت أصداء هذه الدعوة في الأوساط التبشيرية وراح المبشرون يحاولون أن يهدوا الكفرة والمسلمين إلى نور الكتاب المقدس، وكان تحقيق حلم صهيون

هدفهم النهائي. كان معظم المبشرين مؤمنين بهذا الهدف بل أعطى بعضهم الأولوية لجمع شتات اليهود وإعادة بناء القدس.

قال أحد مشاهير المبشرين الأمريكيين، وهو الدكتور جون باركلي (John Barclay) في كتاب عنوانه ((مدينة الملك العظيم: القدس كما كانت وكما هي عليه الآن وكما يجب أن تكون في المستقبل (:The City of the Great King Jerusalem As It Was, As It Is, and As It Is To Be, 1858) : ((إن جمعية التبشير المسيحية الأمريكية (التي تعمل تحت رعايتها بعثة التبشير في القدس) في مبادرتها لتنفيذ المشروع التبشيري، قررت بالإجماع (وبحكمة واعية) حسب تقاليد تلامذة المسيح أن تمنح الخلاص لإسرائيل، والشعب النبيل الذي انبثقت منه –لأن القدس هي لليهود))[٣٢].

يبني باركلي حكمه هذا على خطاب المسيح للكافر السوري الفينيقي حينما قال له ((لم أرسل إلا لقطعان الغنم التائهة من بيت إسرائيل)). حسب رواية باركلي، نظر المسيح إلى المدينة العظيمة وصرخ: ((أيها القدس، أيها القدس، كم تمنيت أن أجمع أولادك إليك كما تجمع الدجاجة صغارها)) كانت تعليمات المسيح لتلامذته الاثني عشرة أن ((اذهبوا لا إلى الأمميين، ولكن لقطعان الغنم التائهة من بيت إسرائيل)). وكان المبشرون المكلفون من المسيح يحملون مسؤولية ((الدعوة إليه أولاً في يهودا بدءاً من القدس)). كما أضاف باركلي بأن تصرفات تلامذة المسيح دلت على أفضلية اليهود، خاصة القديس بولس الذي قال: ((إن دعواتي وتمنياتي القلبية إلى الله هي كلها لإسرائيل)).

لذلك فقد أدرك باركلي كما أدركت المؤسسة التبشيرية الأمريكية مسؤوليتها نحو تحقيق هذا الهدف. وهكذا فإن الزعيم الديني صموئيل ووستر (Samuel Worcester) قدم ((الخطابين في التبشير)) حول استمرارية وأبدية عهد الله مع إبراهيم ونسله بهذا النداء:

((يا أبناء إسرائيل عباد الله، ويا أبناء يعقوب شعبه المختار! تذكروا دوماً عهده: الكلمات التي أمر بها آلاف الأجيال، العهد الذي أعطاه لإبراهيم، وقسمه الذي أعطاه لإسحاق، وأكد ذلك ليعقوب في الناموس، ولإسرائيل في عهد أزلي، أن الأمميين سيكونون رفقاء في الميراث ومشاركين في الوعد، في المسيح، في الكتاب)).

يبين هذا موقع المسيحيين حسب اعتقاد المبشرين في عهد الله لإبراهيم ونسله، ومسؤوليتهم لتحقيق ذلك العهد. أن الموقع الجغرافي لأرض الميعاد لم يكن ((مملكة الله في أمريكا)) بالنسبة للمبشرين، بل كانوا منذ بداية مشروعهم ينظرون إلى القدس القديمة في الأراضي المقدسة. ففي عام ١٨١٩، أعطى موسى ستيوارت (Moses Stuart) موعظة في حفل تكريس بعض المبشرين الذين كانوا يعدون العدة للسفر إلى الشرق العربي: ((ألن تعود أيام السعادة لانتصار المسيحية إلى الأرض، ولرفع آمال أحباء صهيون))، ثم دعا ستيوارت المبشرين ((للذهاب إلى القدس ورفع علم الصليب هناك ثانية))[٣٣].

المستوطنون الأمريكيون في الأراضي المقدسة

ولم يكن المبشرون وحدهم يعملون من أجل صهيون. فقد حفزت حركات الحماس الديني في أمريكا معظم اليمينيين وحتى المعتدلين للإعداد لنزول مملكة الله في الأراضي المقدسة. غادرت جماعات أمريكية في القرن التاسع عشر إلى الأراضي المقدسة لإنشاء مستوطنات هناك انتظاراً للحدث الكبير، وانطلقت أنشطة كثيرة مبنية على القراءة الحرفية للكتاب المقدس ولنبوءاته. وهنالك العديد من الإشارات في كتابات الرحالة إلى مستوطنات أمريكية في الأراضي المقدسة تنتظر مجيء المسيح.

إحدى هذه الإشارات ترد في كتاب الرحالة روبرت بار (Robert Barr,1900) الذي التقى في القدس بمجموعة من المستوطنين الأمريكيين بقيادة

رولو فلويد. ويعلق بار بسخرية على «عبقرية الأمة الأمريكية التي تخترع أموراً جديدة باستمرار». فبعد أن فرغت من جميع الاختراعات العلمية، كما يقول بار، التفتت إلى اختراع جميع الأديان الموجودة في العالم. فبينما يكتفي الشرق بدين واحد أو دينين، يوجد في الغرب الأمريكي المئات، فهنالك مذهب المورمون، والمذهب الروحي، ومذهب الهزازين، وعشرات غيرها.

ثم يسرد بار قصة هذه المستوطنة الأمريكية فيقول:

بعد أن تأكدت مجموعة من هؤلاء الأمريكيين أن مجيء المسيح أصبح وشيكاً وسيكون في الأراضي المقدسة قرروا أن عليهم أن يكونوا في استقباله لكي ينضموا إلى مملكته. وهكذا اجتمع عدد من هؤلاء وجمعوا من الأموال ما يكفي لتجهيز سفينة، وساعدهم في الإجراءات القنصل الأمريكي في فلسطين، وهو كما يقول بار، شخص يهودي، أخذ منهم أموالاً مقابل خدماته.

كما تذكر الرحالة الأمريكية الشابة آني شو (Annie Shaw 1898) زيارة للأراضي المقدسة مع عمها وأختها، حيث زاروا «المستوطنة الأمريكية التي كان أعضاؤها ينتظرون مجيء المسيح وتحقيق نبوءة إعادة بناء القدس»[٣٤].

كان الرحالة والدبلوماسيون والمبشرون يعبرون عن إعجابهم بالإيمان العميق والالتزام الذين كان المستوطنون يتحلون بهما. يذكر الدكتور جون باركلي، مؤلف كتاب «مدينة الملك العظيم» بأن تكريس المستوطنين ونكران الذات في تصرفاتهم هما أمر لاحظه في لقاءاته في عدة مستوطنات أمريكية وأوروبية في الأراضي المقدسة. وهو يقول إن سلوك المستوطنين في المستوطنة التي «أنشأتها المرحومة السيدةماينر يتصف بحماس وتواضع شديدين». ويضيف باركلي بأن هذه المستوطنة ليست أمراً نادراً في الأراضي المقدسة.

ولعل تجربة سيدة أمريكية أخرى اسمها ليديا ماريا شولر هي نموذج لهذا السلوك. كتبت شولر سلسلة من الرسائل إلى أقاربها وأصدقائها، نشر بعضها

في دوريات أمريكية، خاصة المجلة الدينية ((زائر الكتاب المقدس)) (Gospel Visitor)، تحدثت فيها عن تجربتها الاستيطانية في القدس، وشرحت بلغة بسيطة، لكنها مؤثرة وصادقة، العناصر الهامة في معتقداتها التي دعتها إلى الهجرة من أمريكا والاستيطان في فلسطين. كما يجد المرء في هذه الرسائل تعبيراً عن المذاهب التي كانت قد ظهرت في أمريكا في تلك الفترة مثل المحيئيين والألفيين وأتباع ميلر (الميلريين) وغيرهم، وخاصة فيما يتعلق بانتظار عودة المسيح إلى جبل صهيون المطل على القدس.

كتبت شولر رسالة إلى ((أخي في المسيح)) بتاريخ ١٨٥٤/٥/١٠ من ((سهول شارون)) تقول فيها:

((تسألني عن الأسباب التي حفزتني على هجر أبي وأمي وأخي وأخواتي وأصدقائي، وآتي إلى هذه الأرض. عندما شعرت بعبء الخطايا التي اقترفتها، ولم أجد أحداً يستطيع أن يزيح هذا العبء عن صدري سوى ذلك الذي روى بدمه هذه الأرض، ناداني وقال لي : تعالي وسأمنحك الراحة والخلاص. وبالفعل وجدته دواءً لروحي. عندئذ وضعت نفسي وكل ما أملك وكل ما هو عزيز لدي، ونذرت نفسي لخدمة إرادة الرب ولأكون وسيلة بيده))[٣٥].

وتستمر شولر بسرد قصة تأثرها القوي بالقراءة الحرفية لنبوءات الكتاب المقدس، وقناعتها بواجب الأمميين تجاه إعادة صهيون ((إلى قطيع رب الكتاب)). وبواسطة علاقتها مع مجموعة دينية في فيلادلفيا استطاعت أن تشرع في رحلتها إلى الأراضي المقدسة لكي تساهم بمعالجة ما تسميه ((آلام اليهود)).

بعد ذلك بخمس سنوات نجد ليديا ماريا شولر ما زالت تعمل ((من أجل صهيون)) في القدس. بل لم تزدها السنون إلا حماساً وتكريساً لهذا الهدف. كان اعتقادها بقرب الألفية يحفزها على العمل من أجل حكم المسيح في مملكته الألفية من القدس ومن الهيكل بالذات. ففي تموز عام ١٨٥٩ تشرح شولر في

رسالة كتبتها من القدس الأوضاع السائدة في الأراضي المقدسة والآيات التي تتنبأ بقرب نزول تلك المملكة. كان الشرط الرئيسي لتحقيق تلك النبوءة هو «إعادة اليهود إلى فلسطين». مما جعل شولر تنظر إلى الأماكن المقدسة لدى اليهود نظرة خاصة. فهي تقول مثلاً في حائط المبكى: «إن حائط المبكى لدى اليهود في القدس هو أكثر الأماكن إثارة لعواطف وأحاسيس الشخص المؤمن. ولقد أخذني دليلي عبر الحواري والأزقة الضيقة إلى ساحة قرب الجسر حيث كان أخباء صهيون يعبرون لكي يعبدوا الله على جبل الهيكل. وفي أسفل الجبل كان اليهود يضعون بين شقوق الأحجار القديمة صلواتهم ودعاءهم آملين في إعادة إعمار الهيكل والانتصار القريب في القدس».

وتبين رسائل وكتابات شولر وغيرها حرص الأمريكيين في القدس على دعم اليهود في «استعادة» الأرض التي «دنّسها المحتلون» والتي هي ميراثهم الشرعي.

وعائلة سبافورد، الزوج هوراشيو والزوجة آنا، غادرا أمريكا إلى فلسطين عام ١٨٨١ حيث أنشؤوا مستوطنة في القدس وانضم إليهم عدد من الأمريكيين. قال هؤلاء المستوطنون: «أردنا أن نكون هناك حيث نستطيع أن نرى بأم أعيننا تحقيق النبوءات». وكان هؤلاء المستوطنون يذهبون إلى جبل الزيتون كل صباح يحملون المرطبات والفطائر آملين أن يقابلوا المسيح عند عودته لكي يقدموا له المرطبات.

على خطى بني إسرائيل

مع حلول النصف الثاني من القرن التاسع عشر أصبح التحول في رؤيا صهيون الأمريكية من الجغرافيا الرمزية إلى الجغرافيا الواقعية واضحاً ومستمراً. ويتضح من الأعداد الكبيرة من الرحالة الأمريكيين وسلوكهم في الشرق العربي

ورسائلهم وأعمالهم المنشورة أن أغلبيتهم كانت تؤمن بمعتقدات شولر والمستوطنين وتسعى إلى تحقيق النبوءات الكتابية. ولقد توفرت لي فرصة الاطلاع على نحو خمس مئة عمل مطبوع بأقلام الرحالة الأمريكيين إلى الشرق العربي في القرن التاسع عشر، إضافة إلى مئات المقالات والرسائل والمخطوطات- وكانت غالبية الأعمال تبين اهتماماً كبيراً بهذه المعتقدات والتزاماً بتحقيقها.

وعلى سبيل المثال، كتب ناشر كتاب جون باركلي ((مدينة الملك العظيم)) في إعلانه عن الكتاب وفي محاولة للترويج له ((إن الجمهور سوف يتلقف هذا العمل الرائع لأنه سيجد فيه الكثير مما تهتم به مختلف طبقات المجتمع وخاصة الفئات الدينية، من أولئك الذين يرون العناية الإلهية في تاريخ إسرائيل ومصيرها وبقية الأمم التي اتصلت بها لأكثر من ثلاثة آلاف عام))[٣٦].

وبالفعل كانت أعداد كبيرة من الأمريكيين مهتمة بتاريخ إسرائيل ومصيرها. ونحن نجد مثلاً جانباً هاماً من هذا المعتقد في إصرار كثير من الرحالة الأمريكيين على أخذ ((طريق الإسرائيليين من مصر إلى فلسطين)) في رحلاتهم هذه. ويعلن هؤلاء الرحالة بوضوح أن أحد الأمور الأساسية في رحلتهم هو المضي ((على خطى بني إسرائيل)) إلى أرض كنعان. أراد الأمريكيون أن يكتشفوا الطريق بأنفسهم رغم كل الصعوبات والمخاطر التي كانت أحياناً تحف بهذه الطريق. كان صموئيل كولكورد بارتليت، رجل الدين المعروف ورئيس جامعة دارتموث، قد أجرى أبحاثاً متعمقة فيما يتعلق بالطريق التي سلكها الإسرائيليون وذلك قبل أن يشرع برحلته. ولقد لخص نتيجة هذه الأبحاث في عنوان الكتاب الذي وضعه عن رحلته إلى الشرق العربي: ((من مصر إلى فلسطين عبر سيناء والأرض اليباب والمناطق الجنوبية: خواطر من رحلتي في إطار تاريخ الإسرائيليين)) (١٨٧٩).

وأمريكية أخرى، اسمها مارغريت بوتوم، مؤمنة بالقراءة الحرفية للنبوءات المقدسة متحمسة لها، وصفت رحلتها على خطى الإسرائيليين برسائل تقترب من العبادة الصوفية. هنالك أيضاً الأمريكي بيفرلي كارادين وكتابه ((رحلة إلى فلسطين)) (١٨٩١) الذي يبين إيمان رجل الدين من الجنوب الأمريكي في رحلته ((من مصر عبر سيناء إلى أرض الميعاد)).

استجاب كثير من الرحالة الأمريكيين في الشرق العربي لدعوة دينية لا تقاوم لتقفي أثر الإسرائيليين في رحلتهم إلى أرض الميعاد. قارن هؤلاء الرحالة، كما فعل أسلافهم المستوطنون الطهوريون، تجربتهم الأمريكية التاريخية بتجربة العبرانيين عندما عبروا سيناء والبحر الأحمر إلى أرض كنعان، كما قرؤوها في أسفار الكتاب المقدس. والواقع أن هذه الطريق إلى أرض كنعان كانت أكثر مراحل رحلة الحج الأمريكية إلى الأراضي المقدسة أهمية. وكانت هذه الطريق معبراً أخذه الرحالة الغربيون على ظهور الجمال والدواب على ما وصفوه بآثار رحلة الإسرائيليين. وكانت هذه الرحلة – التي تشكل عبئاً حتى على وسائل النقل الحديثة – شاقة جداً ومحفوفة بالأخطار في القرن التاسع عشر. مع ذلك فقد اعتبرها الكثير من الرحالة الأمريكيين جزءاً أساسياً من رحلتهم وأصروا على القيام بها. ففي شهر شباط عام ١٨٤٢ كتب تشارلز أدوين بورغ من القدس إلى أمه يصف شعوره حيال هذه الرحلة. فعلى الرغم من الأخطار المحيطة بالرحلة من القاهرة إلى العقبة قال بورغ إنه ورفقاءه كانوا متشوقين لأن يكونوا الرواد الأمريكيين الذين يعبرون صحراء سيناء وأراضي إدوميا بعد أن انقطع الرحالة عن استعمال تلك الطريق لمدة سنتين. ((كنت أدرك أن أحداً لم يسلك هذه الطريق منذ سنتين بسبب الأوضاع السائدة، لكنني قررت أنني قطعت مسافة طويلة جداً للوصول إلى هذا الموقع ولم أرد أن أصاب بخيبة الأمل. ورغم التقارير المخيفة التي جاءتنا قررنا أن الأمريكيين يجب أن يكونوا رواداً مرة ثانية في تتبع خطى بني إسرائيل عبر أراضي إدوميا))(٣٧).

بورغ وستيفن أولين وصموئيل بارتليت وغيرهم من الأمريكيين، كانوا حريصين جداً على أن يتأكدوا من المواقع الحقيقية على هذه الطريق. كتب بورغ رسالة إلى أبيه في ١٨٤٢/٣/٦ يعلمه فيها أنه وأصحابه لم يعبروا خليج السويس إلا حيث كانوا يعلمون أن الإسرائيليين طرقوا ذلك المعبر بالفعل. وحين وصلوا إلى الشاطئ الآسيوي نصبوا خيامهم وأمضوا ليلتهم، حيث يقول بورغ: ((استعرضنا آراء بعض كتابنا حول خروج الإسرائيليين. ثم في صباح اليوم التالي مشينا على الشاطئ لعدة أميال إلى وادٍ بين جبلين حيث يصفه معظم الناس أنه المكان الذي عبر منه العبرانيون وغرق جيش فرعون)).

وفي كانون الأول عام ١٨٤١ كان دافيد ميلارد في القاهرة يستعد للرحيل إلى فلسطين حين ((شاءت العناية الإلهية أن جاء أمريكيان من الصعيد وأخبراني أنهما يعدان العدة للذهاب إلى فلسطين عن طريق السويس فجبل سيناء فالعقبة فالبترا ثم إلى الخليل فالقدس)). لكن المنطقة كانت تشهد مناوشات بين القبائل، وحذرهم القنصل الأمريكي من خطر حرب أهلية. كان الأمريكيون مستعدين للمخاطرة بالرحلة على أن يفقدوا فرصة عبور سيناء على خطى بني إسرائيل. يقول ميلارد:

((كنت أنا أيضاً متشوقاً لتلك الطريق، فبالإضافة إلى أنها تقود إلى الأراضي المقدسة، فأنا أعتبرها بمواقعها النبوئية أكثر الأماكن أهمية في الأرض. فالطريق يشمل الأماكن التي عبرها الإسرائيليون في رحلتهم من مصر إلى أرض الميعاد. لذلك، وبعد التفكير في الموضوع، قررنا أن نسلك تلك الطريق))[٣٨].

وكان معظم الرحالة بالفعل يتوقفون في المواقع المذكورة في النصوص المقدسة لعلاقتها برحلة الإسرائيليين، كما أنهم كانوا يصطحبون معهم أعمال كبار علماء الآثار الكتابية إضافة إلى الكتاب المقدس لكي يتأكدوا من صحة تلك المواقع ((الجغرافية والتاريخية)). وفي كثير من الأحيان كان الرحالة، في بحثهم عن

((الحقيقة التاريخية والجغرافية)) ينقضون صحة ما يرونه على أرض الواقع من أسماء عربية للأماكن التي يتوقفون فيها، ويعطون تلك الأماكن أسماء من النصوص المقدسة ومن الأبحاث الكتابية ويستشهدون على ذلك بالكتاب وبالبحث الكتابي.

وحتى عندما يقرأ الرحالة في مصادر الأبحاث الكتابية الأثرية ما يشبه الشك بحرفية النصوص المقدسة، يسارعون إلى تكذيب تلك الأبحاث وترجيح النص الحرفي. من ذلك ما كتبه العالم الكتابي الأمريكي المعروف إدوارد روبنسون في تفسيره لمعجزة انشطار مياه البحر الأحمر قائلاً بأن عاصفة ريح عاتية تسببت في ذلك الانشطار وسمحت للإسرائيليين بالعبور. لكن الرحالة الأمريكيين أصروا على التفسير الحرفي المعجزي لتلك الحادثة، حيث قال أحدهم: ((إن الرياح الشرقية لم تكن لتستطيع جرف المياه نحو الجنوب لأن الخليج نفسه لا يقود المياه جنوباً. وحتى لو كان ذلك ممكناً فلم يكن ليتفق مع ما جاء في النص المقدس. لذلك لا بد أن يكون الإسرائيليون قد مروا بين جدارين من الماء تماماً كما نص الكتاب على ذلك)).

وفي كثير من الأحيان نقرأ في كتب الرحلات كيف يستغرق الرحالة في القراءة الحرفية للنصوص المقدسة حتى تحسبهم يعيشون بالفعل تجربة الإسرائيليين في تلك الرحلة إلى أرض الميعاد. فهم يرددون أثناء صلواتهم صباحاً ومساءً نصوص الكتاب المقدس –وخاصة العهد القديم – عن رحلة الإسرائيليين في المواقع المناسبة، ثم يتتبعون تلك المواقع محاولين التأكد من تطابقها مع النص المقدس. وكان الكثير من الرحالة يرددون نصوصاً معينة من الكتاب المقدس، فمثلاً نجد معظمهم يقرؤون في (سفر العدد: ٢٠): ((فارتحل بنو إسرائيل الجماعة كلها من قادش وأتوا إلى جبل هور. وكلم الرب موسى وهارون في جبل هور على تخوم أرض أدم قائلاً: يضم هارون إلى قومه لأنه لا يدخل الأرض التي

أعطيت لبني إسرائيل لأنكم عصيتم قولي عند ماء مريبة. خـذ هـارون والعـازار ابنه واصعد بهما إلى جبل هور واخلع عن هارون ثيابـه وألبسـها لابنـه العـازار. فيضم هارون ويموت هناك)).

وهكذا تصبح الرحلة من مصر إلى فلسطين للكثـير مـن الرحالـة الأمريكـيين رحلة على خطى الإسـرائيليين مشـفوعة بتـلاوة النصـوص المقدسـة عنـد المعـالم الرئيسية لتلك الرحلة.

ولعل صرخة الرحالة جون لويد ستيفنس عند أرض إدوميا في وجـه أولئـك المشككين بالقراءة الحرفية تعطـي فكـرة عـن الإيمـان التـام بتلـك القـراءة يقـول ستيفنس:

((تمنيت لو أن المشككين يقفون كما وقفت أنا في وسط خرائب تلك المدينـة وصخورها ويقرؤون في الكتاب المقدس ما خطتـه يـد الوحـي عـن هـذه المدينة عندما كانت أجمـل مـدن العـالم. إذن لوجـدت السـخرية تختفـي مـن شـفاههم ولوجدتهم يرتجفون من الرهبة حين تتحدث إليهم المدينة بصوت الوحي الإلهـي كما تحدثت إلي. ومع أنهم لا يصدقون موسى والأنبياء فسوف يـرون بـأعينهم آيات الله مرسومة على الأوابد والخرائب من حولهم))[٣٩].

وتنتهي المناقشة الوهمية بين ستيفنس والمشككين بحجة أخيرة يقدمها الرحالة إذ يقول: ((كنت وحدي هناك مع القديس بولس)).

حتى رجل الدين ستيفن أولين الذي كـان يصـف نفسـه بالمسـيحي المسـتنير والذي راقب باحتقار ((الطقوس الخرافية التي كانت حشود المسيحيين تؤديها في القدس أثناء موسم الحج))، كان إعجابه غير محدود بالمبشر ليدر الذي قال أولين ((أنه يعمل دون كلل في تنفيذ مسؤولياته بتتبع الأماكن التـي لهـا صلـة بالرحلـة إلى أرض الميعـاد)). ويقتفـي أولـين نفسـه خطـى ليـدر علّـه يقـوم برحلـة الحـج

بالشكل الصحيح ويحاول التأكد من المواقع التي حدثت فيها معجزة العبور في البحر الأحمر، وذلك لكي يتوصل إلى قرار ثابت يقيني حول ما يسميه «بالجغرافيا المقدسة»(٤٠).

مكانة اليهود في رؤيا صهيون

إن شعور السيدة الأمريكية ليديا ماريا شولر (والتي أشرنا إليها آنفاً) حيال الشعب اليهودي وأرض الميعاد كان هو الشعور السائد بين الأمريكيين، خاصة منهم الرحالة إلى الأراضي المقدسة. بل كان هذا الشعور جزءاً أساسياً من المعتقدات المسيحية الغربية التي عادة ما توصف بالتراث اليهودي- المسيحي. وأصبح من صفات الفكر الديني الأمريكي وبشكل تدريجي أثناء القرن التاسع عشر الإيمان بمكانة اليهود المقدسة في نظر الله وفي خطته للكون. فهم «الشعب المختار» و «أحباء الله» ومواطنو مملكة الله القادمة.

وقد حدث تحول كبير في رؤيا صهيون الأمريكية نتيجة الاتصال المباشر في القرن التاسع عشر بالأراضي المقدسة الجغرافية. ومع احتفاظ أمريكا بدورها الحاسم في تحقيق هذه المملكة، انتقلت رؤيا صهيون من الرمز -إسرائيل الأمريكية – إلى أرض إسرائيل التي وعد الله بإعطائها لشعبه المختار بعد أن يجتمع من الشتات. أصبحت أمريكا الأداة الإلهية في تحقيق تلك النبوءات والعهود. كان الاتصال المباشر بأرض الميعاد عاملاً قوياً في تحول رؤيا صهيون هذه من الجغرافيا الرمزية إلى الجغرافيا المقدسة، من أمريكا «المدينة على الجبل» في العالم الجديد إلى مدينة القدس الجديدة على جبل صهيون في أرض الميعاد. وبذلك أصبح الشعب اليهودي عنصراً هاماً في هذه الرؤيا لأنه صاحب الحق في هذه الأرض.

كانت الآراء الأمريكية في القرن التاسع عشر بشأن «عودة اليهود إلى أرضهم الشرعية» تتراوح بين حماس شديد والتزام بمساعدتهم وبين الفتور في

التفسير الحرفي للنصوص المقدسة. فالقاموس الديني (Theological Dictionary) مثلاً يقول في موضوع ((إعادة اليهود)): ((من قراءة النصوص الكتابية نعتقد بأن اليهود سوف يدعون للمشاركة ببركة ورحمة الله... ويعتقد البعض أنهم سوف يعودون إلى أرضهم الخاصة بهم)). كما يتبع القاموس هذه الفقرة بنصوص كثيرة من الكتاب المقدس، كدليل على صحة ذلك القول.

أما بالنسبة لتوقيت عودة اليهود، فلا يستطيع القاموس أن يجزم بذلك، فيقول: ((أما موعد عودة اليهود إلى أرضهم فهو أمر ليس مؤكداً، فالبعض يظن أنه سيكون عام (١٨٦٦) أو عام (٢٠١٦). لكن هذا لا يسهل تحديده، على أنه قد لا يحدث قبل سقوط المسيح الدجال والإمبراطورية العثمانية)) (٨٣). لكن ((دليل جميع الأديان)) يعبر عن رأي أكثر جزماً وتحديداً، إذ ينظر إلى ((أراضي يهودا والسامرة)) في ضوء ((الوعد الذي أعطي لليهود))، وفي النبوءات التي يتوقع ((الدليل)) أن تتحقق. ويلاحظ ((الدليل)) أن أكبر العقبات التي تقف في وجه تحقيق النبوءات والتي يجب التغلب عليها هو أن ((حصن صهيون يقع تحت سيطرة الأتراك والمحمديين))[٤١].

منذ أوائل القرن التاسع عشر نشأ في أمريكا عدد من الجمعيات والمنظمات والأنشطة التي تدعو إلى هداية اليهود إلى المسيحية كمرحلة في خطة إعادتهم إلى أرض الميعاد. وفي الواقع أن إحدى أوائل المشاريع التبشيرية في أمريكا كانت ((جمعية بوسطن النسائية لنشر المسيحية بين اليهود)). أرسلت هذه الجمعية القس هوزايا برور إلى الأراضي المقدسة لكي يستكشف حالة اليهود هناك والطريقة التي يجب اتباعها في هدايتهم.

إلا أنه مع مرور السنين لم تعد هداية اليهود شرطاً ضرورياً (عند اليمينيين المتطرفين في أمريكا) لعودة اليهود إلى أرض الميعاد. بل في الواقع شرع بعض هذه المنظمات باستعمال تعابير مثل ((تحسين)) و ((إصلاح)) أوضاع اليهود بدلاً

من ((هدايتهم)). وينصح((القاموس الديني))، مثلاً، المبشرين والأصوليين أن على المسيحيين أن ((لا يضعوا العوائق في طريق اليهود.فإذا نحن حاولنا أن نقوم بأي نشاط لهدايتهم، فلنجعل هذا النشاط على شكل حب وسلام ولنقترح عليهم المسيحية كما قدمها المسيح لهم. لنضع أمامهم النبوءات الخاصة بهم. ولنمتنع امتناعاً تاماً عن وضع الحدود لحقوقهم المدنية وعن الحجر على ضمائرهم)).

أما في الأراضي المقدسة فقد كان موقف الأمريكيين من اليهود موقف دعم وتعاطف مع ((محنتهم)) وحالة الشتات التي يعانون منها في أنحاء كثيرة من العالم. كما كان أيضاً موقف التزام تام بقضيتهم وقضية إسرائيل التي قرؤوها في النصوص النبوئية. لم تكن مشاعر الرحالة الأمريكيين التي أوردناها آنفاً محدودة بالأمريكية ليديا شولر وستيفن أولن وصموئيل بارتليت، بل كان معظم الأمريكيين يعبرون عن مشاعر وآراء مماثلة، فنجد مثلاً القس الأبيسكوبالي الأمريكي تشارلز آندروز يكتب إلى دورية دينية هي ((أبيسكوبيليان ريكوردر)) من القدس بتاريخ ١٨٤٢/٢/٢٥ فيصف ((قلة السكان الملحوظة في الأراضي المقدسة)). فالسكان الوحيدون الذين يراهم آندروز هناك هم ((قلة تعيسة من العرب مع قطعانهم في بلاد شاسعة وخصبة وجميلة)).

يهز المشهد ضمير آندروز ومشاعره الدينية وثقافته اليهودية – المسيحية الأمريكية فيشكو ((آلاف اليهود الذين أعطيت لهم هذه الأرض، يا للأسى، لا يوجد أحد من نسل هذا الشعب هنا. ولا شك أن هذا الوضع هو تحقيق للنبوءة. أليست إرادة الله أن تبقى هذه الأرض وحيدة مهجورة تنتظر قدوم شعبها الخاص؟ لقد طال بالفعل غياب هذا الشعب عن أرضه))[٤٢].

حتى المبشر هوزايا برور الذي أرسلته المنظمة النسائية من بوسطن لدراسة احتمالات عودة اليهود يلاحظ بتهكم واضح أن عدد اليهود الموجودين في إزمير بتركيا هو أكثر بكثير من عددهم في الأراضي المقدسة. لكنه يعترف بأن

النبوءات لا بد أن تتحقق ولا بد لحالة الشتات أن تنتهي حسب نصوص الكتاب المقدس.

كانت مشاعر وأفكار آندروز وغيره من الرحالة الأمريكيين جزءاً من الخطاب الديني في أمريكا والخاص برؤيا صهيون. عندما كان فريدرك بليس (المبشر والباحث المعروف) يكتب تاريخ «منظمة الاستكشاف الفلسطينية» (التي أسست بأمر من الملكة فيكتوريا) قال «إن تاريخ انتصارات العبرانيين وتأسيس المملكة اليهودية وتقسيمها بعد ذلك، وتعاظم قوة آشور وبعثرة القبائل الإسرائيلية في النفي... ثم عودة اليهود إلى وطنهم - كل ذلك كان حاضراً في ذهن وعلى لسان كل تلميذ من تلامذة مدارس الأحد الأمريكية»[٤٣].

ليس من الغريب إذن أن نجد الكثير من الرحالة والمبشرين في الأراضي المقدسة يعتبرون أن من واجبهم أن يزوروا المواقع المقدسة لدى اليهود مثل حائط المبكى والحي اليهودي في القدس. ويتبين للقارئ أن كتب الرحلات تزخر بذكر هذه المواقع وإضفاء هالة من القدسية والاحترام عليها.

حين كان القس الأمريكي لي سميث في رحلة حج على خطى بني إسرائيل من مصر إلى فلسطين، وصل إلى أرض كنعان وبادر فوراً «لزيارة القدس على الطريقة الأمريكية». كما يعبر هو عن ذلك. زار سميث ومجموعته كنيسة القيامة لكنه لم يصدق أبداً أن هذا المكان يمكن أن يكون موقع صلب المسيح وعودته نظراً لما رآه من ممارسات المسيحيين فيها. وكان مصدر ارتياح لسميث أن يصرح بأن «مالكي الكنيسة هم من اللاتين والكاثوليك اليونان والأرمن وليس من البروتستانت. فالجنود الأتراك هم الذين يحافظون على النظام والسلام في الكنيسة بين أتباع هذه المذاهب، وهم يتفرجون على التهريج والطقوس السخيفة التي كانت تطغى على المكان»[٤٤].

لكن سميث ورفاقه انتقلوا بعد ذلك لزيارة «برج داود وحائط المبكى اليهودي وأضرحة داود وسليمان على قمة جبل صهيون. لم يراود هؤلاء الحجاج أي شك في مصداقية هذه الأمكنة كما حدث في المواقع المسيحية، بل كان رد فعلهم لهذه الزيارة هو تقديس هذه المواقع واحترام التاريخ العبراني في الأراضي المقدسة. يقول سميث:

«ملأت قلوبنا مشاعر الرهبة حين وقفنا على جبل صهيون، وقلبنا البصر بمجموعة من الأبنية المعروفة بضريحي داود وسليمان، صاحب المزامير الإسرائيلية وحكيم إسرائيل. ثمة شك لدينا بالادعاء القائل بأن العشاء الأخير أقيم في غرفة من غرف هذه الأبنية، أما بالنسبة لضريحي داود وسليمان فما من شك أنهما يقعان تحت هذه الأبنية. لكن يا للأسف! فالأتراك المحتلون يسيطرون على هذه المواقع ولا يسمحون للمسيحيين سوى بزيارتها فقط». وعندما دخل سميث إلى المسجد الأقصى ونظر إلى قبة الصخرة عبر عن ألمه لاحتلال المسلمين موقع هيكل سليمان، واختلس لحظة من مرافقيه فكسر من الحائط شظية صخر أخذها معه إلى أمريكا.

وفي تعبير مماثل عن الأسى لرؤية القدس بيد العرب والمسلمين تقول آني شو: «يا للأسف، لن يتخيل المرء أن القدس كانت في يوم ما مدينة جميلة.. الأرض التي يجري فيها اللبن والعسل، فلسطين ترزح الآن تحت احتلال الأتراك الهمجيين... وعلى جبل صهيون يقف مسجد محمدي على موقع الهيكل». حتى العبد الزنجي الأمريكي دافيد دور يعبر عن غضبه وأسفه عند رؤية مسجد الخليفة عمر تعكس قبته نور الشمس، وهو يهيمن بارتفاعه على المدينة وعلى أبنيتها، وينظر باحتقار إلى الهيكل المقدس»[٤٥].

كان التقاء الرحالة الأمريكيين مع اليهود في الأراضي المقدسة مصدراً آخر لإطلاق العنان لمشاعر رؤيا صهيون. وتدل تعليقات الأمريكيين العاطفية

وصيحات التأثر أحياناً على تحول هذه الرؤيا من الرمز في أمريكا إلى الواقع في الأراضي المقدسة. وكان رد فعل ماريا شولر أمام حائط المبكى وكلماتها العاطفية المؤثرة مثالاً للكثير من ردود الفعل المماثلة. فقد احتل العبرانيون مكانة خاصة في التراث اليهودي - المسيحي الغربي.

أحد هؤلاء الرحالة المبشرين جون باركلي الذي تأمل وضع اليهود ومكانتهم الخاصة في القدس، وقال: ((إن العرق اليهودي هو أفضل عرق زيّن جبين البشرية عبر تاريخها. وهذا أمر لا يختلف معه حتى الأنجلو - ساكسون المتكبرون والفخورون بعرقهم)). كما يرى باركلي فائدة كبيرة في هداية اليهود ((لأنهم يتحدثون لغات عديدة وهم معتادون على تقاليد وبيئات متنوعة لأقاليم عديدة، لذلك فإذا اهتدوا إلى المسيحية سوف يكون لهم دور عظيم في حقل التبشير في العالم كله))(٤٦).

إلا أن معظم المبشرين والرحالة لم يكن لديهم هدف نفعي مثل باركلي في محاولتهم لمساعدة اليهود. فلقد أثرت هذه التقاليد اليهودية - المسيحية في الثقافة الغربية، خاصة في الثقافة الأمريكية وأعطت لليهود مكانة مميزة خاصة في خطة الله للكون. كانت مدارس الأحد، وما زالت، أحد مصادر التعليم الديني في أمريكا - وفي الغرب بصورة عامة. يظهر تأثير هذه الثقافة الدينية في أعمال الرحالة الذين قصدوا الأراضي المقدسة مثل كتاب ماريون هارلند ((تحت راية الشرق)) (١٨٩٧) حيث تكرس المؤلفة فصلين كاملين لشرح وضع اليهود بلغة تعبر عن الثقافة الكامنة في ذاكرتها الدينية. في الفصل الذي تعطيه المؤلفة عنوان ((شعبك القديم اليهود)) تقول هارلند تحت هذا الاسم سمعت الصلوات والدعاء لهم كل يوم من سني طفولتي وصباي. كانت تعابير رجل الدين من منبر الكنيسة وهو يدعو لهم هي نفس التعابير التي رددناها طيلة حياتنا: ((ندعوك أيها الرب أن تنزل رحمتك على شعبك القديم اليهود، وأن تدخلهم في مملكتك

الأبدية)). تردد هارلند هذا الدعاء وهي تمشي في أزقة القدس القديمة نحو الحي اليهودي، كما تقول هي ((دون أن نلتفت إلى الأوحال والحفر التي نخطو عليها بأحذيتنا المزركشة، ونتعثر في طريقنا إلى مقابلة الحاخام اليهودي في مدينة الملك داود)).

في نقاشها مع الحاخام، تجد هارلند أنها ومواطنيها يتحمسون أكثر منه لتحقيق النبوءات الكتابية. تحاول هارلند أن تستخلص من الحاخام ما يؤيد توقعاتها لتحقيق النبوءات في الأراضي المقدسة وإعادة إنشاء مملكة الله في القدس. لكنه يؤكد لها أنه عندما يأتي المسيح المخلص فسيحكم العالم كله وليس مكاناً واحداً فقط. ومع أن رجل الدين اليهودي يوافق على وجود آيات تشير إلى اقتراب الساعة، فهو يصر بأن المجيء سوف تسبقه معركة مجيدو وظهور يأجوج ومأجوج وهزيمتهما، وستلي ذلك معارك دموية في وادي القرار. وتتأكد هارلند أن للحاخام معتقدات مختلفة عندما يقول إن المخلص سوف يظهر على الجبل المطل على مدينة صفد، فهي قد تعلمت منذ طفولتها وخاصة من سفر زكريا بأنه يوم المعركة ستكون قدما المسيح ثابتتين على جبل الزيتون شرقي القدس.

وفي مقابلة مع رجل دين يهودي آخر تعلم منه هارلند أن ((يأجوج ومأجوج ربما يكونان رمزين لروسيا، وأن جميع الأمم سوف تشارك في معركة مجيدو، وسوف ينتصر الخير بقيادة إله إسرائيل على الشر. ثم يجتمع مجلس لكل الأمم ويقرر إعادة فلسطين لأصحابها اليهود)).

وعندما تسأل السيدة الأمريكية إذا كانت فلسطين ستتسع لكل اليهود في العالم، يبتسم الحاخام ويقول لها : لعلك نسيت بأن اليهود سيحتلون الأرض من الفرات إلى النيل حسب النبوءات. يثير ذلك حماس هارلند وسعادتها وتشد على يد الحاخام قائلة: ((أنت بروتستانتي بحق)). يجيب الحاخام بسخرية واضحة: ((كلانا نعمل في خدمة إله إسرائيل))[٤٧].

هذه الحادثة هي واحدة من عشرات الأمثلة على سلوك الرحالة الأمريكيين في الأراضي المقدسة وعلى مشاعرهم ومعتقداتهم بشأن إعادة اليهود إلى الأراضي التي منحهم إياها الله. وقد أوردناها هنا لإيضاح استمرار التراث اليهودي - المسيحي في الفكر الديني الأمريكي وحماس اليمين المسيحي في أمريكا بشأن النبوءات المتعلقة بإعادة إنشاء إسرائيل في فلسطين.

القدس: مدينة الملك العظيم

أصبح المسيحيون اليمينيون في أمريكا أثناء القرن التاسع عشر مؤمنين باقتراب الساعة ونزول المملكة الألفية، ودعوا أتباعهم للإعداد لها. لذلك فعندما توجه مئات الأمريكيين إلى الأراضي المقدسة كانوا أثناء رحلتهم يرددون ما حفظوه من النصوص النبوئية الخاصة بهذه المملكة. وكانت ملاحظاتهم على الأوضاع الراهنة في المنطقة - سياسية ودينية واجتماعية- تؤكد في نظرهم هذه النبوءات، فراحوا يتأملون في مستقبل الإمبراطورية العثمانية (الرجل المريض) ونهاية الدين الإسلامي في ضوء علامات الساعة.

كان مركز اهتمام الأمريكيين في الشرق العربي وفي سياق المملكة الألفية هو مدينة القدس وموقع الهيكل الذي سيحكم منه المسيح -أمير السلام- العالم. ويجد الباحث الذي يقرأ أعمال الرحالة وغيرهم تصور هؤلاء الرحالة وخططهم لما يجب أن تكون الأوضاع عليه في منطقة الشرق العربي حسب النصوص المقدسة النبوئية. ولعل أفضل هذه الخطط وأكثرها تفصيلاً هي تلك التي رسمها الطبيب المبشر الأمريكي جون باركلي أثناء إقامته الطويلة في المنطقة.

في عام (١٨٥٨) وضع باركلي هذه الخطة في كتابه عن القدس كما يجب أن تكون حسب النبوءات، لكنه رغم أنه كان موغلاً في الخيال، أصر على أن هذه الخطة (والوعد بصورة خاصة) تنسجم مع الحقائق الجغرافية والتاريخية

والعلمية. وأعطى باركلي الدليل تلو الآخر على ادعائه هذا، وكان يردد نبوءات سفر إشعياء: ((سوف يقوم الرب فوقك، وسوف يأتي الأميون نحو نورك، والملوك إلى شعاع صحوتك))، ((ثم يرتبك القمر وتتردد الشمس عندما يحكم رب السماوات فوق جبل صهيون وفي القدس)).

كان الدكتور باركلي وغيره من الرحالة والمبشرين يتلون هذه النصوص وغيرها من قمة جبل صهيون وفي حواري وأزقة القدس. بهذه الأنشطة وهذا السلوك، إضافة إلى الحماس الديني الذي ازداد في أمريكا أثناء القرن التاسع عشر، نرى بوضوح انتقال القدس الجديدة من الرمز إلى الواقع الجغرافي في الأراضي المقدسة. تلكم هي صورة ((مدينة الملك العظيم: القدس كما يجب أن تكون)) كما قدمها المبشر باركلي، والعديد من الرحالة الأمريكيين.

كتاب ((مدينة الملك العظيم)) طبع في أمريكا في أواسط القرن التاسع عشر وحاز فوراً على شعبية ورواج كبيرين. لكنه لم يكن سوى واحد من عشرات الكتب المماثلة التي كان الجمهور المتحمس للموضوع يتلقفها ويقرأ فيها رصداً للأوضاع والأحداث المعاصرة في سياق النبوءات وخطة الله للكون.

كانت مشاهد الأماكن المقدسة تستثير في الرحالة عبارات النشوة والسعادة، كتلك التي صدرت عن الطبيب المجاهد من أجل صهيون:

((القدس!! اسم عزيز على كل قلب! كم من الذكريات والخواطر المقدسة العميقة تعتمل في النفس من مجرد ذكر اسمك! ثمة سحر وموسيقى في كل فكرة تراود زوارك!

القدس!! سعادة الأرض والسماء ! مدينة الملك العظيم! صهيون: مدينة الطقوس المقدسة، والسمو الأبدي، الجبل الذي يريد الله أن يسكنه، بل سيسكنه إلى الأبد!

صهيون! مسرح أعظم الأحداث في تاريخ العالم. الحجر المقدس الذي يجذب إليه العالم كله، من الحاج المؤمن إلى الفرسان الصليبيين الشجعان من أسلافنا النبلاء.

ما قيمة الذكريات والأفكار التي تبعثها فينا أوابد وآثار ممفيس ونينوى وبابل وأثينا وروما ولندن، أو مدن الأزتيك، بالمقارنة بالذكريات والأفكار التي تحتشد في النفس حول مدينة الملك العظيم!! المكان الذي عزف فيه مغني إسرائيل داود على قيثارته ونظم مزاميره للقديسين في كل الأزمنة. حيث شاد سليمان بيتاً لرب الخلق ليسكنه بين ملائكته. حيث عانى ابن الله ومات وبعث ثانية.

حيث سيحكم يهوه على جبل صهيون وفي القدس. حينئذ ستصبح المدينة الممجدة بحق سعادة الأرض كلها: أمور كثيرة تحكى عنك، يا صهيون، يا مدينة الرب))[٤٨].

كانت هذه الأمنية وذلك الدعاء الشغل الشاغل لبعض الأوساط الأمريكية المتحفزة لعلامات الساعة، لكنهما كانا أكثر تأثيراً على المتجولين في الشرق العربي. وكان أكثر المواقع تأثيراً في الرحالة تلك المتصلة بالشعب المختار.

كان القسيس في البحرية الأمريكية، جورج جونز، يزور الأراضي المقدسة عام ١٨٣٥ فوصل إلى القدس وزار موقع الهيكل لأول مرة. راح جونز يعبر عن الأفكار والذكريات الدينية التي أثارها في نفسه هذا المشهد، فرأى بعين الخيال الكتابي ((أن الرب يجلس على عرشه في الهيكل. على العالم كله أن يلزم الصمت في حضرته. والهيكل، هذا المعبد الرائع مرفوع على هضبة تنبعث منه أشعة عظيمة تكاد تعمي الأبصار، لكن المرء يشعر بحضور الإله يهوه))[٤٩].

كانت كل خطوة يخطوها الرحالة في الأراضي المقدسة تثير مشاعر وذكريات دينية، تنبعث في النفس نتيجة التربية الدينية، والتراث اليهودي - المسيحى بالذات.

وكان الرحالة في طريقه من مصر إلى فلسطين يتوقف عند عشرات المواقع ويتلمس هذا الجدار أو ذاك الحجر أو يدخل كهفاً أو يتسلق جبلاً ويتلو نصوصاً من الكتاب عن نبي من أنبياء إسرائيل أو بطل من أبطالها.

كتب رجل الدين الأبسيكوبالي القادم من فرجينيا إلى زوجته من الأراضي المقدسة عام ١٨٤٢ فقال:

((زوجتي العزيزة، أكاد لا أصدق عيني حين أرى نفسي على ضفاف النهر المقدس))[٥٠].

والسيدة الأمريكية سارة هايت تراءت لها الذكريات المقدسة وهي ما زالت بجانب القلعة في القاهرة حين أطلت على ((الصحراء الممتدة من هنا إلى أرض الميعاد، حيث وقف موسى على رأس الإسرائيليين في زمان النفي))[٥١].

وينظر الطبيب المبشر الأمريكي جون باركلي بتفاؤل إلى مستقبل الأراضي المقدسة ووضعها التعيس ورغم سيطرة الإسلام عليها. فهو يرى تأثير المبشرين البروتستانت واضحاً في إضعاف مقاومة المسلمين للعمل التبشيري. بل هو يكاد يجزم بأن أيام الإسلام باتت معدودة.

منذ عام ١٨٤٣ –حسب قول باركلي– أصبحت السيطرة في القدس بين أيدي قناصل الدول الأجنبية، خاصة فرنسا وبروسيا وساردينا، كما أن أسبانيا والولايات المتحدة أنشأتا بعثتيهما القنصلية في القدس في الخمسينات. ويقول باركلي أنه بالنسبة لرعايا الدول الأجنبية في القدس كان قناصلهم الحكام الفعليون يمارسون مطلق الصلاحيات دون حسيب أو رقيب)).

ويقوده هذا الوضع إلى الاستنتاج بأن ((يوم تحرير اليهود قريب لا شك فيه)) وأن ((نور الصبح الجميل بدأ يظلل جبل صهيون))[٥٢].

ويقول أمريكي آخر هو ج.ف. سميث، مؤلف كتاب ((رحلة الحج إلى فلسطين)) إنه التقى باركلي في القدس أثناء رحلته هذه. توصل سميث إلى نتائج

شبيهة بآراء باركلي، إلا أنه لم يـر أي أمـل في هداية المسلمين لأن المسيحية، كما يقـول، ((لا تقـدم أي إغـراء لغـزاة سـورية المنحطـين أخلاقيـاً)). ويستنتج سميث من ذلك أنه إلى أن يستأصل السكان الحـاليون مـن هـذه الأرض ويحـل محلهم عرق أسمى، لن يجد الكتاب المقدس قبولاً إلا من القلائل من الناس)).

كلا الرجلين، ومثلهم كثيرون من الرحالة الأمريكيين، وجدا توافقـاً وتزامنـاً بـين الفكـر السياسـي والفكـر الديني، وكلاهمـا كانـا ينشـدان إعـادة إعمـار صهيون، ويريان في التحالفات الدولية والجهود المشتركة للأمـم الغربيـة تحقيقـاً لهذا الهدف. يقول سميث: ((كما سبق واقترحت في هذا الكتـاب فيمـا يتعلـق بمستقبل ومصير أرض الميعاد، أعتقد جازماً بإعـادة اليهـود مـن الشتات وإعـادة إنشاء الأمة اليهودية. هذه الحادثـة العظيمـة بالنسبة للشـخص المسيحي المؤمـن الذي يرى يد الله في تاريخ نسل إبراهيم، يجب أن تـأتي نتيجـة تعـاون وتنسيق بين كل القوى المسيحية في العالم، التي ستكون حينئذ وسـائل لتحقيـق مقـاصد الإرادة الإلهية))[٥٣].

أما باركلي فيمتدح ((الاقتراحات الصائبـة)) التـي عرضهـا الرحالـة والعـالم الديني الدكتور دوربن في وصفه للوضع في الأراضي المقدسـة وجهـود القنـاصل الأجانب في سبيل تأسيس أبرشـية يهوديـة في القـدس، ويقتطـف بـاركلي مـن دوربن نصاً هاماً له مغزى خاص بالنسبة للهـدف الرئيسـي لهـذه الجهـود وهـو تحقيق النبوءات في سياق الأحداث السياسية.

لكنه يضيف إلى ذلك بأن النتائج السياسية المتوقعـة مـن تأسـيس هـذه الأبرشـية اليهودية ربما كانت لها أهمية أكبر بكثير من مجرد نتائجها الدينية المباشـرة. فهـي في نظره متصلة دون شك بإعادة إنشاء الكومونويلث اليهودي في فلسطين تحت رعايـة إنجلترا وبروسيا. والدليل الذي يسـوقه بـاركلي علـى أهميـة هـذه النتيجـة هـو أنهـا أصبحت مقياس نجاح الدول الخمس الغربية الكبرى وقناصلها في القدس))[٥٤].

واقتراح هام آخر لمصير الشرق العربي جاء في كتاب الرحالة الأمريكية سارة هايت التي رأت في الأوضاع الراهنة فرصة هامة أمام الدول الغربية – خاصة إنجلترا وفرنسا– للتدخل الحاسم في شؤون المنطقة السياسية وفي تقاسمها بين القوى الغربية. رأت هايت شبهاً كبيراً بين حكم فراعنة مصر وحكم محمد علي «فرعون مصر الجديد» في تسلطه على الشعب. محمد علي، في رأي السيدة الأمريكية وزوجها ريتشارد هايت، يتصف بظمأ لا يروى للغزو والاحتلال، فقد أخضع لحكمه الحبشة وليبيا، وجزءاً من الجزيرة العربية، كما احتل مؤخراً فلسطين وسورية». وينذر الزوجان هايث العالم الغربي بأن محمد علي سوف يحاول السيطرة على العالم الإسلامي كله ويهدد العالم المسيحي.

زار ريتشارد وسارة هايث المنطقة عام ١٨٤٠، وكان ريتشارد هايث عضواً في جمعية الاستشراق الأمريكية الحديثة العهد، كما كان يتمتع بمركز مرموق في الأوساط الثقافية الأمريكية، وتمتع بحفاوة وترحيب من قناصل أمريكا في الإسكندرية والقاهرة والأراضي المقدسة. لذلك كله تكتسب رسالته التي بعث بها «إلى صديق في نيويورك» بعنوان «خواطر وأفكار عن الوضع الراهن في الشرق واحتمالات المستقبل» أهمية كبيرة لما تحمله من رؤى مستقبلية لهذه المنطقة. كما أن أهمية هذه الرسالة بالنسبة للقارئ العربي تكمن فيما حملته من تخطيط لمستقبل العالم العربي ومن اقتراحات قدمها في منتصف القرن التاسع عشر لكنها تحققت بدرجات متفاوتة من الدقة أثناء القرن العشرين.

ينذر هايث بأن روسيا تستطيع –لو أرادت– أن تحتل الهند فتغلق خطوط المواصلات الشرقية في وجه أوربة. كما يقول أنه ما لم تتخذ إنجلترا وفرنسا إجراءات عاجلة فإن روسيا سوف تكسب موطئ قدم في إيران وكردستان والبنجاب. كما يتهم هايث روسيا بزرع بذور الثورة اليونانية على الإمبراطورية العثمانية تنفيذاً لمآربها ضد الأتراك.

يستغرب هايث أن إنجلترا لم تبادر إلى احتلال مستعمرات الأتراك الأوروبية وبقية أجزاء الإمبراطورية. وكما رأينا في أعمال رحالة ومبشرين أمريكيين آخرين، لم يستند هايث في تحليله للأوضاع الراهنة ورؤياه للمستقبل على اعتبارات سياسية محضة، بل نجد في ثنايا اقتراحاته علامات قوية لرؤيا صهيون والنبوءات الكتابية تتخلل مخططه لمنطقة الشرق العربي. يصف هايث الأتراك بالمغتصبين في أوروبا ولذلك فاقتراحه بطردهم منها هو أمر منطقي. لكنه يصف أيضاً غطرستهم واستبدادهم في الأراضي من النيل إلى الفرات كمبرر مشروع لطردهم منها. ويصل هايث إلى فكرة معالجة وجود العرب والمسلمين في هذه الأراضي، فيجد الحل الوحيد لهذا الوضع في طردهم إلى ما بعد الفرات حيث يمكنهم تأسيس مملكة هارون الرشيد مرة أخرى، ثم إحلال عرق أسمى محلهم.

يتجلى الميراث اليهودي – المسيحي في هذه المخططات وفي اقتراح هايث النهائي لمنطقة الشرق العربي. يوزع هايث «القصعة الشرقية» فيرضي أطماع الدول الغربية كلها بإعطاء كل منها حصة ترضى بها.

تحصل فرنسا على دول شمال إفريقيا من المغرب إلى حدود مصر مع الحق بغزو الداخل الإفريقي حين تشاء. كما تحصل فرنسا أيضاً على سورية حتى الفرات شرقاً وجبال طوروس شمالا. أما إنجلترا فتحصل على مصر مع الحق بالوصول إلى رأس الرجاء الصالح، وعلى آسيا الصغرى مع حق الامتداد حتى بخارى. بعد ذلك يصل هايث إلى محور مخططه فيقترح إحلال عرق أسمى في الأراضي التي وهبها الله له – إسرائيل– حيث تعود الصبايا اليهوديات من أقصى الغرب فتروين بمياه الأردن وردة شارون الجميلة. ثم يصبح باستطاعة أحفاد إسماعيل زيارة أسواق القاهرة ودمشق بسلام ودون أن يرتفع السيف في وجه أحد».

ولم ينفرد هايث بمخططات مستقبلية للشرق العربي، ولا بالرؤيا الصهيونية في هذه المخططات. بل كان الكثير من الأمريكيين –مبشرين وسياح ورحالة مكتشفين– يشتركون برؤاهم المستقبلية للمنطقة. وكان الأمر المشترك بينهم جميعهم إيمانهم بنبوءات النصوص المقدسة «بجمع شتات اليهود في أرض الميعاد التي أعطاهم إياها الله، وانتظار مجيء المسيح إلى الهيكل في القدس على عرش المملكة الألفية»[٥٥].

كانت هذه النبوءات تقبع في صلب الفكر الجيو بوليتكي في نظرة الغرب إلى الشرق العربي ومستقبل الإنسانية. ولا شك بأن أحد مصادر هذا الفكر الهامة هو الإرث اليهودي المسيحي في الثقافة الغربية. ويشترك في هذا الفكر رجال ونساء ينتمون إلى شرائح متنوعة من المجتمع الأمريكي– كما نحاول أن نوضح– ومن الذين يتصفون باتجاهات علمية تطبيقية وباتجاهات دينية نظرية على حد سواء.

وليم لينتش، مثلاً، هو ضابط بحرية سابق وقائد حملة استكشاف علمية إلى البحر الميت ونهر الأردن بتمويل ودعم من وزير البحرية الأمريكي. لكن لينتش وفريقه من العلماء لم يترددوا بالإضافة إلى ملاحظاتهم العلمية في عرض ملاحظات واقتراحات لمستقبل المنطقة تردد أصداء أسفار الكتاب المقدس بل وتستعمل نصوصاً منه لإثبات مصداقية هذه الملاحظات والاقتراحات. يأخذ لينتش مثلاً من سفر إشعيا نبوءة إعمار الصحراء وإعادة اليهود إلى القدس وإلى جبل صهيون وجعل المنطقة ممراً للتجارة الدولية والأعمال بين الشرق والغرب. ويجدر الذكر هنا أن لينتش كتب بالإضافة إلى كتابه الرئيسي عن رحلته إلى الشرق العربي تقريراً خاصاً قدمه لوزير البحرية الأمريكي وقدم محاضرة عن تجربته تبناها عدد كبير من كبار المبشرين الأمريكيين وعملوا على طباعتها وتوزيعها.

وجون باركلي، الطبيب المبشر، يقدم حلماً ((بالقدس الألفية)) يتصف بالمثالية لكنه يستند إلى أسس النبوءات المقدسة. وتحليل باركلي للواقع السياسي والاجتماعي في المنطقة، رغم واقعيته ودقته يضع علامات وآيات الساعة في مركز نظرياته، وهكذا فإن مخططه للمستقبل يهتم أكثر ما يهتم بإعادة الشعب المختار إلى أرض الميعاد كعامل رئيسي في هذا الحلم الألفي. وعندما يقترح باركلي مشاريع هندسية علمية مثل فتح قنال بين البحر الميت والبحر المتوسط وإيصال مياه نهر الأردن إلى القدس بحفر قناة هندسية، وغيرها من المقترحات، فهي تستند إلى حجج ومبررات يأخذها باركلي من الكتاب المقدس. يلتهب أسلوب باركلي حماساً بصورة خاصة حين يتصور ((ازدهار الأرض وأمة إسرائيل حين يعود اليهود وإسرائيل إلى مدينة ملكهم داود والملك عيسى المسيح)). (إشعياء ١: ١٠)[٥٦].

الفصل الرابع

الشعار الوطني
للولايات المتحدة الأمريكية

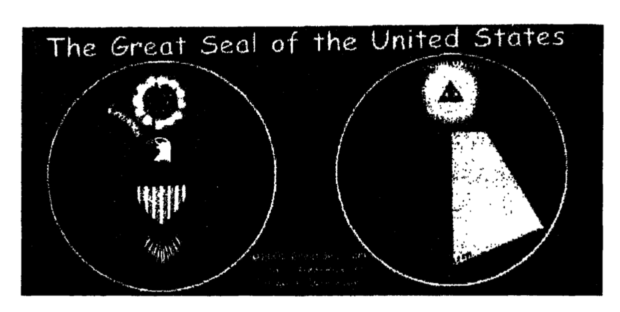
((في هذا الجزء الأمريكي من العالم...
قاد الله كنيسته إلى أرض كنعان الطيبة
التي أعطاها إياها إرثاً إلى الأبد)).

صموئيل شروود
خطاب في حملته الانتخابية (١٧٧٦)

الشعار الوطني للولايات المتحدة الأمريكية الذي يزين الوثائق الرسمية الاتحادية وغيرها هو من الرموز التي تحتل مكانة هامة في التاريخ الفكري الرسمي والشعبي في أمريكا. والشعار الذي تم تبنيه وإقراره في ٢٠ حزيران عام ١٧٨٢ في جلسة الكونجرس الأمريكي يحمل على:

الوجه الأول: النسر الأمريكي الأبيض الرأس (الأصلع، كما يسميه الأمريكيون) يرتدي ترساً عليه ثلاثة عشر خطاً عامودياً باللونين الأبيض والأحمر تحت وشاح أزرق. ويمسك النسر بإحدى رجليه غصن زيتون وبالأخرى حزمة من ثلاثة عشر سهماً. ويمسك بمنقاره شريطاً كتب عليه عبارة ((من التعدد وحدة)). (E Pluribus umum) ورقم الثلاثة عشر هو عدد

الولايات التي تشكلت منها الولايات المتحدة الأمريكية عند حصولها على الاستقلال.



وجها الشعار الوطني للولايات المتحدة الأمريكية

أما التاج فوق رأس النسر فيتألف من شمس تطل من وراء الغيوم وتحيط بمجموعة من النجوم على شكل نجمة داود في أرضية زرقاء.

الوجه الثاني: على قمة هرم غير مكتمل توجد عين ضمن مثلث تحيط بها الشمس. فوق العين توجد عبارة: ((الله يرعى عملنا)).

((Annuit Coeptis)): ((Providence has favored our undertaking)).

وتحت قاعدة الهرم الرقم ١٧٧٦ (إشارة إلى عام الاستقلال) وتحته عبارة: ((النظام العالمي الجديد)) ((Novus ordo seclorum)).

هذا الشرح هو ملخص ما جاء في القانون لعام ١٧٨٢ بإقرار الشعار.

تتضح أهمية هذا الشعار من أنه كان من الأمور الأولى التي فكر بها المجلس الاتحادي الأمريكي إبان حرب الاستقلال ضد السلطة الإنجليزية المستعمرة. فقد

صرح المجلس الاتحادي في عام ١٧٧٧ بأنه بات من الضروري تصميم شعار يمثل المبادئ والأسس التي ستنشأ عليها الدولة الجديدة عند استقلالها. وكان من الضروري أيضاً أن تعبر رموز هذا الشعار عن المبادئ والقيم والمفاهيم التي أسست للأمة الجديدة من حيث ثقافتها وتكوينها الفكري والسياسي.

وهكذا فإن قصة وضع تصميم هذا الشعار وتطويره نحو شكله النهائي هي قصة مثيرة ولها اتصال مباشر بموضوع هذا البحث؛ -التراث اليهودي - المسيحي فهي تعكس أكثر الرموز الأمريكية بلاغة في التعبير عن تراث - مع أنه موروث عن الماضي الأوروبي- إلا أنه طبع بطابع أمريكي خاص؛ كما تعبر هذه الرموز عن الآمال والتطلعات المستقبلية التي ساعدت الأمريكيين على الانتصار على المستعمرين الإنجليز.

هذا الشعار، كما عبر عن ذلك أحد الأمريكيين، هو إعلان مبادئ بالنسبة لأمريكا ورسالتها إلى العالم، وهو ((دليل للدرب واختزال للزمن، وعلى ذلك فهو رسالة بليغة لنا من أولئك الذين منحونا حريتنا، ولا يزال أفضل رمز لرؤياهم التي أسسوا لها... كما أنه منارة تضيء طريق المستقبل وتلقي الضوء على التاريخ والماضي)).

صدر هذا الشعار عن المجلس الاتحادي الذي وضع أعضاؤه في الفترة نفسها وثائق ((إعلان الاستقلال)) و((دستور الولايات المتحدة الأمريكية)) و ((إعلان مبادئ حقوق الإنسان))، وهي الوثائق (إضافة إلى الشعار الوطني) التي ما زالت الأمة الأمريكية تنظر إليها نظرة احترام يشبه التقديس. هذا المجلس قرر في جلسته المنعقدة بتاريخ ١٧٧٦/٧/٤ تشكيل لجنة لوضع شعار الدولة المتوقعة، وكانت اللجنة تضم كلاً من توماس جيفرسون وبنجامين فرانكلين وجون آدمز. (Thomas Jefferson, Benjamin Franklin, John Adams). كان هؤلاء الأشخاص الثلاثة من قادة حرب الاستقلال والفكر الأمريكي المبكر.

كما أن آدمز وجيفرسون أصبحا رئيسي الجمهورية الثاني والثالث بعد جورج واشنطن. أما بنجامين فرانكلين فكان الفيلسوف المنظر للثورة ولفترة الاستقلال الأولى.

تداول الأعضاء الثلاثة في مهمة اللجنة من ٧/٤ إلى ١٧٧٦/٨/٣ ثم قدم كل منهم للجنة مجتمعة اقتراحاً بتصميم للشعار. كان اقتراح بنجامين فرانكلين (وهو محفوظ بخط يده في ملفات وزارة الخارجية الأمريكية) هو:

على الوجه الأول: ((النبي موسى يقف على الشاطئ، ويبسط يده عبر البحر الأحمر جاعلاً المياه تداهم فرعون الجالس على عربة مكشوفة وعلى رأسه التاج ماسكاً السيف بيده. تنبعث نحو موسى أشعة من عمود من نار عبر الغيوم تعبيراً عن الإرادة الإلهية)).

وتظهر تحت هذا الرسم عبارة ((الثورة على الطغاة هي طاعة لله)). (وهي عبارة أعجب بها جيفرسون لدرجة أنه وضعها على خاتمة الشخصي فيما بعد).

أما اقتراح جيفرسون فكان يعبر عن الفكرة نفسها، إذ أنه اقترح مشاهد رمزية تمثل ((بني إسرائيل يعبرون القفار تقودهم نجمة أثناء النهار وعمود من نار أثناء الليل)).

ولدى مناقشة اللجنة مجتمعة للاقتراحات الثلاثة، عدلت اقتراح فرانكلن واعتمدته على الشكل التالي:

((يجلس فرعون على عربة مكشوفة حاملاً السيف بيده والتاج على رأسه، وهو يعبر الشرخ في مياه البحر الأحمر مطارداً الإسرائيليين. تنبعث من عمود من النار أشعة تعبر عن إرادة الله ووجوده وتغمر النبي موسى الذي يقف على الشاطئ باسطاً يده عبر البحر مما يجعل المياه تغرق فرعون)). وتحت الصورة تظهر عبارة ((الثورة على الطغاة هي طاعة لله)).

ثم شكل المجلس الاتحادي لجنتين (ثانية وثالثة على التوالي) لتقديم اقتراحات أخرى. وعندما تداول المجلس في الاقتراحات الثلاثة توصل بتاريخ ١٧٨٢/٦/٢٠ إلى إقرار التصميم النهائي، وكان أقرب إلى اقتراح اللجنة الثالثة.

الواضح من نظرة سريعة إلى الوجه الأول من الشعار بشكله النهائي أن المجلس اعتمد النسر الأبيض الرأس بديلاً عن اقتراح اللجنة الأولى، كما يحمل فوق النسر النجوم الثلاث عشرة التي تمثل الولايات التي تألفت منها الدولة الجديدة عند استقلالها.

مع ذلك فإن عدم اعتماد المجلس لصورة موسى وهو يقود بني إسرائيل إلى أرض الميعاد لا يقلل من قيمة هذا الرمز في الفكر الأمريكي. إذ إن ثلاثة من أبرز قادة ثورة الاستقلال المشاركين في المجلس هم الذين اقترحوا هذا الرمز لقصة ولادة أمريكا. لكن أمراً آخر يتعلق بالشعار نفسه وبصورة النسر يبين أهمية هذا الرمز ويبين أيضاً أن رمز الإسرائيليين وأرض الميعاد لم يغب عن ذهن المجلس في اعتماده صورة النسر.

ذلك أنه بعد الاستقلال مباشرة تحدث أحد أعضاء المجلس البارزين وهو صموئيل شروود (Samuel Sherwood) في خطاب انتخابي فاقتبس من سفر الخروج قول الرب لبني إسرائيل: ((لقد شاهدتم ما فعلته بالمصريين وكيف حملتكم على جناحي النسر وأحضرتكم إلي)) (سفر الخروج ١٩: ٤-٦). وأكمل شروود هذه الصورة الرمزية في حملته الانتخابية باقتباس نصوص أخرى من سفري الخروج وأشعيا.

لخص شروود دلالة هذا الرمز بقوله للناخبين الأمريكيين: ((مثلما عمل الله (مالك الأرض) على إحضار كنيسته (شعبه) من الأرض اليباب على أجنحة النسور وأعطاها الأرض الطيبة ميراثاً لها إلى الأبد، فقد أعطى الله أمريكا إلى الكنيسة ونسلها. فقد خلصهم من الظلم والاستبداد والطغيان... وقادهم إلى أرض كنعان الطيبة التي أعطاهم إياها إلى الأبد)).

ومن الجدير بالذكر أن خطاب شروود الانتخابي هذا عنوانه ((هروب الكنيسة إلى الأرض اليباب))، وقد طبع عدة مرات وأصبح وثيقة لها شهرة وشعبية كبيرتان. وقد شبه فيه شروود استقلال أمريكا من الحكم الإنجليزي بهروب بني إسرائيل إلى أرض كنعان على جناح النسر.

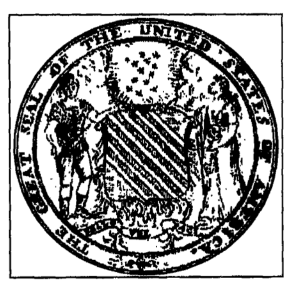
استمر الكثيرون من القادة والمفكرين الأمريكيين بتفسير صورة النسر على هذا الشكل، ومنهم رجل الدين المعروف دافيد أوستن الذي تساءل عام ١٧٩٤ ((إذا سأل أحدكم ماذا حل بالنسر الذي حمل الكنيسة إلى يباب الأرض الأمريكية، ألا يمكننا الإجابة بأنه احتل مكانه على شعار الولايات المتحدة الأمريكية؟)).

أما استمرار التفكير بالرمز التوراتي في صفوف القادة السياسيين في تلك الفترة فنراه مثلاً في رسالة بعث بها جورج واشنطن، قائد الثورة الأمريكية، عندما تولى رئاسة الجمهورية إلى الجالية اليهودية في مدينة سافانا بولاية جورجيا قال فيها مقارناً حالة الإسرائيليين غداة رحلتهم من مصر إلى أرض كنعان بحالة الأمريكيين المعاصرة: ((مثلما خلص الله الإسرائيليين من الاضطهاد في مصر ونقلهم إلى أرض الميعاد، أراد الله للولايات المتحدة الأمريكية أن تحقق الهدف نفسه)). وعندما انتخب توماس جيفرسون رئيساً للجمهورية خاطب الأمة الأمريكية في احتفال توليه السلطة بتاريخ ١٨٠٥/٣/٤ قائلاً: ((ولسوف أحتاج أيضاً إلى عون الخالق الذي يحكم حياتنا والذي قاد آباءنا – كما قاد بني إسرائيل في الزمن الغابر– من أوطانهم الأصلية وغرسهم في أرض طيبة مليئة بالخير)).

وثمة أمر آخر في الشعار يتصل بهذا التراث اليهودي – المسيحي الذي نحاول إيضاحه، وهو دائرة الشمس التي تعلو رأس النسر. تبين الوثائق المتصلة بتطور شكل الشعار أن الصيغة التي أقرها المجلس الاتحادي تحتوي على ثلاث

عشرة نجمة مبعثرة علـى شـكل مجموعـة عشـوائية داخـل قـرص الشـمس لكـن المجلـس أقـر في ١٧٨٢/٦/٢٠ صيغـة الشـعار النهائيـة وألوانـه، فـإذا بـالنجوم الثلاث عشرة تشكل نجمة داوود في قرص الشمس. وليس في المصـادر الأوليـة التي توفرت أثناء كتابة هذا البحث ما يدلني علـى سـبب تغيـير شـكل مجموعـة النجوم أو مراحل هذا التغيير.





الشكل المبدئي للشعار الوطني
وتظهر على الوجه الثاني مجموعة النجوم المبعثرة

وفي عام ١٨٤١ عندما اعتمـد المجلـس تشـكيلة الألـوان والشـكل النهـائي للشعار رسمياً ظهرت نجمة داوود مرة أخرى كما ظهـرت علـى الشـعار أيضـاً عبارة ((النظام العالمي الجديد)) لأول مرة.

شعار الولايات المتحدة الأمريكية هـذا مـا زال الشـعار المعتمـد حتـى الآن، وهو يظهر على الوثائق الفيدرالية ووثائق مؤسسات الدولة المختلفة، وهو شـعار المكتب التنفيذي لرئيس الجمهورية ووزارة الخارجيـة الأمريكيـة، وبعـض دوائـر الأمن في عدد من الولايات.

لا شك إذن أن عملية وضع صيغة الشعار الوطني في المجلس الاتحادي لها دلالات واضحة من حيث رموزها الكتابية المتصلة بالفكرة الصهيونية وأرض الميعاد. فالمجلس كان منعقداً في فترة مصيرية من تاريخ الأمة - أثناء حرب الاستقلال وفي المرحلة المبكرة من عمر الدولة المستقلة. كما أن المجلس كان يضم قادة الأمة الذين يمثلون الولايات الثلاث عشرة الأولى والذين وضعوا وثائق الدستور وإعلان حقوق الإنسان وإعلان الاستقلال. هم أيضاً الذين أرسوا في هذه الوثائق أسس فكرة فصل الكنيسة عن الدولة فيما أصبح يعرف فيما بعد بالتوجه العلماني في الولايات المتحدة الأمريكية (الذي سنعالجه في فصل آخر). لكن هذه الدعوة إلى فصل الكنيسة عن الدولة لم يقصد بها أبداً فصل الدين عن الدولة. بل إن كل هؤلاء القادة الأوائل وخلفاءهم - مثلهم في ذلك مثل الزعماء الدينيين - استعملوا الرموز الدينية في أقوالهم وتصرفاتهم، وبصورة خاصة رموز قصص بني إسرائيل وأرض الميعاد. كان الدين عاملاً مركزياً في أذهان وضمائر مؤسسي الدولة، تماماً كما كان في أذهان وضمائر «الحجاج» الطهوريين في رحلتهم من إنجلترا إلى العالم الجديد. وما زال الدين عاملاً مؤثراً في تصرفات وتفكير الكثير من الأمريكيين اليومية والسياسية اليوم، كما سنرى فيما يلي من هذا البحث.

نرى في قصة هذا الشعار القومي أن النسيج الفكري للثورة وحركة الاستقلال تتخله خيوط الإيمان الديني رغم دعوة هؤلاء الرجال الصادقة لفصل الكنيسة عن الدولة. هذه الدعوة لم تحجب وضوح الرؤيا الدينية في تفكير قادة الثورة الأمريكية الذين صمموا الشعار وكتبوا إعلان الاستقلال والدستور وحقوق الإنسان.

كما نرى أيضاً أن التراث اليهودي - المسيحي كان الخيط الغالب في هذا النسيج الفكري الديني. إن صورة موسى والإسرائيليين يعبرون صحراء سيناء والبحر الأحمر إلى أرض الميعاد، وعمود النار وغرق فرعون، هذه الصورة لازمت تطور الفكر الأمريكي في كل مراحله.

الفصل الخامس

نجمة الشرق... ونجمة الغرب

الولايات المتحدة الأمريكية نور الكون

((أربعون عاماً مضت منذ اليوم المشهود يوم ولد الاستقلال، منحة من السماء ونعمة للأرض.

لعل جميع الأمم الأخرى تنعم بالخضوع لملك الملوك، ويصبح الاستقلال المبارك سيد العالم)).

من ((قصيدة الاستقلال))

بقلم الشاعر ويليم راي، ١٨١٦

لم تنته رؤيا الطهوريين مع تأسيس الدولة الأمريكية السياسية المستقلة. بل في الواقع، ورغم الجدال السياسي العنيف الذي حدث أثناء فترة الثورة والاستقلال، ظل عدد من المبادئ الأساسية للمجتمعات الدينية المبكرة يؤثر في خطاب فترة الاستقلال وتفكيرها. أكثر هذه المبادئ وضوحاً كان الاعتقاد بأن استقلال أمريكا كان بمشيئة إلهية وأنه نتيجة مباشرة للطبيعة التعاهدية في النظام الأمريكي الجديد. كان الاعتقاد بهذا المبدأ يعمل في دعم إدراك الأمريكيين للطبيعة الفريدة لتجربتهم في سياق تاريخ الإنسانية.

كان ثمة اتفاق عام لدى الأمريكيين بأن تجربتهم فريدة من نوعها لم يشهد لها تاريخ الإنسان مثيلاً. ذكر ذلك عدد كبير من مؤسسي الدولة وقادة الثورة

وأضافوا إلى ذلك أن التجربة الجديدة هي فرصة الخلاص لأمتهم وللعالم. كان السياسيون والمفكرون ورجال الدين يعبرون عن هذه الأفكار، مثلما صرح الشاعر والكاتب السياسي بارلو عام ١٧٨٣ بقوله: ((إن وضعنا ليس جديداً بالنسبة لنا فقط، بل هو جديد في العالم كله)). وذكر بارلو مواطنيه بواجبهم الذي يدعوهم إلى الاستفادة القصوى من هذه التجربة، فقال:

((ما من أمة قديمة أو حديثة استطاعت أن تعطي نموذجاً أمثل للطبيعة البشرية مثل أمتنا. فالتاريخ لم يشهد نظام حكم مثالي مثل نظامنا الذي يمثل النموذج الديمقراطي يدعمه دستور ثابت يزود البشر بتحديد أعظم من كل الأفكار المستوردة أو التشريعات الغريبة))[1].

كان هذا النموذج الأمريكي، حسب قول بارلو، النموذج المناسب الذي يجب على أصحاب الفكر السليم و((المبادئ العقلانية)) أن يراقبوا تطوره ويتعلموا الدروس السياسية منه.

إسرائيل الله

هذه الأمة الفتية التي اعتبرها أبناؤها الدولة المثالية، لم تكن في نظرهم ثمار جهود مؤسسيها فقط. ومع أن المعاصرين من الأمريكيين تفاخروا بـ ((هيكل الحرية المقدس)) الذي شيدته ((أيدي الوطنيين المخلصة))، فهم أنفسهم أصروا على أن هؤلاء المؤسسين كانوا مجرد أدوات بيد العناية الإلهية. كانت الدولة الأمريكية في نظر الشاعر تيموثي دوايت (صاحب ملحمة ((رؤيا كولومبس)) وأحد الموقعين على وثيقة إعلان الاستقلال) دولة مباركة:

من تصميم القدرة الإلهية
لحكم وحماية واستعمار ومباركة البشرية[٢]

أدرك الأمريكيون المواطنون في الدولة الفتية وضعهم الممتاز الذي ساهموا في الوصول إليه. كما اعتقدوا بأن العناية الإلهية لعبت الدور الرئيسي في تحقيقه. واعتقدوا أيضاً أن الله كان يهيئهم لمهمة عظيمة. وهكذا فدور العناية الإلهية لم يقتصر على الأحداث الماضية، بل الأهم من ذلك، كانت تخطط لتحقيق نبوءات مقدسة يلعب فيها الأمريكيون دوراً مركزياً. قال في ذلك إزرا ستايلز رئيس جامعة ييل في موعظة عنوانها: ((الولايات المتحدة رفعها الله إلى منزلة المجد والشرف)) إن إسرائيل الإله الأمريكية هذه ما هي إلا تحقيق لما جاء في سفر التثنية (٢٦ :١٩): ((ليرتفع بك عالياً فوق جميع الأمم التي خلقها شرفاً وسمعة وإيماناً، ولتصبحي شعباً مقدساً عند ربك الله))[٣].

ترد في أثناء فترة الثورة والاستقلال إشارات كثيرة في أعمال رجال الدين والسياسة والمربين إلى تحقيق خطة الإله في التجربة الأمريكية. حسب هذه الخطة كانت أمريكا موجودة منذ بدء الخليقة لكنها كانت ((مخفية)) عن البشر، وقد كشف الله عنها النقاب في هذا الزمن لكي تصبح مسرح خطة الإله للبشرية وتقديره لمصيرها[٤].

لم تكن الثورات في مناطق العالم الأخرى ونشوء الدول الجديدة، حسب هذا الاعتقاد، سوى مجرد مصادفات أو نتيجة اجتماع عوامل دنيوية مبنية على أسس من الجهل والمصالح الخاصة. أما التجربة الأمريكية الجديدة، فهي حسب ما كتبه الشاعر جول بارلو، لم تكن معروفة للمشرعين من قبل، إذ ((أملاها المشرع الأول على مؤسسي الإمبراطورية الأمريكية)). ويضيف بارلو قائلاً: ((إن الإرادة الإلهية الخيرة التي تقضي بالحق والنظام)) جعلت الولايات المتحدة

الأمريكية تصل منزلة الكمال وتكتسب المؤهلات التي تحتاجها لهداية البشرية من ظلمات الجهالة إلى النور الجديد(٥).

وتعبير ((النور)) في هذه الكتابات يأخذ مستويين من المعنى، ففي قصيدة ويليم راي المذكورة يتضح أن النور هو الذي يأتي من سياق الفكر المسيحي التقليدي، أي نور الهداية والكتاب المقدس. لكن القصيدة نفسها تتحدث عن أمريكا الدولة السياسية المستقلة كظاهرة تبزغ كالنجمة من عرش يهوه. فهي إذن ((النجمة التي تبزغ من الغرب))، مقارنة بنجمة الشرق التي بزغت فوق بيت لحم ليلة ولادة المسيح. بعد أن خمد نور نجمة الشرق وأفلت جاءت ((نجمة الغرب)) عند ولادة أمريكا لتنشر نور الهداية والديمقراطية والثقافة من أمريكا.

إن حالة السعادة والسلام التي تنعم بها أمريكا تعتمد، كما جاء في نص الدستور الأمريكي ((على حماية العناية الإلهية))، وكانت أيضاً، حسب رأي الشاعر بارلو، حالة تنبأ بها الكتاب المقدس حيث أشار إلى الفترة الألفية فكانت ((شمس المجد التي أضاءت عرش يهوه))(٦). وفي سياق تاريخه للأمة الأمريكية يقول بيري ميلر إنها ((تحقيق متدرج لعهد الله مع البشرية في مرحلة الذروة من خطته في القارة الجديدة: إذ أصبحت ممارسة الحرية والنظام الديمقراطي بالنسبة للأمريكيين هي ببساطة طاعة لله))(٧).

بل إنه على الرغم من نزعة الآباء المؤسسين للدولة الحديثة (The Founding Fathers) إلى الفصل بين الكنيسة والدولة وتأكيدهم على حرية المعتقد الديني، فقد كانوا في ذلك الوقت، كخلفائهم حتى اليوم، يربطون بين مثاليات النظام السياسي الأمريكي ومثاليات المسيحية الأمريكية. فالذين نادوا منذ البداية بالفصل بين الكنيسة والدولة واحترام الحرية الدينية كانوا في الوقت نفسه يعتبرون المسيحية البروتستانتية عنصراً أساسياً لنجاح التجربة الجديدة. ولعل مقولة دانيال ويبستر (السياسي والمفكر المعروف) تلخص الشعور السائد

بين معاصريه في القرن التاسع عشر. وقد ردد صداها الرئيس أيزنهاور حين قال ((من دون الله لن يكون هناك حكم أمريكي ولا أسلوب حياة أمريكية)). ويمضي أيزنهاور في دعوة أبناء وطنه أن يضرعوا إلى الله ((كل يوم أن يستمر في حمايتنا لكي نورث الأجيال القادمة إرث شعب حر آمن بالحقوق التي منحه الله إياها))(٨).

لقد لازم هذا الاعتقاد بضرورة الدين في النظام السياسي في التجربة الأمريكية الفكر السياسي حتى العصر الحديث، إن قراءة خطب رؤساء الجمهورية بمناسبة تسلمهم منصبهم – منذ جورج واشنطن حتى الآن – تبين أن كلاً منهم حرص على وجود فقرة في خطابه تتحدث عن العناية الإلهية في حياة أمريكا. مثال ذلك ما جاء في خطاب الرئيس، ويليم ماكيني (١٨٩٧/٣/٤) : ((إن ديننا يعلمنا بأنه ما من ملاذ أفضل من التوكل على إله آبائنا الذي خص الشعب الأمريكي دون غيره بحماية في كل محنة جابهها، والذي لن يخذلنا ما دمنا نطيع وصاياه ونمشي بتواضع على خطاه)).

ولا شك أن هذا الاعتقاد بالوجود الضروري ((للعهد)) في نظام الحكم الأمريكي هو الذي جعل المبشرين الأمريكيين يجمعون في دعوتهم بين عنصري الدين والسياسة. وقد نص دستور ((جمعية الكتاب المقدس الأمريكية)) على ثنائي الدين والسياسية في دور أمريكا في العالم إذ دعا الدستور ((شعب الولايات المتحدة الأمريكية... لإدراك الأحداث السياسية العظيمة)) على أنها آيات بينات على اختيار الله لهم في تحقيق نبوءة الألفية القادمة(٩).

كان هناك تذكير مستمر لمواطني الدولة الحديثة بهذا الجمع المحبب بين السياسة والدين في تجربتهم الوطنية وبالواجبات التي تترتب عليهم. في الرابع من تموز عام (١٨١٢) ألقى القس إينوك لينكولن موعظة يوم الاستقلال في مدينة

وستر وقال: ((أيها المواطنـون، بينمـا نتمسـك بحقوقنـا الطبيعيـة والاجتماعيـة، علينا أن نكون مخلصين لواجباتنا المدنية.. بذلك سوف نسمو ببلدنا إلى مستوى من الحكمة لا منافس له وسيبارك الله سعادتنا))(١٠). ودعا لينكولـن المواطنين، تأكيداً على أهميـة السـلوك الديـني – السياسـي، إلى التسـامح الديني كطريقـة للوصول إلى نظام سياسي حر موحد.

كان من نتيجة هذا الحماس الوطني والشعور بهذه التجربة الفريـدة أن اقتنـع الأصوليون مـن المسيحيين في أثنـاء النصـف الأول مـن القـرن التاسـع عشـر أن دولتهم المثالية هي الموقع الذي ستنزل فيه مملكة الله، خاصـة وأنهـم قـرروا منـذ البداية أنهم مرتبطون بعلاقة تعاهدية مـع اللـه. يقـول سـيدني ألسـتروم في هـذا الموضوع: ((إن مفهوم العهـد دخـل في الفكـر الديـني والاجتمـاعي للطهوريـين دخول الليل في النهار))(١١).

كان اعتقاد الأمريكيين بهذه العلاقـة التعاهديـة مـع الشـعور الوطنـي الغـامر أيضاً نتيجة مقارنة الأمريكيين لأوضاعهم بأوضـاع أوروبا (العالم القديم) وبقيـة أنحاء العالم. فأمريكا تخلصت من فساد أوروبا وخطاياها وأرست دعـائم نظـام اعتبره أبناؤها مثالياً لدرجة أنهم، كمـا رأينـا، شـبهوه بـأرض الميعـاد. لـم يكـن ذلك، في نظرهـم، ليحدث لو لـم يكن تحقيقاً لإرادة الإله وخطتـه للكـون. وقـد قاد هذا الشعور بالكمال والقوة إلى التفاؤل بأن هذا النظام سوف يكـون منـارة للعالم، نجمة الغرب التي سطعت لتحل محل نجمة الشرق. ولتنشر النور إلى بقيـة البشر.

عبر المفكر الاجتماعي الديني لايمان بيتشر في أحد خطبـه عـن هـذا الحمـاس والتفاؤل حين قال لمواطنيه إن الوقت قد حان لأن توفر هذه التجربـة الأمريكيـة الفرصة للعالم كله لكـي يتسـنى لـه ((أن يتحـرر ويسـعى إلى السـعادة)). وقـد حذرهـم بيتشر بأن ((الخليقة كلها سوف تعاني وتشقى في ألم وظلام دائمـين))

إذا أخفق الأمريكيون في أداء هذا الواجب. لقد وجد الفكر التبشيري في هذا الخطاب الديني الوطني الحوافز القوية للانتشار في أنحاء العالم والتبشير بالتجربة السياسة والدينية التي حققتها أمريكا.

التجربة الفريدة ومؤهلات أمريكا

لم يكن على القائلين بتفرد التجربة الأمريكية أن يبحثوا كثيراً عن الأدلة التي تشير إلى مباركة السماء لهم، وعن المؤهلات التي تمكنهم من نشر نظامهم الجديد في أنحاء العالم. كتب أحد الأمريكيين في مجلة ((أمريكان ثيولوجيكال ريفيو)) (American Theological Review) عام ١٨٥٩ يشرح إمكانيات أمريكا ومؤهلاتها لنشر نور الكتاب المقدس والنظام الأمريكي. فالموقع الجغرافي يتوسط قارات العالم ويسمح للأمريكيين بالانتشار بسهولة لتبليغ رسالتهم. كما أن هذا الموقع المتوسط يسمح لجماعات كثيرة من كل بقعة في العالم للهجرة إلى أمريكا والتمتع بما لديها من ثروات وميزات. لكن هذا الموقع الجغرافي يشكل أيضاً حاجزاً يحمي أمريكا من أطماع الآخرين ومن انتشار عقائدهم وتقاليدهم الفاسدة. أما بالنسبة للتبشير الديني، فقد أشار الكاتب إلى أنه ((لو رسمنا محاور من شواطئنا الشرقية والجنوبية لوصلت هذه المحاور إلى جميع أراضي الكفرة والمحمديين والبابويين بالطرق المائية... هذا الموقع الرائع يمكننا من إيصال الحضارة والمسيحية إلى الأمم الغارقة في الجهالة والانحطاط))[١٢].

ولم يكن هذا الموقع الجغرافي غائباً عن أذهان الآباء المؤسسين حين اجتمعوا في مؤتمر فيلادلفيا لوضع وثيقتي إعلان الاستقلال والدستور. تحدث أحد أعضاء المؤتمر عن ((المحيط العظيم الذي تهدر أمواجه بين أوربا وأمريكا... والذي يشكل خط دفاع كامل ودائم)) لحماية الدولة الفتية. كما خطب هاملتون، أحد أعضاء المؤتمر الموقعين على وثيقة الدستور فلاحظ ((مزايا الموقع الجغرافي الذي حبا به الله هذه الدولة))[١٣].

كما عبر الأمريكيون في النصف الأول من القرن التاسع عشر عن شكرهم للعناية الإلهية على الثروات الطبيعية من غابات وأنهار وأراضي خصبة وثروات داخل الأرض من معادن واحتياطي نفطي قال أحدهم ((إننا سنحتاج إلى نصف مليون سنة لاستنفاد هذه الطاقة وأن القارة الجديدة يمكن أن تستوعب خمس مئة مليون نسمة)). كل هذه المؤهلات تجعل من الدولة الجديدة موئلاً لمن يفرون من الظلم والاستبداد ومصدراً يخرج منه المبشرون ((يحملون معهم مبادئ العلم والحرية والدين))[١٤].

وذهب الشاعر جول بارلو إلى أبعد من ذلك منذ عام (١٨٠٩) حين أدرك ما أصبح يسمى فيما بعد ((بقدر أمريكا البيّن)) ونظر إلى المستقبل فرأى ((أن امتداد القارة الأمريكية كلها يجب أن يكون ضمن حدودنا لكي يتسع لأكثر من مئتي مليون من البشر)). وأضاف بارلو، مبيناً مسؤولية هذه الدولة الفتية حتى عندما كان مؤتمر فيلادلفيا ما زال يناقش وثيقة الاستقلال، قائلاً: ((لم تأت على العالم فترة في حياة أمة واحدة كان مصير الملايين من البشر يعتمد على صوت شخص واحد كما يحدث في أمريكا الآن. فعلى كل مواطن حر في هذه الإمبراطورية الأمريكية أن يعتبر نفسه مشرعاً لنصف البشرية، وأن نظامه سوف يضمن السعادة للبشرية جمعاء))[١٥].

ردد الشاعر في تلك الفترة نفسها هذا الحماس والتفاؤل والالتزام بمصير العالم بقوله:

هناك ستبزغ حقاً سعادة كولومبيا

وتستفيق أوربة من سباتها وتغني

وسيبزغ الفجر فوق آسيا

وتولد من جديد إفريقيا في ذلك اليوم

يجد من يقرأ في الثقافة الأمريكية في أقوال المنظرين الوطنيين اللقاء التام بين مملكة الله الأمريكية المقدسة وقيم الديمقراطية والنظام الأمريكي السياسي. لخص هذا التفكير الأمريكي المؤرخ الديني ريتشارد نيبور بقوله:

((إن مأسسة مملكة المسيح رافقتها بصورة طبيعية عملية إضفاء صبغة الوطنية على هذه المملكة... إن الفكرة القديمة القائلة بأن المسيحيين الأمريكيين هم شعب مختار أرسل في مهمة خاصة تم تحويلها إلى فكرة أمة مختارة تتمتع بتفضيل إلهي بدأ منذ الاستيطان، وازداد الأمريكيون قناعة به كلما تقدم القرن التاسع عشر. فالمسيحية والديمقراطية والمبادئ الأمريكية واللغة والثقافة الأنجلوساكسونية، وتطور الصناعة والعلوم والمؤسسات الأمريكية كانت كلها مختلطة ومرتبكة في قناعة الأمريكيين المغرقة بصلاحهم التام... هذا بالضبط هو ما اعتبره الأمريكيون مملكة العرق الأنجلوساكسوني التي كان لها أن تنشر النور إلى جميع الأميين بواسطة مصابيح صنعت في أمريكا))[١٦].

أدرك نيبور حين نظر إلى ماضي أمريكا الخلط بين الكنيسة والعالم وبين مفاهيم المسيحية والديمقراطية الأمريكية وغيرها من المؤسسات الأمريكية. وسيتضح من دراسة تاريخ أمريكا الحديث والمعاصر استمرار هذا الخلط بين المسيحية والأمريكية وإصرار الأمريكيين – من صانعي القرار السياسي إلى الوعاظ اليمينيين – على دور أمريكا في نشر أفكارها في العالم حتى ولو كان ذلك بفوهات البنادق.

الفصل السادس

العبيد في أمريكا

وأسطورة أرض الميعاد

((لقد بلغت قمة الجبل، ولكأنني أرى أمامي أرض الميعاد))

مارتن لوثر كينغ الابن

إن قصة اختطاف الملايين من الإفريقيين واستعبادهم في ما يعرف ((العالم الجديد)) هي من أكثر الأحداث مأساوية في التاريخ الحديث، بل في تاريخ البشرية. فلقد عمد الأوروبيون منذ أن اكتشفوا العالم الجديد - ومنه أمريكا الشمالية- إلى اختطاف أعداد كبيرة من الزنوج الإفريقيين واقتيادهم بالأغلال إلى المناطق الجديدة التي استوطنوها حيث كان الإفريقيون يباعون عبيداً لأسياد بيض استخدموهم في معظم الأحيان في نظام من العبودية لا مثيل له من حيث قسوته ولا إنسانيته.

بدأت ممارسات العبودية في أمريكا الشمالية أثناء فترة تأسيس المستوطنات الأوروبية الأولى. وكان من هؤلاء العبيد الإفريقيين الأوائل ((العشرون)) المشهورون الذين حملتهم سفينة هولندية إلى مدينة جيمستاون عام ١٦١٩، وهم أول مجموعة إفريقية في ثاني مستوطنة إنجليزية في أمريكا الشمالية. ثم ازدادت

أعدادهم بشكل سريع ومستمر في الأجزاء الكندية من أمريكا الشمالية وفي حوض نهر الميسيسيبي وغيرها في القرنين السابع عشر والثامن عشر (Barksdal, 4).

جعل وجود العبيد الإفريقيين في المستوطنات الجديدة المستوطنين – ومنهم الطهوريون الإنجليز- ينظرون إلى نظام العبودية على أنه أمر طبيعي مسلم به. وهكذا نجد بعض زعماء الطهوريين في المستوطنات الجديدة يوصون أتباعهم بحسن معاملة العبيد الذين يملكونهم. مثل ذلك ما أوصى به المؤرخ الديني الأمريكي الأول كوتون ماذر (Cotton Mather) قائلاً: «عندما نملك عبيداً في بيوتنا علينا أن نعاملهم معاملة إنسانية؛ علينا أن نعاملهم بشكل يجعل من عبوديتهم مصدراً لسعادتهم» (Barksdale, 190)[1].

وكان بعض العبيد القلائل يستفيدون بالفعل من معاملة أصحابهم الحسنة، خاصة في حالات استثنائية سمح فيها الأسياد البيض لعبيدهم أن يتعلموا القراءة والكتابة. من هذه الحالات قصة الإفريقية المستعبدة فيليس ويتلي (Phylis Wheatley) التي كانت أول شاعرة إفريقية في أمريكا والتي تغنت بفضائل العبودية في ظل صاحبها جورج وايتفيلد (Berksdale, 40).

لكن الغالبية العظمى من حالات العبودية كانت مأساوية لا محل فيها للرحمة أو الشعور الإنساني. وليس هذا مكان الخوض في تفاصيل هذه المؤسسة المؤلمة، لكننا نذكر على سبيل المثال عشرات الألوف من الإفريقيين الذين لاقوا حتفهم أثناء الرحلة عبر المحيط الأطلسي بسبب الظروف الصعبة غير الصحية التي كدست بها هذه الأحمال البشرية في جوف السفن. كانت هذه الرحلة تعرف «بالرحلة الوسطى»، وقد وصفها أحد الشعراء الإفريقيين – الأمريكيين في قصيدة أعطاها عنوان «الرحلة الوسطى» وتحدث فيها باسم تاجر عبيد أبيض. قال:

يا يسوع، يا إستريلا، يا إسبرانزا، الرحمة:
أشرعة أنين الحمى والموت.
الرحلة الوسطى: الرحلة عبر الموت إلى الحياة.
تبحر السفينة إلى أمريكا، تحمل إلى الوطن
الذهب الأسود، العاج الأسود، النسل الأسود.
وفي جوف السفينة العفن أبوك،
من عظامه صنعوا مقاعد الكنيسة في نيوإنجلند
ومصابيح المنبر هذه كانت عينيه.
يا يسوع، يا مخلص، خذ بيدي
عبر بحار الحياة الهادرة.
أدعوك يا إلهي أن تمنح
سفينتنا إبحاراً آمناً،
فهي تنقل أرواح الكفرة إلى الهدى،
أنت الذي سلكت الطريق على قدميك
إلى جبال الجليل.

(by Robert Hayden, Barksdale, 680-83 ((The Middle Passage))).

كما أن كل من قرأ في التاريخ الأمريكي يذكر حادثة الرحلة الوسطى المعروفة باسم ((قضية زونج)) (The Zong Case) حيث ألقى بحارة سفينة إنجليزية حمولة السفينة من الإفريقيين وعددهم (١٣٠) في عرض البحر لكي يحصل تجار العبيد على أموال التأمين دون تكليف أنفسهم عناء الإبحار إلى أمريكا لبيع الإفريقيين هناك.

جاءوا بكم عنوة من أوطانكم

قيدوكم بالسلال

كدسوكم كالخراف في جوف السفن

باعوكم للسادة المحترمين

روضوكم كالثيران

روعوكم

طبعوا أختامهم على جلودكم

جعلوا نساءكم وسائل للتفريخ

ضاعفوا أعدادكم بأبناء الحرام

علموكم الدين الذي حقّروه

(by Sterling Brown, Barksdale, p. 634 ((Strong Men))).

إن ما يجعل مؤسسة العبودية في أمريكا أمراً مذهلاً لمن يدرس التاريخ الفكري الأمريكي هو أنها تتنافى وتتناقض مع كل المبادئ والقيم التي نادى بها القادة السياسيون والدينيون والمفكرون الأمريكيون منذ تأسيس المستوطنات الأوروبية الأولى وحتى الآن. وأكثر هذه التناقضات عمقاً هو أن مؤسسة العبودية قد استمرت وازدهرت كنظام معترف به قانونياً وأخلاقياً لمدة ثلاثة قرون، وكان إلى ذلك نظاماً أساسياً في الحياة الاقتصادية والاجتماعية والسياسية الأمريكية. كان نظام العبودية جزءاً لا يتجزأ من الحياة الأمريكية حتى حين كان الأمريكيون يخوضون معركة الاستقلال والحرية ويصدرون وثائق ((الدستور)) و ((إعلان حقوق الإنسان)) و ((إعلان الاستقلال)) في أواخر القرن الثامن عشر.

وربما كان هذا التناقض هو ما دعا الناقد الاجتماعي الإنجليزي صاموئيل جونسون (Samuel Johnson) أن يعلق قائلاً: ((أليس من الغريب أن يصدر أعلى نباح من أجل الحرية عن المتعاملين بالعبودية))(٢).

والواقع أن التاريخ الفكري الأمريكي يتفرد بهذا الاعتقاد المستمر منذ بداية إنشاء المستوطنات بأن أمريكا نموذج للحريات الفردية والديمقراطية والمساواة، على العالم كله أن يقتدي به.

فاخر الأمريكيون دوماً بأن الله قد اختار بلدهم وأمتهم قدوة للبشرية، وحملهم المهمة المقدسة لنشر نور الإيمان والديمقراطية في جميع أنحاء العالم. عبر عن هذا الاعتقاد الشاعر هنري و. لونغفيلو عام ١٨٤٩ في قصيدة ((الجمهورية: سفينة الدولة)) قال فيها:

تابعي رحلتك يا سفينة الدولة

تابعي رحلتك أيتها الوحدة القوية العظيمة

فالبشرية – بكل مخاوفها–

تمسك أنفاسها وتعلق كل آمالها ومستقبلها

على مسيرتك

ورغم كل هذا الزهو والافتخار بالتجربة الأمريكية، ورغم جميع المبادئ والتصريحات عن مفاهيم الحرية والمساواة والديمقراطية، ارتكب المجتمع الأبيض في أمريكا خيانة كبرى ضد العبيد، حين لم يمنحهم الحرية والمساواة التي كفلها الدستور وإعلان الاستقلال صراحة لجميع المواطنين. لقد بقيت النزعة العرقية، حسب ما قاله الكاتبان الأمريكيان ريتشارد باركسديل وكينث كينامون (Richard Barksdale, Kenneth Kinnamon) عاملاً ثابتاً في التاريخ الأمريكي منذ البداية حتى الآن رغم أن هذه النزعة اتخذت أشكالاً متعددة في

التاريخ الأمريكي عبر السنين (ص ٤٠). كما أكدت رسوخ هذه النزعة العرقية في المجتمع الأمريكي الدكتورة نيلي ماكاي (Nellie Makay) أستاذة الأدب الإفريقي – الأمريكي في جامعة ويسكونس بقولها: ((هذه أمة متحيزة عرقية، بل إن النزعة العرقية تدخل في تركيب نسيج الأمة. إن كل شخص ملوّن يشعر بهذا التحيز ضده))[٣].

لا شك أن الكثيرين من الأمريكيين البيض – وخاصة المتحررون التقدميون منهم – واجهوا أزمة ضمير حادة في تعاملهم مع مؤسسة العبودية. وكان منهم من رفع شعار تحرير العبيد منذ فترة مبكرة ووقف في وجه المؤسسة على قوتها. فمن رجال الأدب كتب الشاعر والكاتب الأمريكي جون غرينليف ويتير (John G. Whittier) الكثير من المقالات والقصائد ضد مؤسسة العبودية. احتج ويتير على هذا النظام الظالم الذي يسمح لإنسان ما أن يمتلك إنساناً آخر ويبيعه ويشتريه. في مقالة عنوانها ((العدالة والمصلحة)) كتبها في أيار عام ١٨٣٣. هاجم ويتير كل من يدعم مؤسسة العبودية أو يوافق عليها أو لا يعارضها. قال ويتير: ((نحن مواطني الوطن الواحد، نتستر على عمل شرير، ونصوت لصالحه في مجالسنا التشريعية. نحن، أبناء العائلة الواحدة، نقترف الخطيئة والعار ضد إخواننا وضد الله. إن نتائج هذا العمل ضد الإنسانية وضد الرب يهوه، سوف يلحق العقاب بالأمة كلها)).

وأضاف ويتير يصف الوضع القانوني لمؤسسة العبودية وحالة الزنوج المستعبدين: ((إن العبودية تحظى بحماية اتفاقيات دستورية، وحماية القوات المسلحة والمليشيا في الولايات المتحدة التي تدعي أنها ألغت نظام العبودية.... ما هو هذا النظام الذي نحميه وندعمه؟ إنه النظام الذي يضع مليوني إنسان من مخلوقات الله في نير العبودية، ويترك مليوناً من النساء دون حماية، بل هو يجعل مقاومتهن الضعيفة للأعمال الشنيعة جريمة يعاقبُ عليها بالموت))[٤].

وأدرك بعض الأمريكيين البيض المحنة التي يعيشها الإفريقيون في ظل العبودية في أمريكا. كتب المبشر الأمريكي دانيال بليس في عام ١٧٧٢ قصيدة قصيرة لتوضع على قبر زنجي أسود، قال فيها:

يرقد هنا جون جاك، مواطن إفريقي

رغم أنه ولد في بلاد العبودية

فقد ولد حراً

ورغم أنه عاش في بلاد الحرية

عاش عبداً

وأخيراً منحه الموت

حريته

تعرض الزنوج منذ وصولهم إلى أرض العبودية لعملية منتظمة مستمرة تهدف إلى تجريدهم من هويتهم الثقافية وفرض ثقافة أسيادهم البيض عليهم. تم ذلك بأساليب وطرق عديدة منها تفريق أفراد الأسرة الواحدة وذلك ببيعهم إلى جهات مختلفة، وحرمان العبيد من ممارسة طقوسهم وتقاليديهم الدينية والاجتماعية، وإجبارهم على اعتناق الدين المسيحي. أدت كل هذه الأساليب إلى وقوع الزنوج العبيد في حالة ضياع ثقافي جعلهم عرضة لتأثير الثقافة المحيطة بهم. وصف ذلك باركسديل وكينامون بقولهما: ((في ظل العبودية جرى هدم أشكال النظام الاجتماعي الأفريقي بما في ذلك حياتهم العائلية، ومعتقداتهم الدينية، ولغاتهم، وحتى فنونهم، مما جعل العبد وقد فقد هويته الثقافية الإفريقية غير قادر على تبني الهوية الثقافية الأمريكية البيضاء بشكل كامل. أصبح العبد الأسود رجلاً معلقاً بين ثقافتين لا يستطيع ممارسة أي منهما بصورة كافية)). (ص ٢).

نجح المجتمع الأمريكي الأبيض في تنفيذ عملية ((غسل الدماغ)) وتجريد معظم الإفريقيين العبيد من هوياتهم الثقافية الإفريقية، وكان ذلك، كما أسلفنا، بأساليب عديدة كان أهمها منعهم من ممارسة طقوسهم وتقاليدهم وتوريثها للأجيال التالية، ومنها فرض العقائد والطقوس المسيحية عليهم. بل لقد نجح الأسياد البيض في هذا المسعى في بادئ الأمر لدرجة أقنعوا معها بعض العبيد بأن العبودية هي مصدر سعادتهم وخلاصهم في الدنيا والآخرة، وأنها تحرير لهم من ((الجهالة الإفريقية)) وحرية من ((عبودية مصر)). وهذا ما جعل خطاب أولئك العبيد مزيجاً من الأفكار والتعابير من النصوص المقدسة المسيحية ومن تجاربهم الشخصية في إفريقيا وفي أمريكا. وهكذا راحوا يعبرون عن تلك التجربة بما تعلموه من التراث اليهودي – المسيحي وذلك بتمثيلها بهروب القبائل الإسرائيلية من ظلم فرعون واستعباده سعياً وراء ((أرض الميعاد))(٥).

اقتنع ثلاثة من أوائل العبيد المثقفين في أمريكا بهذه الأفكار، وبأن العبودية التي فرضت عليهم كانت في الواقع خلاصاً من عبودية أكبر، بل هي حرية من الجهالة الإفريقية. كتب الإفريقي الأمريكي أولودا أكويانو (Olaudah Equiano) شعراً في ذلك:

عبثاً حاولت الخلاص من ألمي وعذابي

حتى استسلمت لجهنم مصيراً.

مثل السجين أمام قاضيه

يدرك خطيئته ومخاوفه

وضياعه في الدنيا والآخرة.

حتى جاء شعاع من نور المسيح

وأطلقني من سجني.

كل عمل البشر وتضحياتهم وصلواتهم

تذهب أدراج الرياح

لأن الخلاص هو في المسيح فقط.

والشاعرة فيليس ويتلي تعلمت من أسيادها البيض أثناء عبوديتها لدى عائلة وايتفيلد أنها ((رأت النور)) في حياة العبودية واستحقت بذلك بطاقة عضوية المجتمع المتمدن والخلاص في المسيح، وهي تستقي في شعرها من مفردات الخطاب الديني الخاص بالهروب من مصر والوصول إلى أرض الميعاد:

دفعني للكتابة حماس داخلي

ووعدت ربة الشعر بالأخذ بيدي.

منذ مدة قصيرة غادرت وطني

أرض الخطيئة والجهالة المصرية.

يا إله الرحمة، يدك المخلصة

قادتني بسلام من منازل الجهالة.

يكتمل فقدان الهوية الثقافية، ويتنكر هؤلاء العبيد الأوائل لثقافتهم الإفريقية، بل هم يصفونها بالجهالة والخطيئة ويعتقدون أنهم لا يكفرون عن خطاياهم الفردية فقط وإنما عن خطيئة كبرى اسمها إفريقيا. كتب زميل ويتلي الشاعر جوبيتر هامون (Jupiter Hammon) يهنئها على خلاصها:

تعالي أيتها الشابة المؤمنة

وسبحي ربك بحكمته

أتى بك من شواطئ بعيدة

وعلمك كلماته المقدسة

غادرت شواطئ الكفر والظلام

برحمة من ربك

فتعالي من أرض الخطيئة

وسبحي ربك بحكمة

تعالي يا فيلس العزيزة

واشربي من مياه السامرة

وتردد الشاعرة الأفكار نفسها حين تذكر المجتمع الأبيض أن الإفريقيين أيضاً رغم لونهم الأسود يستحقون الخلاص بالإيمان:

الرحمة هي التي خلصتني من أرض الكفر

وعلمت نفسي الخاطئة

بوجود الله ووجود المخلص أيضاً،

رغم أني عاجزة عن الخلاص بنفسي.

ينظر البعض باحتقار إلى وجوهنا الداكنة:

((هذا اللون هو صبغة من الشيطان)).

تذكروا، أيها المسيحيون، أن العبيد بلونهم الأسود يمكن خلاصهم ولحاقهم برتل الملائكة.

أمران جليان يبدوان من هذه الأمثلة المبكرة من تاريخ العبودية في أمريكا:

أولاً: نجحت جهود المجتمع الأبيض الأمريكي في نزع الثقافة الأصلية عن الإفريقيين الأمريكيين في وقت مبكر.

ثانياً: أتاح الفراغ الثقافي هذا لثقافة ومعتقدات المجتمع الأبيض أن تدخل المجتمع الأسود من بوابة عريضة، بل إن البعض قبلها واقتبس منها في سلوكه اليومي. وكان التراث اليهودي - المسيحي العمود الفقاري لهذه الثقافة.

والأمر المهم هنا هو أن الإفريقيين الأمريكيين تبنوا بصورة جماعية تراكمية على مر الزمن مفاهيم وقصص ((العهد)) و ((أرض الميعاد)) و ((الشعب المختار)) كمفاهيم مفضلة لأنهم رأوا فيها علاجاً نفسياً وروحياً لحالتهم. كان الرمز الديني للبحث عن الخلاص والراحة من العبودية نوعاً من الانتقام الضمني ينفذه الإفريقيون العبيد من أسيادهم البيض دونما خوف من العقاب. فالخلاص، كما تعلموا من المجتمع الأبيض، منحه الله لجميع الذين يؤمنون بالمسيح مخلصاً، وهو بذلك يجعلهم متساوين مع البيض في الحياة الآخرة على الأقل. وهذه هي الرسالة التي نقرؤها في قصيدة فيليس ويتلي الآنفة وغيرها من كتابات زملائها.

هذه هي مساحة الجغرافيا الروحية التي نشدها الإفريقيون في أمريكا وقد وجدوا أنفسهم يعيشون عبودية لا خلاص منها في هذه الدنيا. وهكذا عللوا النفس بآمال الخلاص والمسكن والوطن في الموت حين وجدوا أن العودة إلى الوطن الجغرافي أمراً مستحيلاً.

كان أفضل رمز لمفاهيم الخلاص والحرية والرحمة موضوع وصول الشعب المختار إلى أرض الميعاد كما وجدوه في النصوص المقدسة. فالهرب من ظلم فرعون واستبداده هو رمز للثورة على نظام العبودية والتوق إلى الحرية. ولم يكن تعلق المجتمع الإفريقي بهذه الرموز الدينية أمراً عشوائياً مفروضاً عليهم، بل هم وجدوها مناسبة لوضعهم في أمريكا، وأصبحت جزءاً من خطابهم الديني - الاجتماعي كما سنرى في الأمثلة التي سنوردها من الأغاني الدينية وغيرها. وقد وصف المفكر الزنجي الشهير ويليم.ي.ب. دوبوا (William E.B.Du Bois) الأغنية الدينية الزنجية ((برسالة العبد البليغة الوحيدة إلى العالم)).

كما أن الموعظة الدينية في الكنائس الزنجية اكتسبت أهمية كبيرة منذ اعتنق العبيد المسيحية، وكانت هي أيضاً تحمل هذه الرموز الدينية في ثناياها. ويؤكد الفيلسوف والعالم الديني هاورد ثيرمان (Howard Therman) أن ((العالم الرمزي للموعظة الدينية السوداء هو نفسه نموذج لأكثر الحالات إثارة حيث يصنع مجتمع ما سلاحاً هجومياً من قيد سيكولوجي. فقد عمل العبيد الإفريقيون بإبداعية مدهشة على تحرير دين كان أسيادهم البيض قد دنسوه بحرمانهم من حريتهم))[٦].

وبذلك أعاد المجتمع الأسود الخالق إلى مركز معتقداته وقيمه الأخلاقية، ولم يعد يشعر بأنه ينطلق في علاقاته معه من الباب الخلفي الذي كان المجتمع الأبيض قد خصصه لهم. أخذ الإفريقيون مفهوم ((العهد)) واستعملوه مع ما حمله من معاني وأفكار في أغانيهم الدينية ومواعظهم وكتاباتهم السياسية والاجتماعية. ومن المؤكد، كما قال المؤرخ الديني:

((أن مفهوم أرض الميعاد يعمل كمنارة من الأمل لليهود – القدماء والحديثين – كما أنه يمثل أكثر من حلم وطني بالنسبة لمعظم الأمريكيين البيض. مع ذلك فقد عمل هذا المفهوم لأكثر من (٣٠٠) عام كموضوع مركزي في حياة الإفريقيين–الأمريكيين الذين يرون في أمريكا الأرض الموعودة. بقيت صورة أرض الميعاد – أمريكا – علاقة بارزة في خيال الأمريكيين السود، رغم أنهم لم يفروا إليها كملاذ من الاضطهاد المصري))[٧].

في شهر أيار من عام ١٩٦٨ سمعت خطاب الزعيم الإفريقي الأمريكي الدكتور مارتن لوثر كينغ الابن (Martin Luther King, Jr.) قبل اغتياله بساعات قليلة، حيث قال للجماهير المحتشدة: ((لقد بلغت قمة الجبل، ولكأنني أرى بعيني أرض الميعاد)).

ذكرتني هذه العبارة بالكثير مما كنت قرأته من الأعمال الأدبية وغيرها مما

كتبه الزنوج الأمريكيون، وبصورة خاصة استعمالهم لقصة رحلة موسى مع قبائل إسرائيل من مصر إلى فلسطين تخلصاً من اضطهاد فرعون.

وذكرت بصورة خاصة عدداً غير قليل من الأغاني الدينية التي ما زال المجتمع الإفريقي- الأمريكي يرددها في حياته اليومية. إن الكثير من هذه الأغاني يحكي قصة التحرر من العبودية ويتمثل شخصيات من النصوص المقدسة حررها الله من الاستبداد. وهي أيضاً تحكي عمليات التحرر والهروب إلى ملاذ آمن، بل هي كما قال الكاتب الزنجي الأمريكي نيومان ((تاريخ حي يحمل رسالة حية ستكون منارة للساعين من أجل الحرية)).

كانت الأغاني الدينية أيام الاستعباد وبعد ذلك جزءاً من الحياة اليومية للزنوج في أمريكا، وبالتالي أصبحت من مكونات تفكيرهم وثقافتهم. كما كانت، كما يقول وسيلة ((يعزي بها الزنوج بعضهم البعض على أوضاعهم المأساوية. وكانوا يلجؤون إليها كصيغة من صيغ التواصل الإنسانية البدائية. وهي الرقص والغناء والكلام)).

وعلى الرغم من كل أنواع الاستبداد والقهر التي مارسها المجتمع الأبيض، بقي الإفريقيون العبيد في أمريكا مجتمعاً مترابطاً ضمن الظروف التي فرضت عليهم. وكانوا في ذلك يستعينون كثيراً بالكنيسة والأنشطة الدينية، إذ لم تسمح الحياة الاجتماعية في ظل العبودية بأكثر من ذلك. كان العبيد في حقول القطن والتبغ، وفي عملهم اليومي في منازل البيض، وفي الكنيسة ومنازلهم يغنون ويرقصون على أنغام اقتبسوها من دين الأمريكيين البيض. وكانت هذه الأنشطة وسيلة لرفع معنوياتهم وتخفيف عبء المعاناة والألم الملازمين لحياة العبودية.

وكان الرمز الديني للوطن يتردد في كثير من هذه الأغاني، كما نرى في الأغنية ((تأرجحي أيتها العربة الجميلة)).

(Swing Low Sweet Chariot).

تأرجحي ببطء أيتها العربة الجميلة، آتية لتحملني إلى وطني.

تأرجحي ببطء أيتها العربة الجميلة، آتية لتحملني إلى وطني.

نظرت عبر الأردن، فماذا رأيت؟ آتية لتحملني إلى وطني.

جماعة من الملائكة تتبعني، آتية لتحملني إلى وطني.

إذا وصلت قبلي،

أخبري كل أصدقائي أنني في طريقي إلى وطني.

الوطن والمسكن، كما نرى، هما عبر الأردن، كما ورد في النصوص المقدسة في قصص بني إسرائيل، وهما بالنسبة للإفريقيين العبيد تلك الأرض الموعودة، أمل الحرية الذي كانوا يمنون النفس به.

عبر نهر الأردن أيضاً يقع أمل أكبر في الخطاب الديني، وهو مدينة القدس. والعبد الزنجي يعلن أنه على استعداد لدخول تلك المدينة:

(I Want to Be Ready).

((أريد أن أكون مستعداً))

أريد أن أكون مستعداً، أريد أن أكون مستعداً

أريد أن أكون مستعداً لدخول القدس كما دخلها يوحنا.

آه يا يوحنا، آه يا يوحنا، ماذا ترى؟ أدخل القدس كما دخلها يوحنا.

سأكون هناك يوم غد، أدخل القدس كما دخلها يوحنا.

عندما كان بطرس يلقي موعظته، أدخل القدس كما دخلها يوحنا.

كانت الروح تلهمه، أدخل القدس كما دخلها يوحنا.

زوّدت هذه الأغاني الدينية برموزها الكتابية مجتمع العبيد بالأمل في راحة أبدية تعوضهم عن معاناتهم في الحياة الدنيا. وكانت بذلك وسيلة للتسامي فوق الألم المادي وتعبيراً عن تحدي هذا الألم. يتصور العبد ما قاله الله لموسى وكأن كلام الله موجه له أيضاً في محنته، وتحلق روحه فوق نهر الأردن إلى الجنة وراء ذلك النهر حيث الراحة الأبدية:

((كلما شعرت بالروح تختلج في نفسي)).

(Every Time I Feel the Spirit).

كلما شعرت بالروح تختلج في نفسي، سوف أصلي

آه كلما شعرت بالروح تختلج في نفسي، سوف أصلي

على قمة الجبل

حين تكلم الله

خرج من فمه النار والدخان

نظرت حولي، كل شيء كان على ما يرام

وسألت ربي، هل كان يكلمني.

مياه الأردن تجري باردة قارصة،

يرتعش لها الجسم، ولكن ليس النفس،

ليس ثمة سوى قطار واحد على هذا الخط،

يغدو إلى الجنة

ثم يعود فوراً.

ويمضي العبد في مسيرة الحياة ممنّياً النفس بعون من الله برموز الكتاب وقصة موسى عليه السلام.

((أعبر المياه مشياً))

(Wading in the Water).

سيروا عبر المياه، سيروا عبر المياه أيها الأطفال

سيروا عبر المياه، فلسوف يعكر صفوها الله،

من ترى تلك العصبة ترتدي الأبيض؟ سوف يعكر صفوها الله،

قائدها يبدو من الإسرائيليين، سوف يعكر صفوها الله،

من ترى تلك العصبة ترتدي الأحمر؟ سوف يعكر صفوها الله،

تلك الجماعة التي قادها موسى: سوف يعكر صفوها الله.

ولعل هذا الحشد من المقاصد والدلالات الواضحة منها والمبطنة هو ما جعل الكاتب الزنجي (Newman) يصف مجموعة الأغاني الدينية التي جمعها في كتاب واحد بقوله: ((لأن الكنيسة السوداء كانت المؤسسة التي تخضع لأقل قدر من سيطرة المجتمع، فإننا نجد فيها مزيجاً بين الدين الأبيض الإفريقي مع البروتستانتية التبشيرية في الريف الجنوبي من أمريكا. ولقد أردت أن أبين في هذه المجموعة أن الأغاني الدينية (إضافة إلى أنها أنغام دينية رائعة) هي أيضاً أغاني للحرية مليئة بالمعاني والألغاز والرموز التي تحمل رسائل سرية))(٨).

بل ذهب نيومان إلى القول بأن الزنوج العبيد كانوا ينفذون عملاً واعياً في اقتباسهم مواضيع هذه الأغاني: ((إن أعظم إنجاز قدمه العبيد هو تحويل الثقافتين الأوروبية – الأمريكية والإفريقية والخروج بمزيج متناسق حي من ثقافتين غير متوافقتين)).

ومهما يكن من أمر، فإن العبيد الذين فرضت عليهم ثقافة المجتمع الأبيض لم يكتفوا بالتأقلم مع هذه الثقافة. بل هم استطاعوا أن يكيفوا بعض مظاهر ومواضيع هذه الثقافة لظروفهم وحاجاتهم، مثلما فعلوا بالغناء والموسيقى.

ويمكن أن نتصور مفعول الأغاني الدينية على الجماعات السوداء أثناء محاولات الثورة التي أقدم عليها أشخاص مثل نات تورنر (Nat Turner)، خاصة في أغنية مثل تلك التي تحكي قصة معركة أريحا:

((خاض يشوع معركة أريحا))

(Joshua Fitt the Battle of Jericho).

خاض يشوع معركة أريحا، أريحا، أريحا

خاض يشوع معركة أريحا، وانهارت الأسوار من حولها.

لك أن تتكلم عن رجل اسمه جدعون، لك أن تتكلم عن رجل

اسمه سول

لكن ليس هناك مثل يشوع العظيم في معركة أريحا ذلك الصباح

مشى إلى أسوار أريحا حاملاً رمحه

صاح يشوع ((انفخوا في الأبواق

فالمعركة أصبحت لي)) ذلك الصباح.

وجد مجتمع الإفريقيين في قصة تحدي موسى لفرعون بأمر ربه قصة مناسبة شبيهة بمطالبتهم بالحرية للشعب المستعبد. فرعون مصر يستعبد الإسرائيليين ويسومهم سوء العذاب والأمريكيون البيض يستعبدون الإفريقيين، موسى يطالب بحرية شعبه وقادة العبيد يطالبون بالمساواة والحرية:

((ارحل يا موسى))

(Go Down, Moses)

ارحل يا موسى

ارحل يا موسى إلى أرض مصر

قل لفرعون: خل سبيل شعبي

حين سكن شعب إسرائيل مصر: خل سبيل شعبي

أرهقهم الاستبداد الغاشم: خل سبيل شعبي

ارحل يا موسى إلى أرض مصر

قل لفرعون: خل سبيل شعبي

((هكذا قال الرب)) يقول موسى الشجاع: خل سبيل شعبي ((وإذا لم تفعل سأميت مولودك البكر)): خل سبيل شعبي

ارحل يا موسى إلى أرض مصر

قل لفرعون: خل سبيل شعبي

((ارحل يا موسى))

لن يرزحوا في العبودية بعد الآن: خل سبيل شعبي

دعهم يخرجوا بغنائم من مصر: خل سبيل شعبي

ارحل يا موسى إلى أرض مصر

قل لفرعون: خل سبيل شعبي

ظلت صيحة ((خل سبيل شعبي)) من أكثر الشعارات إثارة لدى الكنائس الزنجية في أمريكا، ثم أصبحت رمزاً لكفاح الإفريقيين- الأمريكيين للتحرر من استبداد المجتمع الأبيض. وساعدت هذه الصيحة قادة الزنوج في كل مراحل الصراع ضد العبودية والتمييز العرقي لما لاقته من تجاوب وحماس لدى العامة. كما

ساعدت هذه الصيحة رجال الدين والوعاظ في تفسير حالة العبودية وعمل الله المستمر في رسم تفاصيل حياة الناس ومعالم التاريخ. وكان الشبه الذي رآه العبيد بين قصتهم وقصة الإسرائيليين عزاء لهم: أليس الإسرائيليون شعب الله المختار وأحباءه؟

في تحليله لهذه الأمثولة الدينية يقول دولان هابارد إنها تلمس لب التجربة الأفريقية في أمريكا، كما تحمل أصداء ثقافية تعمل بقوة في مخيلة السامعين الزنوج. لذلك نجد نصوص هذه الأغنية تتردد مراراً في أعمال الزنوج الأدبية. ففي رواية ((اذهب وأعلنها من أعلى الجبل)) يذكّر (باربي) جمهور المصلين في الكنيسة بأن ((موسس)) الأمة الأمريكية قاد آباءهم وأجدادهم من عهد العبودية المظلم إلى نور الصباح: ((مثل القائد العظيم في الأيام الغابرة الذي قاد شعبه إلى شاطئ السلامة عبر البحر الأحمر، فقد تبع أجدادكم هذا الرجل العظيم عبر بحر الكراهية الأسود ومن أرض الجهالة فوق عواصف الخوف والغضب، وهو ينادي ((خل سبيل شعبي)) (p. 118).

وفي رواية ((اذهب وأعلنها من أعلى الجبل)) (Go Tell It on the Mountain) يلجأ الكاتب جيمس بولدوين إلى رموز الكتاب العبرية الراسخة في ضمير قرائه من الإفريقيين – الأمريكيين لكي يستثير مشاعرهم في مشاهدة هداية الشخصية الرئيسية (جبرائيل) مستعملاً أغنية ((خل سبيل شعبي)) وأغنية ((تأرجحي أيتها العربة الجميلة)) وغيرهما.

ويستمر بولدوين في استعمال المحاكاة التوراتية، فيسرد على لسان جبرائيل شطراً من سفر إشعياء (٦:٥) كموضوع لموعظته في الكنيسة السوداء.

فعندما يدخل المصلون في الكنيسة في رواية بولدوين، في حالة من النشوة والحماس الديني، ينطلقون في غناء عفوي: ((أيها الرب، أريد أن أكون جاهزاً، أريد أن أكون جاهزاً، لدخول القدس – كما دخلها يوحنا. أن أدخل القدس كما دخلها يوحنا)) (ص٨٠).

عبارة ((دخول القدس)) هي عبارة دينية رمزية على مستوى العبادة عند الزنوج في كنائسهم وفي غنائهم اليومي، لكنها على المستوى الثقافي القومي تدخل في الذاكرة الجماعية وتصبح عنصراً هاماً في التكوين الفكري لكي تظهر عندما تستدعيها أحداث سياسية آنية مثل الأحداث التي تقع الآن في الأراضي المقدسة. نجد مثلاً واضحاً على ذلك في شخصية جبريل بطل رواية بولدوين. هداية جبريل تذكر بأكثر الأفكار رسوخاً في التراث الديني الشعبي، تلك التي تتصل بالنهر والجبل والتوق إلى الحرية في تجربة هروب الإسرائيليين من مصر فرعون إلى أرض كنعان وهي التجربة النموذج لعبودية بمجتمع جبريل في رواية بولدين وفي غيرها من آداب الزنوج.

إن رموز وصور الجبل والنهر والبحر والوعد والصخرة وغيرها هي أجزاء من الصيغة المعقدة لهذا النموذج، وهي أيضا مشتقة من معتقدات التراث اليهودي-المسيحي الخاص بأدبيات آخر الزمان. ولا شك أن التجربة الإفريقية الأمريكية هي تجربة فريدة لمجتمع مضطهد استطاع –وإن بصورة رمزية– تحويل منزل العبودية إلى أرض الميعاد. فالإفريقيون العبيد عمدوا بشكل انتقائي وتدريجي وتراكمي إلى تبني ديانة أسيادهم ومضطهديهم وتحويل هذه الديانة إلى علاج لحياتهم التعيسة.

كان العلاج والراحة الذين زودتهم بهما فكرة الخلاص الأبدي والأمل بالوصول إلى أرض موعودة، هذا العلاج كان موجوداً باستمرار في طقوس الإفريقيين الأمريكيين الدينية وأدبهم المكتوب والشعبي طوال فترة وجودهم في أمريكا. وما أقوال مارتن لوثر كينغ الابن وجيمس بولدوين سوى أمثلة حديثة لهذه الظاهرة.

وهكذا، فقد اقتنع العبيد الأوائل أن عبوديتهم واقتيادهم بالأغلال إلى أمريكا كان في الواقع خلاصاً لهم من الجهالة الإفريقية. والعبيد الثائرون على

العبودية الأمريكية، والإفريقيون - الأمريكيون الذين ينتمون إلى الكنائس اليمينية، ويعملون لدعم إسرائيل. كل هؤلاء في مراحل تطور تجربتهم الأمريكية يعملون ضمن إطار التراث اليهودي المسيحي بأشكال مختلفة تتفق والأحداث الآنية التي يمرون بها في كل مرحلة.

هذا هو التراث الذي استحضره الزعيم الزنجي مارتن لوثر كينغ حين أعلن أنه وصل قمة الجبل وأنه يرى أرض الميعاد، وهو التراث الذي استحضره جبريل في رواية بولدوين حين راح ينشد:

أقف على شاطئ نهر الأردن الهادر

وأرسل نظرة حالمة

نحو كنعان الجميلة السعيدة

حيث تقع أرضي

وأنا أشد الرحال إلى أرض الميعاد

حلم أرض الميعاد هو حلم واحد لكينخ وبولدوين وللعشرات من الكتاب والشعراء والوعاظ والفنانين. كلهم يتغنون بالحرية عبر الأردن. ولعل اقتباس الرموز الدينية هذه يتضح أكثر ما يتضح في خطابين ألقاهما مارتن لوثر كينغ في مناسبتين مختلفتين. يقول في أولها:

((عندما تصدح أجراس الحرية من كل قرية وناحية، من كل ولاية وكل مدينة، يمكننا رؤية اليوم يستطيع فيه جميع أبناء الله، السود والبيض، اليهود والأمميون، البروتستانت والكاثوليك أن تتشابك أيديهم وهم يرددون معاً كلمات أغنية العبيد الدينية: أخيراً حصلنا على حريتنا، أخيراً حصلنا على حريتنا، حمداً لله أننا حصلنا على حريتنا)).

والنص الثاني من ((رسالة من سجين في مدينة برمنغهام))، وهو يوضح الموروث الثقافي اليهودي في السلوك الأمريكي. يقول كينغ في هذه الرسالة: ((سوف يعلم الجنوب حين يجلس أبناء المحرومين على موائد الطعام مع إخوانهم البيض أنهم كانوا يدافعون عن أفضل ما في الحلم الأمريكي وعن أكثر قيم إرثنا اليهودي – المسيحي قداسة)).

وهكذا فرغم ما كانت أفكار كينغ تتصف به من أبعاد إنسانية شمولية، فهو لا يستطيع الانفلات من إرث ثقافي راسخ (الإرث اليهودي – المسيحي) في تكوين الفكر الغربي.

هذا الإرث الذي أشار إليه كل من ت.س. إليوت ونورثروب فراي، وهو هو الإرث الذي نراه في اقتباس الإفريقيين العبيد في أمريكا لمفاهيم دينية دخلت في أدبيات خطابهم الديني والسياسي.

هوامش الباب الثاني

الفصل الثاني: ((وطن أعطيه لشعبي))

1. Sidney E. Ahlstrom, "Theology in America," in Smith and Jamison, vol. I, p. 236.

٢. للمزيد من التفاصيل عن هذا الموضوع يمكن للقارىء الرجوع إلى أعمال المؤلفين:

Vernon Parrington, Charles Fiedelson, Richard Neibuhr, Perry Miller, James Smith, and Leland Jamison, William Miller, Winthrop Hudson.

3. John Cotton, III, Title-page.
4. Ibid., p. 5.
5. Cotton Mather, vol. I, p. 69.
6. Winthrop, vol. II, p. 10.
7. Williams, vol. III, p. 4.
8. Increase Mather, p. 255.
9. Cotton Mather, vol. I, p. 131.
10. Washington, vol. III, p. 15.
11. Miller, vol. I, p. 325.
12. Ahlstrom, pp. 240-241.
13. Worcester, pp. 5-6.
14. Ibid., p. 8.
15. Ibid., p. 40.

16. Quoted by Vernon Parrington, "The Puritan Divines, 1620-1720", Cambridge History of American Literature, vol. I. p. 41.
17. Bradford, pp. 13-14.
18. Cotton Mather, vol. I, p. 60.
19. Parrington, p. 32.
20. Quoted by Niebuhr, p. 48.
21. Ibid., p. xii.
22. Olin, vol. I, p. 61.
23. Ibid., pp. 114-115.
24. Winthrop, p. 1.
25. Olin, vol. I, p. 62.
26. Merk, p. 3.
27. American Theological Review, vol. I, pp. 166-167.

الفصل الثالث: ((رؤيا صهيون))

1. Pierpont, pp. 5-6.
2. Lewis, p. 2.
3. Emerson, vo. XI, p. 299.
4. Melville, Redburn, p. 217.
5. Parrington, vol. I, p. 23.
6. Cotton Mather, vol. I, p. 265.
7. Parrington, vol. I, p. 40.
8. Ibid.
9. Quoted by Parrington, vol. I, p. 40.
10. Winthrop, vol. II, p. 117.
11. Ibid., vol. II, p. 295.
12. Fiedelson, pp. 78-79.
13. Ibid., p. 79.
14. Shaban, pp. 145-148.
15. Osgood, p. 3.
16. The Great Commission, pp. 388-389.
17. Ellen Clare Miller, pp. 209-210.
18. Increase Mather, p. 253.
19. Niebuhr, p. 141.
20. Ibid.
21. The Illustrated Handbook of All Religions, p. 17.
22. Buck, p. 478, 282-283.
23. Ibid.
24. The Illustrated Handbook of All Religions, p. 19.
25. بدأ وليم مؤمناً بوجود الله لكنه شكك بالمذاهب والكنائس السائدة في عصره. وبعد دراسة الكتاب المقدس لمدة عامين توصل إلى الاعتقاد الجازم بأن المسيح سيعود ثانية في مدة خمس وعشرين سنة. وبعد أن كسب بعض الأتباع لمبدأ المجيئيين الذي أسسه كتب عام ١٨٣٦ كتاباً عنوانه "دلائل من الكتاب المقدس والتاريخ عن مجيء المسيح الثاني" الذي تنبأ فيه أن موعد المجيء الثاني هو عام ١٨٤٣.

ثم أسس بعد ذلك مجلتين نبوئيتين هي "آيات الزمان" و "صيحة منتصف الليل" . واستطاع ميلر بالملايين من نشراته أن يعطي فكرة المجيء الثاني رواجاً كبيراً. مع حلول عام ١٨٤٣ كان عدد أتباعه يقارب ١٥٠,٠٠٠ عرفوا بالمجيئيين.

Buck, p. 479.

26. The Constitution of the American Bible Society, p. 14.
27. Buck, p. 479.
28. Jessup, Sermon, p. 22.
29. Jessup, The Mohammedan..., p. 23. See also Barclay, xiv-xx.
30. Jessup, Sermon, p. 25.
31. Humphrey, p. 19.
32. Barclay, p. 580.
33. Moses Stuart, p. 44.
34. Shaw, p. 117.
35. Shuler, p. 286.
36. Barclay, p. 3.

37. من أوراق تشارلز بورغ المحفوظة في مكتبة جامعة ديوك في أمريكا
38. Millard, p. 98.
39. Stephens, pp. 259-260.
40. Olin, pp. 348-349.
41. The Illustrated Handbook of All Religions, pp. 240-241.
42. Andrews, Feb. 25, 1942.
من أوراق تشارلز ويسلي أندروز المحفوظة في مكتبة جامعة ديوك في أمريكا
43. Bliss, p. xiv.
44. Lee Smith, p. 114.
45. Dorr, p. 184.
46. Bergh. Feb. 13, 1842.
47. Harland, p. 286.
48. Barclay, p. xii.
49. Jones, p. 264.
50. Andrews, Nov. 18, 1841.
51. Haight vol.I,p. 115.
52. Barclay, p. 601.
53. J. V. C. Smith, pp. 328-329.
54. Barclay, pp. 601-602.
55. Haight, vol. I, . 256.
56. Barclay, pp. 618-619.

الفصل الخامس: ((نجمة الشرق... ونجمة الغرب))

1. Barlow, vol. I, p. 527.
2. Dwight, p. 511.
3. Humphreys, from James A. Field, America and the Mediterranean World 1776-1882 (Princeton, 1969), p. 14.
4. Barlow, vol. I, p. 9.
5. Barlow, vol. I, p. 527.
6. Miller, "From Covenant to Revival," in Smith and Jamison, vol. I, p. 332.
7. New York Times, March 29, 1955.
8. Constitution of the American Bible Society, (N. Y., 1816), p. 13.
9. Lincoln, p. 14.
10. Ahlstrom, vol. I, p. 241.
11. American Theological Review, vol. I, pp. 153-154.
12. Hamilton, vol. VII, pp. 152-153.
13. American Theological Review, vol. I, p. 154.
14. Barlow, vol. I, pp. 526-527.
15. Niebuhr, pp. 178-179.

الفصل السادس: «العبيد في أمريكا وأسطورة أرض الميعاد»

١- معظم القصائد التي كتبها شعراء زنوج أمريكيون والتي نوردها في هذا الفصل مقتبسة من مجموعة:
Black Writers of America: A Comprehensive Anthology
Editors: Richard Barksdale and Keneth Kinnamon (N.Y., 1972)
وسنشير إلى هذا المرجع بكلمة Barksdale ورقم الصفحة.

٢- Kammen. p. 190.

٣- الدكتورة Nellie y. Mckay أستاذة الدراسات الإفريقية – الأمريكية في جامعة ويسكونسن. في مؤتمر إلكتروني في عمان.

٤- John Greenleaf Whittier, "Man's Property in Man" in The Annals of America (1976), Vol. 6, pp.1-5.

٥- Tindal and Shy, p. 192.

٦- Thermon, p. 39.

٧- Hubbard, p. 3.

٨- Newman, p. 1 في موقع على الشبكة عنوانه :
"Negro Spirituals"

٩- ونيومان هو محرر مجموعة شعرية غنائية عنوانها:
Go Down Moses: Celebrating the African-American Spirituals, Richard Newman.

الباب الثالث

الدين في أمريكا

- الفصل الأول: التراث اليهودي – المسيحي و ١١ أيلول.
- الفصل الثاني: دور الدين في أمريكا.
- الفصل الثالث: الدين في الحياة السياسية.
- الفصل الرابع: اليمين المسيحي.
- الفصل الخامس: بعض قادة اليمين المسيحي في أمريكا والتراث اليهودي المسيحي.

«لقد رأت عيناي مجيء الرب بجلاله»

من ترتيلة المعركة للجمهورية

الفصل الأول

التراث اليهودي - المسيحي و١١ أيلول

((طرح الرئيس بوش مهمته ومهمة الأمة كلها ضمن الإطار العام لرؤيا خطة الله الكبرى للكون)).

الصحافي بوب وودوورد

((الرئيس بوش في حالة الحرب))

ظهر تأثير الثقافة اليهودية - المسيحية في العديد من الأنشطة العامة التي شاركت بها قطاعات كثيرة من الأمة الأمريكية، كما رأينا من الأمثلة السابقة. ولكن التعبير عن الأفكار المعتقدات اليهودية - المسيحية لم يقتصر على مناسبات الأحداث الداخلية، بل تعداها إلى العلاقات والسياسة الخارجية. مثلاً، بعد هجمات الحادي عشر من أيلول عام ٢٠٠١ على برجي مركز التجارة العالمي والبنتاغون أقيم في الكاتدرائية الوطنية في واشنطن اجتماع ديني لإحياء ذكرى ضحايا هذه الهجمات الإرهابية. ضم الحشد الموجود في ذلك الاحتفال مجموعة غير عادية من الشخصيات بما في ذلك أعضاء حكومة الرئيس بوش وأعضاء المجلسين التشريعيين وموظفي الحكومة البارزين. كما حضر الرئيسان كارتر وكلينتون ونائب الرئيس السابق آل غور ومحافظ المصرف المركزي. كل

هؤلاء اجتمعوا تحت سقف مؤسسة دينية قومية وتـم نقـل هـذا الاحتفـال علـى الهواء مباشرة عبر أمريكا كلها.

تحدث في الحفل إضافة إلى الرئيس بـوش وشـارك في الطقـوس الدينيـة قـس بروتستانتي وحاخام يهودي وكاردينال كاثوليكي ورجل دين مسلم ثـم القـس المعمداني الشهير بيلي غراهام.

وصـف الصحفـي المرمـوق بـوب وودوورد هـذا الحفـل (في آخــر كتبــه: ((الرئيس بوش في حالة حرب)) (Bush at War, 2002) بأنه نقطة انطلاق نحـو الحرب بقدر مـا كـان احتفـالاً دينيـاً. فقـد ظهـرت في تصرفـات بـوش وأقوالـه المشاعر الدينية العميقة، وقال هو نفسه للصحافي وودوورد فيما بعـد: ((نظـرت إلى هذه اللحظة من وجهة نظر دينية، وشعرت أنه كان من الضروري للأمـة أن تصلي)). وأضاف: ((كانت اللحظة بالنسبة لي لحظة صلاة، الأمة كانت بحاجـة لأن تصلي)). (وودوورد، ص ٦٧). لكن هذه المشاعر الدينية العميقة والمخلصة التي عبر الرئيس بوش عنها لم تمنعه (بل يمكن القول إنها هي التي أعطته الحافز) من إعلان الحرب من على منبر ديني قومي.

قال الرئيس مخاطباً ذلك الحشـد في الكاتدرائيـة الوطنيـة والأمـة كلهـا علـى شاشة التلفزيون: ((إن مسؤوليتنا تجاه التـاريخ أصبحـت واضحـة جـداً: أن نـرد على هذه الهجمات ونخلص العالم مـن الشـر)). علـق الصحـافي وودوورد علـى ذلك بقوله ((كان الرئيس بذلك يطرح مهمته ومهمة الأمة كلها ضمن الإطـار العام لرؤيا خطة الله الكبرى للكون)).

وفي ختام الحفل وقف الجميع وأنشـدوا بصـوت مفعـم بـالتصميم الغـاضب ((نشيد ترتيلة المعركة للجمهورية)) (The Battle Hymn of the Republic) والذي يبدأ بعبارة:

((لقد رأت عيناي مجيء الرب بجلاله))

((Mine Eyes Have Seen the Glory of The Coming of the Lord)).

وقد علقت على هذا المشهد كوندليسا رايس، مستشارة الأمن القومي، فيما بعد بقولها ((شعرت برهبة الموقف وتصميم جميع من كانوا في الكنيسة)).

((ونشيد المعركة)) هذا يتصل بالتراث اليهودي – المسيحي اتصالاً وثيقاً سواء من حيث بدايته أو اكتمال صيغته. فقد كان اللحن في البداية لحن ترتيلة تتلى في مخيمات الإحياء الديني في القرن التاسع عشر حيث كانت لازمة هذه الترتيلة تقول: ((يا إخوتي هلا لا قيتموني على شواطئ كنعان))!.

ثم تطورت هذه الترتيلة لتصبح أخيراً ((نشيد المعركة للجمهورية)) وكل أبياتها تردد المجيء الثاني للمسيح ((بسوطه الرهيب السريع)) لكي يشن حرباً على قوى الشر ((ويسحق الأفعى بكعبه)). ((نشيد المعركة)) هذا هو من المواد المشتقة من النبوءات المقدسة التي يروج لها تجار آخر الزمان في اليمين المسيحي، وهو أيضاً من أكثر الأغاني المحببة للجمهور الأمريكي يردده في كثير من المناسبات الوطنية والدينية وغيرها.

إن إعلان الحرب على الإرهاب من على منبر الكاتدرائية الوطنية وتلاوة جميع الحضور بصوت حماسي ((نشيد المعركة)) (عيناي قد رأت مجيء الرب بجلاله) في ختام الحفل هما جزء من هذا النظام الكلامي الثقافي. والتصريحات المتكررة التي أطلقتها الإدارات الأمريكية المتعاقبة والزعماء الروحيون والسياسيون الأمريكيون بأن ((التاريخ)) أو ((القدر)) أو ((السماء)) أو غيرها من التعابير المشحونة ثقافياً قد أوكلت إليهم مهمة إنقاذ البشرية من الشر، ونشر نور الحرية والديمقراطية والكتاب المقدس - هي أيضاً جزء أساسي من هذا النظام الكلامي الثقافي. كل ذلك مشتق من التراث الكتابي اليهودي - المسيحي الذي ينبئ بنهاية الزمان ودور المؤمنين المخلّصين في أحداث هذه النهاية.

وليس هذا بتطور حديث في الفكر الأمريكي، أو الغربي بصورة عامة. بل سيتبين لنا من هذه الدراسة ما قصده ت.س. إليوت (الناقد والكاتب الإنجليزي - الأمريكي) حين قال بأن الغرب استقى ثقافته من ثلاثة مصادر رئيسية هي أثينا وروما وإسرائيل، وما عناه الناقد الأدبي الأمريكي فريدريك كاربنتر حين قال بأن ((الكتاب المقدس هو كتاب المسيحية، والمسيحية هي دين الغرب)).

منذ القرن الأول الميلادي إلى الحروب الصليبية إلى التفكير الذي حفز مغامرات كريستوفر كولومبس إلى استيطان الطهوريين الجزء الشمالي الشرقي من أمريكا الشمالية، كان النظام الكلامي الثقافي ونظام السلوك الثقافي واضحين في أقوال وأعمال الأمم الغربية، وفي التعبير عن الأثر الكتابي في ثقافتها. ثم دخل هذا الأثر في تصور الأمريكيين أنفسهم ((إسرائيل الله الأمريكية)) خاصة في حرب الاستقلال وفي وثائق وأدبيات الدولة الفتية. وأخيراً في القرن التاسع عشر والقرن العشرين ازداد أثر هذا التراث الكتابي اليهودي - المسيحي وظهر في الحركات الدينية المتطرفة وتوقعات آخر الزمان وما زال مستمراً حتى الآن.

مسيرة هذا التراث في أمريكا ستكون موضوع هذا الباب. ومع تجنب الخوض في الأمور السياسية البحتة، سيكون من الأهمية بمكان التركيز على التطور الحديث للفكر الديني في الولايات المتحدة الأمريكية، وتأثير هذا الفكر على السياسة الأمريكية الخارجية وبصورة خاصة الموقف الأمريكي من الوضع في المنطقة العربية بما في ذلك الموقف الرسمي، وموقف الأطراف الدينية والسياسية والاجتماعية من الصراع على فلسطين.

الفصل الثاني

دور الدين في أمريكا

((حينئذٍ سوف يُنفخ في بوق تحرير إسرائيل، وسوف يحدث نشور الملايين من الأرض، وينفضون عنهم السلاسل والأغلال، ويصرخون: بارك الله ابن داود)).

لايمان بيتشر

((خطاب في بليموث)) (١٨٢٧)

احتل الدين مكانة رئيسية في الحياة اليومية للأمة الأمريكية بكل طبقاتها واتجاهاتها على مر القرون. فقد رأينا كيف كانت بدايات المستوطنات الإنكليزية في العالم الجديد تعتمد على الدين اعتماداً كلياً أو جزئياً في كل نواحي حياتها. وفي مرحلة الثورة على الإنكليز والاستقلال كان ((الآباء المؤسسون)) يعبرون في خطبهم ومقولاتهم الحماسية عن مزيج متكامل من المشاعر الوطنية والدينية. ثم عندما شهدت أمريكا أخطر مرحلة هددت وحدتها عند اندلاع الحرب الأهلية بين الشمال والجنوب، كان كل من الطرفين يلجأ إلى الدين لتبرير موقفه. وتدل التقارير والوثائق المتعلقة بالحرب الأهلية (١٨٦٠-١٨٦٤) أن رجال الكنيسة كانوا في حركة دائمة مع الجنود يعقدون جلسات الصلاة يومياً ويشرفون على مواساة الجرحى ويصلون على الموتى في

ساحة المعركة. كما كان صوت التراتيل والأغاني الدينية يسمع من بعيد في كلا المعسكرين. بل كان الجنود على طرفي الجبهة يرددون أغنية ((ترتيلة المعركة للجمهورية)) في وقت واحد قبل المعركة وأثناءها. كما شهد القرنان الثامن عشر والتاسع عشر حركات حماس ديني متعددة وحركات إحياء ديني وظهور عدد كبير من المذاهب. وفي القرن العشرين، خاصة النصف الثاني منه، ساهم الدين في كثير من أوجه الحياة، وكانت مظاهره واضحة في سلوك الأمريكيين، ساسة وأفراداً عاديين، في الحربين العالميتين والحرب الكورية وحرب فيتنام. لكن أثر الدين كان أكثر ما يكون وضوحاً في الأحداث التي سبقت إنشاء دولة إسرائيل، ومنذ ذلك الحين حتى الآن. وقد قال توماس بايرز الأستاذ في جامعة لويفيل بولاية كنتاكي (في مؤتمر إلكتروني يوم ١٦/١/٢٠٠٠) ((إن الولايات المتحدة الأمريكية هي اليوم أكثر الأمم المتقدمة تديناً بأشواط كبيرة))، وأضاف موضحاً قوله هذا: ((اليمين المسيحي الأمريكي يتمتع بسلطة كبيرة على الشعب الأمريكي)). كما بينت مجلة ((الإيكونوميست)) بتاريخ ١٥/١/٢٠٠٣ أن عدد الأمريكيين الذين يرتادون الكنائس وأماكن العبادة يتجاوز ٤٧٪ من مجموع السكان فيما لا يتعدى ١٧٪ في أوربة الغربية بصورة عامة.

ولا بد هنا من الإجابة عن السؤال الهام: ما هو الدين الذي يؤثر في الأمريكيين؟ وهل هناك ما يمكن أن نسميه ديناً أمريكياً، أو كنيسة أمريكية؟ للإجابة عن هذه الأسئلة وإيضاح نوع المعتقدات الدينية التي يؤمن بها معظم الأمريكيين لا بد من استعراض دور الدين ومسيرته في أمريكا في مراحل تطورها المختلفة.

في واحد من المراجع الرئيسية لتاريخ أمريكا الديني المبكر وعنوانه ((مهمة في القفار))[1] (Errand to the Wilderness,1956). يقول المؤلف بيري ميلر: إن الأمريكيين الأوائل اعتقدوا اعتقاداً راسخاً بأن الله اصطفى من خلقه ((أمة

بكاملها لكي يغرس منها بذوراً منتقاة في القفار الأمريكي. لكن هدف الخالق كان أبعد من تمكينهم من الهرب من المعاناة في إنكلترا. بل كان من مقاصد الله (كما ذكرهم جون وينثروب، زعيم مجموعة إنكليزية مهاجرة إلى العالم الجديد عام ١٦٢٩) أن يكونوا مدينة على الجبل ومثالاً للعالم كله لشعب دخل في عهد مع الله. فدورهم في خطة الله أن يقدموا نموذجاً عملياً للمجتمع المؤمن وأن يجعلوا من حياتهم وسلوكهم وسيلة لتحرير البشرية من العبودية والجهالة))[١].

ويؤكد هذه الفكرة أستاذ التاريخ في جامعة نيويورك، فيليب هوسي (Philip Hosay) بقوله ((رأت أمريكا نفسها نموذجاً ينبغي للعالم أن يحذو حذوه. وفكرة ((أمريكا النموذج)) تعود إلى القرن السابع عشر حين هاجرت مجموعات كبيرة من الطهوريين من مقاطعة أيست أنكليا إلى الجزء من العالم الجديد المعروف الآن باسم نيوإنكلند. ففي عام ١٦٣٠ خطب جون وينثروب في جماعته من الطهوريين فصور لهم مستوطنتهم بأنها ((مدينة على الجبل)).

((فهم غادروا ما اعتبروه مجتمعاً فاسداً لكي ينشئوا مجتمعاً جديداً مثالياً يجعلهم أقرب إلى الله وإلى مقاصده. وهم اعتقدوا أيضاً أن هذا المجتمع سيكون قدوة لإصلاح بقية أجزاء العالم المسيحي))[٢]. وجاءت الثورة الأمريكية لكي تؤكد صورة أمريكا ((الدولة النموذج)) التي يتمتع أفرادها بالحرية والفكر الديمقراطي، بل التي تسعى إلى منح بقية أنحاء العالم فوائد تجربتها. وهكذا نجد أول رئيس للجمهورية الأمريكية، جورج واشنطن، يخاطب الشعب الأمريكي حين اعتزل العمل السياسي فيؤكد على أهمية الحفاظ على الحرية ونبذ فساد العالم القديم وإعطاء العالم أجمع مثالاً وقدوة.

ويمتزج هذا الفكر النموذجي المبكر في بدايات تاريخ الاستيطان في العالم الجديد بالفكر الكتابي الذي يقدم الأسطورة الإسرائيلية على أنها النموذج

الأمثل للمجتمع الفاضل. وهكذا فعندما كتب أول مؤرخ ديني أمريكي إنكريس ماذر (١٦٣٩-١٧٢٣) (Increase Mather) عام ١٦٧٧ تاريخاً لأمريكا منذ المستوطنات الطهورية أعلن أنه ((لم يوجد في تاريخ البشرية من قبل جيل استطاع أن ينفض عنه غبار بابل مثل الجيل المسيحي الأول الذي استوطن أمريكا)) وهذا هو تماماً ما عبر عنه المؤرخ الأمريكي فيرنون بارنغتون في كتابه ((التيارات الرئيسية في الفكر الأمريكي)) حين تحدث عن حماس المهاجرين الطهوريين الأوائل الهاربين من فساد أوربة لتأسيس حياة نموذجية والسعي نحو تحقيق ((كنعان آمالهم))[٣].

من الواضح أن المستوطنين الأوائل من المجموعات الطهورية كانوا يفكرون في إطار المعتقدات الدينية التي عبروا عنها في هذا الخطاب الكتابي بعبارات مثل ((الشعب المختار)) و ((غبار بابل)) و((كنعان الجديدة)) والكثير غيرها.

وكان الطهوريون الأمريكيون منذ أيام الاستيطان الأولى يؤمنون بالمفهوم التدبيري الإلهي للكون (dispensationalism) وبأن الله ضمن تقديره وتدبيره لخطة الكون والتاريخ وضع لأمريكا مهمة مقدسة خاصة بها. وصف المؤرخ الأمريكي وينثروب هدسن هذا الاعتقاد بقوله: ((لما كان كل مواطن إنكليزي قد تعلم منذ طفولته أن ينظر إلى التاريخ على أنه مقرر مسبقاً بالقدر الإلهي، لذلك لم ينظر أحد إلى الاستيطان في أمريكا على أنه أمر عادي. فمنذ عام ١٦١٣ (أي بعد تأسيس أول مستوطنه طهورية بأربعة أعوام فقط) أصر ويليم ستريتشي أن الله قد احتفظ بأمريكا مخبأة لهدف في ذهنه، وأن الذين أنشؤوا المستوطنة الصغيرة في فرجينيا لم يكونوا يعملون إلا كوسيلة لتنفيذ إرادة الله وتدبيره، وأن الله قرر إكمال مهمتهم في سعيهم إلى إتمام تحقيق خطته للكون التي يوجه التاريخ كله نحوها))[٤].

كما أن المؤرخ الفرنسي أندريه سيغفرد بعد دراسة مستفيضة للدين في أمريكا وتطوره في القرن العشرين، أكد أننا ((إذا أردنا أن نفهم الجذور الحقيقية للمعتقدات الأمريكية علينا العودة إلى المذهب الطهوري الإنكليزي في القرن السابع عشر))[٥]. وقد عبر عن الفكرة نفسها عام ١٨٤٤ الكاتب الألماني فيليب شاف في تحليله للحياة الدينية في أمريكا في القرن التاسع عشر حيث قال: ((إن البروتستانتية الطهورية تشكل الجذع الأساسي للكنيسة الأمريكية الشمالية))[٦].

إلا أنه يتضح لمن يدرس الحياة الدينية في أمريكا الشمالية أن البروتستانتية في أمريكا كانت تختلف اختلافاً عميقاً عن البروتستانتية الأوروبية، وعلى الأخص الإنكليزية. المهاجرون الطهوريون لم يقبلوا بالكنيسة الأنكليكانية (وهي الكنيسة الرسمية الإنكليزية) لأنها كما كانوا يعتقدون لم تتخلص من كل مظاهر وطقوس الكنيسة البابوية، لذلك أرادوا تطهير هذه الكنيسة من بقايا الكاثوليكية واكتسبوا لقب ((الطهوريين)) نتيجة لهذا التطرف نحو اليمين من المذهب البروتستانتي. إضافة إلى ذلك، كان المستوطنون في العالم الجديد من البروتستانت الطهوريين أقرب في معتقداتهم إلى معتقدات جون كالفن المصلح السويسري البروتستانتي الذي ذهب إلى أبعد مما ذهب إليه مارتن لوثر في اعتقاده بالتدبير الإلهي للكون وقدر الإنسان المسبق (Predestination) الذي قرره الله والذي لا يغيره العبد المؤمن مهما فعل.

المذهب البروتستانتي الأمريكي في بداياته إذن كان تطوراً فريداً للبروتستانتية الأوربية، وخاصة فيما يتعلق بالمعتقدات القدرية وعلاقة أمريكا بالتدبير الإلهي وخطته للكون. وهنا تكمن جذور الأفكار الدينية اليمينية الحديثة في أمريكا. وكما لاحظ هدسن، فإنه ((على الرغم من أن المذهب البروتستانتي في أمريكا

له مظاهر طقوسية تختلف باختلاف المدارس والكنائس، لكن تنوعها وجد تعبيراً موحداً ضمن حدود المعتقدات المشتركة للطهوريين الإنكليز»[٧].

لكن المذهب الطهوري الأمريكي في القرن السابع عشر تطور بشكل واضح بحيث أصبح في القرنين التاسع عشر والعشرين أقرب إلى الأفكار الإيفانجيلية (Evangelical) التي تسيطر اليوم على اليمين المسيحي.

ومع أن التطور الحديث في معتقدات اليمين المسيحي يرجع إلى المذهب الطهوري الأمريكي المبكر، إلا أنه كان أيضاً نتيجة لما شهدته أمريكا في القرن التاسع عشر من حركات إحياء وحماس ديني تتمثل في ظهور المدارس المجيئية والألفية العديدة. ولا شك أيضاً أن الدين منذ بداية المجتمع الأمريكي عمل كرباط ساعد على توحيد ذلك المجتمع والتغلب على النزعات الانفصالية والمصالح الإقليمية. كما أن حركات الإحياء والحماس الديني التي ظهرت في القرن التاسع عشر كان لها أكبر الأثر في إضفاء مشاعر وأهداف موحدة على المجتمعات الأمريكية إذ أعطتها ولاءات مشتركة وأهدافاً واحدة وشجعت على بروز قيادة موحدة للأمة. وكان العامل الأقوى في توحيد الأمة الأمريكية أثناء القرن التاسع عشر وما بعده هو التفسير الديني اللاهوتي لماضي أمريكا وحاضرها ومستقبلها.

كان هذا العامل الديني هو الرباط الذي وحد أهداف زعماء الثورة الأمريكية وحرب الاستقلال. وهو العامل الذي جعل بعض أكثر هؤلاء الزعماء يعتمدون عبارات ورموزاً كتابية للشعار الوطني الأمريكي. وهو أيضاً العامل الذي أدخل في وثيقة إعلان الاستقلال عبارات مشتقة من الخطاب الديني المستمر في الثقافة الأمريكية. كما أن هذا العامل كان وراء التعابير التي استعملها الرئيس أبراهام لينكولن في ميدان المعركة في غيتسبرغ أثناء الحرب الأهلية حين قال: «هذه الأمة في طاعة الله سوف تولد من جديد في جو من

الحرية)). ومن ثم أصبح هـذا التعبير ((أمة واحـدة في طاعـة اللـه)) في منتصـف القرن العشرين جزءاً من نشيد قسم الـولاء الأمريكـي. ويتضـح أيضـاً لمـن يقـرأ خطب استلام منصب الرئاسة التي ألقاها جميع رؤساء الجمهورية الأمريكيين أن هؤلاء الرؤساء حرصوا بشكل تقليدي على ذكر فضل الله وبركاته التي أحـاط بها الأمة الأمريكية، علماً بأن عبارة ((الله)) لـم تـرد دومـاً في هـذه الخطـب بـل كان بعضهم يستعمل ما يشير إلى ((الخـالق الأعظـم)) أو ((الكـائن الأسـمى)) أو غيرها مما يتناسب مـع فكـر هـذا الرئيـس أو ذاك. لكنهـا كلهـا تتفـق في نهايـة المطاف على أن الأمة الأمريكية والجمهورية الأمريكية هما جزء مـن ((تصميـم التدبير الإلهي))، كما عبر عن ذلك الواعظ الأمريكي الشهير لايمان بيتشر. هـذا هو المفهوم الذي جعل مـن الممكـن للمؤسسـين الأوائـل -الآبـاء المؤسسـين- أن يضعوا فوق قمة الهرم على الشعار الوطنـي عبـارة باللاتينيـة تعنـي ((بـارك اللـه قضيتنا (أو عملنـا))) (God Has Favored Our Undertaking) العبـارة التـي أصـر الرئيس ليندن جونسون على استعمالها لدعم سياساته الداخلية والخارجية. وهو المفهوم الذي سمح لدولة تؤمن بالحياة المادية أن تضع على عملتها عبارة ((نؤمن بالله)) (In God we Trust).

إن ما أعطى المستوطنات الأولى وسـكانها المتعـددي الجنسـيات والأعـراق- سواء أكانوا من إنكلترا أم اسكوتلندا أم ألمانيـة ـ وسـواء أكـانوا في فرجينيـا أم نيويورك- نظرة واحدة إلى مجتمعهم هـو هـذا الإدراك الإيمـاني أنهـم جميعـاً قـد دعوا إلى مهمة مقدسة منحهم الله إياها. كان الجميع يحملون الاعتقاد الذي عبر عنه لايمان بيتشر بأن ((الولايات المتحدة قد أسست في وضع يمكنها مـن التمتـع بالحرية الدينية... وأن ذلك كله كان جزءاً من خطة إلهية لإعطاء العالم نموذجـاً يقتدى به)).

الدستور الأمريكي (وتعديلاته) يمنع اعتماد الدولة ديناً معيناً وهو أيضاً يمنع تداخل صلاحيات وممارسات الكنيسة والدولة. ولعل هذه النصوص في الدستور جعلت الكثير من طلاب التاريخ الأمريكي يعتقدون أن أمريكا هي أمة علمانية بحتة لا يؤثر فيها الدين في سياسة الحكومة ولا تتدخل فيها الحكومة بالشؤون الدينية. كما أن تعدد المذاهب والكنائس في أمريكا، إضافة إلى وجود أعداد كبيرة من الأمريكيين غير المسيحيين والملحدين واللاأدريين وغيرهم، يجعل من الصعب التحدث عن دين أمريكي بالتحديد، وكأن ثمة مذهباً أو كنيسة معينة تضم جميع الأمريكيين أو على الأقل معظمهم. مع ذلك فقد اتفق كثير من المؤرخين والمفكرين الأمريكيين على وجود ما سموه بـ ((الدين المدني)) (civil religion) الذي يجمع معظم الأمريكيين ضمن مظلة معتقدات واحدة لا تنتمي إلى أي مذهب أو كنيسة بعينها.

كتب عن هذا الدين عدد من المؤرخين الأمريكيين أبرزهم روبرت بيلا وناثان هاتش و أرنست لي توفيسون و ج ف ماكلير وسيمور ليبست وغيرهم. هذا الدين المدني كما يقول بيلا: ((كان وما زال نقطة التقاء بين أعمق المعتقدات والالتزامات الدينية والفلسفية الغربية وبين المعتقدات الشعبية لدى عامة الأمريكيين))(٨).

ويبقى مفهوم ((الله)) في موقع مركزي في هذا الدين الشعبي مهما اختلفت المعتقدات الشخصية للأفراد. ورغم بعض الفروق في تفسير هذا المفهوم فإن الجميع يقبلون به كأمر من المسلمات، وهكذا فإن رؤساء الجمهورية الأمريكيين منذ واشنطن حتى بوش الابن حرصوا على أن تشتمل خطبهم وتصريحاتهم على هذا المفهوم، رغم بعض الاختلاف بالاسم الذي يستعملونه.

ويعرف روبرت بيلا هذا الدين المدني بقوله: إن الدين المدني في أفضل حالاته هو الإدراك الأصيل للحقيقة الدينية الكونية السامية كما تظهر للمرء في

التجربة الأمريكية. وهو بذلك يشكل قاسماً مشتركاً للأكثرية المعتدلة من الأمريكيين على اختلاف مذاهبهم وعقائدهم، وحتى الذين لا يمارسون الفروض والطقوس الدينية. وهو أيضاً دين أمريكي بحت يوجد على مستوى الإدراك الشعبي جنباً إلى جنب مع جميع المذاهب والكنائس، وهو أيضاً يملك بعداً روحياً خاصاً به ومستقلاً عن المذاهب الأخرى(٩).

مفهوم الدين المدني يتصف بأهمية كبيرة لكل من يريد التعمق في دراسة أثر المعتقدات الدينية الأمريكية في الصورة النمطية الذاتية التي يحملها الأمريكيون وفي الصورة النمطية للآخرين- وبصورة خاصة العرب والمسلمين في بحثنا هنا- وفي المعتقدات الألفية التي تضع أمريكا في موقع مركزي في تحقيق خطة الله للكون، وأخيراً في التلاقي بين بعض مقولات هذا الدين والسياسة الأمريكية في مختلف المراحل.

منذ القرن التاسع عشر لاحظ الرحالة الفرنسي في أمريكا دي توكوفيل أن «دين الكنائس الأمريكية هو مؤسسة سياسية تساهم بقوة في الحفاظ على مفهوم الجمهورية الديمقراطية في صفوف الأمريكيين على اختلافها». كما يضيف دي توكوفيل قائلاً «لقد جلب المهاجرون إلى أمريكا شكلاً من المسيحية لا أستطيع وصفه سوى بعبارة الدين الجمهوري الديمقراطي»(١٠). وفي الواقع فقد بقيت العلاقة بين الدين والسياسة في أمريكا على مر الزمن علاقة طيبة بشكل واضح، بل هي في بعض الأحيان علاقة تحالف وتعاون كما نرى في بعض حقب التاريخ الأمريكي، وخاصة منذ فترة رئاسة رونالد ريغان حتى الآن. وقد بين س.م. ليبست بشكل جلي أن «الدين الأمريكي، منذ بداية القرن التاسع عشر على الأقل، قد أصبح مؤسسة ناشطة متطرفة تدعي الأخلاقية السياسية والروحية عوضاً عن أن تكون متأملة أو فقهية أو روحانية»(١١).

ولقد ساعد على نشاط الدين المدني في أمريكا في حقل السياسة والمجال الاجتماعي الأخلاقي أن الكنائس والمذاهب لم تعارض الثورة والاستقلال ولا إنشاء المؤسسات الديمقراطية، بل هي شاركت في كلا الأمرين، وهكذا فإن المواطن الأمريكي، رغم ما يدعو إليه الدستور من فصل الدين عن الدولة، لم ير أي تعارض أو نزاع بين الاثنين. يختلف هذا الوضع مثلاً عما جرى في مناطق أخرى من العالم مثل الثورات البلشفية، حيث كان النزاع واضحاً بين المؤسسة الدينية ومؤسسة الثورة، ومثل الثورة الفرنسية حيث عادى رجال الثورة الكنيسة وحاولوا إيجاد نوع من الدين المدني كحليف في نزاعهم مع الكنيسة.

كان من السمات التي اتصف بها الفكر الأمريكي منذ البداية أنه رغم استقلال الدين المدني عن الدين الروحاني، فهما مع ذلك مرتبطان بعلاقات هامة. فكلاهما، كما اعتقد الأمريكيون، يقعان ضمن التدبير الإلهي للبشرية. كما أن رؤاهما الألفية الآخر زمانية (مثل التحرير السياسي والخلاص الديني) غالباً ما اختلطا معاً ودعم كل منهما الآخر.

ففي أحداث الثورة الأمريكية، مثلاً، كافح الأمريكيون من أجل وضع أسس الحقوق المدنية والسياسية، لكنهم كانوا أيضاً لا يعتقدون أن هذه الحقوق هي هبة من الدولة بل هي هبة من الله. بل كان قادة الثورة غالباً ما يستعملون الخطاب الديني الألفي في حديثهم عن السعي من أجل الاستقلال وتأسيس الجمهورية الديمقراطية. وفي فترة اجتماعات المجلس الاتحادي (الذي وضع وثيقة إعلان الاستقلال ووثيقة الدستور الأمريكي) (١٧٧٦) كان عضو المجلس القسيس صموئيل شيروود وقسيس المجلس جورج دافيلد يتحدثان عن أهداف الله في الثورة والاستقلال وظهور أمريكا الدولة الحديثة. القسيس شيروود فسر حرب الاستقلال الأمريكية في إطار الأفكار الألفية وقال إن نصر أمريكا سوف يعجل بنزول مملكة الله. كان شيروود يتحدث عن «الطاغوت المعادي

للمسيحية)) والمسيح الدجال الذي تمثله الحكومة البريطانية الذي سوف يمنى بالهزيمة، وأن انتصار أمريكا سوف يبشر ببداية مملكة المسيح الألفية)).

ألقى شيروود عام ١٧٧٦ أثناء حرب الاستقلال موعظة في رعيته في كنيسة بولاية كونيتيكت قال فيها: ((إن الخالق العظيم، وجميع قوى السماء، تقف في جانبنا)) مضيفاً بقناعة لا حد لها ((إن أعداداً عظيمة من الملائكة، ولا شك، قد نصبت خيامها حول شواطئنا للدفاع عنا وحمايتنا. إن الملاك ميخائيل يقف باستعداد مع كل مدفعية السماء لمجابهة الوحش ولدحر جيوشه الشريرة))[١٢].

كما أن قسيس المجلس الاتحادي جورج دافيلد بدوره ألقى موعظة في نيوانكلند عام ١٧٨٤ قال فيها: ((في هذه الدولة الفتية سوف تتلاشى الشرور والمعاصي والأعمال المنافية للأخلاق، ولسوف تتفتح الزهور في القفار))[١٣].

وقادة الثورة وزعماؤها السياسيون وصفوا هذه الحرب بأنها حرب بين قوى الخير وقوى الشر. كانت إنكلترا تمثل قوى المسيح الدجال التي سوف يهزمها الأمريكيون بقيادة المسيح الهابط من السماء.

كان من أسس هذا الدين المدني نماذج كتابية إسرائيلية مثل رموز الخروج والشعب المختار وأرض الميعاد والقدس الجديدة وملوك إسرائيل وغيرها من الرموز الألفية المتعلقة بآخر الزمان. ففي عام ١٧٩٩ (أي بعيد الاستقلال مباشرة) خطب القس آبييل آبوت في رعيته موعظة عنوانها ((صفات شبيهة بين شعب الولايات المتحدة الأمريكية وإسرائيل الغابرة)) قال فيها: ((لقد قيل مراراً إن شعب الولايات المتحدة هو أقرب إلى إسرائيل الغابرة من أي شعب آخر في العالم)). كان تعبير ((إسرائيل الأمريكية)) من الرموز المفضلة لدى الأمريكيين كما رأينا في هذا البحث. ولا شك أن ما جعل هذا التشبيه ذا تأثير خاص هو أن دين الجمهورية، كما وصفه هدسن، ((لم يكن طائفياً ولا أبرشياً محدوداً وضيقاً. كانت جذوره عبرية وتعابيره منحوتة من رموز عبرية)). هذه الجذور

العبرية ظهرت بوضوح في الخطاب السياسي - الديني الأمريكي منذ البداية في تعابير مثل الشعب المختار والأمة التعاهدية والعبودية المصرية وأرض الميعاد. وقد رأينا كيف تمثل هذه الرموز كاتباً أول ملحمتين في الاستقلال. كما أن التوقعات الوطنية والحماس والتفاؤل بالمستقبل كانت تظهر في صور بيانية جاءت من نصوص الكتاب المقدس واللغة الكتابية.

ومن الواضح أن هذا الخطاب الكتابي الإسرائيلي ما زال يعمل، أحياناً بين السطور، في السياسات الداخلية والخارجية للإدارات الأمريكية المتعاقبة. والباحث في تطور الفكر الأمريكي يستطيع أن يقرأ هذا الخطاب الكتابي في مشاريع سياسية مدنية مثل مشروع الرئيس كنيدي ((التخوم الجديدة)) أو مشروع الرئيس جونسون ((المجتمع العظيم))، أو في خطاب تسلم الرئيس كنيدي منصب رئاسة الجمهورية حيث قال:

((دعونا نَقُدْ هذه البلاد التي نحبها سائلين الله عونه ومباركته، لكننا ندرك بأننا هنا على هذه الأرض يجب أن يكون عمل الله هو عملنا)). وهل يمكن للباحث أن يغفل المغازي الألفية في تصريحات الرئيس ريغان المتكررة عن شوقه لمعركة (مجيدو)، وفي أقوال الرئيس بوش في الآونة الأخيرة بأن ((القدر)) أو ((التاريخ)) يمنحنا فرصة أخرى للدفاع عن الحرية والديمقراطية في العالم كله.

إن ظهور الدين المدني ورموزه الكتابية أثناء الثورة والاستقلال، كما يبين ناتان هاتش، عمل على تطويع هذا الدين لأهداف الأفكار السياسية وإدخاله في إطار التاريخ السياسي. وبهذا أصبحت قضية الحرية الأمريكية هي قضية الله والاستبداد الإنكليزي هو قضية الشيطان والمسيح الدجال. كما أصبح الاستقلال والسلام شرطين من شروط نزول مملكة المسيح الألفية. وهكذا فالدين المدني تطور بشكل جعل مفهوم مملكة المسيح الألفية يقترب من مفهوم جديد يمكن وصفه ((بالألفية المدنية))[١٤].

حين يدرك قارئ التاريخ الأمريكي هذا التطور يستطيع أن يجد استمرارية هذا المزج بين التفكير الديني المدني والتفكير السياسي في مختلف مراحل هذا التاريخ. وفي سياق هذا التطور يمكن فهم ما قصده الكاتب الروائي هيرمان ميلفيل في منتصف القرن التاسع عشر حين شبه أمريكا بإسرائيل هذا العصر وأن البشرية تتطلع إليها لأن المسيح السياسي قد نزل فيها.

كما يجعل هذا الفهم للتاريخ الأمريكي من السهل إدراك المغزى من تصريح جون أشكروفت (الذي أصبح وزيراً للعدل فيما بعد) عام ١٩٩٩ في خطاب ألقاه في جامعة بوب جونز المسيحية اليمينية والذي قال فيه ((لا يوجد في الولايات المتحدة الأمريكية سوى ملك واحد هو الملك يسوع)). المسيح القادم من السماء ليتربع على عرش مملكته الألفية في الهيكل بالقدس هو نفسه مسيح ميلفيل السياسي وملك أشكروفت الأمريكي بأشكاله المختلفة التي وفرها الدين المدني للأمريكيين.

تكمن أهمية هذا التطور في أنه خاطب قارئ الكتاب المقدس الغربي- الطهوري الأمريكي بصورة خاصة- بلغة مألوفة مشتقة من عقيدة يؤمن بها. كما أن لغة ((الألفية المدنية)) هذه تخطت الحدود الفاصلة بين المذاهب المسيحية الأمريكية وأصبحت القاسم المشترك الذي يجمع غالبيتها معاً ضمن إطار فكري واحد.

وصاحب هذا التطور في الفكر الألفي أمر هام آخر. فبينما كان الطهوريون في المجتمع الأمريكي المبكر يترقبون آيات الساعة الأخيرة في الأحداث السياسية والاجتماعية متطلعين إلى تنفيذ إرادة الله في هداية الأمم إلى المسيحية تمهيداً لنزول مملكة الله، أصبحت الأولوية بعد الاستقلال وتأسيس الدولة الحديثة تتركز في وضع أمريكا كمنارة للحرية والديمقراطية يهتدي بها العالم أجمع إلى مملكة المسيح الألفية السياسية. كان هدف الطهوريين دينياً وأصبح هدف

أمريكا المستقلة نشر مبادئ الحرية والديمقراطية في العالم. كان هدف الأمريكيين في فترات الاستيطان الأولى تأسيس «مملكة الله المباركة»، وأصبحت مهمة الدولة المستقلة تأسيس مملكة الله العظيمة الأمريكية نموذجاً تقتدي به بقية الأمم.

وهكذا فإن الخطاب السياسي الأمريكي الحديث أصبح يستعمل بتكرار عبارات ورموز الكتاب الألفية، وخاصة في علاقات أمريكا بالآخرين. والأمة التي قررت في القرن التاسع عشر أن «نجمة الشرق» قد أفلت بعد أداء مهمتها وأن دور «نجمة الغرب» قد حان لنشر نور الحرية في العالم، هذه الأمة، صارت نجمتها الغربية تعكس نور شمس عبرية تطورت معتقداتها لكي تصبح مذهباً جديداً يطلق عليه الأمريكيون اليوم اسم «التراث اليهودي - المسيحي». (Judeo - Christian Heritage). ولعل نظرة واحدة إلى نموذج من هذا الفكر في خطب رؤساء الجمهورية بمناسبة تسلمهم مهام منصبهم يبين قوة هذا الفكر النموذجي الكتابي. كل خطاب ألقاه رئيس جمهورية أمريكي في حفل استلامه لمنصبه يشمل فقرة أو أكثر تعبر عن الإيمان بفضل الخالق على أمريكا وعن الشكر له على نعمه ورعايته.

ففي خطاب جورج واشنطن عند استلامه رئاسة الجمهورية للدورة الأولى توجه واشنطن بالشكر والدعاء إلى «الكائن الأعظم» قائلاً: «إن أمريكا هي أكثر الأمم إدراكاً ليد الله الخفية في توجيه حياة الناس، كما هي الحال في كل تفاصيل الحصول على الاستقلال. لا يمكن مقارنة عملية الاستقلال وتوسع الدولة بأية تجربة أخرى دون التوصل إلى الإيمان بفضل الخالق». ويضيف واشنطن: «لقد قررت السماء نفسها أن المحافظة على نور الحرية المقدس ونموذج الحكومة الجمهوري هو قدر الشعب الأمريكي الذي ائتمنه الله عليه... هذا هو شعوري وهو لا يقل عن شعوركم وشعور الشعب كله»(١٥).

كما أن جون آدمز، رئيس الجمهورية الأمريكية الثاني، توجه بالدعاء المعتاد إلى الله أن يحفظ أمريكا، وأضاف بأن التجربة الأمريكية تتناسق مع أهداف الإرادة الإلهية[١٦].

أما جيفرسون، ثالث رئيس جمهورية، فقال أيضاً إن الكائن الأعظم الذي نمثل نحن وسيلته في العالم هو الذي قاد آباءنا (كما قاد إسرائيل في الماضي) من وطنهم وزرعهم في وطن تتوفر فيه جميع خيرات وضرورات الحياة[١٧].

وتسري هذه القاعدة على جميع الخطب التي ألقاها رؤساء الجمهورية في احتفالات استلامهم المنصب. فبالإضافة إلى الدعاء إلى الله وشكره غالباً ما يعبر الرؤساء عن الإيمان بمكانة أمريكا ومهمتها في خطة الله للعالم. ولعل آخر فقرة في خطاب الرئيس كالفن كوليدج في ١٩٢٥/٣/٤ تلخص ببلاغة رائعة هذا الاعتقاد: ((يقف هنا وطننا نموذجاً للسكينة في الداخل وراعياً للسلام في الخارج. وتقف هنا حكومتنا مدركة لقوتها لكنها تأتمر بضميرها. تسعى لتحقيق الازدهار والتقدم والحرية والدين، وتدعم قضية العدالة والشرف بين الأمم. أمريكا لا تسعى لتحقيق إمبراطورية تقوم على الدم والقوة. ليست لأمريكا أطماع بمناطق الآخرين. فالفيالق التي ترسلها لا تحمل السيف سلاحاً بل الصليب. إن السلطة التي تسعى لأن تجعل ولاء البشرية لها هي ليست سلطة إنسانية بل سلطة إلهية. ولا تسعى أمريكا إلى أي هدف سوى رضا الله العظيم))[١٨].

وفي العقود الأخيرة كما سنرى لاحقاً صرح الرؤساء منذ ايزنهاور وحتى الآن بدور الدين في حياتهم وحياة الأمة. هذه كلها صفات وفضائل خص الله بها أمريكا دون غيرها من الأمم، وهذا هو مصدر الاعتقاد بمكانة أمريكا الخاصة في خطة الإله.

إن هذه النظرة الذاتية الطيباوية التي اتصفت بها أمريكا على مر السنين وفي مختلف مراحل تطورها تستند إلى تجربة أخلاقية - دينية - سياسية يستطيع الحكماء الآن أن يتعلموا منها الكثير من أجل اتخاذ قرارات مصيرية قد تؤثر في مستقبل العالم كله. إلا أن هذه النظرة نفسها من شأنها أن تسدل على وجه صاحبها غشاوة تحجب عنه الرؤية الموضوعية للأمور. ورغم أن النظرة الذاتية الطوباوية ساهمت في كثير من الحالات في نجاح تجربة الحرية والديمقراطية في أمريكا. لكنها أيضاً ألقت أحياناً بظلال من الغموض على الفرق بين الخير والشر. ولعل هذا ما جعل الرئيس أبراهام لينكولن (الذي كان مؤمناً بصلاح الأمريكيين وفضيلتهم) عندما شاهد ما فعلوه بأنفسهم ووطنهم في الحرب الأهلية يقول بأن تجربتهم تؤكد لهم أنهم ((شعب مختار تقريباً)).

وفي الواقع يتبين لمن يدرس التاريخ الأمريكي أن الدين المدني الذي يحمل هذه النظرة الذاتية قد تم الاستنجاد به في كثير من الحالات الخطيرة الشريرة على مختلف مراحل هذا التاريخ. ولا مجال هنا للتفصيل في هذه الحالات، لكننا نكتفي مثلاً بذكر الحجج التي استعملها الأمريكيون منذ بدء الاستيطان وحتى أواخر القرن التاسع عشر في تعاملهم الوحشي مع سكان البلاد الأصليين (الهنود الحمر) مما أدى إلى إبادة معظم هؤلاء السكان فضلاً عن الاستيلاء على أراضيهم. كما أن قصة عبودية الملايين من الإفريقيين في أمريكا ومعاملتهم اللا إنسانية استندت (لبعض الأمريكيين على الأقل) إلى بعض مبادئ هذه النظرة الذاتية. استعمل الأمريكيون هذه المبادئ أيضاً في صياغة مفهوم ((القدر البيّن)) بالتوسع الاستيطاني الغربي وضم أراضي المناطق الغربية حرباً أو سلماً. واستعمل الأمريكيون هذا المفهوم في المشاريع التبشيرية التي تعتبر الآخرين منحطين ومتأخرين وتعتبرهم حقلاً مشروعاً ((للتغيير والهداية)).

ولعل خطر هذه المبادئ أكبر الآن مما كان عليه في أي وقت مضى، إذ أصبحت أمريكا القوة الأعظم في العالم. ولقد انتبه إلى هذا الخطر العديد من

المفكرين والسياسيين في أمريكا حتى قبل انهيار الاتحاد السوفياتي. فقد نبه أستاذ التاريخ الديني روبرت بيلا منذ عام ١٩٦٧ إلى أن ((القضية ليست قضية توسع استعماري فقط، بقدر ما هي ميل إلى الهيمنة على جميع الحكومات والأطراف في العالم التي تدعم سياساتنا ومصالحنا الآنية أو التي تحتاج إلى مساعدتنا، حيث نسارع إلى استعمال مفاهيم الديمقراطية وقيم الحرية وحقوق الإنسان)). وهكذا تصبح الدول التي تقف في صفنا في وقت معين ((العالم الحر)) و((قوى الخير)). فالنظام الاستبدادي العسكري في فيتنام الجنوبية مثلاً أصبح في وقت ما شعب فيتنام الحر وحكومته الديمقراطية. وحينئذ يكون دور أمريكا بصفتها ((القدس الجديدة)) و((أمل البشرية الأخير)) أن تسارع للدفاع عن هذه الأطراف بالمال وأحياناً بالدم)). وعندما يقتل جنود أمريكيون في هذه المغامرات التي تأخذهم آلاف الأميال وراء الشواطئ الأمريكية يوصف عملهم بالتضحية بالحياة من أجل الحرية والديمقراطية(١٩).

وكما فعل الأمريكيون في القرون الماضية، فهم الآن لا يترددون في استعمال المبادئ نفسها، بل وبربطها صراحة أحياناً بمفاهيم التدبير الإلهي والقدر البيّن وإسرائيل الأمريكية. ضمن هذا الإطار الفكري استعمل الرئيس ليندن جونسون عبارة ((بارك الله قضيتنا))، وضمن هذا الإطار الفكري أيضا نسمع الخطاب السياسي الديني منذ إدارة الرئيس ريغان حتى الآن.

وثمة أمر خطير آخر يرافق بالضرورة هذا التفكير الذاتي، وهو أنه لكي يستمر في عمله لا بد من وجود خصم (الشيوعية أحياناً، والمعسكر الشرقي أو الشرق أحياناً أخرى) يستطيع ((الأمريكي الفاضل)) أن يصفه بعدو الحرية والديمقراطية وغيرها من القيم التي يدعيها لنفسه. كما أن هذا الخطر يتمثل في الامتداد الديني لهذا التفكير حيث يصبح الخصم ((إمبراطورية الشر)) أو ((محور الشر)) أو ((جيش الشيطان)) أو ((جيش المسيح الدجال))، ومن ثم، تصبح أمريكا ومن يتبعها ((جيش الخير)) ومملكة الله.

وعندما لا يتوفر خصم معين يمكن تعريفه بموقع جغرافي محدد أو بتجمع إنساني بعينه، يوصف ((مصدر الشر)) بأوصاف أقل تحديداً ولكن أكثر عمومية وتعقيداً، ويكافح الأمريكي حينئذ، كما قال الرئيس كنيدي، ضد ((أعداء الإنسانية: الاستبداد والفقر والمرض والحرب نفسها)). أو يكون كفاح أمريكا، كما نرى اليوم، ضد ((الإرهاب)) و((الأشخاص الشريرين))، وأولئك الذين ((يكرهون الحرية ويكرهون طريقة حياتنا)). وتمتد مساحة هذا الكفاح بفضل عمومية هذا الخصم، فتشمل كل القوى ((التي تكره الحرية والديمقراطية وقيم الخير)) أو التي تدعم الإرهاب أو تؤويه أو حتى التي تسكت عنه. وبهذا يعطي الأمريكيون أنفسهم، ضمن هذا الإطار الفكري الطيباوي، الحق لضم أي طرف يريدون إلى هذا العدو، ولا يبقى أمام الآخرين في العالم إلا أن يكونوا ((معنا)) أو ((مع قوى الشر)). ويصبح من الضروري في حالة كهذه اللجوء إلى المجابهات العسكرية التي تصور على أنها ((دفاع عن قيم الخير التي تتعرض للخطر)) وعن ((العالم الحر)) ضد من يتهدد هذا العالم. ويحدث هذا أكثر ما يحدث في الأوقات التي، كما يقول روبرت بيلا، ((نفقد فيها ثقتنا بأنفسنا وبمصداقية مبادئنا، كما يحدث عند فقدان الاستقرار في أوضاعنا السياسية والاقتصادية، حيث نقع فريسة لإغراء الاعتماد على القوة العسكرية الطاغية بدلاً من الاعتماد على العقل والتفكير الإنساني السليم))[٢٠].

يظهر خطر هذا الشعور الذاتي بالفضيلة والتفوق في صور حديثة كثيرة هذه الأيام سواء في المجال السياسي أو الديني أو الاقتصادي. فعندما يصل صلف القوة بدولة درجة تجعل جميع أعضاء إداراتها ينذرون الأمم المتحدة- التي تمثل العالم كله- بأنها إن لم ((تقم بواجبها)) و ((تتحمل مسؤولياتها)) (أي إن لم توافق على ما تريده أمريكا) فإنها تجعل نفسها غير ذات أهمية أو دور تلعبه (التعبير الإنكليزي المستعمل هو Irrelevant). وعندما يصل الغلو في هذه النزعة

التسلطية درجة تجعل الإدارة الأمريكية تتجاهل إرادة عشرات الملايين من الذين يحتجون على تصرفاتها، وعندما يصل الأمر إلى التلويح بالإنذار تلو الآخر لمجلس الأمن وإلى استعمال كل أنواع الضغط المفضوح والرشوة المادية في التعامل مع الدول للتصويت إلى جانب الولايات المتحدة في المجلس، عندما يحدث كل هذا (وغيره الكثير) يتضح لنا مسار هذا الشعور الذاتي بالفضيلة والاصطفاء، ولاسيما أن رئيس هذه الإدارة لا يفتأ يصرح بأنه مكلف بمهمة تاريخية يراها في تفسيره ((للقدر البيّن)) الذي استعمله أسلافه لتبرير عدد كبير من الأعمال المماثلة.

مثال واحد من هذه التصرفات يوضح الصورة. فقد ظهر في برامج تلفازية عديدة مؤخراً عضو مجلس الشيوخ الجمهوري جون ماكين الذي يدعو إلى الحرب باستمرار وهو ممن حارب في فيتنام وحصل على أوسمة عديدة. عندما سئل ماكين عن تفسيره لإصرار الإدارة الأمريكية على خوض الحرب رغم خروج ما يقارب عشرة ملايين متظاهر في أنحاء كثيرة من العالم في يوم واحد يعارضون هذه الحرب. قال ماكين أكثر من مرة: ((نحن نحترم حق الملايين بالتعبير عن آرائهم، ونحترم أيضاً حق الملايين بأن يكونوا حمقى وغير حكماء)). تصريحات العديد من الجمهوريين في الإدارة الحاكمة تصدر عن مواقف كهذه تدل على ادعاء الحكمة والعقل والفكر السليم واتهام الآخرين بالحماقة وعدم الحكمة إذا هم خالفوهم الرأي.

في هذه الأوقات يظهر رجال حكماء يتصفون بالموضوعية وبعد النظر، فيحذرون أمتهم من أخطاء هذا التفكير، كما فعل أبراهام لينكولن قبيل الحرب الأهلية، وكما فعل الرئيس السابق جيمي كارتر الذي كتب مقالة لصحيفة ((واشنطن بوست)) بتاريخ ٢٠٠٢/٩/٥ بعد مرور سنة على أحداث أيلول عام ٢٠٠١، وفي خضم حملة عدوانية قادها اليمين المسيحي على الإسلام والمسلمين

وصدور قوانين وأنظمة وإجراءات عنيفة تطبق على المسلمين الأمريكيين والأجانب دون غيرهم. امتدح كارتر الرئيس بوش على موقفه المطمئن من الإسلام والمسلمين، لكنه أبدى تخوفه من ((مجموعة من المحافظين الذي يحاولون أن يحققوا طموحات مكنونة لمدة طويلة تحت مظلة الحرب المعلنة على الإرهاب)). كما وجه الرئيس السابق نقداً شديداً للسلطات الأمريكية على اتخاذها إجراءات عنيفة لا إنسانية في معاملة الموقوفين وعلى إصدار قوانين تخالف بوضوح مبادئ حقوق الإنسان التي كانت أمريكا دوماً تدعي الدفاع عنها.

ثم أضاف كارتر نقداً فريداً من نوعه في أمريكا حين قال: ((إن سياستنا الواضحة تدعم كل تصرفات إسرائيل في المناطق المحتلة وتدين الفلسطينيين دون غيرهم كهدف لحربنا العامة ضد الإرهاب، فيما تستمر المستوطنات الإسرائيلية بالتوسع والجيوب الفلسطينية بالتقلص)).

وفي الخطاب الذي ألقاه الرئيس السابق جيمي كارتر في استوكهولم لدى استلامه جائزة نوبل للسلام في كانون الأول عام ٢٠٠٢، كرر نقده الشديد للنزعة الحربية العدوانية، واستمرار الاحتلال الإسرائيلي للأراضي الفلسطينية. وقال كارتر: إن الحرب شر قد يكون ضرورياً أحياناً لكن ذلك لا يجعله خيراً أبداً.

ولعل أبلغ تعبير عن هذه الحكمة والفكر السليم جاء من عضو مجلس الشيوخ السابق وليم فولبرايت حين قال أثناء حرب فيتنام: ((حين تصبح أمة من الأمم قوية جدا تفوق قوتها ثقتها بنفسها وبالتاريخ يصبح من المحتمل أن تتصرف بصورة تشكل خطراً عليها وعلى الآخرين. بل إنها تدريجياً، ولكن بصورة مؤكدة، تستسلم لصلف القوة الذي أصاب أمماً عظيمة ودمرها في الماضي. وإذا ما استمرت أمريكا في السعي المحموم لامتلاك قوة لا حدود لها

وإلى إنشاء إمبراطورية عظيمة، فإن فيتنام سيكون لها نتائج مأساوية جداً)). وتمسك فولبرايت بالأمل بأن التقاليد الإنسانية والديمقراطية سوف تتغلب على صلف القوة وطغيانها.

الوضع المعاصر

في مساء يوم ١١ أيلول ٢٠٠١، بعد الهجوم على مركز التجارة العالمي والبنتاغون بساعات قليلة، ألقى الرئيس جورج بوش خطاباً موجهاً إلى الأمة، فكان في هذا الخطاب عدد من الإشارات والعبارات والنصوص الدينية. قال الرئيس:

((أطلب منكم هذا المساء أن تصلوا من أجل من يتألم ومن أجل الأطفال والذين فقدوا أفراد عائلاتهم وأحباءهم في هذا الهجوم... وأنا أصلي إلى قوة إلهية فوق قوتنا أن تكشف هوية هؤلاء الأشرار، وأردد كلمات المزمار ٢٣ ((في وادي ظلام الموت لا أخشى أي شر لأنك معي)).

الواضح من خطاب الرئيس أن لغته السياسية - الاجتماعية هي محملة أيضاً بالكثير من خصائص الخطاب الديني* الأمريكي، وليس هذا بالأمر الغريب بالنسبة إلى الرئيس جورج بوش الذي يجاهر بإيمانه المسيحي ولا يخفي اعتقاده بالتدبير الإلهي في حياة البشر. لكن المناسبة الرسمية التي أقيمت بعد ذلك ببضعة أيام تحمل إشارات أكثر دلالة على هذا الإيمان بالإضافة إلى ما تضفيه إلى معرفتنا عن المشاعر الدينية لدى أغلبية الشعب الأمريكي.

بعد هجوم أيلول ببضعة أيام أقيم احتفال وطني / ديني كبير في الكاتدرائية الوطنية في واشنطن حضره أربعة رؤساء جمهورية سابقين وحشد كبير من القادة السياسيين والدينيين. ألقى القس بيلي غراهام المعمداني الشهير موعظة في هذا الاحتفال. كما ألقى الرئيس بوش خطاباً أشبه بموعظة دينية متطرفة ملونة

ببعض السياسة. وضع الرئيس بوش الأسس لسابقة خطيرة في تاريخ أمريكا وهي إعلان الحرب من على منبر مؤسسة دينية. ومن الجدير بالذكر أن عشرات الدول الأوربية وغيرها وقفت في مناسبة الاحتفال الديني هذا ورددت النشيد الأمريكي وخاصة عبارة ((بارك الله أمريكا)).

وفي يوم ٢٠٠١/٩/١٣ أصدر الرئيس بوش مرسوما جمهورياً سمى يوم الجمعة في ٢٠٠١/٩/١٤ ((يوماً وطنياً للصلاة ولإحياء ذكرى ضحايا هجوم أيلول لإقامة الصلوات ومراسم التأبين وقت الظهر في كل أنحاء أمريكا))، كما حث رئيس الجمهورية أصحاب الشركات وأرباب العمل منح موظفيهم والعاملين لديهم فترة ساعة حرة للمشاركة في هذه الصلوات.

ولا شك أن كل من يدرس تصرفات رجال السياسة الأمريكيين وخاصة أثناء حملاتهم الانتخابية وفي أثناء ولايتهم يلاحظ دور الدين في حياتهم العامة اليومية. فمعظم الساعين للترشيح لمنصب رئاسة الجمهورية يحرصون على أن تسجل آلات التصوير الخاصة بمحطات التلفاز ووسائل الإعلام دخولهم إلى الكنيسة أو خروجهم منها أيام الأحد ممسكين بالكتاب المقدس بيدهم ومحاطين بأفراد أسرتهم رمزاً للإيمان الديني وقيم الأسرة في حياة الأمريكيين.

أفضل مثال على ذلك تصرفات الرئيس بيل كلينتون أثناء أزمة مونيكا لوينسكي الشهيرة. فقد حرص كلينتون على حضور الصلاة في الكنيسة كل يوم أحد والكتاب المقدس بيده فيما كان يمسك بيد زوجته أو ابنته. وعندما قرر كلينتون أن يواجه الأمة بالاعتراف بعلاقته بلوينسكي خرج من البيت الأبيض وأعلن أنه كان لتوه يشترك في ((إفطار صلاة)) مع بعض رجال الدين، وأنه الآن مستعد للاعتراف بخطيئة يحاسبه عليها الله وأسرته، لكنه لم يقترف مخالفة للقانون.

وفي الأسابيع الأخيرة شهدت أمريكا جدالاً حول الدين في قضيتين عرضتا على المحاكم. كانت أولاهما قضية رفعها ولي أمر طالب في مدرسة حكومية في ولاية كاليفورنيا ادعى فيها أن المدرسة تخالف أحكام الدستور بفرضها على الطلبة أداء ((قسم الولاء)) (Oath of Allegiance) كل صباح لأن هذا النشيد يحتوي على عبارة ((أمة واحدة في رعاية الله أو في طاعة الله)). وادعى ذلك الأمريكي أن كلمة الله تعني الإيمان بدين معين، وأن ذلك يفرض على غير المؤمنين ديناً ترعاه الدولة. وذلك مخالفة صريحة لنص التعديل الدستوري الذي يقول بأن الدولة لا تستطيع تبني دينٍ أو مذهبٍ معين. أصدر القاضي الفدرالي في تلك الولاية حكماً لصالح المدعي وأمر المدرسة بعدم فرض أداء ولاء القسم. لكن هذا الحكم أثار جدالاً عنيفاً تصدره رجال الدين المسيحيون المتطرفون والكثير من قطاعات الشعب.

وفي يوم ٢٧/٦/ ٢٠٠٢ عبر (٩٩) عضواً من مجلس الشيوخ (من مئة عضو، وكان غياب العضو المئة وهو جيسي هيلمز بسبب مرضه. وكل من يعرف تطرف هيلمز اليميني يوقن أنه لو استطاع لتصدر هذه المراسم) عبروا عن غضبهم وامتعاضهم من الحكم وعمدوا إلى بدء جلستهم بالوقوف في طابور (يشبه طوابير طلبة المدارس) على الدرج المؤدي إلى بناء الكابيتول وأدوا قسم الولاء هناك بصوت واحد مركزين على عبارة ((أمة واحدة في رعاية الله)).

أعضاء مجلس الشيوخ هؤلاء يمثلون مواطني ولاياتهم ويخشون من إخفاقهم في الانتخابات التي باتت على الأبواب إن هم لم ينضموا إلى جوقة الاحتجاج العارمة ضد ذلك الحكم. كما أن الرئيس جورج بوش خرق كل قواعد فصل السلطات حين قال، وهو رئيس السلطة التنفيذية، إن الخالق العظيم يحتل مكانة خاصة في حياتي، بل في حياة الأمة كلها. وأضاف ((إن الأمة بحاجة إلى قضاة يتمتعون بمحاكمة سليمة))، متدخلاً بذلك في صلب مسؤوليات السلطة القضائية.

والقضية الثانية التي تمثل أمام المحاكم في ولاية ميسوري الآن هي اعتراض بعض الأوساط اليسارية على وجود نصب تذكاري (وزنه ٢ طن) على شكل كتاب سطرت عليه ((الوصايا العشر)) في الحديقة الأمامية للمحكمة العليا في الولاية. اعتبرت هذه الأوساط ذلك النصب التذكاري رمزاً دينياً أمام سلطة قضائية يجب ألاّ تتبنى أي مذهب أو دين. لكن معظم سكان الولاية بما فيهم أعضاء السلطة التنفيذية رفضوا إزاحة ذلك النصب وقرروا ((الدفاع عنه بكل قوتهم)).

الفصل الثالث

الدين في الحياة السياسية

((ليس هنالك دولة في العالم يمارس فيها الدين المسيحي تأثيراً ونفوذاً على نفوس الناس أكثر من أمريكا)).

أليكسيس دي توكفيل

((الديمقراطية في أمريكا)) (١٨٣٢)

حدث تحول كبير في العلاقة بين المؤسسات والمنظمات الدينية وبين الدولة في العقود الأربعة الأخيرة من القرن العشرين. فقد كان تدخل رجال الدين والكنائس المسيحية في الشؤون السياسية محدوداً جداً إن لم يكن معدوماً في معظم الأحيان. وعندما كان جون كنيدي يسعى للحصول على دعم الناخبين له للوصول إلى منصب رئاسة الجمهورية عام ١٩٦٠، ألقى خطاباً في مجموعة من رجال الدين البروتستانت في مدينة هيوستن فقال: ((إنني أؤمن بأمريكا يكون فيها الفصل تاماً بين الدولة والكنيسة، حيث لا يملي رجل دين كاثوليكي على رئيس الجمهورية تصرفاته، ولا يقول راعي كنيسة بروتستانتي لأتباعه كيف يدلون بأصواتهم الانتخابية)).

كما أن الرئيس السابق بيل كلينتون علق للمجلة الإلكترونية لوكالة المعلومات الأمريكية في آذار ١٩٩٧ عن الشعور السلبي لدى كثير من

الأمريكيين في السبعينات والثمانينات حيال التعبير العلني عن الإيمان الديني. لكن الأمر أصبح مختلفاً جداً. فما من زعيم سياسي أو ديني يتردد بالجهر بمعتقداته الدينية وممارستها علناً. كما أننا نجد أن المجموعات والمنظمات الدينية أصبح لها وجود قوي ومستمر في وسائل الإعلام من محطات تلفازية وإذاعية وكتب ونشرات، إضافة إلى ظهورها المحموم على الشبكة العالمية. وتمارس هذه المجموعات بفضل هذه الأنشطة تأثيراً كبيراً في الحياة الاجتماعية وفي القرارات السياسية الداخلية والخارجية.

التطلع المثالي للرئيس كنيدي لفصل الدين عن الدولة فصلاً تاماً لم يكتب له الاستمرار فيما تبقى من القرن العشرين. بل على العكس من ذلك، فمنذ أن ازدادت أعداد المنظمات المسيحية اليمينية وقوتها دخل اليمين المسيحي معترك السياسة بصورة علنية، وأصبحت الكنائس أشبه بمراكز حملات المرشحين الانتخابية، وخاصة في انتخابات رئاسة الجمهورية. كما أصبح من غير المستغرب أن يستشير رؤساء الجمهورية رجال الدين في كثير من أمور السياسة الداخلية والخارجية. وهكذا فإن لجوء الرئيس بوش الأب إلى التشاور مع رجل الدين الأصولي جيري فالويل عشية حرب الخليج، ومشاركة الرئيس كلينتون لبعض رجال الدين في إفطار صلاة في خضم فضيحة مونيكا لوينسكي، والأنشطة الانتخابية لرجال الدين المتنفذين لدعم هذا المرشح أو ذاك، كل هذا أصبح أمراً عادياً على الساحة الأمريكية. يتضح ذلك أيضاً بالمقارنة بين خطاب جون كنيدي المذكور وتعليق الواعظ الأصولي كيث جيبهارت (تايم ١٩٨٥/٩/٢، ص ٣١) على نشاط اليمين المسيحي في الأمور السياسية، حيث قال: ((كنت أثناء طفولتي أسمع دوماً أن تدخل الكنائس بالقضايا السياسية خطيئة، وليس فقط في الشؤون الاجتماعية والأخلاقية)).

أصبح من المقبول أن يصرح المرشحون للمناصب السياسية ورجال السياسة بانتمائهم المذهبي وأن يستغلوا هذا الانتماء في الحصول على الأصوات

الانتخابية وأصبح لليمين المسيحي نتيجة لذلك قوة سياسية يخطب ودها كثير من الساعين إلى المناصب السياسية. ففي الحملة الانتخابية لعام ١٩٨٤ كان رونالد ريغان معروفاً بتطرفه الديني اليميني وتحالفه مع اليمين الجديد من الإيفانجيليين وغيرهم.

كما أن وولتر مونديل ابن راعي كنيسة ميثودية كان يستغل الدين في حملته الانتخابية، وغاري هارت كان في السابق طالباً في جامعة دينية، وكان القس جيسي جاكسون رجل دين معمداني يحظى بدعم المجتمع الديني الأسود بكامله تقريباً. وقد علق أحد الصحافيين في مجلة نيوزويك (١٩٨٤/٩/١٧، ص ٣٤) على النشاط الديني في الحملة الانتخابية لعام ١٩٨٤ بقوله: إنه لم يحدث في تاريخ أمريكا أن تورط هذا العدد الكبير والمتنوع من رجال الكنيسة ومن المجموعات الدينية بشكل مباشر وصريح في معركة الانتخابات الرئاسية.

ازداد نشاط الكنائس المسيحية السياسي بصورة خاصة في النصف الثاني من القرن العشرين، وأصبح تدخل اليمين المسيحي بصورة خاصة في الحملات الانتخابية أمراً عادياً. وكانت الحملات بصورة خاصة في الانتخابات لمنصب رئاسة الجمهورية ولكثير من المناصب الأخرى وخاصة لمجلسي الشيوخ والنواب في هذه الفترة تتصف بتشابك الأنشطة السياسية والدينية وتداخلها. معظم المرشحين صاروا يخطبون ودّ رجال الدين ويظهرون الورع والإيمان، ويحرصون عل حضور المحافل والأنشطة الدينية للتأثير على الأصوات الانتخابية.

وكان قادة اليمين المسيحي بصورة خاصة، مثل جيري فالويل وبات روبرتسون، يعملون بنشاط غير محدود لحث أتباعهم على التصويت لهذا المرشح أو ذاك. وفي الحملة الانتخابية لمنصب رئاسة الجمهورية عام ١٩٨٠ قدم جيري فالويل الدعم الكامل العلني للمرشح رونالد ريغان، وكان من نتيجة

دعم فالويل وأتباعه أن فاز ريغان بـ ٦٠٪ من أصوات البروتستانت ((المولودين من جديد)) ومن أصوات الجنوبيين البيض.

وفي الحقيقة ما زال جيري فالويل منذ السبعينات وحتى الآن يعمل ويبذل جهوداً كبيرة في مجال السياسة. كان فالويل واحداً من الأشخاص القياديين الذين تحدثوا في جلسة افتتاح المؤتمر القومي للحزب الجمهوري في الحملة الانتخابية التالية عام ١٩٨٤. هذا الزعيم الديني (الذي لا يفتأ يصف نفسه بالصهيوني المسيحي) دعم حملات ريغان وبوش الأب وبوش الابن بكل قوته ووصفهم ((بوسائل الله لإعادة بناء أمريكا))

وفي الحملة الانتخابية للرئاسة لعام ١٩٨٤ أيضاً كان وولتر مونديل (وهو ابن راعي كنيسة من مذهب الميثودية) يسعى لترشيح الحزب الديمقراطي، وكان يبدي آراء دينية شديدة التطرف في حملته الانتخابية. ومع أن مونديل كان دوماً يدعو إلى فصل الدين عن الدولة وينتقد استغلال ريغان للدين في حملته، فقد اضطر هو نفسه إلى اللجوء إلى استغلال المشاعر الدينية، حيث ظهر في أنشطة مؤتمر المعمدانيين الجنوبي الوطني، وفي مؤتمر منظمة ((بناي بريث)) اليهودية المتطرفة. وهكذا فقد رضخ لواقع التأثير الكبير الذي يمارسه الدين على السياسة.

مارست الكنائس وقادتها تأثيراً في أصوات الناخبين جعل المعلق ألبرت ميندز يقول: ((إن نفوذ الكنائس كان عاملاً حاسماً في نتائج الانتخابات الرئاسية بين ريغان ومونديل)) (مجلة تايم ١٩٨٥/٩/٢، ص٣٣). بل وصل هذا التدخل حداً لم يسبق له مثيل، حتى إن الكاتب السياسي تشارلز كولسون قال في زاوية (My Turn) ((إن الحملة الانتخابية لعام ١٩٨٤ تبدو كأنها حملة صليبية أكثر منها منافسة سياسية. فالدين والسياسة يتلازمان في حملات المرشحين، والسياسيون يعمدون إلى استغلال الدين بشكل صريح)). وأضاف كولسون عن

دوره هو في هذه الأنشطة قائلاً: ((كنت موظفاً عند نيكسون وكان دوري أن أكون صلة الوصل مع رجال الدين. ولا أشك أن ظهور نيكسون مع الأصوليين والمعمدانيين أثناء حملته الانتخابية أعطاه أصوات العديد من المحافظين)) (مجلة نيوزويك ١٩٨٤/١٠/٨، ص١٠).

كما علقت مجلة ((تايم)) (١٩٨٤/٩/١٠، ص٢٤). على ظاهرة تدخل الدين في أنشطة الحملات الانتخابية بقولها: ((لقد أصبح الدين موضوعاً رئيسياً في الحملة الانتخابية الرئاسية)).

كان جميع المرشحين يتحدثون عن أثر الدين والقيم الأخلاقية في حياتهم وحياة المجتمع الأمريكي. وقد ظهر كثيرون منهم في البرامج التلفازية التي تبثها محطات دعاة دينيين بارزين، مثل جيري فالويل الذي استضاف المرشح ريغان في آذار ١٩٨٤ في برنامجه الشعبي (Old Time Gospel Hour).

وبلغ لجوء ريغان إلى استعمال الدين في حملته حداً جعل المرشحة فيرارو تتهمه بأنه ((ليس مسيحياً بحق)).

وكما استهدف المرشحون الجمهوريون المجتمع الديني الجنوبي الأبيض، فقد حذا الديمقراطيون حذوهم فلجؤوا إلى استغلال المشاعر الدينية في صفوف الكنائس السود بصورة خاصة، إذ إن المجتمع الأسود كان يصوت إلى جانب الحزب الديمقراطي بصورة تقليدية، وكانت الكنائس - البيض والسود- تتحول إلى مراكز لتسجيل الناخبين الذين ينتمون لليمين المسيحي، وذلك لضمان إعطاء أصواتهم للمرشحين الذين تدعمهم هذه الكنيسة أو تلك. وأصبحت الكنائس تعمل علناً في السياسة وفي الدعاية الانتخابية للمرشحين الذين تتبناهم. وقد قال راعي إحدى الكنائس السود في مدينة لوس أنجلوس هـ. هـ. بروكينز (Bishop H.H. Brookins):

((لا يستطيع أي سياسي أسود مرموق أن يدعي أن انتخابه قد تم دون مساعدة الكنيسة السوداء)).

أوضح مثال على دعم الكنائس الجنوبية للمرشحين في الانتخابات النشاط السياسي لشخصين لعبا دوراً بارزاً في الحياة السياسية الأمريكية على المستويين المحلي والقومي، وهما القس المعمداني الأسود جيسي جاكسون، وعضو مجلس الشيوخ من ولاية نورث كارولينا جيسي هيلمز. حصل جيسي جاكسون على معظم أصوات الناخبين السود – بصورة خاصة في الجنوب الأمريكي– بفضل نشاطه الديني ودعم الكنائس السود له في كل انتخابات خاضها، كما أنه كان يمنح دعماً قوياً للمرشحين الديمقراطيين في حملاتهم الانتخابية. وعضو مجلس الشيوخ عن ولاية نورث كارولينا جيسي هلمز هو نموذج مثالي ليس فقط لتداخل الدين والسياسة، ولكن أيضاً لتأثير ذلك على السياسة الأمريكية الداخلية والخارجية. لم يرشح هيلمز نفسه لعضوية مجلس الشيوخ عام ٢٠٠٢ بسبب الشيخوخة والمرض، لكنه أمضى فترة (٣٠) عاماً في هذا المجلس بعد حياة سياسية غنية أيضاً في ولايته.

يكرر هيلمز دوماً القول بأنه محافظ سياسياً ومسيحي يميني يؤمن بحرفية الكتاب المقدس والنبوءات. حصل هيلمز على تأييد اليمين المسيحي المتطرف في حملاته الانتخابية، وكان نجاحه عام ١٩٨٤ بصورة خاصة نتيجة هذا الدعم. إذ كان منافسه الديمقراطي جيم هانت يحظى بدعم اليمين المسيحي الأسود الذي يقوده القس جيسي جاكسون. كان القس جاكسون شخصياً يقود حملة تسجيل الناخبين السود في الكنائس السود ويحثهم على انتخاب جيم هانت. لكن جميع هذه الجهود لم تفلح بإعطاء النصر للمرشح هانت، وفاز هيلمز -ولو بصعوبة– لشغل مقعده في مجلس الشيوخ للدورة الثالثة. وقد علق أحد الصحافيين في مجلة نيوزويك (١٩٨٤/٩/١٧) على هذه الظاهرة بقوله:

((أصبح التحالف بين اليمين المسيحي المتطرف الأبيض والحزب الجمهوري أمراً واقعاً ومستمراً)).

أثناء تلك الحملة كتب فريق هيلمز الانتخابي (١٨,٠٠٠) رسالة إلى رعاة الكنائس والقادة الدينيين واستعانوا بقوائم مراسلة مؤتمر المعمدانيين الجنوبي في تلك المراسلات، وكانت هذه الرسائل تطلب من هؤلاء القادة الدينيين أن يحثوا رعاياهم للتصويت لهيلمز، وكانت هذه المجموعة أكبر مجموعة واحدة من الناخبين الذي تحالفوا عقائدياً مع المرشحين الجمهوريين ريغان وهيملز. قال أحد المسيحيين المتطرفين المغني الشهير بات بون أثناء تلك الحملة على شاشة التلفاز مخاطباً المجتمع المسيحي اليميني: ((أنا وأنتم بحاجة إلى هيلمز وريغان في واشنطن وأمريكا بحاجة لهما. الله بحاجة إليهما)).

كان هيلمز، مثله مثل ريغان، يعتقد بقرب تحقيق نبوءات الكتاب المقدس وكان مؤمناً بالنظرية التدبيرية للكون. قال في اجتماع انتخابي عام ١٩٨٤ في ولاية نورث كارولينا: ((في اعتقادي أن الرب يعطينا فرصة أخرى لكي ننقذ هذا الوطن)). وكان في اعتقاده هذا يؤمن بأن الله قد أعطى أمريكا مهمة خاصة في تحقيق هذه النبوءات. وهكذا فقد كان هيلمز طوال فترة عمله السياسي، وخاصة في مجلس الشيوخ حيث شغل لمدة طويلة منصب رئاسة لجنة الشؤون الخارجية، يعمل دون كلل لدعم إسرائيل. وكان هيلمز عاملاً قوياً في القرارات المتلاحقة التي اتخذها مجلس الشيوخ لصالح إسرائيل ولمنحها المساعدات وللاعتراف بالقدس عاصمة لها ونقل السفارة الأمريكية إليها.

كان دعم هيلمز لإسرائيل عاملاً هاماً في حصوله على أكثرية أصوات اليمين المسيحي الأبيض، وقد قال توم كريستال راعي كنيسة ماونت أوليفيت (جبل الزيتون) المعمدانية في مدينة رالي بولاية نورث كارولينا ((كما لو أن الله قد أظهر لنا أفضل الزعماء القوميين وأكثرهم أملاً في تاريخ الحركة المسيحية

النشيطة)). وعد كريستال بحملة تسجيل للناخبين في كنيسته كل يوم أحد لدعم هيلمز وريغان، وكان يكرر في مواعظه لرعاياه: ((نحن نرى من أكثر الضرورات حتمية إعادة انتخاب هذا الرجل لكي يستمر بقيادته لإعادة هذا الوطن إلى الحقائق الأخلاقية الثابتة الواردة في الكتاب المقدس)).

إن أعداد اليمين المسيحي في أمريكا وقوته آخذة في الازدياد، ويتوقع مؤرخو الحياة الدينية الأمريكية أن يكون لليمين المسيحي دور كبير في سياسة أمريكا الخارجية. وقد جعل ازدياد تأثير المجموعات الدينية اليمينية هؤلاء المؤرخين، ومنهم ويليم مارسدن، يقولون بوجود ثقافة أمريكية دينية متطرفة جنباً إلى جنب مع الثقافة الأمريكية المعتدلة، وإن هذه الثقافة الموازية تزداد انتشاراً لتشمل جميع أوساط المجتمع. ولا شك أن ما يزيد من قوة هذه الفئات أن الملايين من البروتستانت العاديين أصبحوا يؤمنون بمعتقدات هذه الفئات دون أن يشاركوا علناً بأنشطتها. ويقول مارسدن عن التطورات الدينية المعاصرة في المجتمع الأمريكي: ((إن الظهور الشعبي في الفترة الأخيرة للمذهب الإيفانجيلي و ((المولودين من جديد)) والمذاهب الأصولية على الساحة الاجتماعية والسياسية قد فاجأ الكثيرين وأدهشهم، لكن سبب ذلك هو إهمال بعض مؤرخي الدين في أمريكا لأصول هذا الاتجاه اليميني المتطرف وتطوره في التاريخ الأمريكي منذ البداية))[1].

وقد أشار أحد المعلقين في مجلة تايم (١٩٨٥/٩/٢) منذ منتصف الثمانينات من القرن العشرين إلى الازدياد الواضح في أعداد ((المولودين من جديد)) ونفوذهم. حتى إن أحد خصومهم وهو القس المعمداني ويليم هال (William Hall) صرح بأن المولدين من جديد والأصوليين والإيفانجيليين يحتلون مكانة مرموقة على مسرح الحياة السياسية والثقافية الأمريكية.

وقال الدكتور جيمس ويبر أستاذ الدراسات الدينية في جامعة نورث كارولينا إنه لا يشك في أن أعداداً كبيرة من الأمريكيين تؤمن بالتفسير الحرفي للكتاب المقدس، وخاصة فيما يتعلق بالنبوءات التي يروج لها الوعاظ المتطرفون في دعمهم لإسرائيل. فقد بين استطلاع للرأي العام أن ٤٠٪ من الأمريكيين يعتقدون أن المعركة بين جيش المسيح وجيش الشيطان ستقع في سهل جزريل قرب حيفا. وأضاف ويبر قائلاً إن هذه المعتقدات تنتشر أيضاً في كل مكان قصده المبشرون الأمريكيون مثل أمريكا الجنوبية والمناطق الواقعة جنوب الصحراء الكبرى في إفريقية. وفي الواقع، فإن دولاً كثيرة في أمريكا الجنوبية تشهد ازديادا في أعداد المولودين من جديد والإيفانجيليين بحيث أصبحوا ينافسون المذهب الكاثوليكي الذي كان تقليدياً الدين السائد هناك[٢].

وكدليل على ازدياد أعداد الأمريكيين الذين ينتمون إلى اليمين المسيحي يعطي «دليل الألفية الجديد» نتائج بعض الاستطلاعات التي أجريت في العقدين الأخيرين من القرن العشرين والتي تبين أن:

- ٦٢ ٪ من الأمريكيين لا يشكون أبداً بفكرة عودة المسيح.
- ١٦ ٪ من الأمريكيين يعتقدون أن نهاية الزمان ستكون في السنة التالية.

وفي عام ١٩٩١ أثبت أحد الاستطلاعات أن ١٥ ٪ من الأمريكيين (أي قرابة ٤٥ مليون أمريكي) يعتقدون أن حرب الخليج هي بالفعل تحقيق لنبوءة معركة (مجيدو).

وإنه لمما يميز هذه الفئات اليمينية المتطرفة أنها استطاعت منذ منتصف القرن العشرين أن تسخر التقدم العلمي المتسارع في حقول الدعاية والإعلان والنشر والاتصالات لبناء مؤسسات إعلامية كبيرة وإمبراطوريات مالية دينية وشخصية تقدر ثرواتها بالملايين. ولعل من المفارقات أن هذه الفئات هي التي كانت وما

زالت تعتبر بعض نواحي هذه التطورات العلمية مثل الكمبيوتر وبطاقات الائتمان ووسائل الاتصال الإلكترونية أدوات الشيطان التي يستعملها للسيطرة على العالم. لكن نشاط اليمين المسيحي المتطرف في استخدام وسائل الإعلام الحديثة أعطاه قوة تأثير هائلة في الجماهير من المسيحيين في أمريكا بصورة خاصة.

الدين والسياسة وإسرائيل

كان انتماء الأقلية اليهودية في أمريكا للحزب الديمقراطي بصورة عامة، وكانت أصواتهم في معظم الانتخابات تعطى للمرشحين الديمقراطيين سواء على المستوى المحلي أو القومي. لكن انتخابات عام ١٩٨٤ شهدت بعض التحول في هذا السلوك السياسي. أثبتت نتائج الحملة الانتخابية لهذا العام أن الكثير من اليهود دعموا ريغان وحلفاءه من المرشحين. وكان مرد ذلك إلى موقف ريغان الديني المتطرف ودعمه المطلق لإسرائيل. فقد صرح أحد زعماء اليهود في نيويورك ((أن ريغان جيد بالنسبة لإسرائيل ونحن كمجتمع يهودي سوف نقف في صف ريغان)).

وفي تحليل للحملات الانتخابية عام ١٩٨٤ أجرته مجلة ((ميد إيست مونيتر)) (Mideast Monitor) في عدد كانون الثاني عام ١٩٨٥ قالت المجلة ((كانت مواقف المرشحين دون استثناء تقدم الوعود بدعم إسرائيل في نزاعها مع العرب)) في حملاتهم لمجلس الشيوخ ومجلس النواب إضافة إلى حملة رئاسة الجمهورية.

ولعل قراءة سريعة للبرنامج الانتخابي لكل من الحزبين تبين مدى التزام كل منهما العلني بالمحافظة على سلامة إسرائيل وتحقيق أهدافها في منطقة الشرق الأوسط بغض النظر عن كل انتهاكاتها للقوانين الدولية وقرارات الأمم المتحدة

وحقوق الإنسان. أشاد برنامج الحزب الجمهوري بالجهود التي بذلها من أجل مساعدة يهود الاتحاد السوفييتي وبدعمه المطلق لإسرائيل. كما يفاخر البرنامج بجهود رونالد ريغان ومساهمته الشخصية في إنشاء المركز التذكاري ((للمحرقة)) وزياراته العلنية لهذا المركز.

لكن الحزب الديمقراطي يحاول التفوق على منافسه في التفاخر بدعم إسرائيل فيوجه في برنامجه الانتخابي للعام نفسه نقداً شديداً لسياسة إدارة الرئيس ريغان تجاه إسرائيل، ويصفها بعدم الثبات والاستمرار في دعم الدولة العبرية. ويعد برنامج الحزب الديمقراطي بسياسة دعم مطلق لإسرائيل وجهد متواصل لحل مشكلة الشرق الأوسط ولكن دون المساس ((بمصالح إسرائيل)).

يذهب برنامج الحزب إلى أبعد من ذلك حين يعد بدعم يهود الاتحاد السوفيتي ولو تطلب ذلك التدخل في شؤون الاتحاد السوفيتي الداخلية حفاظاً على سلامتهم وحرية هجرتهم إلى إسرائيل.

وحرص كل المرشحين والساعون إلى الترشيح عن الحزبين على الظهور في المحافل اليهودية وأنشطتها. ففي أثناء الحملة الانتخابية قصد كل المرشحين منظمة ((بناي بريث)) اليهودية وألقوا كلمات في مؤتمرها السنوي، فقدموا الوعود بدعم إسرائيل والالتزام بسلامتها وأمنها. وأصبح من المألوف للأمريكيين أن يشاهدوا هؤلاء المرشحين الواحد تلو الآخر على المنابر اليهودية مثل مؤتمر هذه المنظمة حيث يقفون أمام العلم الإسرائيلي بكل فخر وسرور.

كان هذا النوع من النشاط الانتخابي يحدث بمباركة اليمين المسيحي التامة والمعلنة. فمثلاً حين ظهر القس جيري فالويل على منبر المؤتمر القومي للحزب الجمهوري دعماً لرونالد ريغان صرح بأن ((ريغان جيد لمصلحة إسرائيل وهو جيد لوطننا الأمريكي)).

وبالفعل فإن الرئيس ريغان أثبت طوال فترتي رئاسته بأنه ((جيد)) بالنسبة إلى إسرائيل. وكان ذلك في معظم الحالات نتيجة معتقداته الدينية، وخاصة قراءته الحرفية للكتاب المقدس ونبوءاته المتعلقة بآخر الزمان. ففي عام ١٩٨٢، وبعد الغزو الإسرائيلي الوحشي للبنان طلب أحد المراسلين من الرئيس ريغان التعليق على ذلك، فأجابه رئيس الولايات المتحدة الأمريكية بكل عفوية وبساطة: ((ربما كانت هذه معركة (مجيدو))).

ولعل من الضروري لإيضاح هذه المواقف المناصرة لإسرائيل أن نعرض نماذج من أقوال بعض القادة السياسيين الأمريكيين وسلوكهم فيما يتعلق بالنزاع العربي- الإسرائيلي:

جورج بوش الابن

ترد إشارات كثيرة في هذا البحث إلى ثقافة جورج بوش الدينية اليمينية وتصرفاته وأقواله المنبثقة عنها. ونكتفي هنا بإيراد بعض تصريحاته أثناء الحملة الانتخابية الرئاسية.

في أثناء الحملة الانتخابية لرئاسة الجمهورية التي كان يتنافس فيها نائب الرئيس آل غور وحاكم تكساس جورج بوش، ظهر المرشحان في مناظرة على برنامج تلفازي بتاريخ ١١/١٠/٢٠٠٠. كان من الأسئلة التي وجهت إليهما في السياسة الخارجية سؤال عن موقفهما من النزاع في الشرق الأوسط.

قال بوش:
- السلام في الشرق الأوسط هو من مصالح أمريكا الحيوية.

قال غور:
- سورية يجب أن تخلي سراح الأسرى الإسرائيليين الثلاثة وعرفات يجب عليه أن يصدر تعليماته بوقف العنف. والعراق ما زال يشكل تهديداً.
- إسرائيل يجب أن تشعر بالأمان دوماً.

- علاقاتنا مع إسرائيل هي من أقوى الروابط بين دولتين.
- علاقاتنا مع إسرائيل هي علاقات عقائدية وعميقة وليست عابرة متغيرة بتغير الأحداث.

ولم يشأ بوش أن يترك المجال لمنافسه في المزايدة على صداقة إسرائيل فقال: إسرائيل ستكون حليفتنا دوماً وسنقف إلى جانب إسرائيل دوماً. عرفات يجب عليه أن يصدر أوامره بوقف أعمال العنف. ثم سألهما مضيف البرنامج بلهجة تهكم:

إذن لا تعتقدان أنه يجب علينا أن ننحاز إلى أي من الطرفين؟

كما ظهر بوش قبل ذلك مع منافسيه للترشيح عن الحزب الجمهوري جون ماكين وويليم كي. وكان مما اتفق عليه المرشحون الثلاثة أنهم إذا فازوا بالانتخاب سوف يباشرون بالاعتراف بالقدس عاصمة لإسرائيل. وكان مما قاله المرشح بوش إنه لن يرسل القوات الأمريكية إلى أية حرب إلا إذا تعرضت مصالح أمريكا الحيوية للخطر. ثم أضاف: إن أمن إسرائيل هو من مصالح أمريكا الحيوية.

بيل كلينتون

في يوم ٥/١٠/٢٠٠٠ نقلت شبكة تلفزيون CNN أخبار المظاهرات الشعبية في يوغوسلافيا التي كانت تطالب باستقالة الرئيس سلوبودان ميلوسوفيتش، وقالت الشبكة الأخبارية ((إن الولايات المتحدة الأمريكية تقف إلى جانب الشعوب التي تكافح من أجل الحرية)). وفي اليوم التالي علق الرئيس بيل كلينتون على الأحداث في يوغسلافيا بتصريح قال فيه ((إن الشعب اليوغسلافي البطل يريد أن يستعيد حريته، يريد أن يستعيد وطنه)).

وفي تلك الفترة بالذات كانت الشبكة الإخبارية CNN تنقل أخبار ((أعمال العنف الإرهابية)) التي يقوم بها الفلسطينيون ((فيقتلون الإسرائيليين المدنيين الأبرياء)). وكانت تلك الشبكة تعرض الأفلام الإخبارية الدموية المثيرة لكي توضح هذه ((الأعمال الإرهابية)). كان الجيش الإسرائيلي المحتل حينذاك ينفذ عمليات وحشية ضد الشعب الفلسطيني، ويهدم المنازل أمام أنظار أصحابها، فيما كان المستوطنون المسلحون يقتلعون أشجار الزيتون في أراضي الفلسطينيين تحت حماية الجيش الإسرائيلي. لم تجد هذه الأحداث طريقها إلى شاشات التلفاز الأمريكية، ولا القليل القليل منها.

ولم يذكر الرئيس كلينتون في دفاعه الحماسي عن الشعب اليوغسلافي (الذي يريد استعادة حريته واستعادة وطنه) شيئاً عن كفاح الشعب الفلسطيني الذي ما زال منذ أكثر من نصف قرن يكافح من أجل استعادة حريته واستعادة وطنه. بل على العكس من ذلك، فقد كان الرئيس كلينتون ووزيرة خارجيته في تلك الفترة بالذات يطالبان الشعب الفلسطيني بوقف ((الأعمال الإرهابية)) إيقافاً تاماً كشرط أساسي للمفاوضات مع الحكومة الإسرائيلية.

الرئيس بيل كلينتون ينتمي إلى الحزب الديمقراطي، وكان فوزه بالانتخابات نصراً لليسار السياسي (اليسار بالنسبة لأمريكا) الذي يتركز في هذا الحزب. لكن انتماءه اليساري السياسي لا يعني أنه أقل تمسكاً بالمعتقدات الدينية ودراية باستغلال الشعور الديني لدى عامة الشعب الأمريكي. كان كلينتون أثناء حملته الانتخابية حريصاً على أن يشاهده الأمريكيون وهو يدخل الكنيسة يوم الأحد. ومع أن اليمين المسيحي - في غالبيته- انحاز في الانتخابات إلى الحزب الجمهوري، فقد صرح كلينتون مراراً أنه ينتمي إلى الأصولية المسيحية الأمريكية، قائلاً إن مرشده الروحي وصديقه المقرب القس جيري فالويل كان دوماً يوصيه بالمحافظة على أمن إسرائيل وبقائها. وهكذا فحتى بعد انتهاء ولاية

كلينتون، وعندما لم يكن لديه طموح وأهداف سياسية، فقد خطب في حفلة لجمع التبرعات لصالح إسرائيل في كندا بتاريخ ٢٠٠٢/٧/٢٩ فجمع نتيجة هذه الحفلة (٣٥٠,٠٠٠) ألف دولار لهذه الغاية. قال كلينتون في ذلك الخطاب: إنه مستعد لحمل السلاح والوقوف في الخندق الأمامي للدفاع عن إسرائيل إذا ما تعرضت للخطر.

هذا من رجل كان في الماضي قد رفض الالتحاق بالجيش الأمريكي عندما دعي للخدمة العسكرية في الحرب الأمريكية في فيتنام بحجة عدم اقتناعه بعدالة تلك الحرب.

وقبيل انتهاء ولاية بيل كلينتون بيوم واحد - جرياً على عادة راسخة في سلوك رئاسة الجمهورية الأمريكية- أصدر عفواً عن عدد من المحكومين منهم مارك ريتش اليهودي الهارب من وجه العدالة منذ (١٩٨٣) والذي صدرت أحكام قضائية ضده لارتكابه عدة جرائم احتيال وتهرب من دفع الضرائب وغيرها. وعندما صدرت عن بعض الأوساط انتقادات لصدور هذا العفو برر كلينتون قراره بالقول: إن رتش قد تبرع بمبالغ كبيرة لدعم إسرائيل. وقال: ((لقد تعرضت للضغوط من مسؤولين حاليين وسابقين في الحكومات الإسرائيلية من كلا الحزبين الرئيسيين، ومن زعماء الجاليات اليهودية في أمريكا وأوربة، وكلهم طلبوا مني إصدار عفو عنه لأنه قدم خدمات ومعونات لا حدود لها لإسرائيل)) (انظر صحيفة نيويورك تايمز ٢٠٠١/٢/١٨).

ولا بأس أن نذكر بأنه بعد الهجوم الإسرائيلي البربري على مخيم الأمم المتحدة في قانا بجنوب لبنان، وقتل مئات المدنيين الذين كانوا يحتمون في هذا المخيم، استقبل بيل كلينتون رئيس الوزراء الإسرائيلي في قاعدة وايتمان الجوية ورحب به مشيداً بما وصفه ((بالقيم المشتركة التي تجمعنا)). كما أنه بعد أن اشترك باحتفال التوقيع على اتفاقية وادي عربة في تشرين الأول عام ١٩٩٤، ذهب إلى إسرائيل وخطب أمام الكنيست الإسرائيلي مشيداً بدور إسرائيل في

عملية السلام، ومتغنياً مرة أخرى بالروابط الروحية والقيم الإنسانية المشتركة بين أمريكا وإسرائيل.

ولا يخفى على من تابع الأحداث الشخصية للفضائح الأخلاقية التي خيمت على الفترة الأخيرة من رئاسة بيل كلينتون أنه كان كلما وقع في مأزق سياسي أو شخصي كان يلجأ إلى مظاهر دينية لاستدرار العطف الشعبي أو إلى التفاخر بمدى دعمه لإسرائيل.

جورج بوش الأب

كان الرئيس الأسبق جورج بوش الأب على علاقة وثيقة جداً مع القس بيلي غراهام رئيس مؤتمر المعمدانيين الجنوبي وأكثر رعاة الكنائس تأثيراً في الرأي العام الأمريكي والعالمي.

وعندما طرح جورج بوش نفسه للترشيح عن الحزب الجمهوري لمنصب رئاسة الجمهورية، كان منافسه الرئيسي لهذا الترشيح هو القس اليميني المتطرف بات روبرتسون. وكان دعم القس الأصولي المسيحي المتطرف الآخر جيري فالويل لجورج بوش هو العامل الرئيسي الذي مكنه من الحصول على ترشيح الحزب له.

ويذكر أن الرئيس جورج بوش قال في كانون الثاني عام ١٩٩٢ في برنامج تلفازي من إعداد معهد (أمريكان إنتربرايز American Enterprise) بمناسبة الذكرى الثانية للحرب ضد العراق: إنه دعا أحد أصدقائه من رجال الدين الأصوليين عشية بدء الحرب، وطلب منه النصح فبارك القس تلك الحرب. وقد شاهد الجمهور الأمريكي الرئيس بوش يقاوم دموعه وهو يروي هذه القصة.

جيمي كارتر

جيمي كارتر، رئيس الجمهورية الأمريكية الأسبق، هو معمداني جنوبي وعضو سابق في مجلس أمناء مؤتمر المعمدانيين الجنوبي. وكارتر يذكر دوماً أنه مسيحي مولود من جديد، وقد دعمته الكنائس البيض والسود الجنوبية، والمتطرفون من اليمين المسيحي بصورة خاصة. ويذكر أيضاً أن مجلة (Ladies' Home Journal) ((ليديز هوم جورنال)) في عددها لشهر آب عام ١٩٧٦ (ص١٤٤) أفادت أن شقيقة الرئيس جيمي كارتر واسمها روث كارتر هي شخصية قيادية في صفوف اليمين المسيحي المتطرف (الإيفانجيليين) ولها شهرة قومية وتأثير قوي على الرأي العام المسيحي اليميني.

قال كارتر في حملته الانتخابية عام ١٩٧٦: إن تأسيس دولة إسرائيل هو تحقيق للنبوءة المقدسة. وفي خطاب ألقاه كارتر أمام الكنيست الإسرائيلي في آذار عام ١٩٧٩ وصف ((العلاقة الفريدة بين أمريكا وإسرائيل بأنها في ضمير الأمة الأمريكية وأخلاقها ودينها ومعتقداتها. إضافة إلى أن الشعبين يشتركان بالتوراة)).

علماً أنه من الضروري الإشارة إلى أن نزعة كارتر الإنسانية وأخلاقه وتمسكه بالقيم الأخلاقية جعلته ينتقد بشدة العنف الذي يمارسه الاحتلال الإسرائيلي والقوانين الأمريكية الجديدة ((ضد الإرهاب))، كما نرى في الموضع المناسب.

رونالد ريغان

رونالد ريغان، رئيس الجمهورية الأمريكية الأسبق، هو رجل مسيحي يميني تشغل عقله دوماً معركة (مجيدو) ونهاية الزمان. وحين كان رئيساً للجمهورية عام ١٩٨٢ حدث الاجتياح البربري الإسرائيلي للبنان، فسأله أحد المراسلين

عن رأيه فيما يحدث هناك فأجاب بكل بساطة ((ربما كانت هذه معركة مجيدو)).

قدم اليمين المسيحي والأصوليون الحرفيون دعماً دون حدود لريغان في حملته الانتخابية عام ١٩٨٠، حتى إن معلقاً صحفياً قال في مقالة عنوانها ((في سبيل الله والوطن)) :إن سعي ريغان للحصول على ترشيح الحزب الجمهوري له ثم فوزه بالانتخابات كانا لدرجة كبيرة نتيجة للبعث الديني الذي شهدته الساحة الأمريكية (انظر مجلة تايم ١٩٨٤/٩/١٠، ص ٢٤-٢٦).

وفي أثناء الحملة الانتخابية عام ١٩٨٠، وفي شهر تموز، أرسل عضو مجلس الشيوخ وصديق ريغان المقرب رسائل إلى (٨٠,٠٠٠) ثمانين ألف راعي كنيسة ورجل دين مسيحي أصولي يحثهم على تشجيع رعاياهم للتسجيل في سجلات الانتخاب والتصويت للمرشح ريغان. كان هذا الدعم الديني سافراً لدرجة جعلت حتى الكاتب الشهير ويليام سافاير المعلق السياسي اليميني يعبر عن استيائه من استعمال الدين لأهداف سياسية بحتة.

كما أن الرئيس ريغان كان يدعم البرامج والمبادئ المسيحية علناً مثل إقامة الصلاة في المدارس الحكومية خلافاً لأحكام الدستور ومبادئ فصل الدين عن الدولة.

ليندن جونسون

كان أحد العوامل الرئيسية للدعم الكبير الذي قدمه الرئيس ليندن جونسون لإسرائيل هو الاعتقاد المسيحي المتطرف بمكانة اليهود في خطة الله وتدبيره للكون والبشرية. عبر جونسون عن هذه المعتقدات مراراً، وقد كتب شقيقه سام هيوستن جونسون في كتاب عنوانه ((شقيقي ليندن)) (١٩٧٠) أن عمة ليندن كانت دوماً تسدي له النصائح الدينية. كتبت العمة مرة إلى سام تقول: ((أريد منك أن تخبر ليندن أمراً آخر عني: قل له أن يدعم اليهود دوماً، وألاّ

يتصرف ضدهم أبداً. فهم شعب الله المختار كما تعلم. إن الكتاب المقدس نفسه يقول ذلك، وإياك أن يتطرق إليك الشك في ذلك أبداً. إن أفضل شيء عمله هاري ترومان في حياته هو إيجاد دولة إسرائيل. عندما أقدم على ذلك العمل ضمن النجاح المؤكد في الانتخابات التالية)).

هاري ترومان

إن جهود إدارة الرئيس هاري ترومان في إنشاء دولة إسرائيل عام ١٩٤٧ والضغوط التي مارستها على دول العالم للتصويت إلى جانب قرار التقسيم هي أمور معروفة للجميع، وقد تم توثيقها في مواقع عديدة. ما تجدر الإشارة إليه هنا هو دوافع ترومان السياسية والدينية التي جعلته يعمل ليل نهار في سبيل تحقيق هذا الهدف. وقد اكتسب ترومان شعبية كبيرة في أوساط المجتمع الأمريكي، وخاصة بين صفوف اليمين المسيحي. المثال الصارخ على هذه الشعبية هو ما جاء على لسان الصحفية المخضرمة سارة ماكليندن (التي توفيت في الأسبوع الأول من كانون الثاني، ٢٠٠٣).

عملت ماكليندن في تغطية البيت الأبيض لأكثر من أربعين عاماً وتعاملت مع عشرة رؤساء جمهورية. وقد سألها مراسل لصوت أمريكا عن أعظم رئيس تعاملت معه أثناء تغطية البيت الأبيض، فأجابت دون تردد: ((الرئيس هاري ترومان)). وعندما سألها المراسل عن أسباب عظمته، أجابت:((لولا ترومان لما وجدت إسرائيل)).

لم تجد الصحفية البارزة مبرراً لرأيها في عظمة الرئيس ترومان أفضل من جهوده في إيجاد دولة إسرائيل. ولا يمكن للمرء إلا أن يتساءل عما إذا كان أي من الرؤساء العشرة قد أنجز أمراً لصالح وطنه يؤهله لأن يعتبر رئيساً عظيماً أكثر مما قدمه ترومان لإسرائيل.

في الواقع اتصفت الإدارات الأمريكية والأوساط السياسية في العقود القليلة الماضية بدرجات متفاوتة باللجوء إلى القدرية التدبيرية سواء في الشؤون الداخلية أو الخارجية. ففي أثناء إدارة الرئيس ريغان لم يبدِ ذلك الرئيس اهتماماً كبيراً بإيجاد حلول للمشاكل والقضايا المحلية العاجلة لأنه كان يعتقد بأن ((المسيح أصبح على الأبواب)) كما قال هو نفسه. كما أن وزير داخليته جيمس وات صرح بأنه ((ليس ثمة ضرورة لاتخاذ إجراءات لحماية البيئة، فالمجيء الثاني على وشك أن يحدث)). (انظر موقعاً عنوانه Surfingtheapocalypse. Com).

وصرح الوزير نفسه عام ١٩٨٣ أمام لجنة الشؤون الداخلية بأنه ((ربما لا يكون هناك أجيال كثيرة قبل مجيء المسيح)).

وفي يوم ٢٠٠٣/٣/١٣ صرح الصحافي سيمور هورش على برنامج ناجمان التلفازي أن النائب العام جون أشكروفت غالباً ما يخلط بين المسائل السياسية اليومية وإيمانه المتطرف بالقدرية التدبيرية. وفي خطاب حالة الاتحاد الذي ألقاه الرئيس بوش أمام مجلسي الكونغرس كرر أقواله بأن ((التاريخ يدعونا للقيام بمسؤوليتنا تجاه العالم))، وأن ((هذه الأمة القوية العظيمة هي هبة الله للبشرية)).

في عام ١٩٩٧ زار نائب رئيس الجمهورية الأمريكية، آل غور (Al Gore) إسرائيل، وكان هدف الزيارة كما قال هو ((جئت أحتفل معكم بتحقيق نبوءة عمرها ثلاثة آلاف عام)). وحين سأله أحد المراسلين العرب عن رأيه في معاناة الشعب الفلسطيني واللاجئين الذين يزيد عددهم عن أربعة الملايين ومأساتهم في الخمسين سنة الماضية، أجابه، أيضاً ببساطة، ((أنصح العرب ألا ينشغلوا بالالتفات إلى الماضي، وأن يتطلعوا إلى المستقبل)). وهكذا يقطع نائب الرئيس آلاف الأميال لكي يعود إلى تاريخ أسطوري يمتد ثلاثة آلاف عام، لكنه لا يجد أي تناقض بين ذلك وبين طلبه إلى الفلسطينيين ألا ينشغلوا بالماضي المحسوس الواقعي المستمر.

وفي الثالث من أيار من العام ٢٠٠٠، وضمن حملته الانتخابية لمنصب رئيس الجمهورية خطب آل غور في الاجتماع السنوي للجنة العمل السياسي الأمريكية - الإسرائيلية (AIPAC). قال غور مستعيناً بثقافته اليهودية - المسيحية: ((إن بن غوريون كان من أنبياء عصرنا الحديث، ينتمي إلى جيل يشعر أن من مسؤولياته تحقيق حلم قرون طويلة بتأسيس وطن قومي لليهود. ونحن نجتمع الآن لأول مرة في قرن جديد، وما زلنا نحاول تحقيق الحلم النبوئي (إشعياء ٢:٤))). ثم قال نائب الرئيس ((بأن أمن إسرائيل هو الهم الوحيد الذي يشغلنا. لن أسمح أبداً لأي كان أن ينسى أن العلاقة بيننا وبين إسرائيل مبنية على أسس من حجر الجرانيت – على صخرة قيمنا المشتركة وإرثنا المشترك، وعلى ولائنا الواحد للحرية)).

وفي مناسبة احتفال إسرائيل بالذكرى المئوية الخمسين ((لاستعادة)) مدينة القدس في حرب عام ١٩٦٧ زار رئيس مجلس النواب (House of Representatives) نيو غينغريتش (New Gingrich) إسرائيل بقصد ((الاحتفال مع الشعب الإسرائيلي باستعادة مدينة القدس، مدينة الملك العظيم)). أكد رئيس مجلس النواب الأمريكي على إصرار المشرّعين الأمريكيين الذين يمثلهم على دعم إسرائيل، وعلى بقاء القدس العاصمة الموحدة الأبدية لها. لم يحفل المشرعون الأمريكيون بكل قرارات الشرعية الدولية والقانون الدولي الذي يدين احتلال إسرائيل للقدس الشرقية وضمها إلى أراضيها.

ولا شك أن هذا المشرع الأمريكي وجد أن قوة المعتقد الديني تسمو على سلطة القانون الدولي وقرارات الأمم المتحدة.

كما أنه أثناء الهجمات الوحشية الإسرائيلية على جميع مدن وقرى الفلسطينيين وهدم مخيم جنين وقتل المئات من الفلسطينيين سارع الرئيس بوش إلى إدانة العنف الفلسطيني ووصف أرييل شارون برجل السلام.

وظهر في الفترة نفسها على عدة برامج تلفازية زعيما الأغلبية الجمهورية توم ديلي وديك آرمي والعديد من الزعماء السياسيين والدينيين الأمريكيين يتسابقون لدعم إسرائيل. ودعا زعيما الأغلبية الجمهورية صراحة إلى عملية تنظيف عرقي للفلسطينيين من كل ((أرض إسرائيل)).

هذه أمثلة قليلة من تصرفات الأمريكيين وتصريحاتهم التي تستقي من التراث اليهودي - المسيحي الذي تتشبع به الثقافة الأمريكية.

لا يقتصر تأثير هذه الأفكار الألفية (المستندة إلى الاعتقاد بعصمة الكتاب المقدس) على المسيحيين المتطرفين مثل الإيفانجيليين وغيرهم. بل هو يتعداهم لينتشر بصورة غير ظاهرة أحياناً في الكثير من طبقات المجتمع. لذلك فإن قوة هذه المعتقدات وتأثيرها لا يقتصران على الناشطين من اليمين المسيحي الأمريكي. لكنهما يصبحان جزءاً من الثقافة القومية وأدب الأمة. وقد رأينا كيف انعكست هذه المعتقدات في صياغة الشعار الوطني وفي الأغاني الدينية وفي الملاحم الوطنية وغيرها من مختلف نواحي الحياة الاجتماعية والسياسية للأمة الأمريكية. ولكي ندرك مدى قوة هذه المعتقدات نعرض لمثال واضح هام لقوة تأثير الثقافة اليهودية - المسيحية على الأمة الأمريكية.

وتكمن أهمية هذا المثال في أنه يوضح سلوك وأقوال واحد من أشهر رجال القضاء الأمريكي وأكبرهم تأثيراً. في عام ١٩٥٠، أي بعد تأسيس دولة إسرائيل بثلاثة أعوام فقط، قام رئيس المحكمة العليا الأمريكية ويليم دوغلاس بعد اعتزاله العمل برحلة حول العالم شملت العالم العربي وإسرائيل، وسجل وقائع رحلته وخواطره عنها في كتاب عنوانه ((بلدان غريبة وشعوب ودودة)) (Strange Lands, Friendly People). بعد زيارة لسورية ينتقل دوغلاس إلى العراق ويمر عبر المملكة الأردنية الهاشمية إلى إسرائيل. في العراق وقرب البصرة يزور دوغلاس مخيم اللاجئين الفلسطينيين ويصف حياة البؤس والشقاء التي يعيشها

اللاجئون، ثم يزور في الأردن مخيم السخنة على مشارف فلسطين المحتلة، فيرى أوضاعاً مأساوية وظروفاً لا إنسانية. لكن دوغلاس مع عطفه وتأثره مما يشاهده لا يذكر شيئاً عن سبب وجود اللاجئين ولا عن مصدر هذا الشقاء. كل ما يستدعي انتباه رئيس المحكمة العليا الأمريكية في ذلك المخيم هو أنه ((جزء من مؤاب الذي يعرف أحياناً بجبل أبريم)) ويعلق على ذلك قائلاً: ((من مؤاب وقع نظر موسى لأول مرة على أرض الميعاد)). ويستشهد دوغلاس على ذلك بتلاوة بعض النصوص من العهد القديم من الذاكرة.

ثم يصل دوغلاس إلى فلسطين المحتلة ويزور مستوطنة إسرائيلية أنشئت على أنقاض بلدة عين كرم ((الخالية من سكانها العرب ثلاثة الآلاف الذين غادروها دون قتال أو حصار)). ويعلق دوغلاس أيضاً على المجتمعات اليهودية في دير ياسين وغيرها ((التي رأينا بعض سكانها العرب في مخيم قرب مؤاب)). ويستمر دوغلاس قائلاً: لكن الأرض الآن لم تعد خالية. فقد عاد إليها أبناؤها المشردون الذين كانت هذه بالنسبة إليهم هي أرض الميعاد الحقيقية. جاؤوا ليستعيدوها ولكي يكرسوها لحياة الديمقراطية والحرية في وسط عالم لم يعرف سوى الإقطاعية والعبودية والجهالة منذ قرون. سوف تزدهر هذه المنطقة حين ترى ((منزل الديمقراطية الجديد)).

رأى دوغلاس بإعجاب أشبه بالعبادة النساء والرجال والأطفال ينشدون التراتيل الدينية في كنسهم المؤقتة ثم يمشون بسلام وسعادة واسترخاء إلى منازلهم الجديدة. لكنهم في تقواهم وإيمانهم يتمتعون بالقوة والتصميم على الدفاع عن أرضهم حتى الموت. فهم جميعاً يكرسون أنفسهم للدفاع عن قضية الصهيونية العادلة المقدسة.

لكن دوغلاس يشاهد بعض العرب والمسلمين الذين أصروا على البقاء في منازلهم وعلى زراعة أراضيهم بالطرق القديمة التقليدية فيرى في تصميمهم لغة

القوة و((كلمة الله التي أنزلها على محمد، في رأي دوغلاس، دين قتالي وجماعة من الأتباع المتعصبين الذين استعملوا الكتاب والسيف لغزو الكرة الأرضية)). وفي القدس القديمة بالذات يرى دوغلاس خلف الجدران المتداعية حيث ازدهرت حضارة عربية قديمة حياة راتبة متأخرة على نغمة القرون الماضية. وينمو خلف هذه الجدران التعصب الديني في صدور الكثيرين نتيجة تعاليم دينهم.

رئيس المحكمة العليا الأمريكية هو في كل الأحوال (مع أعضاء المحكمة التسعة الآخرين) المرجع الأخير للقضايا التي تتعلق بفصل الدين عن الدولة، وهو الحكم الفيصل في إحقاق الحق والعدالة، لم يستطع وضع تراثه اليهودي - المسيحي جانباً فلم ير أي ظلم أو اعتداء أو احتلال لأراضي الغير، فالشعب هو شعب الله المختار، والأرض هي أرض الميعاد، والنصوص المقدسة (التي تتمتع بالأولوية على النصوص التشريعية القضائية) هي الشاهد على ذلك.

الطبيب الأمريكي في القدس في القرن التاسع عشر كان يحمل الآراء نفسها، وكذلك رئيس البعثة الاستكشافية العلمية إلى نهر الأردن والبحر الميت ويليم لينتش وغيرهما من الأمريكيين منذ ذلك الوقت حتى الآن.

الكتاب المقدس - كما يقول تيموثي ويبر أستاذ تاريخ الأديان - يدخل في مركز ثقافة الأمة الأمريكية. وفي مدارس الأحد تأخذ خريطة الكتاب المقدس وقصصه مكان الصدارة، وتصبح هذه الأراضي أرض اليمين المسيحي ووطنه. فنظرة الإيفانجيليين إلى الكتاب المقدس تعطيهم حق ملكية الأراضي المقدسة، وأرض الميعاد تعني لهم ما تعنيه للإسرائيليين. كما أن المدارس الدينية البروتستانتية تزايد عددها بشكل كبير منذ الستينات (من القرن العشرين) وكان معظم هذه المدارس ينتمي للجماعات الأصولية.

الإدارة السياسية الحديثة والتطرف الديني

في مقالة كتبها الرئيس الأسبق جيمي كارتر لصحيفة نيويورك تايمز بتاريخ ٢٠٠٣/٣/٨ بين أن تغييرات جذرية تحدث الآن في سياسة أمريكا الخارجية. وأضاف الرئيس كارتر يقول: ((كمسيحي ورئيس جمهورية سابق أعتقد أن حرب أمريكا على العراق ليست حرباً عادلة. هذا هو رأي معظم القادة الدينيين في كل أنحاء العالم، فيما عدا بعض المتحدثين باسم مؤتمر المعمدانيين الجنوبي الذين يتأثرون لدرجة كبيرة بالتزامهم حيال إسرائيل وبعقائد الأيام الأخيرة)). ويوضح الرئيس كارتر بأن الإدارة السياسية الأمريكية، رغم المعارضة العارمة من معظم الشعوب والحكومات تبدو مصممة على المضي باستعمال قوة لا سابق لها من حيث درجة القدرة القتالية وكمية الأطنان من المتفجرات ضد شعب لم يبدأ بالاستفزاز والعدوان.

ورغم أن كارتر ذكر بشكل عابر بعض غلاة المعمدانيين الداعين إلى نهاية الزمان، فإن ما تمنعه دبلوماسيته وموقعه الحساس من الخوض فيه هو التوجه الديني للإدارة السياسية نفسها. لكن عدداً كبيراً من المفكرين والباحثين بدؤوا بالكتابة عن التربية الدينية لبعض أعضاء الإدارة الأمريكية، وخاصة رئيس الجمهورية جورج بوش، وعما يمكن أن يكون الدوافع وراء هذا الحماس العنيد لخوض حرب لا يرى لها معظم الناس ضرورة.

الكاتب مايكل أورتيز هيل (Michael Ortiz Hill) مؤلف كتابين عن رؤيا نهاية الزمان وهوس اليمين المسيحي بها، كتب في شهر كانون الثاني مقالة في مجلة ((كاونتر بانتش)) عالج فيها الفكر الديني للرئيس بوش. عنوان المقالة يدل على محتواها، وهو ((لقد رأت عيناي مجيء الرب بجلاله: عودة إلى انشغال بوش بمعركة (مجيدو))) والقسم الأول من العنوان هو افتتاح ((ترتيلة المعركة

للجمهورية)) التي تردد صدى الأفكار الألفية والمجيء الثاني للمسيح في نهاية الزمان. يقول هيل: إن بوش تعلم من القس بيلي غراهام أن عليه أن يعيش بانتظار المجيء الثاني. إلا أن صداقة بوش مع الدكتور طوني إيفانز هي التي شكلت تفكيره السياسي وسلوكه بانتظار نهاية الزمان. إيفانز هو راعي كنيسة كبيرة في دالاس ومؤسس حركة ((حراس العهد)) وهو الذي علم بوش كيف ((يجب عليه أن ينظر إلى العالم من وجهة نظر الإله)). كما أن إيفانز وقادة حركة ((حراس العهد)) يؤمنون بعقيدة نهاية الزمان، وبأن الوسيلة الوحيدة لإنقاذ العالم هي أن يستولي عليه شعب الله.

وقد تطور لدى بوش الاعتقاد بأنه شخص اختاره الله ليعيد الأرض إلى سيطرة الله. هذا ما أدركه الصحافي بوب وودوورد حين علق على أفكار الرئيس وتصريحاته بقوله: ((إن بوش كان يصور مهمته ومهمة وطنه في إطار خطة الله للكون)). ويذكر في هذا المجال أن الرئيس صرح بعد هجمات أيلول عام ٢٠٠١ قال في مناسبة لاحقة: ((سوف نصدر الموت والعنف إلى جميع أنحاء المعمورة)). هل تنسجم هذه الأقوال مع مهام رئيس جمهورية تدعي بأنها ستنشر النور والديمقراطية والحرية في ربوع الأرض؟ أم أنها النتيجة الطبيعية لثقافة ((حراس العهد)) والأصول الدينية لتربية رئيس الجمهورية.

لقد خالفت الإدارة الأمريكية، في رأي هيل، آراء كثير من القادة العسكريين الأمريكيين واستخفت بالملايين من الأمريكيين وغيرهم الذين يعارضون الحرب ضد العراق. واعتبرت هذه الإدارة أن الأمم المتحدة لا دور أو قيمة لها في قرار الحرب، لأنه كما يرى هيل ((ليس من المستبعد أن يكون بوش مصمماً – عن وعي أو غير وعي منه– على تنفيذ خطة الله. إن سياسته العاتية حيال الشرق الأوسط تدل على هذا، وعلى أنه يعتبر نفسه مكلفاً بمهمة من الله)). ويلخص هيل الحالة الراهنة في أمريكا من سيطرة عناصر مارقة تتمتع

بالمصداقية والقوة السياسية مثل الفئة التي تحكم أمريكا الآن... بـ ((أن التراث اليهودي – المسيحي – الإسلامي (نعم هو تراث واحد) تزج بـه عناصر مارقة متطرفة إلى الهاوية وتزجنا نحن معه)).

ولعل هذا القول يتفق مع ما ألمح إليه الرئيس كارتر ومع ما عبر عنه صراحة المفكر إيان لا ستيك مؤلف كتاب ((من أجل الأرض والرب: الأصولية اليهودية في إسرائيل))) الذي قال ((إنها لحالة مأساوية أن تعمل فئات من الأصوليين سيطرت عليها فكرة معركة (مجيدو) ونهاية الزمان على التعجيل بالمجيء الثاني)).

يؤكد هذه الأفكار ما كتبه جاكسون لير في مقالة حديثة في صحيفة نيويورك تايمز بتاريخ ٢٠٠٣/٣/١١ بعنوان ((كيف انقلبت الحرب إلى حملة صليبية)) قال لير: ((عندما كان بوش حاكم ولاية تكساس صرح باعتقاده أن الله أراد منه أن يرشح نفسه لمنصب رئاسة الجمهورية)). وقد أصبح هذا الاعتقاد بأنه ينفذ إرادة الله أكثر وضوحاً بعد حوادث أيلول. فقد صرح مراراً أنه يقود حرباً عالمية ضد الشر. وفي سياق الإعداد للحرب ضد العراق قال: ((لو أدركنا الأساليب والمقاصد الإلهية لكنا نثق بها)).

ويصف لير عقلية الرئيس وإدارته واعتقاده بأن الله يعمل في كل شؤون الكون، وهو يدعو الولايات المتحدة لقيادة صليبية جديدة في الشرق الأوسط، إذ إن هذه الدعوة أتت من التاريخ إلى الأمة المناسبة. الرئيس بوش، حسب قول لير، لا يركب المخاطر والمجازفات لأنه مقامر بطبيعته، بل هو ينفي نفياً قاطعاً وجود الحظ أو المصادفة. فهو يقول: ((الأمور لا تتحرك بالمصادفة، بل بيد إله عادل وفي)).

وهكذا فإن يد الله التي تقول المسيحية تقليدياً بأنها تعمل بصورة غامضة فوق إدراك البشر، أصبحت واضحة للأمريكيين منذ وطئت أقدامهم أرض

العالم الجديد، إذ إنهم أدركوا مقاصد الله ورأوا يده تعمل بشكل جلي في رسم ((قدرهم البيّن)). وقد عمل هذا الإدراك كما بينا في هذا البحث، على مر التاريخ الأمريكي في مغامرات التوسع غرباً ومعاملة السكان الأصليين والزنوج المستعبدين، والحروب التي خاضتها أمريكا، وبصورة خاصة في سياسة أمريكا حيال الصراع العربي - الإسرائيلي. كان رأي أحد المفكرين الأمريكيين البارزين، هوريس غريلي، في القرن الثامن عشر أن السكان الأصليين يشغلون مساحات شاسعة من الأرض دون الإفادة منها، لذلك رأى غريلي أنهم ((جماعة من الناس الذين يجب أن يموتوا لأن الله أعطى الأرض لمن يستطيع إخضاعها وزراعتها، ومن العبث مقاومة قرار الله وإرادته الحكيمة)).

ومنذ القرن التاسع عشر كرر عضو مجلس الشيوخ ألبرت بيفردج وغيره من المؤمنين بالعقيدة الاصطفائية الاستعمارية أن الله اختار الشعب الأمريكي للمباشرة في عملية ((خلاص العالم)). وهكذا درج السياسيون وقادة اليمين المسيحي ممن يعتبرون أنفسهم مكلفين بحماية الأخلاق والحرية والديمقراطية على جعل الإيمان بالقدرية ومعرفة مقاصد الله ذريعة وتكليفاً بالاستيلاء على السلطة والهيمنة المطلقة.

ويذكر الكاتب بأن الرئيس وودرو ويلسون كان يردد بعد الحرب العالمية الأولى بأن تدخل أمريكا بالحرب وإحلال السلام في العالم يدل على أن ((أمريكا تقف في المكان المناسب والظروف المناسبة لتحقيق قدرها وإنقاذ العالم)). كما كان جون فوستر دالاس الوزير الأمريكي الذي يؤمن بالقدرية يستعمل الخطاب نفسه أثناء الحرب الباردة، ثم جاء الرئيس رونالد ريغان وأضفى على خطابه السياسي ولعه وانشغاله الدائمين بأمريكا ((المدينة على الجبل)) في مجابهة مع ((إمبراطورية الشر)) التي لا يمكن إلا أن ينتصر فيها الخير في معركة مجيدو التي كان يحلم دوماً بأن تحدث أثناء حياته.

واليوم تقف أمريكا - القيِّم على مفاهيم الحرية والديمقراطية وحقوق الإنسان- على رأس جيش الخير في مجابهة مع «محور الشر وقوى الإرهاب بقيادة الشيطان نفسه». لا ترى قوى اليمين المسيحي والإدارة الأمريكية ضرورة لإعطاء أسباب للحرب ضد العراق - التاريخ والقدر يدعوان أمريكا لتحمل مسؤولياتها نحو العالم، حتى لو كانت الأكثرية الساحقة في العالم لا تدرك مقاصد الله.

الفصل الرابع

اليمين المسيحي

((لقد عقدت الأصولية اليهودية (التي تحتقر كل من هو غير يهودي) حلفاً مع أولئك المسيحيين الذين يعتقدون أن دعم الأصولية اليهودية هو ضروري للتعجيل بالمجيء الثاني للمسيح)).

نورتون ميزفينسكي

((الأصولية اليهودية في إسرائيل))

رغم أن اليمين المسيحي ظهر بشكل ملحوظ على مسرح الأحداث منذ العقد الثاني من القرن العشرين تقريباً، فلا شك أن جذوره كانت موجودة في البدايات الدينية للمجتمع الاستيطاني الأول كما يبين هذا البحث. فالطهوريون الأوائل آمنوا بالأفكار الأصولية وبالعهدين القديم والجديد من الكتاب المقدس، واستمر تأثيرهم في مختلف مراحل تطور الأمة الأمريكية حتى الآن. المستوطنون الطهوريون الأوائل كانوا ينتمون إلى البروتستانتية الكالفينية (نسبة إلى جون كالفن المصلح الديني السويسري الأكثر تطرفاً من مارتن لوثر)، وهم لذلك أقرب إلى الإيمان بالأفكار القدرية التدبيرية التي يحملها اليمين المسيحي اليوم. كما أن القرنين السابع عشر والثامن عشر شهدا حركات إحياء ديني رئيسية في معظم أوساط المجتمع وطبقاته، ثم جاء القرن التاسع عشر بمجموعة كبيرة من

المذاهب والكنائس الجديدة الإيفانجيلية والكاريزماتية والتبشيرية، وكان جل هذه المذاهب يقرأ في نصوص الكتاب المقدس نبوءات ستتحقق قريباً ضمن خطة إلهية للكون.

في العقد الثاني من القرن العشرين ظهرت بوادر موجة من النشاط الديني اليميني في أمريكا، ووصف بعض قادة الحركات الجديدة أنفسهم وأتباعهم بالأصوليين، لأنهم كما قالوا يعودون إلى أصول الدين بما في ذلك النصوص الدينية وتعاليم المسيح وتلامذته الروحية والأخلاقية والاجتماعية. كانت أفكارهم، في تطرفها نحو اليمين، تعبيراً عن ردة فعل لما اعتبروه ليبرالية متزايدة في الأوساط الدينية البروتستانتية المعتدلة، والتي اعتبروها تشويهاً للدين الصحيح. عمد الأصوليون الجدد، كما فعل الطهوريون الأوائل، إلى الإصرار على عصمة الكتاب المقدس (بعهديه القديم والجديد) وعلى تفسير حرفي لنصوصه. وكان من نتيجة ذلك أن رفض كثير من اليمينيين النظريات العلمية الحديثة مثل نظرية النشوء والتطور الداروينية وفكرة كروية الأرض، بل استمر بعضهم في معارضة هذه النظريات حتى منتصف القرن العشرين وطالبوا بتدريس الكتاب المقدس ككتاب علمي يطرح بدائل لهذه النظريات.

وبعد الحرب العالمية الثانية ثم في الستينات من القرن العشرين حدثت تحولات جذرية في المجتمعات الغربية كان منها الثورات الثقافية والحركات الطلابية، وسرت موجة جديدة من الليبرالية المتطرفة في رفضها للتقاليد والقيم الاجتماعية والأخلاقية السائدة. كان من هذه الحركات ما اعتنق الماركسية أو العدمية، وظهر في المجتمعات الغربية ما وصفه المحافظون بالانحلال الأخلاقي والديني والاجتماعي.

أدى ذلك مرة أخرى إلى ردة فعل مسيحية يمينية في أمريكا بصورة خاصة، وكان المتحدثون باسم اليمين المسيحي سواء منهم رجال الدين أو السياسيون،

يصفون الحركات العمالية والطلابية ومجموعـات ((الهيبيين)) ((بـالخطر الأحمـر)) وبجيوش الشر التي تأتمر بأوامر الشيطان. ثم بـرز عـامل آخـر في العـالم العربـي وهـو تأسيس دولـة إسـرائيل في فلسـطين، وكـان الدعـم الأمريكـي الرسـمي والشعبي عاملاً هاماً جداً لهذا الحدث ولبقاء إسرائيل وسياساتها التوسعية منـذ ذلك الوقت حتى الآن. وكان من الطبيعي أن يلجأ اليمين المسيحي المتطـرف في أمريكا إلى تصنيف الفلسطينيين والعـرب بصـورة عامـة ضمـن حلـف الشيطان وجيوش الشر، لأنهم كانوا ((يعادون)) إسرائيل، وهي حسب قراءتهـم للكتـاب المقدس شعب الله المختار.

يشرح جون مارسدن في كتاب ((الأصولية والثقافة الأمريكية)) (١٩٨٠) أن المجموعات اليمينية التي ظهرت في أوائل القرن العشرين دعت إلى حيـاة ضمـن مبادئ ((الأصول)) وإلى قراءة حرفية للكتاب المقـدس في كـل مـا يتعلـق بالحيـاة اليومية. وتحول الكثير من المسيحيين المحافظين إلى متطرفين غاضبين أثناء الثـورة الثقافية. وقد تمت صياغـة تعبـير ((الأصولـي)) لوصـف الشـخص الـذي يعمـل جاهداً لترسيخ مبادئ العودة إلى الأصول الحرفية للكتـاب المقـدس. وكـان مـن نتيجة السخرية التي تعـرض الأصوليـون لهـا في الأربعينـات أن لجـأ المحـافظون إلى بعـث لقـب ((الإيفـانجيلي)) لإضفـاء شـيء مـن الاعتـدال علـى سـلوكهم وصورتهم.

وعلى الرغم مـن اشـتراكهما بصفـات عديـدة، فـإن الأصولـية والإيفانجيليـة حركتان متمايزتان ضمن الكنيسة البروتستانتية الأمريكية. الأصولية هي اليمـين المتطرف للحركة الدينية الحماسية المعروفة بلقـب ((الإيفانجيليـة)). هـذه الحركـة الأخيرة تتمتع بقاعدة شعبية واسعة، ازدادت شعبية في النصف الثاني من القـرن العشرين وفي أوائل القرن الحادي والعشرين. يستطيع الإيفانجيليون التعـايش مـع الجماعات المسيحية الأخرى، وخاصة البروتسـتانتية منهـا، أمـا الأصوليـون فـلا

يتمتعون بأي قدر من الليبرالية أو التسامح.. الأصولي، حسب تعريف مارسدن، هو ((إيفانجيلي غاضب لأمر ما)).

وقد ساعد على انتشار اليمينية بين أوساط المسيحيين البروتستانت في أمريكا، كما يقول عالم الاجتماع فيليب هاموند من جامعة كاليفورنيا (سانتا باربرة) أن الأكثرية البروتستانتية أصبحت غير راضية عما تعتبره انهياراً أخلاقياً في المجتمع الأمريكي. وهكذا فإن الملايين من الأمريكيين يشاركون اليمين المسيحي آراءه دون أن ينتموا إلى الكنائس الأصولية والإيفانجيلية.

ولعل التطرف الذي طبع سلوك الأصوليين هو الذي دعا أكبر زعمائهم شهرة وهو جيري فالويل (Jerry Falwell) إلى دعوة مجموعته في أول الأمر ((بالأصوليين الجدد)) تمييزاً لهم عن المتطرفين وتقرباً من الجماعات المعتدلة. وكان فالويل وبات روبرتسون وغيرهم من قادة اليمين المتطرف حتى الخمسينات يبتعدون عن النشاط السياسي ويركزون في مواعظهم وأنشطتهم على المسائل الأخلاقية والسلوك الشخصي الديني. لكن هؤلاء القادة ورعاياهم تحولوا إلى حركات نشيطة سياسياً واجتماعياً في الستينات والسبعينات نتيجة عوامل أهمها معارضتهم للتشريعات التي تمنع إقامة الصلاة في المدارس وتلك المتعلقة بالإجهاض وبمبدأ ((العمل الإيجابي)) الذي يهدف إلى تعويض الأقلية السوداء عن الظلم والتمييز في الماضي. كما أن من أهم العوامل في دفع اليمين المسيحي إلى العمل السياسي هو تأسيس دولة إسرائيل ثم احتلال القدس وأجزاء من الضفة الغربية وهضبة الجولان.

أسس جيري فالويل بعد هذه التطورات ((الأكثرية الأخلاقية)) كمجموعة دينية – سياسية منفصلة عن نشاطه الكنسي الديني البحت، وذلك للترويج لأفكاره الأخلاقية السياسية وللضغط على أصحاب القرار. إلا أن هذه الحركة

كانت تستند في معتقداتها وأنشطتها على مبادئ الأصولية المتطرفة، وأهمها عصمة الكتاب المقدس الحرفية بكل أسفاره وكتبه. وأصبحت هذه الحركة وغيرها تجنح إلى عدم التسامح مع من لا يتفق مع مبادئها وأفكارها. وأصبحت أيضاً تدعو - كما دعا الطهوريون الأوائل - إلى التقيد بتعاليم الكتاب المقدس بحرفيتها ليس فقط في الأمور الحياتية والأخلاقية، بل أيضاً بالنبوءات وبأساطير العهد القديم مثل الشعب المختار وأرض الميعاد والعهد.

ما يميز اليمين المسيحي المتطرف بمعظم فئاته أنه ظهر في الأوساط البروتستانتية بصورة خاصة. ويمكن تلخيص المبادئ الأساسية التي يؤمن بها اليمين المسيحي كما يلي:

١- عصمة الكتاب المقدس بعهديه القديم والجديد.

٢- كل حرف كتبه مؤلفو الكتاب المقدس بجميع أجزائه وأسفاره هو وحي من الله أو الروح القدس الذي حل فيهم.

٣- القراءة الحرفية للكتاب المقدس، ودقة النبوءات المقدسة بكل تفاصيلها.

٤- تحقيق جميع النبوءات على الأرض.

٥- حتمية الصراع بين قوى الخير (جيش المسيح) وقوى الشر (جيش الشيطان) وانتصار الخير في معركة (مجيدو).

ينطلق الفكر النبوئي الذي يؤمن به اليمين المسيحي - وخاصة في أمريكا- من مبدأ أساسي وهو أن الكتاب المقدس بجميع أسفاره وكتبه هو كلام الله المنزل وأن كل ما جاء فيه معصوم بكلامه وحروفه. ويمضي النبوئيون في هذا الفكر إلى القول أيضاً بأن تفسير هذا الكتاب الذي يختارونه هوأيضاً يقيني معصوم عن الخطأ. وعندما يقرؤون «طبعة سكوفيلد» للكتاب المقدس التي

تضع تفسيراته الحرفية وكأنها جزء من النص تأخذ هذه التفسيرات ما يشبه قدسية النصوص نفسها.

ولكي ندرك مدى تأثير هذا الإيمان بقدسية النبوءات، ما علينا سوى استعراض أمثلة قليلة من المبادئ التي يبنى عليها النبوئيون هذه المعتقدات. أحد النصوص الكتابية التي يعتمد عليها الحرفيون في اعتقادهم بعصمة النبوءات هو ما جاء في بطرس٢ (١: ٢١): ((النبوءة لا تصدر أبداً عن إرادة البشر، لكن البشر يتحدثون بوحي من الله. وكأن هذا الوحي حمله إليهم الروح القدس)). كما أنهم يقرؤون ما جاء في ((قاموس الكتاب المقدس)) من المسلّمات حيث يقول في مقدمته: ((الكتاب المقدس هو كلمة الله في كلمات الإنسان))، وبأن ((بولس شكر الله باستمرار على التلامذة الذين تلقوا كلمة الله من بولس وقبلوها ليس ككلام بشر بل ككلمات الله)). ويضيف القاموس إلى ذلك قول بولس (تيموثي ٢، ١٦:٣) ((كل الكتاب المقدس هو نَفَس الله)).

وعندما يشرح قاموس الكتاب المقدس عبارة ((أراضي الكتاب المقدس)) يكمل صورة النبوءات فيعطي المعنى الأول لهذه العبارة بكلمة ((إسرائيل))، قائلاً بأن أسماء كثيرة قد استعملت لوصف الأراضي التي وقعت فيها أحداث الكتاب المقدس، ويضيف: ((أخيراً أعطى الله هذا الوطن لشعبه المختار، إسرائيل، وأصبح يعرف بهذا الاسم)). وهكذا يستعمل كلمة ((إسرائيل)) على أنها اسم شعب الله المختار واسم أراضي الكتاب المقدس والوطن الذي أعطاه الله لهذا الشعب. كل هذه المعاني، بالطبع، ترتبط عاطفياً لدى القارئ بإسرائيل الدولة السياسية.

ليس من الغريب إذن أن نجد جميع دعاة النبوءات وحرفية الكتاب المقدس من زعماء اليمين المسيحي يربطون النبوءات ربطاً مباشراً بيهود اليوم وبدولة

إسرائيل، ثم يطبقون هذه النبوءات وخطة الله بأكملها على الأحداث المعاصرة التي تتعلق بإسرائيل بالدرجة الأولى.

هذه المبادئ كلها تجمعها الحتمية التاريخية ضمن إطار من التدبيرية القدرية. القراءة الحرفية للكتاب المقدس تكشف عن خطة إلهية للكون من بدء الخليقة حتى نهاية الزمان. الخطة الإلهية أيضاً، وحسب هذه التفسيرات الحرفية، تقسم البشرية إلى الشعب المختار وهو اليهود، وبقية الأمم، وتقضي بأن من يحب الشعب المختار يحبه الله ومن يكره الشعب المختار يكرهه الله. وسنرى في معالجة تفاصيل الخطة كيف يضع الحرفيون القدريون العرب والمسلمين في صف الشيطان لأنهم «يكرهون اليهود».

وقد أضافت بعض المجموعات اليمينية في أمريكا مبدأ آخر لهذه المبادئ والمعتقدات، وهو مبدأ «العهد المزدوج» (Double Covenant) والذي أخذته عن أفكار جون داربي وسايروس سكوفيلد. هذا المبدأ الذي يحمل لواءه بصورة خاصة الواعظ الشهير جون هاجي يقول بأن اليهود يتمتعون فعلاً بعلاقة خاصة مع الله نتيجة العهد الذي أعطاه لإبراهيم. ورغم أن المسيح قال في إنجيل يوحنا (١٤: ٦) «لا أحد يجيء إلى الأب إلا بواسطتي»، فإن هؤلاء الدعاة يقولون إن اليهود مستثنون من هذه القاعدة دون جميع الأمم الأخرى إذ إنهم لا يحتاجون إلى الهداية وإلى قبول المسيح مخلصاً بل سيدخلون مملكة الله بفضل علاقتهم بإبراهيم وداود وموسى. وهكذا فإن جون هاجي يقول صراحة «لا أحاول أن أهدي اليهود إلى الدين المسيحي. جميع أبناء الديانات الأخرى يحتاجون للإيمان بيسوع مخلصاً إلا اليهود لأنهم يتمتعون بعهد مع الله لم تلغه المسيحية أو تحل محله»[1].

وصف بعض مؤرخي المسيحية الحديثة هذا الاعتقاد «بالصهيونية المسيحية»

وأصبح لقب ((الصهيونيون المسيحيون)) يطلق على المسيحيين الذين يدعمون دون قيد أو شرط ((عودة)) اليهود إلى أرض الميعاد وتأسيس دولة إسرائيل كما يقرؤون ذلك في النصوص المقدسة. يلخص إيلوود ماكويد ذلك بقوله ((في حقيقتها الصهيونية تعني ببساطة الالتزام والاعتقاد بحق اليهود الطبيعي بوطن معترف به في الشرق الأوسط، وهو المكان الذي يسميه اليهود ((أرض إسرائيل)). وكل من يعتقد بأن حق اليهود بهذه الأرض مدعوم بالكتاب المقدس هو صهيوني))[٢].

أصبح لهذه الأفكار ((الصهيونية المسيحية)) رواج بين صفوف المسيحيين اليمينيين منذ السبعينات من القرن العشرين. قال فرانكلن ليتل في كتابه ((صلب اليهود)) (١٩٧٠) مثلاً: ((إن اليهود لا يحتاجون إلى رسالة عيسى وللعهد الجديد))، وكل من لا يوافق على هذا الرأي يرتكب ((خطيئة كبرى)). وبهذا نرى الأسس التي يبني عليها الوعاظ مثل بيلي غراهام وجيري فالويل أقوالهم بعدم جواز التبشير بين اليهود، وبدعم إسرائيل دون قيد أو شرط. وعلى هذه الأسس دعت مجموعة دينية أمريكية تسمي نفسها ((جسور من أجل السلام)) خمسين كنيسة محلية في أمريكا للتوقيع على تعهد بعدم التبشير بين اليهود، وقدمت هذه الوثيقة رسمياً إلى مجلس الكنيست الإسرائيلي. كما كانت مجلة ((دعوة منتصف الليل)) (Midnight Call) منذ الثمانينات تروج لفكرة العهد المزدوج، وكتبت رسالة إلى صحيفة ((جيروسالم بوست)) تقول فيها: ((نحن نرفض رفضاً تاماً أي عمل تبشيري مسيحي في إسرائيل لأننا نؤمن بأن إسرائيل هي شعب الله المختار، وهي لذلك في يد الله الأمينة)).

وتبنت مجموعة دينية أخرى تسمي نفسها ((السفارة المسيحية العالمية)) هذه المعتقدات وعقدت مؤتمرات في سويسرا عام ١٩٨٧ (في الذكرى المئوية لانعقاد

المؤتمر الصهيوني الأول وفي القاعة نفسها) وفي القدس في التسعينات للترويج للعهد المزدوج ولدعم إسرائيل.

من الضروري أن نذكر هنا أن المعتقدات الصهيونية المسيحية (رغم أنها اكتسبت قوة وتنظيماً في القرن العشرين) تستمد من أفكار كان لها أصول في القرن التاسع عشر في أمريكا دون أن توصف ((بالصهيونية المسيحية)). فمنذ منتصف القرن التاسع عشر راحت سيدة أمريكية اسمها إيلين هوايت تدعو إلى آراء ويليم ميلر الألفية، وأسست مع بعض الدعاة مذهب ((مجيئيو يوم السبت)) (The Seventh Day Adventists) حيث أضافوا إلى مبادئهم يوم اليهود المقدس. وفي الثمانينات من القرن التاسع عشر راح المجيئيون يدعمون الأفكار الصهيونية وهجرة اليهود إلى فلسطين واستيطانها. وللإسراع في هذا المشروع أنشأ بعض من أتباع هذه الكنيسة تتزعمهم سيدة اسمها كلوريندا ماينر مستوطنة قرب حيفا عام ١٨٤٩ أطلقت عليها اسم ((جبل الأمل)).

وكان تشارلز راسل قد أسس في النصف الثاني من القرن التاسع عشر منظمة دينية سماها (إنجيل برج المراقبة) (The Watch Tower Bible) وجمعية ((النصوص الدينية)) (The Tract Society) يدعو فيهما إلى عودة اليهود إلى أرض الميعاد وتأسيس دولة لهم إعداداً للمجيء الثاني للمسيح. كما أعلن أن عام ١٨٧٤ سيشهد ((الحضور الثاني))، ثم تنبأ أن عام ١٨٧٨ سيكون عاماً حاسماً في تاريخ اليهود حيث ستبدأ فترة من الخلاص التلقائي والرحمة ليهود، كل ذلك بفضل ((العهد الإبراهيمي)).

من هذا التحليل التاريخي لتطور الصهيونية المسيحية في أمريكا يمكننا أن ندرك بعض أسباب دعم اليمين المسيحي لتأسيس دولة إسرائيل ولنشاطها التوسعي في المنطقة العربية. وفي مقالة مطولة عن الصداقة الغريبة التي تربط اليمين المسيحي الأمريكي بإسرائيل يقول الدكتور تيموثي ويبر: إنه لم يكن

هنالك حدود لدعم المنظمات والجماعات الألفية والقدرية والإيفانجيلية لدولة إسرائيل. فسواء أكانت هذه المنظمات تتدخل في الشؤون السياسية أم لا، كانت مقتنعة بالعقيدة القائلة بالقبول بمشيئة الله، وهكذا فإن دعم إسرائيل وقضاياها لم يكن موضع نقاش.

يضيف الدكتور تيموثي ويبر أستاذ تاريخ الكنيسة وعميد جامعة دينية في إيلينوي بأن «العلاقات الوثيقة بين الإيفانجيليين وإسرائيل هي هامة جداً، إذ إنها أثرت في تشكيل الرأي العام الأمريكي، وربما سياسة أمريكا الخارجية»[٣]. وقد أكدت ذلك دعوة رئيس الوزراء الإسرائيلي ناتانياهو للتحدث إلى ٣٠٠٠ داعية إيفانجيلي (وهم ينتمون إلى منظمة «الأصوات المتحدة من أجل إسرائيل») في واشنطن حيث قال: «ليس لنا أصدقاء وحلفاء أكثر إخلاصاً من الأشخاص الموجودين هنا» (نيسان، ١٩٩٨). وبلغ حماس الإيفانجيليين في دعم إسرائيل درجة جعلت أحد اليهود المدعوين إلى هذا المؤتمر يقول: «أشعر أحياناً أن هنالك أصدقاء لإسرائيل بين صفوف الأصوليين والإيفانجيليين أكثر مما يوجد في صفوف اليهود».

تعتقد هذه الفئات اليمينية اعتقاداً يقينياً بأن دولة إسرائيل السياسية هي دون أي شك إسرائيل الكتاب المقدس والنبوءات، وترى في إنشاء دولة إسرائيل تحقيقاً لجزء رئيسي من خطة الإله للكون ولنهاية الزمان. وتستمر هذه الفئات باستعمال وسائل الإعلام للتأثير على الرأي العام حيال هذا الموضوع. فقد نشرت صحيفة «نيويورك تايمز» في ١٩٧٦/٧/١، أي بعد حرب حزيران بأيام قليلة، إعلاناً على صفحة كاملة وقع عليه رعاة (١٠٥) كنيسة يمينية موزعة على كل أنحاء أمريكا يجزمون فيه بأن كل من يعارض «حق الصهيونية بأرض إسرائيل لا يحارب إسرائيل فقط، بل هو يحارب الله ومسيرة الزمن أيضاً». وفي



صورة نشرتها مجلة دينية تعبر فيها عن التحالف
بين إسرائيل وزعماء اليمين المسيحي الأمريكي

شهر تشرين الثاني عام ١٩٧٧ نشرت الصحيفة نفسها إعلانين على صفحة كاملة لكل منهما وقع عليهما عدد كبير من قادة الأصوليين يعبرون فيهما عن ((قلقهم على إسرائيل)) بمناسبة الدعوة للإعداد لمؤتمر السلام في جنيف.

يرفض الدعاة اليمينيون فكرة السلام لأنها تتطلب أن ((تتنازل)) إسرائيل عن ((حقها بأرضها))، ولأن برنامج السلام يتعارض مع خطة الله التي تدعو إلى العد التنازلي نحو الكوارث والحروب الكونية. وعندما زار رئيس الوزراء الإسرائيلي ناتانياهو واشنطن نظم له جيري فالويل اجتماعاً ضم عدداً من القادة الأصوليين والزعماء السياسيين ودعاهم إلى ممارسة الضغط على الرئيس كلينتون لكي لا يجبر إسرائيل على ((التنازل)) عن مزيد من أرضها للفلسطينيين. وأضاف بأن ((لدينا أكثر من (٢٠٠,٠٠٠) راعي كنيسة إيفانجيلي في أمريكا. وقد طلبنا منهم جميعاً الصعود على منابرهم واستعمال نفوذهم لدعم دولة إسرائيل ورئيس وزرائها)).

والجدير بالذكر أن هذه الاجتماعات عادة ما تضم الكثير من الزعماء السياسيين، إذ حضر الاجتماع الذي دعا إليه فالويل قادة الأغلبية الجمهورية في مجلس الشيوخ والنواب، ومنهم ترينت لوت وديك آرمي وتوم ديلي، ومن قادة الديمقراطيين ديك جيبهارت الذي رشح نفسه لرئاسة الجمهورية عن الحزب الديمقراطي. كما أنه يجدر بنا أن نذكر أن ظاهرة دعم اليمين المسيحي الأمريكي لليهود وإسرائيل يستند إلى جذور المعتقدات التي يؤمن بها والتي نحاول التأريخ لها منذ بداية المجتمع الأمريكي.

تكثف هذا الدعم منذ بدأت الجهود لتأسيس دولة إسرائيل، فظهرت هذه العقائد في مختلف الأوساط الشعبية عندما صدر وعد بلفور عام ١٩١٧. فلقد سادت حالة من الإثارة والسعادة في أوساط كثيرة في أنحاء أمريكا ونظم

المؤمنون النبوئيون عام ١٩١٨ مؤتمرات احتفالية نبوئية في مدن كثيرة منها نيويورك وفيلادلفيا وشيكاغو، وبشروا بإمكان التحقيق العملي لإنشاء دولة يهودية في فلسطين. وجعل هذا الوعد الكثير من القدريين في أمريكا يقولون: ((إن زمن الأمميين قد انتهى وجاء زمن اليهود)). كما راحوا يتساءلون: ((هل يمكن لزمن إسرائيل النبوئي أن يكون بعيداً بعد هذا الحدث العظيم)). وقد وصف محرر مجلة (Our Hope) أرنو غابلين وعد بلفور عام ١٩٨٠ ((بآية الآيات الكتابية)).

ويستمر هذا الدعم المادي والمعنوي بجميع الوسائل، ولا يمضي يوم لا تظهر فيه شخصية إيفانجيلية على التلفاز أو يصدر عن واحدة من هذه الفئات تصريح بدعم إسرائيل. وكما صرح أحد مؤرخي الحياة الدينية الأمريكية((من الواضح لكل دارس للنبوءات بأن يد الله هي التي تحمي شعبه المختار منذ عودتهم إلى أرضهم. ومن أكثر الأمور أهمية لبقاء دولة إسرائيل الدعم الذي تلقاه من المبشرين الذين يسمون أنفسهم بالإيفانجيلين، والأمريكيون منهم خاصة، والذين يدعون أنهم يدركون مقاصد الله في الشرق الأوسط)) (دليل الألفية، ص ٦٤).

وفي هذا الإطار ظهر رئيس جامعة بوب جونز المسيحية المتطرفة على التلفاز يوم ٢٠٠٢/١٢/٢١ في برنامج لاري كينغ ذي الشعبية الكبيرة، وأجاب عن سؤال يتعلق بسبب دعم اليمين المسيحي لإسرائيل دون قيود، قال: ((لأن إسرائيل هي شعب الله وتحقيق لنبوءات الكتاب المقدس كما يقول الله في سفر (أخبار الأيام الثاني ٣٦). كل مسيحي يقرأ الكتاب المقدس يعرف ذلك، وعليه أن يدعم إسرائيل ويؤمن بقدسية هذا الشعب)). وعندما سئل رئيس الجامعة بوب جونز الثالث عن رأيه بمعاناة ومآسي الشعب الفلسطيني أجاب بأنه ((يجب

الشعب الفلسطيني ويعطف عليه، إلا أن لله مقاصد لا بد من أن تتحقق، وقد يسبب ذلك أحياناً الألم والمعاناة)).

كما أن من يتجول على الشبكة العالمية سوف يجد في أحد المواقع المسيحية المتطرفة موقع ((البوابة الذهبية)) حيث تسلط منظمة إيفانجيلية بريطانية كاميرات فيديو على جبل الزيتون والبوابة في القدس وتبث صورة حية ومباشرة لكي يشاهد المؤمنون المجيء الثاني للمسيح في نقل حي ومباشر. (Surfing The Apocalypse p.2 of 8).



PLEASE VISIT OUR MAIN ADVERTISER



Surfing The Apocalypse
http://www.surfingtheapocalypse.c

"We don't have to protect the environment, The Second Coming is at hand."

James Watt, Interior Secretary under President Ronald W. Reagan

---

APOCALYPSE CULTURE

صورة موقع اليمين المسيحي

كانت فكرة ((عودة اليهود إلى أرض الميعاد جزءاً من التطور الغربي المبكر للأفكار النبوئية الحرفية، ولإعادة تفسير وكتابة بعض النصوص المقدسة. واستمرت عملية ((إعادة تأهيل)) اليهود الغربية في مختلف مراحل التاريخ، حتى إن الخطاب السياسي الغربي صار مشبعاً برموز التراث اليهودي - المسيحي، فصار شخص مثل كارل ماركس يستعمل هذه الرموز حين قال عام ١٨٤٨ بعد إخفاق الثورات الأوربية في تحقيق المجتمع المثالي: ((إن الجيل الحاضر يشبه اليهود الذين قادهم موسى في القفار)).

وانتقل المجتمع الغربي- وخاصة الأمريكي- من مرحلة إعادة تأهيل اليهود، كما رأينا سابقاً، إلى مرحلة جديدة من تقديس الشعب اليهودي لأنه على علاقة تعاهدية مع الله. وكما لاحظ المؤرخ الأمريكي هدسن أصبحت ((اللاهوتية العهدية)) لدى الكثير من اليهود تحدد هوية الشعب اليهودي في إطار علاقته مع الله، ونصت هذه اللاهوتية العهدية على أن الله قد عقد عهداً مع اليهود يحملهم فيه مسؤوليات ومهام خاصة لها معنى وتأثير كبيران على حياة البشرية جمعاء[٤].

وهكذا خرج اليهود ومناصروهم بفكرة ((قدسية اليهود)) وحدهم وأثر هذه القدسية في مصير الإنسانية. كان هذا التفكير أصل ما أصبح في العصر الحديث ((العهد المزدوج)) الذي بيناه آنفاً. لكن الأمر تعدى ذلك حين انصرف دعاة الألفية ونهاية الزمان مثل جون هاجي وجيري فالويل وبيلي غراهام وبات روبرتسون وغيرهم إلى الادعاء بأن قدسية اليهود وأولويتهم هي أيضاً نتيجة لكون نبي المسيحية رجلاً يهودياً. كما أصبح هؤلاء الدعاة المتطرفون يجدون في تاريخ اليهود ومصيرهم دليلاً على صحة الكتاب المقدس. وقد روى أحد ضباط سلاح القوى الجوية الأمريكية المتقاعد على صفحة خاصة به على الشبكة العالمية كيف كان يواجه صراعاً نفسياً حول مصداقية معتقداته بالله والكتب

السماوية. لكن صديقاً له قص عليه قصة فريدريك العظيم ملك بروسيا (١٧٤٠-١٧٨٦) حين تحدى قسيس البلاط أن يعطيه دليلاً واحداً على أن الكتاب المقدس هو بالفعل من وحي الله. أجاب القسيس مباشرة: ((اليهودي يا جلالة الملك)). أثبت هذا للضابط الأمريكي مصداقية العهدين القديم والجديد بما يحملان من تقديس للشعب اليهودي. هذا مثال بسيط عن المحاولات المستمرة حتى الآن على إضفاء صفة اليهودي قومياً وعرقياً على المسيح. مع العلم بأن مجمع نيقية (عام ٣٢٥) أعلن أن يسوع هو ((رب الأرباب)) وأنه ((الله ذاته)). ومع أن علماء الكتاب المقدس لم يجدوا أية إشارة من ملاك أو نبي أو تلميذ من تلامذة المسيح يصفه بأنه يهودي (انظر مقالة ((هل كان عيسى يهودياً)) على موقع (Holy Scriptures).

والأمر الأكثر خطورة في نشر هذه الأفكار عن قدسية الشعب اليهودي وعهده مع الله هو، أن المراجع الدينية الرئيسية في الغرب تذكرها وكأنها من المسلمات، فتدخلها بذلك في معتقدات المؤمنين العاديين. مثال على هذا هو قاموس الكتاب المقدس (NIV Compact Dictionary of the Bible, 1989) وهو قاموس شائع لدى قراء الكتاب المقدس. هذا القاموس يأخذ مادته من ((الطبعة العالمية الجديدة)) والتي تعتمد بدورها قراءة سكوفيلد وشروحه الحرفية. يربط هذا القاموس بشكل تلقائي بين مفاهيم ونصوص الكتاب المقدس برموز وتعابير تحمل معاني معاصرة مثل إسرائيل وكنعان والأرض وشعب الله المختار، كل ذلك في سياق شرح النصوص المقدسة الخاصة بموضوع الشعب اليهودي وإسرائيل. ففي مقدمة القاموس يعرف ((العهد القديم)) ((أنه معتقدات إسرائيل)). وفي شرحه لتعبير ((العهد)) يقول القاموس: ((إن العهد لب علاقة الحب بين الله وشعبه في العهد القديم. خطة الله لخلاص شعبه تتكشف تدريجياً بوساطة عهوده مع إبراهيم وموسى وداود ضمن شروط العهد الإبراهيمي. وضمن شروط العهد الإبراهيمي وعد إله إبراهيم أرضاً (كنعان) وأمة

(إسرائيل). وضمن شروط العهد الموسوي (خروج ١٩-٢٤) وعد الله أن يكون إله إسرائيل - حاميها والمدافع عنها- وأقسمت إسرائيل أن تكون شعب الله المؤمن. وضمن شروط العهد الداوودي وعد الله عائلة داود عرشاً ومملكة أبديتين (صموئيل الثاني ٧:٥ ١٦). وأشار هذا العهد إلى مسيح المستقبل، ابن داود العظيم يسوع الذي سوف يحقق كل وعود الله بالخلاص».

في فقرة واحدة فقط يضع القاموس جميع الأسس الدينية لنظرة التقديس التي أضفيت على اليهود ولحق إسرائيل بحماية اليد الإلهية والأرض التي وعدها الله بها.

وفي شرح عبارة «الخليل» نجد صورة لمدينة الخليل تحتها النص التالي: منظر عام للخليل. مسجد عمر وقد بني فوق كهف ماخبيلا مكان ضريح إبراهيم وسارة.

وفي شرح عبارة «الهيكل» يذكر القاموس أن مسجداً إسلامياً مع قبة الصخرة بني على موقع هيكل سليمان الذي سيكون مركز حكم المسيح الألفي.

وهكذا ففي معظم شروحاته يعمد القاموس إلى تقديم القراءة الحرفية على أنها من المسلمات، ويقبل القارئ هذه «الحقائق» دون مناقشة فتدخل في تربيته الدينية وتصبح جزءاً من معتقداته.

اليمين المسيحي ودعم إسرائيل

منذ أن تأسست دولة إسرائيل السياسية في الأراضي المقدسة، وعلى الأخص بعد احتلال إسرائيل القدس الشرقية، دخل اليمين المسيحي المتطرف بمعظم فئاته حلبة السياسة الخارجية ومارس ضغطاً مستمراً على الإدارات الأمريكية المتعاقبة لدعم الدولة اليهودية ومخططاتها. ورغم المنافسة - الشديدة أحياناً - بين قادة

فئات اليمين المسيحي على الزعامة والشعبية، ورغم اختلافهم على بعض القضايا، فهم جميعاً متفقون على دعم مطلق لإسرائيل وعداء شديد للعرب والمسلمين. كان فالويل، مثلاً، يدعم ترشيح جورج بوش الأب لرئاسة الجمهورية ويعمل بذلك ضد حصول بات روبرتسون على الترشيح لهذا المنصب. كما أن الخلاف احتدم كثيراً بين فالويل وروبرتسون وعدد آخر من القادة اليمينيين على السيطرة على منظمة ((سبّح الله)) (Praise the Lord) وثرواتها عندما أدين زعيمها جيمي بيكر وزوجته تامي بالاختلاس والاحتيال. لكن الجميع اتفقوا على موضوع إسرائيل. وعندما سئل فالويل عن علاقاته بهؤلاء القادة قال ((لا تجمعني بهم علاقة عمل أو صداقة، لكن ما نتفق عليه هو دعمنا المطلق والعلني لإسرائيل)) (فالويل ص ١٣٤).

وقد صرح معظم هؤلاء القادة وكتبوا عن أن قضية إسرائيل هي قضية أمريكا، وأنهم بالإضافة إلى اعتقادهم بأن لأمريكا مصالح حيوية واستراتيجية في دعم إسرائيل، يؤمنون بأن إسرائيل هي جزء أساسي من خطة الله للكون، وأن أمريكا موكلة بمهمة مقدسة لدعم إسرائيل تمهيداً لتحقيق بقية نبوءات آخر الزمان. وكان من الطبيعي أن يصب قادة اليمين المسيحي جام غضبهم على العرب والمسلمين وأن يستثيروا كراهية العامة من الأمريكيين للإسلام والعرب بدعاياتهم المتواصلة وعبر كل وسيلة ممكنة. ففي يوم ٢٠٠٢/١٢/٢ ظهر بات روبرتسون على برنامج ((هذا الأسبوع)) الذي يتمتع بشعبية كبيرة وكرر مراراً القول إن ((اليهود هم أحباء الله وأعداؤهم هم أعداء الله)). ثم اعتصر روبرتسون عضلات وجهه وفكيه (كما هي عادته المسرحية عندما يريد التأثير في المشاهدين) وقال: ((إن المسلمين يريدون إبادة اليهود)).

تتبع الفئات اليمينية المسيحية أساليب كثيرة في دعم إسرائيل، منها ما يعتمد على التلاعب بعواطف العامة الدينية، ومنها ما يرمي إلى التأثير في القرار السياسي، ومنها ما يأخذ شكل علاقات مباشرة مع إسرائيل ودعمها بالمال أو

بالمساعدة على توسيع الاستيطان في الأراضي المحتلة. فقد أسس الزعيم الديني تيد بيكيت، على سبيل المثال، لجاناً في أنحاء كثيرة من أمريكا سماها «أصدقاء إسرائيل المسيحيون» (Christian Friends for Israel) هدفها تطوير الأراضي والمستوطنات في «يهودا والسامرة» وغزة. وفي محاولة لتوظيف أكبر عدد ممكن من الأمريكيين في هذا المشروع عمل بيكيت بوساطة هذه اللجان على عقد صلات توأمة بين المجتمعات الكنسية المسيحية في أمريكا وبين المستوطنات الإسرائيلية، ووصل عدد هذه العلاقات التوأم حتى منتصف التسعينات (٣٥) عملية، تقدم بواسطتها المساعدات لـ (١٠٠) مستوطنة، وكان هدف بيكيت هو تحقيق (١٥٠) عملية توأمة مع نهاية الألفية الثانية. (ويبر، ص ٤٨).

كما دعا محرر مجلة «المسيحية اليوم» (Christianity Today) عام ١٩٧١ إلى تنظيم مؤتمر نبوئي في القدس شارك فيه (١٥٠٠) شخص قيادي من اليمين المسيحي في (٣٢) دولة، ومنذ ذلك الوقت توافد على إسرائيل الآلاف من زعماء الكنائس الإيفانجيلية من كل أنحاء العالم أتوا برحلات سياحية مع رعايا كنائسهم لزيارة «أرض إسرائيل» ومكان تحقيق النبوءات.

اليمين المسيحي والإسلام

ثمة أمر آخر يميز هذه الفئات اليمينية في أمريكا لم يلتفت إليه المؤرخون والمتخصصون الذين كتبوا عنها، وهو العداء العنيف للإسلام والهجمات المحمومة على الإسلام والمسلمين. من الحروب الصليبية إلى الحملات الاستكشافية في القرن السادس عشر إلى استيطان العالم الجديد ثم حملات التبشير في العالم الإسلامي ودعم إسرائيل اللامحدود. في كل من هذه النشاطات كان الإسلام هدفاً للهجمات الشنيعة، وكان القائمون بهذه النشاطات يصرحون أن هدفهم هو القضاء على الإسلام. وليس هذا بأمر غريب أو غير متوقع، ولا هو نتيجة أحداث آنية أو أهواء شخصية.

جذور هذا العداء مغروسة في مركز العقيدة القدرية التدبيرية التي تؤمن بها جماعات اليمين المسيحي المتطرف وتعمل بموجبها.

وهو جزء هام من أجزاء تحقيق خطة الله للكون. فقد خلق الله الإسلام، حسب ما تعتقد هذه الجماعات، في هذا العالم ليكون عاملاً حاسماً في تنفيذ خطته وتطورها نحو غايتها.

استعمل هذا الخطاب الديني البابا أوربان الثاني حين أعلن أن «إرادة الله» تقضي بشن الحروب الصليبية لتخليص الأراضي المقدسة من المسلمين، كما استعمله كريستوفر كولومبس في رسم أهدافه النهائية من رحلاته الاستكشافية، واستعمل الخطاب نفسه المبشرون في العالم العربي في القرن التاسع عشر وفي العصر الحديث في دعوتهم الصريحة للقضاء على الإسلام.

والقضاء على الإسلام في عقيدة الألفيين الساعين إلى نهاية الزمان هو خطوة لا بد منها لتحقيق هدفهم الأسمى وهو التعجيل بالمجيء الثاني ودخول مملكة المسيح الأرضية. من أجل ذلك كان لا بد لهذه الفئات اليمينية من وضع الإسلام والمسلمين في جيش الشيطان، وكان ذلك واضحاً في كل ما كتبه المنتمون إلى هذه الفئات عبر القرون. وما زالت هذه العملية مستمرة، كما نرى في مواضع عديدة من هذا البحث.

ويتبع أعداء الإسلام من هذه الفئات أساليب عديدة لحشد التأييد لبرنامجهم ونشر بذور البغضاء والكراهية نحو الإسلام. من هذه الأساليب كما سنرى الادعاء بأن المسلمين «يقتلون ملايين المسيحيين في السودان والباكستان والفليبين وإندونيسية»، حسبما جاء في أقوال فرانكلن غراهام وبات روبرتسون وريتشارد لاند. فقد شكك هذا الأخير بقول بعض المعتدلين بأن أعمالاً كهذه هي أعمال فردية ويقوم بها المتطرفون المسلمون فقط، وتساءل إذا كان الذين

يرتكبون الأعمال الإرهابية والقتل الجماعي هم المتطرفون فقط ((فأين المسلمون الذين يدعون أن دينهم يدعو إلى السلام)) (انظر موقع Absolute News, Richard Land).

كما عمدت هذه الفئات إلى الربط بين الإسلام والإرهاب خاصة في الفترة الأخيرة وبعد أحداث أيلول ٢٠٠١ بالذات لأن ذلك سيثير غضب وعداء المتطرفين والمعتدلين على حد سواء. مثال ذلك عندما عمد السكرتير العام لحلف شمال الأطلسي NATO بوصف الإسلام ((بالشيوعية الجديدة)) عام ١٩٩١[٥]. كذلك كان الربط بين خطر الشيوعية وخطر الإسلام وسيلة لشحن المشاعر العدائية، بل ذهب بعضهم إلى الادعاء بأن الإسلام -حتى أثناء الحرب الباردة- كان أشد خطورة من الشيوعية. فقد كتب أيموس برلموتر عام ١٩٨٢ في صحيفة ((وول ستريت جورنال)) يقول: إن على الغرب والمسيحية والشيوعية أن يدركوا أن الخطر الذي يحدق بهم جميعاً هو ((الإسلام الشعبي)) الذي تتزايد قوته.

والأسلوب المفضل لدى هذه الفئات في هجومها على الإسلام هو اتهام الإسلام بأنه يعيق تطور الحضارة ويبقي أتباعه في جهل وتأخر دائمين. ولا يقتصر استعمال هذا الأسلوب على الفئات الدينية بل يتعداها أحيانا إلى الجهات الرسمية والمثقفين وعامة الشعب. ففي أول اجتماع عقدته جمعية الاستشراق الأمريكية عام ١٨٤٣ تلا رئيسها جون بيكرينغ مشروع دستور الجمعية فقال: إنها ((تهتم بدراسة الشعوب المختلفة سواء منها المتحضرة أو البربرية والتي عادة ما تشمل ((الأمم الشرقية)) (مجلة جمعية الاستشراق الأمريكية، الجزء ١، بوسطن ١٨٤٩، ص٥). ونرى في أدبيات التبشير إشارات مستمرة إلى أن الإسلام والاتحاد الإسلامي يشكلان خطراً على تقدم الحضارة في الشرق.

كان الموقف العدائي من الإسلام وما زال سمة تميز اليمين المسيحي المتطرف.

الفصل الخامس

بعض قادة اليمين المسيحي في أمريكا والتراث اليهودي-المسيحي

((يقول الرب:

لم أرسل هؤلاء الأنبياء لكنهم ذهبوا، ولم أوحِ إليهم لكنهم تنبؤوا)).

((سفر إرمياء))

هنالك عدد من الزعماء الدينيين اليمينيين الأمريكيين الذين يتمتعون بشعبية كبيرة والذين أمضوا عقوداً كثيرة وهم يروجون للنبوءات المقدسة ضمن التراث اليهودي – المسيحي. لجأ هؤلاء الأشخاص إلى وسائل متنوعة للتأثير في الرأي العام وفي السياسة الأمريكية الداخلية والخارجية بهدف رئيسي واحد، وهو ضمان الدعم التام لإسرائيل ولخططها المستقبلية في المنطقة العربية. الأكثرية العظمى من هؤلاء الزعماء اليمينيين يروجون لخطة الله للكون ويعملون على تحقيقها ويحثون أتباعهم على المشاركة الفعلية بصورة أو بأخرى لتحقيق نبوءاتها. كما أن هؤلاء الزعماء الدينيين يشنون حملة عنيفة على الإسلام والمسلمين بهدف تشويه صورة الإسلام وتقديمه للجمهور على أنه عدو الله وحليف الشيطان، ومن ثم، إعطاء شرعية دينية لشن حرب على المسلمين. وأمر

آخر يشترك به هؤلاء الأشخاص هو المهارة الكبيرة التي يتمتعون بها في استخدام وسائل الإعلام والترويج الحديثة للوصول إلى أكبر عدد ممكن من الناس والتأثير فيهم. هؤلاء القادة الدينيون يترأسون منظمات ومؤسسات دينية وثقافية وسياسية واجتماعية ويتصرفون بثروات وموارد مالية لا حدود لها. وجميع هؤلاء القادة الدينيين يمتلكون أو يتحكمون بمحطات إذاعية وتلفازية ودور نشر ومواقع على الشبكة العالمية.

وقد اخترنا بعض هؤلاء الزعماء الدينيين نماذج لإيضاح المعتقدات التي يدعون لها، وخاصة فيما يتعلق بخطة الله للكون، والموقع المركزي الذي تحتله إسرائيل في حملاتهم. وسيتضح للقارئ من متابعة أنشطة هؤلاء الأشخاص وسلوكهم التطبيق العملي للصهيونية المسيحية ضمن مبادئ التراث اليهودي - المسيحي.

جيري فالويل (Jerry Falwell)

القس جيري فالويل، رجل يقترب من سن السبعين وهو يترأس إمبراطورية أصولية تكاد تكون بثروتها ونفوذها من أكبر الإمبراطوريات الفردية سيطرة وقوة في العالم. مصدر اهتمامنا به هو آراؤه حيال قضية العرب الأولى - القضية الفلسطينية- وآراؤه المعادية عداءً صارخاً للعرب والإسلام. كما أن ما يجعل هذه الآراء أكثر خطورة هو الدعم اللامحدود الذي يعطيه لإسرائيل ونفوذه العقائدي في أوساط المسيحيين اليمينيين في أمريكا. المبادىء التي يؤمن بها فالويل والآراء التي يعبر عنها منذ أكثر من أربعين عاماً، والتي نعرضها فيما يلي هي بيان عملي للتراث اليهودي - المسيحي وتجسيد للصهيونية المسيحية.

نشأ فالويل في مقاطعة لينتشبرغ بولاية فيرجينيا، وكان يتصف بالمشاكسة والطيش في شبابه، لكنه في أوائل عام (١٩٥٢) تعرض لتأثير المذهب المعمداني، و ((ولد من جديد في المسيح)) واشترى أول نسخة من الكتاب المقدس في

حياته. ثم بعد أن تخرج من معهد ديني بدأ واعظاً وراعياً لكنيسة توماس رود في لينتشبرغ.

من هذه البداية المتواضعة انطلق فالويل في حياته الدينية، ولم يمض وقت قصير حتى أسس جامعة (ليبرتي) (Liberty) وهي تتألف من عشرات الأبنية على أرض تتجاوز عشرات الهكتارات. كانت موازنة هذه الجامعة عام ١٩٨٤ (٣٠) مليون دولار ورصد (١٠) مليون دولار لأبنية جديدة.

يتابع آلاف الطلاب دراستهم الدينية في هذه الجامعة ويتخرجون ليعملوا وعاظاً في الكنائس الأصولية. وبلغ من أهمية جامعة ليبرتي أن عدداً كبيراً من الأشخاص المرموقين من كل حقول المجتمع ألقوا خطباً في هذه الجامعة، ومنهم الرؤساء ريغان وبوش وكنيدي وغيرهم من الزعماء السياسيين.

ولدى فالويل من رجال الدين والتابعون له أكثر من (١٢٠,٠٠٠) واعظ وهم يدعمون سياساته الدينية والسياسة والاجتماعية. كما أن ما يقارب (٣٠٠٠) موظف يعملون في مجمّع الكنيسة والإذاعة اللذين يترأسهما. يبث فالويل من إذاعته برنامجاً رئيسياً يومياً اسمه (ساعة الكتاب المقدس) كما أن برنامجه التلفازي (جيري فالويل على الهواء) يبث إلى حوالي (٥٠) ألف منزل مساء كل يوم أحد. كما أسس جيري فالويل منظمة «الأكثرية الأخلاقية» (The Moral Majority) عام ١٩٧٠ بهدف إلى الدخول في ساحة العمل السياسي الصريح والقضايا الاجتماعية، وخاصة أثناء الحملات الانتخابية.

لا يمل فالويل من إعلان دعمه التام لإسرائيل وللشعب اليهودي في برامجه التلفازية والإذاعية وفي كل مناسبة أخرى. وهو يكرر في كل مرة قوله: «كل من يعادي إسرائيل يعادي الله» حينما يضع يده على الكتاب المقدس.

وقد دعته إسرائيل لزيارتها عشرات المرات ومنحته في خريف عام

(١٩٨٠) جائزة جابوتينسكي لقاء خدماته ودعمه، كما أنه يتنقل في رحلاته على متن طائرته النفاثة التي أهدتها له إسرائيل.

يصرح فالويل دوماً بأنه ((صهيوني)) وأن في أمريكا (٧٠) مليون من الإيفانجيليين ممن يصفون أنفسهم بالصهيونيين. وقد ظهر فالويل مؤخراً (٢٠٠٢/٦/٢٩) على برنامج تلفازي له شعبية كبيرة (Hardball) وقال لمضيفه: ((نحن جميعاً صهيونيون. نحن أفضل أصدقاء إسرائيل واليهود أبناء إبراهيم. إن ((حزام الكتاب المقدس)) في أمريكا هو حزام أمان إسرائيل)).

تشمل العقيدة الأصولية التي يؤمن بها فالويل ثلاثة عناصر رئيسية يشترك بها معظم الدعاة والوعاظ الأصوليين والإيفانجليين في أمريكا، وهي:

١- الدعم اللا محدود لإسرائيل، والإيمان الراسخ بأنها تحقيق للنبوءات المقدسة.

٢- التركيز بصورة رئيسية على العهد القديم من الكتاب المقدس، وبصورة خاصة على قصص وأساطير بني إسرائيل وعهد الله لإبراهيم.

٣- العداء السافر للإسلام والمسلمين وكراهية حاقدة للنبي محمد.

ومن الواضح، كما تحاول هذه الدراسة أن تبين، أن هذه الأفكار تتلاقى وتترابط لتصبح جزءاً من التفكير اليهودي- المسيحي في أمريكا.

ظهر فالويل في الأسبوع الأول من شهر تشرين الأول عام (٢٠٠٢) على شاشة التلفاز في عدد من البرامج، وشن حملة شنيعة على محمد وعلى الإسلام. بدأ هذه الحملة في مقابلة مع بوب سايمون في برنامج (ستون دقيقة) واتهم محمداً بالإرهابي القاتل الذي يدعو أتباعه للقتل والتدمير. وقد كرر هذا القول مراراً على الإذاعة والتلفاز وفي الصحف والمجلات، وعند ظهوره بعد بضعة أيام في برنامج (Hardball)، بعد أن قامت ضجة كبيرة في الأوساط الإسلامية. سأله

مضيف البرنامج كريس ماثيوز عما إذا كان يريد أن يسحب كلامه أجاب بحدة وحزم: ((لا أبداً)) ثم كرر قوله بأن النبي العربي هو إرهابي بل هو زعيم الإرهابيين، كما أنه ارتكب عمليات قتل عدة مرات. وأضاف، في محاولة عرجاء لاسترضاء المسلمين، بأنه يعتقد أن الأكثرية العظمى من المسلمين هم أناس طيبون ولا يتبعون تعليمات محمد.

يظهر بشكل لا جدال فيه أن الحملات الأخيرة التي شنها على الإسلام والمسلمين ومحمد عدد من الدعاة والوعاظ اليمينيين في مدة زمنية قصيرة ما هي إلا عملية مدروسة، وكأنها جوقة تعمل بتناسق وتعاون تامين. وتبرز أهمية هذه الحملات في أنها جاءت منذ أحداث أيلول (٢٠٠١) وخاصة في الذكرى السنوية الأولى لتلك الأحداث، حيث كانت الدعوة لشن حرب على الإرهاب ودول الإرهاب على أشدها. وهذا كما سيتبين لنا يربط الإرهاب والإسلام في أذهان العامة بصورة تلقائية لا شعورية.

أفضل تعبير عن معتقدات القس جيري فالويل فيما يتعلق بإسرائيل واليهود، هو ما ورد في كتاب: ((جيري فالويل واليهود)) (Jerry Falwell and The Jews) بقلم ميريل سايمون (Merril Simon) (الناشر: شركة جوناثان دافيد للنشر، نيويورك ١٩٨٤) وقد كتب مقدمة الكتاب الحاخام عما نويل راكمان الأستاذ في جامعة بار إيلان في إسرائيل.

الكتاب هو عبارة عن أسئلة متفق عليها يلقيها المؤلف ويجيب فالويل عليها. وتشكل الإجابات تلخيصاً شاملاً لحياة جيري فالويل الفكرية وللمعتقدات اليهودية – المسيحية، وخاصة بعد إنشاء دولة إسرائيل.

في المقدمة التي كتبها الحاخام عما نوئيل راكمان الأستاذ في جامعة بار إيلان (إسرائيل) يقول فيما يتعلق بالانتماء الحزبي لليهود الأمريكيين بأنه رغم أن انتماء اليهود الأمريكيين كان ولا يزال انتماء تقليدياً للحزب الديمقراطي

والمعسكر الليبرالي، ورغم شكوكهم ومخاوفهم في الماضي من نوايا وشعور فالويل والمعسكر المحافظ نحوهم، فالحاخام يؤكد بأن ((أحباء إسرائيل اليوم يوجدون بصورة رئيسية في معسكر الأصوليين البروتستانت)) (فالويل، صvii).

سئل فالويل عن العلاقة بين المسيحية واليهودية، وما إذا كانت المسيحية تحسّن على اليهودية، فأجاب بأن تعبير ((تحسين))، هو تعبير خطأ في هذا السياق. فالعهد الجديد يعلمنا أن عيسى المسيح هو في الواقع تحقيق لنبوءات العهد القديم (يوحنا: ١:٤٥)، كما يعلمنا بوضوح أنه هو المسيح اليهودي المنتظر (يوحنا: ٤: ٢٥-٢٦ / لوقا: ٢٤:٢٥-٢٧ / ٢٧: ٢٧:٤٤-٤٨) وهكذا فإن الخليفة الكاملة لليهودية هي المسيحية. نحن نعتقد بمسيح يهودي تنبأ به كتاب يهودي ووضعه مؤلفون يهود. نحن لا ندخل تحسيناً على اليهودية لأنها أساس جميع النبؤات المسيحية وأساس تحقيق هذه النبوءات((فالويل، ص ١٦-١٨).

ولم يكن المسيح فقط يهودياً، بل يقول فالويل (ص ٤٠) إن إبراهيم هو اليهودي الأول، كما أن بولس كان عبرانياً.

ويؤكد الداعية الأصولي جيري فالويل على العلاقة المتلازمة المتكاملة بين اليهودية والمسيحية، فيقول: ((اليهودية هي وحي الإله في العهد القديم، والمسيحية جاءت لتكمل هذا الوحي في العهد الجديد)). ولكي يبين أولوية اليهودية وأهميتها بالمقارنة مع المسيحية، يقول فالويل إن العهد الجديد لا يتجاوز جزءاً صغيراً من الكتاب المقدس، ولا تستغرق قراءته سوى ١٥ ساعة، ثم يستشهد بنص من سفر متّى (١٧:٥): ((لا تظنوا أنني أتيت لأحطم القانون أو الأنبياء. لم آت لأحطم بل لأحقق)) (فالويل، ص ١٧-٢١).

يؤكد فالويل (والأصوليون المسيحيون في أمريكا بصورة عامة) لليهود بأنه ليس من أهداف الأصولية التبشير بين صفوف اليهود أو محاولة إقناعهم باعتناق

الدين المسيحي. ذلك أن اليهودية هي الأصل والمسيحية هي استكمال لها، كما أن المسيحية، كما يقول، هي وحي من إله اليهود ونزل على شخص يهودي. إن العلاقة الصحية بين اليهود والمسيحيين المؤمنين حقاً لا يمكن تحقيقها بطلب تغييرات إيديولوجية أو الارتداد عنها. بل يمكننا أن نحب بعضنا ونعمل معاً على الوصول إلى أهداف كثيرة مشتركة، مثل المحافظة على دولة إسرائيل وحمايتها، ومن أجل خير الشعب اليهودي في كل مكان. ويضيف القس فالويل: ((كما أكدت مراراً أن وجود مجتمع يهودي عالمي مزدهر لا يمكن تفسيره إلا بالرجوع إلى وعود ونبوءات العهد القديم بأن الله سيحفظ إسرائيل إلى الأبد)). (ص ٢١ -٢٢).

وهنا سأل المؤلف فالويل عن رأيه باليهود بصورة عامة، ويهود العصر الحديث على الأخص.

السؤال: هل تعتقد أن يهود اليوم ما زالوا الشعب المختار؟

فالويل: بكل تأكيد.

ثم سارع جيري فالويل (دون أن يسأل عن ذلك) إلى الإضافة ((إن إسرائيل تتجه الآن إلى مركز الصدارة في مرحلة النبوءات الإلهية، وأعتقد أن أوقات الأمميين (سفر لوقا ٢٤:٢١) انتهت أو شارفت على الانتهاء مع استيلاء اليهود على القدس القديمة عام ١٩٦٧)).

وهكذا وفي أكثر من مناسبة يعمل فالويل والأصوليون المسيحيون على مساواة يهود اليوم وإسرائيل – الدولة السياسية– بيهود وإسرائيل العهد القديم. لذلك نجد في سرد الخطة الإلهية للكون والنبوءات التي ترد في العهد القديم حول نهاية العالم أن إسرائيل واليهود يحتلون الموقع المركزي، وخاصة في المراحل الأخيرة للنبوءات والخطة.

سأل المؤلف القس فالويل عن عداء السامية، وهل هو من صفات المسيحية والمسيحيين، فأجاب: ((لا أعتقد ذلك أبداً، بل هو من عمل الشيطان. ذلك أن الشيطان هو عدو الله، والله قد اختار الشعب اليهودي وباركه لأنه عائلته المختارة. لذلك فالشيطان يحارب الله في الشعب اليهودي. الصراع الأزلي الكبير هو بين الله والشيطان، والشعب اليهودي يمثل إرادة الله وبركته وحبه)) (٢٥-٢٦).

ولا يتردد فالويل في إطلاق إشارات ذات دلائل فيما يتعلق بصراع العرب مع اليهود (شعب الله) وإسرائيل، فيوحي بوضوح بأن أعداء إسرائيل هم جيش الشر والشيطان، فيقول: ((الشيطان)) -وأنا أعتقد فعلاً بالشيطان الشخص- يكره أولئك الذين اختارهم الله. لذلك فقد دأب الشيطان على إيذاء وتحطيم الشعب اليهودي. إن كل من عادى اليهود ويعاديهم الآن يعمل بوحي من الشيطان؛ أمير الظلام)).

(ومنذ سنوات شاهدت القس جيري فالويل يلقي موعظة على قناة تلفازية أمريكية قومية، فقال: ((إن كل من يشير بإصبعه - مجرد إشارة - إلى اليهودي، فكأنما يضع إصبعه في عين الله، لأن اليهودي هو بؤبؤ عين الله))).

لا يسع المرء حيال هذه التصريحات إلا أن يستنتج بالبديهة أن فالويل إنما يتحدث عن العرب - أعداء إسرائيل- الذين، كما يقول، يعملون بوحي من الشيطان، وخاصة أن إسرائيل واليهود هم قرة عين الله، وازدهارهم هو تحقيق لنبوءات النصوص المقدسة. وهكذا يعمل فالويل والعشرات من الوعاظ الأصوليين على خلط الحقائق وتشويه الصورة، فيقع السامع العادي في فخ هذه الخديعة، ولاسيما أن هذا السامع غالباً ما يكون متوسط الثقافة في أمور السياسة والعلاقات الدولية، ولا يعرف عنها إلا ما يشاهده أو يسمعه من وكالات الأنباء المغرضة، ومن أمثال القس فالويل.

ويمعن فالويل بتشويه الحقائق التاريخية وخلطها بالأساطير عندما يجيب عن سؤال عما إذا كانت المسيحية الأولى هي مهد عداء السامية، فيقول:

((إن عداء السامية لم ينشأ في الدين المسيحي، بل نشأ في مصر (سفر الخروج جزء ١) لأنه في مصر بدأ وعد الله للأمة العظيمة بالتحقق (التكوين، ١٢:٢)، ويسجل العهد القديم جهود هامان الشرير للقضاء على الأمة اليهودية بكاملها)).

بهذا الخلط التاريخي للوقائع والأساطير والنصوص المقدسة يذكر فالويل أتباعه بأن ((المصريين)) هم في الحقيقة من بدأ العداء للسامية، أي اليهود (شعب الله المختار) وحاولوا القضاء على الأمة اليهودية. لا شك أن فالويل يعلم حين يتكلم على ((الأمة اليهودية، وإسرائيل، ومصر))، أن الشخص الأمريكي المسيحي العادي الذي يستمع له لا بد أن يربط هذا الكلام مباشرة بمصر الحديثة - بالعرب - لأن فالويل نفسه يدعي بأن اليهودي وإسرائيل الدولة هم الشعب المختار. لذلك فعبارة مصر ترتبط مباشرة بالأحداث المعاصرة.

يفاخر فالويل بجهوده وجهود منظماته لدعم إسرائيل، ويقول: ((أعتقد أن الله يستعمل مخلوقاته وسائل لتحقيق برنامجه لهذا الكون. وأنا شخصياً أشعر بمسؤولية كبيرة في تثقيف الشعب الأمريكي حول أهمية دعم إسرائيل والشعب اليهودي في كل مكان)).

أنا أدرب آلاف الدعاة والوعاظ الدينيين لحمل المسؤولية نفسها. ففي كلية ليبرتي المعمدانية (Liberty Baptist College) وفي مدارسها نتولى تعليم (٦٠٠٠) ستة آلاف طالب عن أهمية هذه القضية)) (ص ٢٩).

يطمئن فالويل اليهود بقوة تأثيره وتأثير أتباعه من الدعاة على الرأي العام الأمريكي، فيقدم بعض الإحصاءات عن أتباعه ويقول:

- حسب استطلاع غالوب يوجد في أمريكا الآن (٧٠) سبعون مليون مسيحي إيفانجيلي أصولي، أي ما يكفي لإحداث أثر كبير.

- لدينا (٢٠,٠٠٠) عشرون ألف عضو ينتمون إلى كنيسة توماس رود المعمدانية في مدينة لنتشبرغ بولاية فيرجينيا حيث أعمل راعياً للكنيسة.

- قائمة العائلات التي نراسلها تبلغ (٧,٥) سبعة ملايين ونصف المليون عائلة، أي ما يعادل (٢٥) خمساً وعشرين مليون شخص. هؤلاء الأشخاص يسمعون إذاعتي ويشاهدون مواعظي ويكتبون إلي ويدعمونني مادياً وبصلواتهم. هذا العدد يساوي أكثر من ١٠٪ من سكان أمريكا، وأنا أحثهم يومياً على أهمية دعم الشعب اليهودي (ص ٣١).

يفسر فالويل نظرته إلى النصوص المقدسة فيقول: ((إن كل كلمة في العهدين القديم والجديد بحرفيتها نزلت بالوحي على مؤلفها من البشر من الروح القدس مباشرة. عملية الوحي ونتائجها لم يحدث فيهما أي حذف أو خطأ من أي نوع)) (ص٥٢).

هذا الاعتقاد بعصمة الكتاب المقدس بعهديه القديم والجديد هو المنطلق الأساسي للفكر اليهودي - المسيحي لدى الأصوليين والمتطرفين. وهو الحجة التي يبنون عليها تفسيرهم الحرفي للنصوص المقدسة فيما يتعلق بجميع معتقداتهم ومنها الخطة الإلهية للكون بتفاصيلها، وعهد الله لإبراهيم واليهود، والنبوءات وتحقيقها، وخاصة ما يدعيه فالويل والأصوليون من أن إسرائيل ويهود اليوم هم مركز هذه النبوءات.

وبما أن إسرائيل هي شعب الله المختار، فإن القس فالويل يخرج بنتيجتين هامتين هما:

أولاً: الشيطان يكره إسرائيل لأن الشيطان عدو الله.

ثانياً: لا نستطيع أن نحكم على إسرائيل وتصرفاتها بمعايير بشرية وأن نخضعها لأحكام أخلاقية يخضع لها سائر البشر.

وهكذا، فعند الحديث عن المجازر التي ارتكبتها إسرائيل، لا يجد فالويل ما يأخذه عليها، لأن كل ما تفعله هو مشتق من مشيئة الله وإرادته، ولا يمكن أن نحكم عليها بمعايير بشرية (٨٧).

والعهد الذي قطعه الله لإبراهيم كان عهداً لليهود أيضاً لأنهم نسل إبراهيم. وعهد الله لإبراهيم هو أساس معتقدات الأصوليين، إذ إن تحقيق هذا العهد هو هدف الإله الأول. هذا، في رأي فالويل، هو الذي حفظ اليهود وأتباعهم حتى الآن،وهو الذي سيحفظ إسرائيل من عداء الشيطان، إن «معجزة دولة إسرائيل، كما يقول فالويل، هي تحقيق للتقدير الإلهي» (٤٣).

عندما يتطرق فالويل إلى الصراع العربي - الإسرائيلي يصر على أنه ليس هناك في سلوك الحكومات الإسرائيلية - العمالية أو الليكود بقيادة بيغن - ما يجعل المرء يعتقد أن إسرائيل تتصرف بعدم مسؤولية. كل حروبها كانت بحكم الضرورة. الأمر الذي يجب أن نتذكره دوماً عند الحديث عن الصراع العربي الإسرائيلي هو أن العرب دوماً وتكراراً قالوا بأنهم مصممون على تحطيم اليهود... وليس العكس.

يكرس فالويل وأتباعه جهوداً كبيرةً لدعم إسرائيل، وهو يكرر في كل مناسبة اعتقاده الراسخ بأن إسرائيل هي خط الدفاع الأول لأمريكا في الشرق الأوسط. كما يصر على الاعتقاد بأن قدر إسرائيل هو دون شك أكثر الأمور الدولية التي تواجه العالم أهمية. أما فيما يتعلق بالأراضي المقدسة فالواضح أن أهميتها لا تأتي من أنها مهد المسيحية فقط، بل الأهم من ذلك هو وعد الله لليهود بهذه الأرض وهو يعتقد أن شعب إسرائيل لا يملك حقاً دينياً فقط بهذه الأرض، بل يملك حقاً تاريخياً وقانونياً.

ويشرح أسباب هذا المعتقد بقوله، ((أنا شخص صهيوني، بعد أن حصلت على هذا البعد الإيديولوجي لمعتقداتي من دراستي للعهد القديم)). بل يذهب إلى القول بأن كل أمريكي يعتقد أن لإسرائيل الحق بهذه الأرض عليه أن يكون مستعداً لممارسة كل أنواع الضغط على السلطات الأمريكية لضمان دعمها لدولة إسرائيل. دراسة فالويل والأصوليين للعهد القديم، كما يقول- تقوده إلى الاعتقاد بأنه من وجهة نظر الكتاب المقدس سوف تضم ((أرض إسرائيل، المساحة التي وعد الله بها إبراهيم في سفر التكوين)) (١٥:١٨).

ويضيف فالويل إلى ذلك أنه تاريخياً كانت إسرائيل بقيادة موسى تضم الضفة الشرقية من الأردن التي تحكمها الآن المملكة الهاشمية، وحتى لو وافقت إسرائيل على التخلي عن بعض أرضها لجيرانها، فأنا لا أوافق على هذه السياسة، ولا شك لدي أبداً أن يهودا والسامرة يجب أن تكونا جزءاً من إسرائيل. كما أعتقد أن مرتفعات الجولان يجب أن تكون جزءاً لا يتجزأ من دولة إسرائيل.

(وقد بعث مؤخراً برسالة للرئيس بوش بهذا الصدد).

يوضح فالويل أسباب دعمه لدولة إسرائيل بقوله: إن كل من يؤمن إيماناً صحيحاً بالكتاب المقدس يرى المسيحية وإسرائيل متصلتين بعروة لا تنفصم. إن إعادة إنشاء دولة إسرائيل في عام ١٩٤٨ هي بالنسبة لكل مسيحي يؤمن بالكتاب المقدس تحقيق لنبوءات العهدين القديم والجديد. تنبأ المسيح ببزوغ شجرة التين، ونحن نعتقد أن شجرة التين المذكورة هي إسرائيل. إننا نعتقد أن الله في تحقيق نبوءات سفر التثنية وغيرها من النبوءات، قد جمع شتات شعبه من جميع أنحاء الأرض إلى هذا المكان الذي وعد به إبراهيم منذ آلاف السنين.

لقد رسم الله حدود إسرائيل في سفر التكوين (١٥) بصورة واضحة جداً. ونحن كمسيحيين نؤمن بالكتاب المقدس نعتقد بأنه لا يمكن لكل كلمة من

كلمات النبوءات إلا أن تتحقق. والعهد مع إبراهيم يقول في جوهره بأن الله يتعامل مع الأمم على أساس تعامل هذه الأمم مع إسرائيل. لذا كان على كل مسيحي أمريكي أن يدعم دولة إسرائيل، فنحن رأينا بأم أعيننا ولادة هذه الدولة ونموها تحقيقا للنبوءات (٩٨- ٩٩).

في عام (١٩٨٤) عندما تحدث فالويل إلى مؤلف الكتاب قال: مرت فترة في حياتي- ربما كان ذلك منذ (١٥) سنة - أصبح الالتزام بإسرائيل وسلامتها هاجساً مسيطراً على تفكيري. فأنا كشخص صهيوني أعمل ضمن المجتمع المسيحي، أستطيع القول: إنني أكثر الناس وضوحاً بالقول والعمل في دعم إسرائيل والشعب اليهودي. بل أستطيع أن أصف نفسي بالتطرف في هذا الموضوع، إذ أعتقد أن التطرف في هذا الموضوع أمر ضروري. لقد بدأت دراستي للكتاب المقدس بعد تأسيس دولة إسرائيل بأربع سنوات، وقد أعطتني هذه الدراسة التزاماً لاهوتياً بإسرائيل والشعب اليهودي. ولم تمض لحظة في حياتي لم أشعر فيها بالالتزام بدولة إسرائيل.

لقد «أصبحت مسيحياً» في سن الثامنة عشرة، وقرأت الكتاب المقدس بتعمق شديد فأصبح لأرض إسرائيل سحر خاص لدي لأن المسيحية شهدت بداياتها هناك. وقمت برحلتي الأولى إلى إسرائيل في أواخر الستينات، ثم زرتها أكثر من اثنتي عشرة مرة منذ ذلك الوقت (حتى ١٩٨٤).

إن الذي يوحد اليهود اليوم هو مشيئة الله وقدرته، ووعود الله لإسرائيل في العهد القديم تبقى وستنفذ سواء كان هناك عداء للسامية ولإسرائيل أم لا. واليهود هم شعب فريد في تاريخ البشرية، فالشعب اليهودي - على عكس أية مجموعة إنسانية أخرى، اختاره الله ليبين للعالم عظمته وليبلغ رسالته إلى البشرية (التكوين ١١،١٢). وفي العهد الجديد (٩،١٠،١١) يؤكد الله عهده للشعب اليهودي. لقد اختار الله هذا الشعب، ووعده بحمايته.

يكرر فالويل، كما يفعل الكثيرون من الدعاة الأصوليين، أن لليهود مكانة خاصة في خطة الله للدهر، وبأن المبشرين المسيحيين يجب ألاّ يبشروا بين صفوف اليهود – لهدايتهم إلى المسيحية. ويضيف فالويل: إنني بصفتي مؤمناً بحكمة الله وتقديره لا أعتقد أن المسيحيين سوف يأخذون مكان اليهود. فقد تعامل الله مع البشرية كلها منذ زمن إبراهيم – اليهودي الأول– من خلال تعامله مع إسرائيل. إن إسرائيل هي جوهر خطة الله للبشرية ومركزها وقلبها. واليهود هم مستودع الوحي الإلهي ومثال لتعامل الله مع الأمم. ولن يسمح الله أن تمحى إسرائيل من وجه الأرض.

إن الله يحافظ على وعده لليهود. فمنذ آلاف السنين أعطى الله عهداً لإبراهيم بأنه سيكون مؤسس أمة عظيمة (التكوين ١٢: ١-٣) ومع أن هذه الأمة سوف تتشتت في أنحاء العالم كله فلسوف تحافظ على هويتها وسوف تبقى.

فيما يتعلق بدولة إسرائيل، يقول فالويل، أنا على قناعة بأن الدولة التي تأسست عام ١٩٤٨ كانت مشيئة الله بكل معنى الكلمة. لقد وعد الله مراراً في العهد القديم بأنه سيجمع شتات الشعب اليهودي في الأرض التي وعدها لإبراهيم – أرض إسرائيل– ولقد حفظ الله وعده. دولة إسرائيل هي شهادة واضحة بأن إله إبراهيم وإسحاق ويعقوب حي.

إن دولة إسرائيل، على صغرها تبقى في مركز التاريخ وكل الأنظار تتجه نحوها. لا تستطيع أية قوة بما في ذلك الاتحاد السوفيتي أو مليار عربي منع شعب إسرائيل من استعادة ميراثه.

أما فيما يتعلق بالروابط التي تجمع أمريكا و إسرائيل فإن فالويل يكرر الأفكار والمعتقدات التي آمن بها الأمريكيون الأوائل، وملخصها أن الله منذ بدء الخليقة قدّر لأمريكا أن تلعب دوراً مركزياً في تنفيذ خطته للبشرية (كما يبين هذا البحث). يقول فالويل:

إن قدرنا كأمة هو دعم حرية الأفراد والأمم ودفعها إلى الأمام، وأن نأخذ مبادئ العدالة والأخلاق إلى العالم أجمع. هذا هو التراث اليهودي – المسيحي، وهذه هي الرابطة التي تجمع أمريكا وإسرائيل. فأمريكا وإسرائيل يجمعهما الكثير من القيم والتراث والتاريخ، كما أنهما تشتركان بقدر واحد، وهو القدر الذي رسمه الله لهما منذ بدء الخليقة.

والغرب (العالم الحر) أخذ اتجاهه الديمقراطي السياسي من الكتاب المقدس اليهودي. لذلك فإسرائيل والولايات المتحدة تلتزمان بمبادئ الحرية والعدالة والمحافظة على القيم الديمقراطية. فإسرائيل هي بالتأكيد جزء من العالم الحر. في المستقبل يجب علينا أن ندعو إلى «لائحة حقوق يهودية – مسيحية» لأنني أعتقد أن هذه الأمة (أمريكا) نشأت على أسس الأخلاق اليهودية – المسيحية. وعندما أستعمل عبارة «اليهودية – المسيحية» فأنا أشير إلى مبادئ العهد القديم ومبادئ العهد الجديد.

يكرر فالويل مراراً اعتقاده الجازم بأن أمريكا نشأت على أسس الديمقراطية والقيم اليهودية، ويقول إن المستوطنين الأوائل كانوا مؤمنين حق الإيمان بالتراث اليهودي المسيحي. وهو لا يمل من التذكير بهذه القيم والمبادئ التي تجمع أمريكا وإسرائيل بتراث واحد.

لذلك فهو عندما يتحدث عن الأمة العربية – الإسلامية يسارع إلى القول بأن هذه الأمم غريبة على هذا التراث. لذلك ينحو فالويل منحى معظم المسيحيين الأصوليين والمتطرفين الذين لا يرون أي فرصة لالتقاء الثقافتين اليهودية – المسيحية، والعربية – الإسلامية. يقول فالويل: لا أرى كيف يمكننا أن نشترك بمصير واحد مع أمم تحاول عملياً أن تسيطر على شعوب أخرى، وتتبع عقائد تشجع على التوسع الجغرافي باسم الدين.

(لكن فالويل يتعامى عن المبادئ التبشيرية التي ينادي بها هو، كما يتعامى عن توسع إسرائيل، لا بل تأسيسها على أرض شعب آخر، باسم الدين !!).

وعندما يتحدث فالويل عن العرب وإسرائيل يقرر بأنه ما دام العرب يرفضون قيمنا التقليدية والتعامل بواقعية مع الأمة الإسرائيلية، فليس هنالك أسس للاتفاق على القضايا الرئيسية. وإذا أراد العرب التوصل إلى تفاهم معنا عليهم أن يدركوا ويتفهموا مصالحنا الحيوية. وإسرائيل هي جزء مركزي من مصالحنا القومية. فإذا أدرك العرب ذلك وتوقفوا عن الرغبة بزوال إسرائيل يمكن عندئذ أن يكون في ذلك خطوة أولى نحو علاقة عربية - أمريكية.

أما بالنسبة إلى مسألة اللاجئين، فهو يقول بشكل جازم، ليس هنالك مشكلة لاجئين فلسطينيين، بل إن ما يسمى ((اللاجئين الفلسطينيين)) هو من اختراع الحكومات العربية. كان يجب على العالم العربي امتصاص اللاجئين الفلسطينيين منذ مدة طويلة. لكن العرب لا يسمحون للاجئين أن ينتموا إلى الدول التي يعيشون فيها.

لا يمكن أن نلوم إسرائيل لأنها لم تبدأ هذه المشكلة، بل العرب هم الذين شنوا هذه الحروب واقتلعوا أبناء جلدتهم من فلسطين. عليهم الآن أن يوجدوا وطناً لهم داخل حدودهم. والأهم من ذلك، حسب فالويل، على الفلسطينيين الموجودين في أرض إسرائيل أن يرحلوا عنها.

وعلى أية حال لا يمكن لإسرائيل أن تتخلى عن أي جزء من أرضها التي لا تتجاوز مساحتها مساحة ولاية نيوجرسي. إنها قطعة أرض صغيرة جداً. أنا لست ضد العرب - أنا مع الإنسانية، لكن المشكلة أنه، إذا أنشئت دولة خاصة برجال مثل عرفات على جزء من أرض إسرائيل، فإن وجود إسرائيل سيكون في خطر. من الواضح أن هدف العرب هو أن يمحوا إسرائيل من الوجود. المشكلة ليست مشكلة لاجئين.

ويعلق فالويل على استقبال البابا لياسر عرفات قائلاً: إنني أدين بأقوى العبارات استقبال البابا لعرفات. فأنا لا أستطيع فهم هذا التصرف، وكيف

يمكن أن يؤدي إلى السلام. إن استقبال زعيم روحي مثل البابا لعرفات يشجع هذا الإرهابي وإخوانه الإرهابيين على اقتراف جرائم أخرى. إن استقبال البابا لعرفات كان خطأ فادحاً سوف يؤدي إلى قتل عدد كبير من الأبرياء.

فوق كل شيء، يقول فالويل، إن الإيديولوجية الإسلامية من حيث الأساس سوف تبقي الدول العربية في صدام مع الغرب. ولهذا لا يمكن أن يكون هنالك تعايش مسيحي – إسلامي مثل التعايش المسيحي – اليهودي.

بعد هذا السرد المختصر للخطوط العريضة لمعتقدات فالويل، لا عجب أن الكاتب اليهودي ميريل سايمون قال عن دعم المسيحيين اليمينيين في أمريكا: إن لإسرائيل في أمريكا دعماً أكبر بكثير من قوة ستة ملايين اليهودي الأمريكي. لقد شعرت بعد حرب تشرين (أكتوبر) أن حسن نوايا المجتمع المسيحي الأصولي الذي يضم عشرات الملايين هو مصدر قوة يجب أن نستغله. إن نظرة الأصوليين للعهدين القديم والجديد تجعلهم يحبون إسرائيل نظرياً (على الأقل)، لكن يمكن تحويل ذلك الحب إلى دعم عملي يتغلب على قوة العرب المتزايدة في أمريكا.

ويخص سايمون فالويل بالمديح فيقول:

((في فترة السبعينات والثمانينات – وهي فترة حرجة في حياة إسرائيل – ظهر رجل واحد في أمريكا وأصبح أكبر المتحمسين لقضايا إسرائيل ومنحها دعمه العملي دون تردد أو اعتذار، ودون أن يطلب اليهود أو الإسرائيليون منه ذلك. هذا الرجل هو جيري فالويل)).

بيلي غراهام (Billy Graham)

بيلي غراهام هو أكثر القادة المسيحيين اليمينيين شعبية وتأثيراً على الإطلاق، فهو يتزعم منظمة ((مؤتمر المعمدانيين الجنوبي)) الذي يضم في عضويته ما يقارب

(١٦) مليون شخص، وهو يبث مواعظه ويبشر بالكتاب المقدس منذ عام ١٩٤٦ ويستعمل البث المباشر فتصل مواعظه إلى أكثر من (٢١٠) مليون شخص في (١٨٥) دولة. ولقد خاطب على الهواء أو مباشرة في مواعظ حية مئات الملايين من الناس في كل أنحاء العالم. ومع أنه الآن يعاني من أمراض الشيخوخة (فهو يبلغ ٨٤ عاماً) فإن شخصيته ما زالت تحتفظ بسحرها للملايين من الأمريكيين والبلدان الأخرى. ومن المؤكد أن ابنه فرانكلن غراهام سوف يتبوأ مركزه عما قريب في زعامة المعمدانيين.

عمل بيلي غراهام منذ عهد الرئيس أيزنهاور مستشاراً دينياً وعَرَّاباً غير رسمي للبيت الأبيض وصلى في جميع الرؤساء والقادة السياسيين في رئاسة الجمهورية منذ ذلك الوقت. ومما يذكر له أن جورج بوش الابن حين قارب الأربعين من العمر وكان يتصرف ((تصرفات طائشة غير متقيد بمبادئ الدين)) جلس ذات أمسية إلى بيلي غراهام يصلي معه وينصت إلى مواعظه، وعندما بزغ الصبح كان بوش شخصاً مختلفاً تماماً ((ومسيحياً مولوداً من جديد)). كما أن ابن بيلي غراهام فرانكلن هو من الأصدقاء المقربين للرئيس بوش الابن، وكان الواعظ الديني الذي خطب بمناسبة تنصيبه في الكاثدرائية الوطنية.

يتمتع بيلي غراهام بشخصية أخلاقية وإيمان وتقوى لا حدود لهما، وهو يدعو إلى الفضائل والقيم الأخلاقية والدينية باستمرار. ولقد جعلت هذه المزايا منه شخصاً وضعته مؤسسة غالوب في مصاف عشرة الأشخاص الأكثر شعبية في العالم أكثر من مرة. وقد منح غراهام أوسمة وميداليات من الكونجرس الأمريكي ورئاسة الجمهورية ومنظمات دينية وإعلامية ومؤسسات علمية كثيرة. كما أن منظمة ((بناي بريث المناهضة للاسامية)) و((المؤتمر المسيحي- اليهودي الوطني)) كَرَّما غراهام أكثر من مرة.

أصدر بيلي غراهام (٢٤) كتاباً أخـذت مكانها بين أكثر الكتب رواجاً لفترات طويلة، عالج فيها مواضيع دينية وأخلاقية وشخصية، كما أن عدداً من هذه الكتب يبحث في فكرة نهاية الزمان والأحداث النبوئية التي تحيط بها.

بهذه الشعبية الكبيرة وهذه الشخصية المحببة عمد غراهام منذ تأسيس دولة إسرائيل إلى مناصرتها بكل قوته ونفوذه في كتاباته ومواعظه وبرامجه التلفازية والإذاعية. ولقد زار غراهام إسرائيل مرات عديدة وحصل منها ومن كثير من المنظمات اليهودية العالمية والأمريكية على جوائز وميداليات لقاء خدماته لإسرائيل.

ففي أوائل الخمسينات من القرن العشرين، أي بعد تأسيس دولة إسرائيل ببضع سنوات أصدر بيلي غراهام فيلماً ((وثائقياً)) سمّاه ((أرض الله)) (His Land) وهو فيلم يعرض مشاهد من فلسطين كلها أخذت من الطائرة وتمثل أروع الصور الفنية الجميلة للمناظر الطبيعية من وديان وجبال وسهول ساحلية وغابات مترامية، يرافق كل ذلك صوت بيلي غراهام الرخيم وهو يسرد قصص تلك الأرض التوراتية وعلاقاتها بإسرائيل الدولة السياسية. يسرد غراهام في ثنايا الفيلم النبوءات الكتابية والترانيم الدينية المشوقة محاولاً إقناع المشاهد بأن تأسيس مملكة إسرائيل هو شاهد على أن الله حقق وعده لليهود بعودتهم إلى أرضهم التي خصهم بها. يقول غراهام فيما يسرده عن مشاهد ((أرض إسرائيل)) وهو يسبح الله ويحمده: ((إنه وفى بوعده الذي أعطاه منذ ٢٥٠٠ عام بتأسيس دولة إسرائيل في القرن العشرين. وأن إسرائيل اليوم هي شهادة حية على ما قاله أنبياء العهد القديم وبشارة بعودة المسيح المظفرة. إن إعادة بعث إسرائيل بموجب قرار الأمم المتحدة في ٢٩ تشرين الثاني عام ١٩٤٧ هي أعظم حدث كتابي على الإطلاق)).

إن هذا الفيلم، كما يقول ألفرد ليلينتال في كتابه ((الحلقة الصهيونية: ثمن السلام)) (The Zionist Connection: What Price Peace) هو من أكثر الأعمال تضليلاً وتأثيراً على المجتمع الأمريكي الديني. بالإضافة لما يتمتع به مؤلفه من شعبية ونفوذ، فإنه يقدم تبسيطاً وتبريراً دينياً لأكثر الأحداث مأساوية وتعقيداً في المسيرة السياسية للقرن العشرين. وهو يمنح راحة لضمير المسيحيين الذين قد تكون مأساة الملايين من الفلسطينيين قد أزعجتهم. هذا الحل البسيط يتمثل بتفسير ديني يعتمد على النبوءات المقدسة التي قدرها الله حيث لا راد لقدره. بل هي تحقيق يجب أن يسعى إليه كل مؤمن بكلام الله. وكيف للمسيحيين أن يعتبروا تحقيق وعد الله مأساة للإنسان؟ كما أن الفيلم يعتمد حجة أخرى في سرد غراهام له، إذ يركز مراراً على فكرة الملكية الجغرافية التي تعتمد على صك إلهي مقدس يتجاوز مبادئ الجغرافية السياسية وحقوق الملكية الوطنية إلى ما هو أسمى منها بكثير – وعد الله بأرض الميعاد للشعب المختار.

وهنا أيضاً نرى تأثير الإيمان بالنبوءات والتفسير الحرفي للنصوص المقدسة، هذا الإيمان الذي يجعل إنساناً وديعاً يتحلى بكل الفضائل والسمات الأخلاقية يغفل أو يتجاهل ملايين الفلسطينيين في سرد قصته عن فلسطين.

وعمل آخر من أعمال بيلي غراهام في دعم حق إسرائيل هو الكتاب – والفيلم – الذي وضعه عام ١٩٨٤ بعنوان ((الطريق إلى معركة مجيدو)) (The Road to Armageddon) الذي يبشر فيه المؤلف باقتراب الساعة في ضوء الأحداث السياسية التي تجري على الساحة العربية – الإسرائيلية. ويتنبأ غراهام في هذا الكتاب بأن معركة (مجيدو) بين قوى الخير وقوى الشر (أعداء إسرائيل) توشك أن تقع في الشرق الأوسط. إلا أن هذه النبوءة لم تكن الأولى التي يطلقها غراهام. فمنذ عام ١٩٥٠ كان بيلي غراهام قد صرّح: ((قد يكون لدينا عام واحد أو ربما عامين. بعد ذلك أعتقد أن كل شيء سوف ينتهي)).

شهدت علاقة بيلي غراهام بإسرائيل بضع أزمات رغم دعمه غير المحدود لها. وكان سبب هذه الأزمات هجوم اليهود المتطرفين والإسرائيليين عليه لأنهم اتهموه بمحاولة التبشير في الأوساط اليهودية وهو أمر لا يقبلونه إطلاقاً. وكان غراهام دوماً يأخذ موقف المعتذر من اليهود ويؤكد لهم أنه لا يبشر اليهود لأن بينهم وبين الله عهداً يجعلهم ليسوا بحاجة للإيمان بالمسيحية.

ففي عام ١٩٦٠ زار بيلي غراهام إسرائيل، فثارت ثائرة اليهود هنالك وفي بقية أنحاء العالم، لأنهم اتهموه بمحاولة التبشير بالمسيحية في صفوف اليهود. وخشي غراهام من ردود الفعل هذه فسارع إلى إيضاح موقفه بأنه «يشكر شعب إسرائيل لأنهم نجحوا في هدايتي بالفعل. فأنا - الأممي- الذي كرس حياته في خدمة ذلك اليهودي الذي ولد هنا في الناصرة. كما أريد أن أشكركم لأنكم الأمة التي أتى الله بوساطتها بعيسى إلى هذا العالم ضمن خطته المقدسة».

فاليهود - بما في ذلك إسرائيل وشعب إسرائيل - ليسوا بحاجة إلى قبول المسيح مخلصاً أو حتى الإيمان بأن عيسى الذي ولد في الناصرة وجاء برسالته إلى البشر هو بالفعل المسيح المنتظر. بل يعتبرونه المسيح الدجال الذي ادعى النبوة. مع ذلك فإن غراهام وغيره من الأصوليين واليمينيين يقولون إن اليهود حصلوا على الخلاص قبل المسيح وبفضل العهد الذي أعطاه الله لهم. يؤكد بيلي غراهام ذلك في عام ١٩٧٣ في سياق جدال آخر حول محاولات التبشير بالمسيحية في أوساط اليهود، إذ قال: «أعتقد أن الله كان دوماً وما يزال على علاقة خاصة مع الشعب اليهودي، كما يقول بولس في سفر «الرومانيون» ولم أشعر قط في نشاطي التبشيري أن مهمتي استهدفت اليهود كيهود».

وفي شهر آب من عام (٢٠٠٢) رفع الحظر السري عن الأشرطة المسجلة أثناء رئاسة رتشارد نيكسون، فتبين من محادثات جرت عام ١٩٧٢ بين الرئيس

نيكسون و بيلي غراهام، أن الأخير لاذ بالصمت ولم يعترض على تعليقات نيكسون التي اعتبرها اليهود معادية لهم. كان أحد هذه الأقوال التي عبر عنها نيكسون هو التساؤل عن أن معظم الذين يتعاملون بتجارة ترويج الجنس هم من اليهود.

سارع بيلي غراهام إلى الاعتذار والتأكيد مرة أخرى على العلاقة الخاصة التي تربط اليهود بالله. كما أكد أنه لم يفكر أبداً بأن شعباً اختاره الله قد يرتكب عملاً لا أخلاقياً.

ويمكن لنا أن نقدر ما لهذا الزعيم الديني الذي يحمل هذه الآراء من تأثير على الرأي العام، وبصورة خاصة على صانعي القرار السياسي الذين يؤمنون بحكمته ويسعون وراء نصائحه.

بات روبرتسون (Pat Robertson)

بات روبرتسون هو زعيم ديني يميني له شهرة كبيرة في الولايات المتحدة الأمريكية وفي الخارج. وهو أيضاً رجل أعمال وسياسي نشيط ويتربع على رأس مؤسسة دينية ومالية كبيرة. يعمل بنشاط في حقل الدعوة والتبشير على مستوى العالم منذ خمسين عاماً.

أنشأ روبرتسون عدة مؤسسات إعلامية أكبرها «الشبكة التلفازية – الإذاعية المسيحية» (Christian Broadcasting Network CBN) والتي أصبحت واحدة من أكبر المؤسسات التبشيرية يرافقها برنامجه الشهير «نادي الـ ٧٠٠» (The 700 Club) وهو أقدم البرامج الدينية التلفازية التي ما زالت مستمرة في عملها. وكلا البرنامجين يبث يومياً على مستوى عالمي.

أنشأ روبرتسون أيضاً جامعة دينية اسمها «جامعة ريجنت» (Regent University) تقدم «مساعدات إنسانية» في أنحاء العالم.

في عام ١٩٨٨ عرض روبرتسون نفسه مرشحاً عن الحزب الجمهوري لمنصب رئاسة الجمهورية الأمريكية منافساً في ذلك الرئيس جورج بوش، وكان مستشاره لشؤون الحملة الانتخابية ((إد رولينز (Ed Rolins))) وهو المدير السياسي السابق في البيت الأبيض وصديق الرئيس بوش. ولم يقف حائلاً دون نجاح روبرتسون في الترشيح عن الحزب الجمهوري سوى دعم القس اليميني جيري فالويل لترشيح جورج بوش.

إلا أن تلك الحملة زادت من شهرة روبرتسون السياسية وأصبح من أكثر القادة المسيحيين اليمنيين الأمريكيين تأثيراً في مجال السياسة العامة، والسياسة الخارجية على الأخص. وقد صرح هو نفسه عندما عرض ترشيحه على الحزب بأنه ينوي إجبار الرئيس المقبل على التعامل معه والاعتراف بمبادئ المسيحيين ((المولودين مجدداً)) وبأصواتهم الانتخابية.

إضافة إلى هذا النشاط السياسي فإن شبكته التلفازية – الإذاعية الدينية تكاد تنافس شبكة تيد تيرنر (Ted Turner) وهي تصل إلى أكثر من (٥٠) مليون منزل في أمريكا وتبث برامجها في أكثر من نصف دول العالم. وتشاهد هذه البرامج على بضع أقنية تبث في العالم العربي والإسلامي أيضاً.

بينت إحصاءات أجريت عام ١٩٨٤ أن شبكة روبرتسون الإعلامية، وخاصة نادي سبع المئة، تدر عليه ما يزيد عن (٢٥٠) مليون دولار سنوياً، كما حصلت جامعته الدينية في العام نفسه على (٢٣٣) مليون دولار على شكل أقساط وتبرعات، هذا كله فضلاً عن التبرعات الأخرى التي يحصل روبرتسون عليها من مختلف الهيئات والأفراد عبر برامجه ومحاضراته.

أنفق روبرتسون عام ١٩٨٥ فقط في برنامج ((عملية البركة)) مبلغ (٥٠) مليون دولار كان منها (٢) مليون لقوى المقاومة في نيكاراغوا، لكن معظم هذا

المبلغ صرف للفئة الانفصالية في جنوب لبنان ولإسرائيل. وقد شاهدت روبرتسون يوماً يعلن على برنامجه التلفازي لأتباعه أنه عاد للتو من إسرائيل بعد أن انفق ملايين الدولارات من تبرعاتهم في إصلاح محطة الانفصاليين التي قال إن ((الإرهابيين المسلمين اللبنانيين قد فجروها)).

روبرتسون يدعي أنه ليس أصولياً فقط، بل هو يحاول ((أن يبني الجسور بين جميع المسيحيين)) وهو يؤمن بمبادئ مذهب ((المجسدين للروح القدس)) (Pentecostal) الذي يقول باستطاعة بعض البشر أن يحصلوا على ((موهبة وقدرة الروح القدس)) مثل القدرة على الشفاء بوساطة الإيمان والتحدث باللغات (الألسن) والتنبؤ بما سيأتي، وذلك كله بوحي مباشر من الله. ففي عام (١٩٨٧) قال روبرتسون لأتباعه بأنه ينتظر آية (إشارة) من الله عما إذا كان عليه أن يرشح نفسه لرئاسة الجمهورية، سائلاً: ((هل يريد الله مني أن أرشح نفسي؟)) وجاءه الوحي بالإيجاب. وقد قال مرة يصف بعض قدراته ومعجزاته التي حباه الله بها بأنه ((نبي الله)) يحقق ما يوحيه الله لأنه مسيحي معمداني يؤمن ((بموهبة الروح القدس)).

اهتمامنا بالداعية الديني بات روبرتسون ينبع بصورة رئيسية من مبادئه الصهيونية، إذ يكرر في معظم مواعظه على أنه ((صهيوني مسيحي)) وأن إيمانه بمملكة إسرائيل القادمة حسب النبوءات هو إيمان راسخ قوي. بل صرح روبرتسون بأن ولاءه لإسرائيل جاء قبل ولائه لأمريكا نفسها، وهو الذي طرح نفسه مرشحاً عن الحزب الجمهوري لرئاسة الجمهورية.

و روبرتسون يدعم دولة إسرائيل دعماً لا حدود له، ويزور إسرائيل بشكل مستمر وهو يقول دوماً بأن إسرائيل هي تحقيق للنبوءات المقدسة، وأن هذه الدولة السياسية ((هي التي ستمجد)) في مملكة ألف العام القادمة.

وفي عام ١٩٨٢ رافق روبرتسون الجيش الإسرائيلي في غزو لبنان وقال إن تلك الحرب هي تحقيق لإرادة الله، مستشهداً على ذلك ببعض النصوص المقدسة.

وفي آخر نشاط له في مجال دعم إسرائيل كان أحد القادة اليمينيين الذين مشوا على رأس مظاهرة ضخمة نظمتها مؤسسة «الائتلاف المسيحي» (التي كان يرأسها روبرتسون في السابق) يوم ٢٠٠٢/١٠/١٢ في واشنطن العاصمة. كان هدف المسيرة دعم دولة إسرائيل، ومعارضة أي انسحاب من الأراضي المحتلة، ورفض فكرة إنشاء دولة فلسطينية. صرح المتحدثون باسم هذه المسيرة بأن على الولايات المتحدة الأمريكية أن تحمي إسرائيل وتحافظ عليها بأي ثمن وأن تساعدها على توسيع رقعتها الجغرافية وأن تلغي من الأذهان فكرة الدولة الفلسطينية. هذا هو ما يجب أن نفعله ليس لأسباب سياسية وجغرافية بل لأن الكتاب المقدس تنبأ بذلك.

وقد خطب بات روبرتسون (الذي شغل منصب رئيس الائتلاف حتى شهر كانون الأول ٢٠٠١) في هذه المسيرة فأكد حق إسرائيل التاريخي الذي لا نقاش فيه بالسيطرة التامة على القدس وعلى الأراضي المحيطة بدولة إسرائيل. أضاف روبرتسون: «كانت هذه الأرض ذات أهمية قبل أن يسمع أحد بمحمد أو جماعته. يوجد الملايين منا، نحن الأمريكيين الأصوليين، وسنقف في صف إسرائيل بغض النظر عما ستفعله الأمم المتحدة» وقال روبرتسون: إن أي اقتراح بإنشاء دولة فلسطينية- التي وافق عليها الرئيس بوش - سيكون مرفوضاً من قبل الائتلاف المسيحي، وسيكون على رأس دولة كهذه مجموعة من مجرمي ياسر عرفات، وستكون تحدياً للقدر الذي قرره الكتاب المقدس حيث سيحكمها اليهود وحدهم.

بلغ من إيمان روبرتسون الراسخ بالنبوءات الحرفية للكتاب المقدس أنه في

عام (١٩٦٧) شرع بتفسير كل حادثة معاصرة وكل شخصية تاريخية في ضوء قراءته للنبوءات. وفي عام (١٩٩٥) كتب روبرتسون رواية بعنوان ((نهاية العصر)) (The End of Age) يسرد فيها أحداث قيام الساعة على شكل محنة كبيرة تصيب مدينة لوس أنجلوس التي يصطدم بها نيزك عظيم يدمرها ويقضي على جميع سكانها فيما عدا فريق من الأصوليين الذين يلجؤون إلى جبل ويلسون. تحدث معركة بين جيش الشيطان (رئيس الجمهورية) وجيش من الايفانجيليين من تكساس يقودهم وزير الدفاع السابق. ويكون في عداد جيش الشيطان عدة ملايين من الهنود (الأمريكيين) والعرب والإيرانيين والباكستانيين، لكن جيش المسيح ينتصر تماماً حسب وصف المعركة الأخيرة في سفر الرؤيا (سفر يوحنا). كما يعلن قائد جيش المسيح أن لديه (١٨) صاروخاً من نوع بوسايدن (Poseidon) موجهة نحو بابل. وقد حقق هذا الكتاب أرقام مبيعات خيالية.

يجد القارئ هنا هذا المزيج بين فهم الأصوليين لنبوءات الكتاب المقدس والأحداث المعاصرة سواء أكانت في السياسة الداخلية الأمريكية أم الخارجية. هذا المزيج نادراً ما يخلو من عنصر النبوءات فيما يتعلق بإسرائيل والأراضي المقدسة.

بات روبرتسون يتمتع بشهرة كبيرة واسعة وتأثير قوي على شريحة كبيرة من اليمين المسيحي رغم أنه موضع كراهية واحتقار كبيرين أيضاً من بعض فئات اليمين المسيحي وأعداد كبيرة من المعتدلين والليبراليين. مثال واحد على موقف أعدائه منه هو كتاب ((أخطر رجل في أمريكا: بات روبرتسون ونشوء التحالف المسيحي)) بقلم روبرت بوسطن.

يحلل الكاتب روبرت بوسطن في مؤلفه هذا ادعاءات روبرتسون بأن الله يتحدث إليه ويستعمله كنبي إلى العالم، ويفند حجج روبرتسون وأساليبه في

خداع المؤمنين وابتزاز الأموال منهم. ويوجه المؤلف نقداً ساخراً لما يدعيه روبرتسون في قوله: ((عندما قررت أن أؤسس محطة إذاعية فتشت عن أرخص الأجهزة ثمناً، لكن الله ألح علي أن أشتري الأفضل وقال لي: يا بات، أريدك أن تحصل على جهاز إرسال من نوع RCA)).

ويضيف المؤلف بأن ((شبكة CBN (Christian Broadcasting Network) تتمتع الآن بأوقاف وهبات من تبرعات أتباعه تقدر بمليار دولار، فضلاً عن أن روبرتسون نفسه ملياردير. لكنه لا يخجل من طلب المزيد من التبرعات. وهو يلجأ دوماً إلى استغلال مشاعر المشاهدين بالإعلان عن أن كنيسته توشك أن تصاب بكارثة مالية إن لم يبادروا إلى التبرع لها)).

كما يبين الكاتب أن روبرتسون يدعي بأن الشيطان يتحدث إليه في ساعات تأمله ويحاول أن يغويه، كما كان يحاول أن يغوي المسيح. كما سمع الشيطان مرة يقول له ((إن المسيح يحاول أن يخدعك)) وأنه سينتهي به الأمر في الجحيم إذا هو أطاعه. لكنه بالطبع قاوم إغراء الشيطان كما قاومه المسيح من قبل.

كما يلجأ روبرتسون إلى الكذب الفاضح في مواعظه وبرامجه التلفازية ومؤلفاته. نجد أمثلة على هذا في حربه السافرة على الإسلام وفي ادعاءاته بأن المسلمين يقتلون الملايين من المسيحيين في المذابح التي يرتكبونها في أنحاء كثيرة من العالم. وهو يلجأ أيضاً إلى التزوير والكذب في حربه ضد المعتدلين والكنائس الأخرى في أمريكا وغيرها.

وقد علق أحد من قرؤوا الكتاب بقوله: ((لقد شاهدت من برنامج نادي سبع المئة ما يكفي ليقنعني بأن من المعتاد جداً أن يلجأ روبرتسون إلى الكذب والخداع واستعمال الكلام المهين للوصول إلى أهدافه)). وقال أحد مراجعي

الكتاب أيضاً ((إن اليمين المسيحي هو مجموعة خطرة جداً وهو يمثل الكثير مما حاول الآباء المؤسسون أن يمنعوا حدوثه في أمريكا)).

فهم يحورون الحقائق عن تاريخ أمريكا وتاريخ العالم والعلوم البيولوجية والفيزيائية للوصول إلى أهدافهم الملتوية. إنهم يزدادون اليوم خطورة، وعلينا أن نستمر بأخذ الحذر منهم لحماية حرياتنا من خطرهم. إن المتعصبين في اليمين المسيحي يعتقدون بأن حرياتهم تنتهك إذا هم مُنعوا من انتهاك حريات الآخرين.

جون هاجي (John Hagee)

هو داعية ديني مسيحي متطرف، ومن زعماء الأصوليين في أمريكا. وقد اكتسب شعبية كبيرة لدى الملايين من المسيحيين المتطرفين في أمريكا بفضل برنامج تلفازي يومي يلقي فيه مواعظه الدينية وبفضل كنيسته ((الدين العالمي)) (World Faith) التي يتزعمها. وجون هاجي يتمتع بشخصية قوية مسيطرة وصوت جهوري مخيف أحياناً، يخضع له المؤمنون الضعفاء وينقادون إلى تصديق أقواله دون مناقشة. وهو يجذب بل يسحر سامعيه بقوة إيمانه وبادعائه أنه وسيلة يستعملها الله لتحقيق نبوءاته.

كان من نتيجة دعم هاجي اللا محدود لإسرائيل وسياساتها ولما يسميه بحقوق اليهود أن منحته منظمات يهودية جوائز عديدة وألقاباً فخرية تقديراً لجهوده من أجل إسرائيل. ولا شك أن كل فضائح جون هاجي الشخصية من مالية وأخلاقية تغتفر له لأنه يرسل الأموال لإسرائيل ويقدم لها دعماً لا حدود له.

أصدر جون هاجي عدداً من الكتب والمئات من المواعظ والمقالات والأحاديث في مجال نبوءات الساعة، كما ترد في النصوص المقدسة الغربية. من

كتبه التي اكتسبت شعبية كبيرة وبيع منهـا الملايين مـن النسـخ كتـاب ((بدايـة النهاية)) (١٩٩٦) وكتاب ((الفجر الأخير في القدس)) (١٩٩٨). وقد تربع هـذا الأخير في مقدمة أكثر الكتب غير الخيالية مبيعاً.

في كتاباتـه ومواعظـه وأحاديثـه يركـز جـون هـاجي علـى مكانـة إسـرائيل المركزية في جميع النبوءات وفي الخطة التي رسمها اللـه للكـون والبشـرية. وهـو يتهم كل من لا يوافقه على حماسه لإسرائيل ودعمه لها ((بمعاداة السامية)).

فهو مثلاً، في كتابه ((بداية النهاية)) يتنبـأ بنهايـة إسـرائيل في سيناريو نهايـة الزمان حسـب الخطـة الإلهيـة، وذلـك إذا تخلـت إسـرائيل عـن هضبـة الجـولان ووقعت معاهدة سلام مع من يسميه ((المسيح الدجال)) أي عدو المسيح في نهاية الزمان. وهذا الكتاب الذي حقق أرقاماً تكاد لا تصدق من المبيعات، يركز على سيناريو آخر الزمان وموقع إسرائيل في بؤرة أحـداث الحقبـة الأخـيرة. وهـو في كتابه ((بداية النهاية)) أيضاً يقول إن حادثة اغتيال إسحاق رابـين كـانت تحقيقـاً لنبـوءة مقدسـة، وقـد أطلقـت سلسـلة مـن الأحـداث النبوئيـة، بـل إن سـاعة النبوءات بدأت دقاتها مع حادثة اغتيال رابين.

جون هاجي من أكثر الناس سخاء في مساعدته المادية لإسرائيل، فهـو يحـث أتباعه المسيحيين المتطرفين على التبرع لإسرائيل لأن هـذا التـبرع هـو ((جـزء لا يتجزأ من الإيمان)).

وهو يعتقد أن هجرة اليهود السـوفييت وتوطينهـم (بـل إعـادة توطينهـم) في إسرائيل هما تحقيق لنبوءات مقدسة. وقد جمع في حملـة واحـدة في فـترة وجـيزة جداً مبلغ مليون دولار لهذه الغاية عام ١٩٩٨، وقدم المبلغ في احتفال دينـي إلى ممثلي صندوق التبرع الموحد اليهـودي (United Jewish Appeal) في شباط عـام ١٩٩٨.

طلع هاجي وعدد من الدعاة الأصوليين في الآونة الأخيرة بمفهوم جديد لفكرة ((الخلاص)) المسيحية، شكل مصدر قلق وهلع في صفوف المعتدلين من الكنائس المسيحية. خلاصة هذا المفهوم أن اليهود يتمتعون فعلاً بعلاقة خاصة مع الله نتيجة ((العهد)) الذي أعطاهم إياه، وهم بذلك قد حصلوا مسبقاً على ((الخلاص)) والرحمة ولو لم يؤمنوا بالمسيح ويصدقوا به. ورغم أن المسيح يقول (حسب سفر يوحنا ١٤:٦) إنه ((لا أحد يجيء إلى الأب إلا بواسطتي))، فإن هاجي وغيره من الدعاة الأصوليين يقولون (انظر مثلاً صحيفة Houston Chronicle): إن اليهود لا يحتاجون إلى الهداية والتصديق بالمسيح للحصول على الخلاص. وهاجي يقول أيضاً ((لا أحاول أن أهدي اليهود إلى دين المسيح. جميع أبناء الديانات الأخرى يحتاجون للإيمان بيسوع إلا اليهود لأنهم يتمتعون فعلاً بعهد مع الله لم تلغه المسيحية أو تحل محله)). واليهود حسب اعتقاد هاجي، وغيره من الأصوليين المسيحيين، قد حصلوا على الخلاص بفضل صلتهم بإبراهيم ((وعهد)) الله معه.

هذا القول بوجود عهدين مع الله، واحد لمن يتبع المسيح ويؤمن به، وواحد مع اليهود، وهو ما يسمى ((بالعهد المزدوج)) (Double Covenant). وبأن اليهود لا يحتاجون إلى الإنجيل وقبول المسيح. هذا القول هو ما يدعى في كثير من الأوساط المتطرفة بـ ((الصهيونية المسيحية)).

في كتابه الذي صدر مؤخراً وعنوانه ((المعركة من أجل القدس)) (٢٠٠١) (The Battle for Jerusalem) يستكشف القس هاجي طبيعة النزاع الحالي وتاريخ العداء بين العرب واليهود في سياق النبوءات الواردة في النصوص المقدسة. ويقرر موضحاً بخرائط ومخططات ونصوص دينية وبرامج زمنية محددة أن لقطعة الأرض هذه قيمة عظيمة في مخطط الله للكون، وأن الصراع العنيف عليها هو جزء من هذا المخطط. ولا يخامر هاجي الشك أبداً أن الساعة التي تنتصر فيها إسرائيل على قوى الشر آتية لا محالة.

يتزعم جون هاجي مجموعة كبيرة من المسيحيين اليمينين من مركزه الرئيسي في ((كنيسة كورنر ستون)) بولاية تكساس. ويبلغ رعايا هذه الكنيسة (١٤,٠٠٠) عضواً.

يحمل هاجي شهادة جامعية من جامعة ترينتي وماجستير من جامعة تكساس وشهادة الدكتوراة الفخرية من جامعة أورل روبرتس (Oral Roberts University). ويكرر هاجي في مواعظه دوماً إيمانه بقرب موعد عودة المسيح ويستشهد على ذلك بالأحداث المعاصرة في الشرق الأوسط بما في ذلك صراع تستعمل فيه الأسلحة النووية.

عندما سئل هاجي في مقابلة تلفازية مؤخراً فيما إذا كان يسوع المسيح سيعود في السنوات القليلة القادمة أجاب: ((حتماً)) وهو يستدل على ذلك ((بإعادة إنشاء دولة إسرائيل عام ١٩٤٧ وهو أمر يحقق نبوءات مقدسة)).

جون هاجي يتولى أيضاً منصب المدير التنفيذي لمنظمة ((شبكة تلفاز الإيفانجيليين العالمية)) بالإضافة إلى تأليف كتب عن موضوع قيام الساعة وعلاقتها بإسرائيل وأرض الميعاد. ففي كتابه: الفجر الأخير فوق القدس (The Final Dawn Over Jerusalem) (٢٠٠٢) يحلل هاجي النبوءات المقدسة في جو من الفظائع المخيفة والرعب الكبير، ويعالج شعب إسرائيل على أنه شعب النبوءات الحقيقي.

وهو يحاول في ذلك إقناع القراء بما يصفه بالرؤيا الروحية الكبرى التي يستطيع الجميع التوصل إليها عن طريق الإيمان بهذه النبوءات.

ويستمر هاجي في نشاطه التبشيري بنبوءات قيام الساعة. ففي عام (٢٠٠١) أصدر كتاب ((الهجوم على أمريكا: نيويورك والقدس ونبوءات الكتاب المقدس حول الأيام الأخيرة)). يشرح هاجي في هذا الكتاب الصلة الوثيقة بين الإرهاب في أمريكا والصراع من أجل القدس. ويؤكد أن جميع المسيحيين يجب أن يهتموا بالمعركة القائمة حالياً بين إسرائيل والعرب حتى النهاية تنفيذاً لنبوءات الكتاب المقدس.

تيم لاهاي (Tim LaHay)

أحد مشاهير الدعاة اليمينيين، وهو من أوائل من اهتموا بالتفسير الحرفي للكتاب المقدس والنبوءات. وفي عام (١٩٨٥) كان لاهاي رئيس منظمة «الائتلاف الأمريكي من أجل القيم التقليدية». كما أنشأت زوجته بيفرلي لاهاي منظمة «النساء القلقات على أمريكا» وهي أكبر منظمة نسائية نشيطة في مجال السياسة وفي الدفاع عن قيم الأسرة في أمريكا، وتنتسب إليها حوالي نصف مليون امرأة. هذه المنظمة كانت أحد الأطراف اليمينية التي رفعت دعوى على جامعة ولاية نورث كارولينا بسبب تكليف طلبتها بقراءة كتاب عن القرآن.

لكل من الزوجين لاهاي شبكات من البرامج الإذاعية والتلفازية التي تجتذب ملايين الأتباع، وهما يبثان آراءهما عن النبوءات وإسرائيل في سياق الأيام الأخيرة. ويتمتع تيم لاهاي بدعم كبير من دعاة مثل جيري فالويل، كما أنه كان من المقربين من الرئيس رونالد ريغان. ولتيم لا هاي شبكة من الدعاة ورجال الدين في (٣٠٠) مدينة في كل أنحاء أمريكا.

ألف تيم لاهاي وزوجته بيفرلي عشرات الكتب وكرسا الكثير من جهودهما للدفاع عن إسرائيل وعن موقعها المركزي في خطة الله للكون.

هال ليندزي (Hal Lindsay)

هال ليندزي (Hal Lindsay) هو أكثر العاملين في مجال تجارة النبوءات وآخر الزمان إثارة وشهرة في التاريخ المعاصر. نشأ ليندزي نشأة متواضعة مغمورة ولم يحصل إلا على القليل من التعليم المدرسي، وعمل أثناء سني شبابه واعظاً جامعياً في جنوب ولاية كاليفورنيا.

عندما أصدر هال ليندزي كتابه الأول: «كوكب الأرض العظيم المنقرض» (The Late Great Planet Earth) عام (١٩٧٠) لم يكن أحد يظن أنه سيحظى بالنجاح العظيم الذي كان بانتظاره. لكن الكتاب أصبح فور صدوره

أكثر الكتب غير الخيالية مبيعاً في ذلك العام وبقي يتصدر قوائم الكتب الشائعة منذ ذلك الحين. بلغت مبيعات الكتاب في العقد الأول أكثر من ٣٥ مليون نسخة، كما ترجم الكتاب إلى أكثر من (٥٠) لغة، وصدر عنه فيلم يسرد قصته الممثل والمخرج الشهير أورسون ويلز عام (١٩٧٨).

يبين ليندزي في هذا الكتاب وجود علامات واضحة في الطريق إلى آخر الزمان مثل تأسيس دولة إسرائيل عام (١٩٤٨) و ((استعادة)) مدينة القدس عاصمة لها عام (١٩٦٧). ويسرد ليندزي في الكتاب قصة النبوءات في ضوء تحالف روسية مع العرب أعداء إسرائيل و((اهتمام)) العراق بإعادة بناء بابل. ويتنبأ الكتاب بالأحداث المقبلة وأهمها إعادة بناء الهيكل في القدس، وهجوم روسية وحلفائها على إسرائيل من الشمال ثم حدوث معركة (مجيدو).

وفي عام (١٩٨٠) صدر كتاب هال ليندزي بعنوان ((الثمانينات: العد التنازلي نحو معركة (مجيدو))) وكان مثل سابقه نموذجاً من هذا التطرف في تفسير الأحداث المعاصرة في ضوء القراءة الحرفية للنصوص المقدسة. ويؤكد ليندزي مثل مئات الوعاظ والدعاة الدينيين اليمينيين أن التحقيق الطبيعي والمنطقي لنبوءات الكتاب المقدس، وخاصة لحادثة ((المحنة الكبرى)) (Tribulation) سيكون على شكل كارثة نووية. وهو يثبت ذلك بالرجوع إلى نصوص كثيرة أهمها من سفر حزقيال (٣٨: ١٨-٢٢، و ٣٩:٣-٥).

هذا النوع من النبوءات ما زال مستمراً، بل هو يزداد قوة وقناعة، مثل ما صدر مؤخراً في أحد المواقع على الشبكة العالمية من تعرض دمشق لهجوم نووي يحقق نبوءة مقدسة بتدميرها وتحويلها إلى تلة من الركام.

وقد بلغ من شهرة ليندزي وقوة تأثيره أنه يدعى للتحدث أمام المخططين العسكريين الأمريكيين في كلية الحرب الجوية، وفي البنتاغون، كما دعي للتحدث للقادة والزعماء المتطرفين دينياً في دولة جامايكا، كل هذا إضافة إلى علاقاته الوثيقة بإسرائيل ودعمه لها دعماً تاماً.

وكان لرواج كتب ليندزي وشعبيتها أن جعل الكثيرون يهرعون إلى تقليدها فأصبحت ظاهرة هذه الكتب النبوئية واسعة الانتشار ليس فقط في أوساط اليمينيين المتطرفين، بل لدى شرائح كبيرة من المجتمع الأمريكي.

يضع ليندزي إسرائيل والهيكل في مركز سيناريو آخر الزمان حسب الفكر الأصولي، فيقول: ((مع بدء معركة (مجيدو) عند غزو الروس والعرب لإسرائيل ثم تدمير الغزاة تدميراً تاماً، ستبدأ فترة هداية اليهود الكبرى إلى المسيح الحق)).

وقد ألف ليندزي العديد من الكتب الأخرى وألقى مئات المحاضرات والمواعظ عن هذا الموضوع واكتسب شعبية كبيرة في الأوساط الدينية والسياسية. ومن كتبه التي لاقت رواجاً كبيراً:

١- الشيطان حي يرزق على كوكب الأرض (١٩٧٢).

٢- ثمة عالم جديد قادم (١٩٧٣).

٣- تحرير كوكب الأرض (١٩٧٤).

٤- الجيل الأخير (١٩٧٦).

٥- الثمانينات: العد التنازلي نحو معركة مجيدو (١٩٨٠).

٦- الدين المحارب (١٩٨٦).

٧- الرقي إلى السماء: حقيقتها ونتائجها (١٩٨٣).

٨- الطريق إلى المحرقة (١٩٨٩).

وما زال ليندزي رجلاً نشيطاً في مجال الدعوة إلى تحقيق النبوءات حتى الآن. كما أنه أضاف صوته مؤخراً إلى أصوات غيره من القادة اليمينيين المتطرفين في الهجوم الشرس على الإسلام والمسلمين.

هوامش الباب الثالث

الفصل الثاني: ((دور الدين في أمريكا))

1. Miller, p. 117.
2. Hosay, p. 1.
3. Parrington, Vol. I, p. 30.
4. Hudson, p. 19.
5. Siegfried, p. 33 .
6. Schaff, p. 114.
7. Hudson, p. 27.
8. Bellah, p. 15.
9. Bellah, p. 1, 12.
10. de Tocqueville, p. 310.
11. Lipset, p. 145.
12. Sherwood, p. 46-49.
13. Duffield, p. 17.
14. Hatch, p. 408.
15. Inaugural Addresses, p. 2.
16. Ibid., p. 11
17. Ibid., p. 21.
18. Ibid., p. 223.
19. Bellah, pp. 14-15.
20. Ibid., p. 17.

الفصل الثالث: "الدين في الحياة السياسية"

1. Marsden, p. 150.
2. Webber, p. 48.

الفصل الرابع: ((اليمين المسيحي))

1. Fisher, p. 4.
2. Ibid., p. 19
3. Webber, p. 39
4. Hudson, p. 435.
5. Esposito, p. vii.

الباب الرابع

أمريكا وتوقعات آخر الزمان

- الفصل الأول: الأفكار والتوقعات الألفية.
- الفصل الثاني: النبوءات الألفية: الرواج والشعبية.
- الفصل الثالث: الجدال حول القراءة الحرفية.
- الفصل الرابع: خطة الله للدهر.
- الفصل الخامس: الحمى الألفية: الكتب والمطبوعات.
- الفصل السادس: الحمى الألفية: الشبكة العالمية والنبوءات.

((سقطت أمريكا منذ ولادتها في حلة الألفية
ولم تخرج منها قط))

ريتشارد لاندز

الفصل الأول

الأفكار والتوقعات الألفية

((نحن غارقون في سيل من هذه النبوءات لم تشهد أمريكا مثله)).

إدغار ويزنالت

تعبير الألفية (Millennium) مشتق من اللاتينية بمعنى ((ألف)). ويستعمل هذا التعبير بصورة شائعة لكل فترة ألف عام تقويمي، وهكذا فالألفية الثانية التي انتهت للتو بدأت عام ١٠٠٠ م. وانتهت عام ١٩٩٩م.

أما المعنى الديني في الفكر المسيحي الغربي بشكل خاص والذي يرد في بعض النصوص المقدسة (الرؤيا مثلاً) فهو فترة الألف عام التي تأتي في نهاية الزمان ويحكم فيها المسيح مملكته الأرضية عند مجيئه الثاني. وقد حدث بعض الخلط بين المفهومين نتيجة رواج الأفكار الألفية وبصورة خاصة عندما ادعى بعض دعاة نهاية الزمان أن هذه المملكة الألفية تتوافق زمنياً مع الألف التقويمي. وقد أدى ذلك إلى ظهور ما وصف ((بالحمى الألفية)) التي انتشرت في الأوساط الدينية اليمينية في أمريكا في العقود الأخيرة من الألفية الثانية.

علق الدكتور بول بوير أستاذ تاريخ الأديان في جامعة ويسكونسن على مظاهر الحمى الألفية بقوله علينا أن ندرك أن هناك الملايين من الأمريكيين الذين

يعتقدون بصورة جازمة أن المسيح الدجال سيظهر عما قريب ويهيئ الكون للمعركة الأخيرة مع المسيح عند مجيئه الثاني. وذهب المؤرخ الديني الأمريكي يوجين جالاجر إلى القول بأن الأخرويات والاعتقاد بنهاية الزمان ما زالت أقوى التيارات الفكرية في تاريخ الغرب، وبأنها لم تغب أبداً من الفكر الغربي لفترة ٢٥٠٠ عاماً، والجديد في الأمر هو أن عدداً أكبر من الناس يهتمون بها الآن.

اعتبر بعض العلماء والمؤرخين الذين درسوا ظاهرة القراءات الحرفية للنصوص المقدسة التي تبنى عليها الأفكار الألفية جزءاً من الأدبيات اليهودية التي توصف بالأفكار ((الأخروية)) (Apocalypse) والتي ازدهرت بين عامي ٢٠٠ ق.م. و ١٠٠ م.

ما يجب أن نتذكره دوماً ونحن ندرس هذه الظاهرة- الحمى الألفية- أن تاريخ الغرب حافل بالفترات التي زادت فيها الحركات النبوئية الألفية نتيجة لظروف معاصرة لها علاقة بالشؤون السياسية أو الدينية أو الاقتصادية (انظر الملحق رقم ٣). كل ذلك كان وما زال يحدث لأن ما يعتبر نصوصاً نبوئية في الكتاب المقدس هي غامضة وتسمح لتجار ودعاة آخر الزمان أن يفسروها بما يتناسب ومصالحهم وبربطها بالأحداث الراهنة. لكن أكثر الأمور أهمية في هذه الأفكار هو وضع اليهود في مركزها. فالكثير من النصوص النبوئية (مثل كتاب يوحنا وسفر داود) تتنبأ ((باستعادة)) اليهود لفلسطين كحافز أساسي لنهاية العصر الأخير من خطة الله للكون، وكتمهيد للمجيء الثاني للمسيح وتدشين مملكة الألف عام من السعادة الأرضية.

فقد استطاع كريستوفر كولومبس في أواخر القرن الخامس عشر إقناع العرش الإسباني بتمويل ودعم رحلاته الاستكشافية كمرحلة تمهيدية لحرب صليبية ((يستعيد)) بها الأراضي المقدسة ويضع الأسس للمملكة الألفية.

وفي منتصف القرن السادس عشر شرع ميشيل دي نوستروداموس (Michel de Nostredame, 1503-1566) بكتابة رباعيات شعرية نبوئية بمجموعات تحوي كل منها مئة رباعية، ونشر هذه المجموعات في عشرة كتب بعنوان ((القرن)). زودت نبوءات نوسترو داموس تجار آخر الزمان والعامة من المؤمنين بنصوص غامضة أيضاً جعلتهم يفسرون شخصية المسيح الدجال بعدد كبير من الشخصيات البارزة منها نابليون وهتلر وصدام حسين، ومنهم من يعتقد أن المسيح الدجال يعيش الآن وهو على وشك الظهور علناً على مسرح الأحداث العالمية.

لكن الأشخاص الثلاثة الذين كان لهم الأثر الأكبر في الاتجاه الذي اتخذته الأفكار الألفية وفي رواجها خاصة في أمريكا هم سايروس سكوفيلد (Cyrus I. Scofield, 1843-1921) وويليم بلاكستون (William Blackstone, 1841-1935) وجون نيلسون داربي (John Nelson Darby, 1800-1882).

في سن الحادية عشرة اهتدى بلاكستون إلى المسيح من جديد وأصبح واعظاً شعبياً دون أن يكون مؤهلاً لذلك، وفي السبعينات من القرن التاسع عشر أصبح مهتماً باقتراب المجيء الثاني للمسيح وادعى بأن الله قد أمره بتكريس حياته لنشر الدعوة للمسيح وللتوقعات الألفية، فنشر عدة كتب ومقالات أكثرها أهمية وتأثيراً كتابه الشهير ((المسيح آت)) عام ١٨٩٨. بيع من هذا الكتاب ملايين النسخ حتى في ذلك الوقت المبكر وترجم إلى أربعين لغة. كان لهذا الكتاب تأثير كبير في نشر الأفكار الألفية في أمريكا والدعوة لعودة اليهود إلى أرضهم، ((أرض الميعاد)) في فلسطين، وتأسيس دولة يهودية هناك حيث يحققون إرادة الله وخطته للكون. وكان بلاكستون أول شخص في العصر الحديث يقول بعدم التبشير بين اليهود ومحاولة هدايتهم لأنهم سوف يأتون إلى مملكة المسيح تلقائياً وقد حصلوا على الخلاص بواسطة عهد الله لإبراهيم.

دعا بلاكستون السياسيين ورؤساء الجمهورية الأمريكية للمباشرة بجهود دولية لإنشاء دولة يهودية في فلسطين ثم نظم أول مؤتمر صهيوني مسيحي في شيكاغو عام ١٨٩٠، وقد منحه اليهود المتطرفون فيما بعد لقب ((أبو الصهيونية)).

سايروس سكوفيلد أيضاً كان يعتقد بالأفكار الألفية والمجيء الثاني للمسيح في المستقبل القريب. وأكثر أعمال سكوفيلد أهمية وتأثيراً في نشر هذه الأفكار بين المسيحيين في أمريكا – والغرب بصورة عامة – هو ((مرجع الكتاب المقدس)) الذي وضعه عام ١٩٠٩ (The Scofield Reference Bible) الذي شرح فيه التدبيرية الإلهية للكون والنبوءات المقدسة بما يتفق مع أفكار داربي، خاصة حول تأسيس مملكة إسرائيل في أرض الميعاد تمهيداً لمجيء المملكة الألفية. خطورة هذا الكتاب تكمن في أن سكوفيلد وضع شروحه لنصوص الكتاب المقدس وكأنها جزء أساسي من النصوص.

بيعت عشرات الملايين من نسخ ((مرجع سكوفيلد)) وأعيدت طباعته عشرات المرات. وعندما قررت دار نشر أكسفورد عام ١٩٥٤ أن لغة طبعة الملك جيمس أصبحت صعبة وقديمة كلفت لجنة من علماء الكتاب كلهم من المتطرفين الإيفانجيليين بتحديث لغته.

اجتمعت هذه اللجنة في شيكاغو طيلة فترة تسع سنوات وكانت نتيجة جهودهم ((مرجع سكوفيلد الجديد للكتاب المقدس)) (The New Scofield Reference Bible) الذي ثبت القول بالقراءة الحرفية للكتاب المقدس وعصمته اللغوية، كما أدخل تغييرات في اللغة والأفكار والمفاهيم بحيث تتفق مع الدعوات الألفية الحرفية والنبوءات المقدسة. وما زال هذا ((المرجع)) معتمداً لدى جميع أطراف اليمين المسيحي في أمريكا خاصة الإيفانجيليون والمعمدانيون والأصوليون.

أما جون نيلسون داربي فقد كان أحد أكثر الناس تأثيراً في الترويج للحركات النبوئية الحديثة، خاصة فيما يتعلق بمفهوم إعادة تأسيس إسرائيل ودعوة الشعب اليهودي إلى أرض الميعاد. أسس داربي حركة شعبية سماها ((إخوان بليموث)) في الثلاثينات من القرن التاسع عشر وأصر على أن ((الكنيسة)) لم تحل محل ((إسرائيل)) في خطة الله للكون، بل دعا إلى المبدأ التدبيري القائل بأن الشعب اليهودي الحديث هو إسرائيل الكتاب المقدس وموضوع نبوءاته. كما أصر داربي على أن ((مملكة داود)) هي التي سيتم إنشاؤها في نهاية الزمان وستكون في ((مدينة داود)) القدس.

كان بلاكستون وسكوفيلد ممن تأثروا كثيراً بأفكار داربي، كما أن معظم الإيفانجيليين في القرن العشرين مثل بيلي غراهام وفرانكلن غراهام وبات روبرتسون هم أتباع جون نيلسون داربي.

وهكذا فمع أن انشغال العالم الغربي بالنبوءات المقدسة وتوقعات نهاية الزمان والألفية ليس أمراً جديدا، فإن الحركات الشعبية التي قادها هؤلاء الأشخاص الثلاثة وأتباعهم روجت لهذه الأفكار في العصر الحديث وجعلت من قراءة الكتاب المقدس الحرفية أمراً لا مفر منه. بل أصبح قادة اليمين المسيحي في أمريكا بصورة خاصة أكثر الدعاة حماساً لهذه الأفكار. وجاءت أحداث الشرق الأوسط وتأسيس دولة إسرائيل السياسية مؤكدة لدعوات وجهود هذه الأطراف، ثم عندما احتلت إسرائيل القدس القديمة انتشرت بين أوساط اليمين المسيحي توقعات نهاية الزمان بشكل لم يسبق له مثيل. وعندما اقتربت نهاية الألفية الثانية ازداد في هذه الأوساط ما أصبح يوصف ((بالحمى الألفية)) التي ما زالت تشتد حدة حتى في بداية القرن الواحد والعشرين والألفية الثالثة، كما سيتضح لنا في هذا البحث.

وتعتمد الأفكار الألفية (التي ترتكز عليها معتقدات بلاكستون وداربي

وسكوفيلد وأمثـالهم) علـى الإيمـان بـالعقيدة التدبيريـة (Dispensationalism) وهي نظام معقد من التفسيرات الإيفانجيلية للنصـوص المقدسـة التـي ينتـج عنهـا الاعتقاد الراسخ بالألفية. وهي تفترض وقوع أحداث معينة للبشرية والكون ثـم المجيء الثاني للمسيح لكي يحكم العالم لمدة ألف سنة من مملكته الأرضية.

وفي هذا النظام التدبيري أساس الاعتقاد بأن تعامل الله مع الكون كله مبنـي على تعامل اللـه مـع إسـرائيل بموجـب العهـود التـي أعطاهـا لإبراهيـم وموسـى وداود. فإسرائيل تتمتع بمكانة شـعب اللـه المختـار، وفي التدبـير الإلهـي سيعود المسيح ليحكم العالم على عرش داود ملـك إسـرائيل، والمسـيح بالنسـبة لبعـض الإيفانجيليين هو ابن داود ووريث عرشه.

الفصل الثاني

النبوءات والألفية
الرواج والشعبية

((عند منصف ليلة ١٩٩٩/١٢/٣١ سوف تتعطل ملايين أجهزة الكمبيوتر في كل أنحاء العالم، وسوف يبشر ذلك بالحكومة العالمية التي جاءت بها النبوءات كمقدمة للأيام الأخيرة)).

غرانت جيفري

((اقتراب الألفية))

مع اقتراب نهاية الألفية الثانية اجتاحت أمريكا موجة من التوقعات والنبوءات التي تشير إلى اقتراب نهاية العالم ونزول مملكة الله. وقد علق على ذلك المؤرخ الديني ويليم مارتن قائلاً بأنه لم يسبق أن ازدهرت حركات نبوءات آخر الزمان في أمريكا مثلما تشهده صفوف المحافظين من البروتستانت. إن الملايين من الإيفانجيليين الأمريكيين يعتقدون أن نهاية العالم ستأتي في حياة الجيل الحالي، وربما في الثمانينات حيث يعود المسيح ليبدأ حكم الألف عام على مملكته الأرضية (مجلة ((أتلنتيك مونثلي)) حزيران ١٩٨٢، ص٣١).

وفي الواقع ظهر منذ الستينات من القرن العشرين عدد كبير من رجال الدين المسيحيين اليمينيين من المشتغلين والمتاجرين بالنبوءات وأخبار آخر الزمان. من

هؤلاء اورال روبرتس وجيري فالويل وهِرْبرت آرمسترونج وكينث كوبلاند وجاك فان ايمب وبات روبرتسون وهال ليندزي وسالم كربان، وما زال عددهم يزداد حتى اليوم. ومما يجدر ذكره أن كل هؤلاء وعشرات غيرهم من أغزر الناس إنتاجاً سواء بنشر الكتب أو المواعظ أو المحاضرات، كما أنهم يتمتعون بشعبية كبيرة في أوساط اليمين المسيحي.

وجاءت أساليب الإعلام والنشر الحديثة فاستفاد منها اليمين المسيحي فائدة كبيرة وسخرها للوصول إلى الملايين من القراء والمشاهدين والمستمعين. كانت من أوائل المحطات الإذاعية المهتمة بنبوءات آخر الزمان مثلا محطة ((صوت النبوءة))، ومحطة ((الملك آت)) ومحطة ((الساعة ١١,٥٥)). ثم انضمت إليها عشرات المحطات والبرامج التي تتعامل مع الأفكار الألفية وتعمل على تسويقها. كما عمل دعاة آخر الزمان على تأسيس مجلات ودوريات متخصصة في هذا الموضوع، كان من أوائلها دوريات ((إنها تحدث الآن)) و ((الكتاب المقدس في الأخبار)) و((صحيفة نبوءات الكتاب المقدس)) و ((مراسل آخر الزمان)) وغيرها.

تعاملت هذه المحطات والدوريات، كما تعامل جميع دعاة آخر الزمان مع النبوءات في ضوء قراءة حرفية للكتاب المقدس ونبوءاته وبتطبيق هذه النبوءات على الأحداث المعاصرة سواء أكان ذلك في الشؤون الأمريكية الداخلية أم في الأحداث العالمية. وكان أهم الأحداث العالمية على الإطلاق التي استعملها المشتغلون في تجارة آخر الزمان هو تأسيس دولة إسرائيل ثم تاريخ هذه الدولة السياسية المليء بالنزاعات العقائدية والدموية. أدرك ذلك العديد من المراقبين للتاريخ الديني والاجتماعي في أمريكا مثل ويليم مارتن (انظر مقالة في مجلة ((اتلانتيك مونثلي)) بعنوان ((بانتظار النهاية: الاهتمام المتزايد بالنبوءات الآخر ساعية)) حزيران ١٩٨٢).

كما كتب مؤلفو ((دليل الألفية الجديد)) بأن الأحداث الهامة المتلاحقة التي شهدها القرن العشرون مثلت بالنسبة للكثيرين تمهيداً لنهاية الزمان. لقد فهموا فكرة عودة اليهود إلى أرض الميعاد (أرضهم فلسطين) في ضوء الأحداث السياسية الدولية. كما فسروا النص من سفر حزقيال (٣٨) على أنه يعني روسيا والقوى الأخرى التي تكره اليهود وتحاول تحطيم الدولة اليهودية (ص ١٩). ويلاحظ هؤلاء المراقبون أن علامات الحمى الألفية وآخر الزمان تحيط بنا في كل مكان. كل ما على المرء أن يفعله هو الاستماع إلى محطات الإذاعة والتلفزيون والوعاظ والدعاة المسيحيين، أو أن يزور المكتبات الدينية وغيرها. سيتبين له حينئذ مدى انتشار هذا التفكير في أوساط المسيحيين المحافظين. لكن أكثر الوسائل التقنية الإلكترونية التي توفرت لهؤلاء الدعاة والتي أتقنوا استخدامها إتقاناً غير مسبوق هو الشبكة العالمية والتي سنرى كيف أصبحت من أفضل أدواتهم.

ولكي ندرك متى انتشار المعتقدات الألفية بين صفوف الأمريكيين، خاصة اليمينيين منهم، لا بأس من استعراض بعض عمليات الاستطلاع التي أجرتها على فترات بعض المؤسسات المرموقة المتخصصة بدراسات الرأي العام قبل نهاية الألفية الثانية.

في شهر نيسان عام ١٩٩٣ أجرت مؤسسة يانكوفيتش استطلاعاً عاماً بتكليف من مجلة تايم وشبكة CNN الأخبارية، ووجدت أن:

- ٢٠٪ من الأمريكيين يعتقدون أن المجيء الثاني للمسيح سوف يحدث في وقت ما حول عام ٢٠٠٠.

وفي عام ١٩٩٧ أجرت وكالة أسوشييد بريس AP للأنباء استطلاعاً عاماً فتبين منه أن:

• ٢٤٪ من المسيحيين البالغين الأمريكيين يعتقدون أن يسوع المسيح سوف يعود إلى الأرض أثناء حياتهم وسوف يباشر الأحداث التي يصفها سفر الرؤيا في الكتاب المقدس.

وفي الفترة من ١٤-١٦ تشرين الثاني عام ١٩٩٧ أجرت مؤسسة مجلة (U.S. News and World Report) استطلاعاً عاماً تبين فيه أن:

• ٦٦٪ من الأمريكيين يعتقدون أن يسوع المسيح سيعود إلى الأرض في وقت ما، ويمثل هذا زيادة من ٦١٪ عام ١٩٩٤.

وفي استطلاع أجرته مؤسسة (Princeton Research Associates) بتكليف من مجلة نيوزويك (١٩٩٩/١١/١) على عينة عشوائية تتألف من ٧٥٥ أمريكي بالغ، تبين أن النسب المئوية التالية من البالغين يعتقدون أن العالم سينتهي بمعركة مجيدو حسبما يصفها سفر الرؤيا:

• ٤٠٪ من الأمريكيين البالغين بصورة عامة.

• ٤٥٪ من الأمريكيين المسيحيين البالغين.

• ٧١٪ من البروتستانت الإيفانجيليين.

• ٢٨٪ من غير البروتستانت الإيفانجيليين.

• ١٨٪ من الكاثوليك.

ومن الذين يعتقدون أن معركة مجيدو سوف تقع:

• ٤٧٪ يعتقدون أن المسيح الدجال موجود على الأرض الآن.

• ٤٥٪ يعتقدون أن المسيح سوف يعود أثناء حياتهم.

وفي شهر تشرين الأول عام ١٩٩٩ أجرى مركز بيو للأبحاث (Pew Research Center) دراسة بعنوان ((كيف ينظر الأمريكيون إلى القرن الواحد

والعشرين)) فأكدت هذه الدراسة النتائج التي توصلت إليها مؤسسة برينستون، إذ وجدت أن:

- ٤٤٪ من الأمريكيين يعتقدون أن المسيح سيعود أثناء حياتهم.
- ٢٢٪ من الأمريكيين يعتقدون أن المسيح سيعود حتماً قبل عام ٢٠٥٠.
- ٤٤٪ من الأمريكيين يعتقدون أن المسيح قد لا يعود أثناء حياتهم.

وبعد إجراء دراسات ميدانية دقيقة توصل أستاذ التاريخ في جامعة ويسكونسن بول بوير إلى أن نبوءات الكتاب المقدس مهيمنة ومنتشرة انتشاراً كبيراً في الثقافة الأمريكية المعاصرة. كما أضاف بأن نسبة كبيرة من الأمريكيين المسيحيين يعتقدون أن آخر الزمان يوشك أن يأتي وأن ذلك سيحدث أثناء حياتهم. وقد أظهرت استطلاعات الرأي العام التي يذكرها الدكتور بوير أن ٤٠٪ من هؤلاء الأمريكيين ((يعتقدون أن نهاية العالم ستكون بمعركة مجيدو بين المسيح والمسيح الدجال)). كما أظهرت الدراسة أن نسبة كبيرة من الأمريكيين اليمينيين مهتمون جداً بأمور آخر الزمان.

كان لتأسيس دولة إسرائيل وحروبها ضد العرب وبوسعها فيما يعرف ((بأرض الميعاد)) أثر كبير في قبول العديد من المسيحيين الأمريكيين للقراءة الحرفية للنبوءات المقدسة. كما أن اقتراب نهاية الألفية الثانية زاد من الشعور العام بأن نهاية العالم قد قاربت. وقاد التطرف في تحديد مواعيد معينة لهذا الحدث الكثيرين ممن يؤمنون بالألفية يخشون من أن هذه الظاهرة قد تفقد النبوءات مصداقيتها. فقد علق إدغار ويزنانت على هذه الحمى الألفية وما يصدر عنها من مطبوعات وبرامج تثير الحماس في الجماهير المؤمنة قائلاً:

((علينا أن لا ندع هذه الظاهرة الخطيرة تمر دون أن نعترض عليها لسببين:

أولاً: إن التوقعات والتخمينات حول آخر الزمان تحط من قدر الرسالة

الأبدية للكتاب المقدس، وتجد الكنيسة نفسها مضطرة للتحديد من أضرارها بشكل مستمر كلما أخفقت واحدة من هذه النبوءات.

وثانياً: تسبب هذه الظاهرة إرباكاً للمؤمنين الأبرياء الذين يعملون جاهدين لأن يكونوا من أتباع المسيح المخلصين، وتضلل الأتقياء عن الطريق الصواب)). (The World Wide Church of God, 1997). وكان ويزنانت يعلق بذلك على الرواج الكبير للأفكار الألفية وما يصد عنها من مطبوعات ونشرات وبرامج.

فمثلاً ظهرت نشرة عنوانها ((تقرير الارتقاء أو الرقي)) في السبعينات من القرن العشرين وأعطت ما وصفته بـ ((٨٨ سبباً لقدوم الألفية عام ١٩٩٨)) ثم كررت هذه التوقعات في الأعوام الخمسة التالية. كما أن كتاب القس المتطرف بات روبرتسون ((نهاية الزمان)) (٢٠٠٠) بيع منه ملايين النسخ فور صدوره. ومنذ عام ١٩٨١ أصدرت الداعية النبوئية ماري ستيورات ريلف كتاب ((عندما يخفق المال)) تنبأت فيه بأن علامة المسيح الدجال (الوحش) وهي الرقم ٦٦٦ تنبئ بسلسلة من الأحداث التي ترتبط بالواقع المعاصر. طبعت ريلف هذا الكتاب على نفقتها الخاصة وباعت منه أكثر من (٣٠,٠٠٠) نسخة في مدة ستة أشهر فقط. وقد أسست ريلف عقب ذلك محطة إذاعة خاصة بالنبوءات دعتها ((إذاعة كنيسة الجنوب)) أصبح لها شعبية كبيرة. كما أسست داعية أخرى هي إيلين بلاكويل برنامجاً إذاعياً بعنوان ((ما يقول الكتاب المقدس)) وذلك على إذاعة ((صوت الأمل)) من ولاية فرجينيا.

وكان الداعية النبوئي هال ليندزي قد أصدر كتابه ((العد التنازلي قد بدأ)) بعد احتلال إسرائيل للقدس عام ١٩٦٧ ثم نشر كتابين بيع منهما ملايين النسخ هما ((كوكب الأرض العظيم المنقرض)) (١٩٧٠) و((ثمة عالم جديد آت)) (١٩٧٣)، وفي عام ١٩٦٧ أيضاً صدرت طبعة جديدة من تفسير جون نيلسون

داربي للكتاب المقدس مع تفسيرات سكوفيلد النبوئية (The Scofield Reference Bible) فبيع منه مليونا نسخة في أسابيع قليلة.

قال إدغار ويزنانت عن هذه الظاهرة: ((نحن غارقون في سيل من هذه النبوءات لم تشهد مثله أمريكا منذ أيام الميلريين في منتصف القرن التاسع عشر)).

تساءل كثير من المراقبين للحمى الألفية عما إذا كانت هذه ظاهرة غربية بصورة عامة أم أن أمريكا تمتاز عن غيرها من البلدان المسيحية الغربية بقدر أكبر من الاهتمام بالنبوءات المقدسة والقراءة الحرفية للكتاب المقدس. وقد تحدث عدد من المؤرخين وعلماء الاجتماع في هذا الموضوع، وكان أن عقدت حلقة نقاش لعدد من أساتذة الجامعات على موقع اسمه ((Frontline)) على الشبكة العالمية جرت فيها معالجة هذا الموضوع من جميع جوانبه.

شارك في هذه الحلقة كل من بول بوير أستاذ التاريخ في جامعة ويسكونس، وجيمس تابور أستاذ الدراسات الدينية في جامعة نورث كارولينا، وجون كولينز أستاذ الكتاب المقدس العبري في كلية الشريعة في جامعة شيكاغو، ومايكل باركوم أستاذ العلوم السياسية في جامعة بوسطن وأحد مؤسسي مركز الدراسات الألفية فيها، وكاثرين ويستنغر أستاذة تاريخ الأديان في جامعة لويولا، ويوجين جالاجر أستاذ الدراسات الدينية في جامعة كونيتيكت، وستيفن أوليري أستاذ وسائل الإعلام في جامعة جنوب كاليفورنيا وأحد مؤسسي مركز الدراسات الألفية. خرج هؤلاء الأساتذة من حلقة النقاش بنتائج تلقي الضوء على تفرد أمريكا في ظاهرة الأفكار الألفية وأسباب ذلك، نلخصها فيما يلي:

إن تصور أمريكا كعامل مركزي في الأسطورة الألفية كان وما يزال تصوراً شائعاً في صفوف الأمريكيين، وخاصة المسيحيين اليمينيين منهم، بل قالت الأستاذه ويسينغر عن قناعة الأمريكيين بهذا التفكير الألفي: إن الأمريكيين

يميلون إلى دراسة التاريخ الأمريكي وكأن أمريكا هي المكان الوحيد في العالم. ألم تلعب الأفكار الألفية دوراً هاماً في اكتشاف هذه القارة عندما اعتقد كريستوفر كولومبس بأن الله اختاره للكشف عن الجنة الجديدة والأرض الجديدة اللتين تنبأ بهما سفر الرؤيا؟ ألم تلعب هذه الأفكار الألفية دوراً هاماً في تأسيس المستوطنات الجديدة وفي استقلال الولايات المتحدة الأمريكية؟ ويؤكد الأستاذ لاندز هذا الرأي فيشبه الولايات المتحدة الأمريكية بالرضيع الذي لا يحتاج لدواء «المرض الألفية» لأنه، كما يقول: «من وجهة نظر مؤرخ الألفية سقطت أمريكا منذ ولادتها في حلّة الألفية ولم تخرج منها قط».

ويضيف الأستاذ باركوم إلى ذلك رأيه فيؤكد على هذا الهاجس الألفي في الفكر الأمريكي منذ بدايته: «كانت الأفكار الألفية ونبوءاتها وتوقعاتها قد رافقت أمريكا منذ وقع نظر الأوروبيين على القارة الجديدة. من كولومبس إلى الطهوريين إلى مرحلة التوسع الغربي، صور المهاجرون الأوربيون أمريكا (رغم ما أنزلوه من آلام ومآسي في شعوبها الأصلية) على أنها خالية خصبة بكر، أي أن العناية الإلهية قد هيأتها لبداية جديدة. هذه الصورة المستمرة منذ القرن الخامس عشر والمتجددة أبداً جعلت الأمريكيين لا يفكرون في تاريخهم وفي أنفسهم إلا في إطار الألفية».

ويقول الأستاذ بوير، مضيفاً عوامل هامة ساعدت على ترسيخ هذه الأفكار الألفية، أنه توجد من الناحية التاريخية عوامل عديدة لهذه العلاقة الخاصة بين أمريكا ونهاية الزمان أهمها:

١- الاعتقاد بأن أمريكا أمة فضلتها العناية الإلهية وخصتها بمهمة مقدسة منذ بدء الاستيطان الأوربي لها. فقد اعتقد الطهوريون أن أمريكا هي في الحقيقة «صهيون الجديدة»، وتردد هذا الاعتقاد في فترات متعددة من تاريخ أمريكا.

٢- الادعاءات الأمريكية المستمرة بأن لأمريكا مهمة مقدسة أخرى وهي نشر الديمقراطية والحرية والعلوم والنزعة الإنسانية في كل أنحاء العالم. هذا النوع من التفكير غالباً ما يشجع النظرة الذاتية الطوباوية ويرفد أيضاً الأفكار الألفية ونبوءات آخر الزمان ودور أمريكا فيها.

٣- أنتشر نتيجة لهذه المعتقدات والأفكار الحماس التبشيري بشكل أسرع وأوسع في أمريكا منه في أوروبا، وساعد بدوره على قبول الأفكار الألفية واقتراب نهاية الزمان.

جاء الفصل بين الكنيسة والدولة والتركيز على حرية ممارسة المعتقدات الدينية ففسح المجال لانتشار المذاهب الألفية دون قيود، وهذا هو سبب التزايد (عدداً وتأثيراً) غير المسبوق في المذاهب والوعاظ والدعاة والبرامج التلفزيونية والإذاعية، والمطبوعات، ومواقع الشبكة العالمية.

ولاشك أن الهاجس الأمريكي والحماس للأفكار الألفية ونهاية الزمان يعودان – إضافة إلى العوامل المذكورة – إلى إطار فكري أوسع وهو مكانة الكتاب المقدس بعهديه القديم والجديد في ثقافة الأمريكيين منذ بداية تاريخهم. هذه الثقافة التي غمست –كما يقول الأستاذ جالاجر– لدرجات متفاوتة في العمق في الصور البيانية والبلاغية للكتاب المقدس بحيث أصبح من الضروري للأفراد والجماعات في دعواتها إلى مذاهب ألفية جديدة أن تخاطب الثقافة الشعبية الكتابية من أجل كسب الأتباع. وهكذا ففي القرن التاسع عشر قدم ويليم ميلر نظاماً تفسيرياً للكتاب المقدس مرتبطا بالأحداث المعاصرة ضمن إطار الخطة الألفية للكون في معالجته لمشكلات الفترة التي عاشها، وهكذا فعل جوزيف سميث وسكوفيلد وداربي ثم العشرات من دعاة آخر الزمان المحدثين مثل هال ليندزي وجيري فالويل.

وهكذا فحيثما يكون الكتاب المقدس أوسع انتشاراً يكون الاحتمال أكبر

بظهور الأفكار الألفية ونظريات نهاية الزمان. كما أن انتشار المعتقدات الكتابية ترفد الصورة الذاتية الطوباوية والشعور بالمهمة المقدسة نحو الآخرين ضمن الخطة الإلهية للكون.

يؤكد هذا الرأي الأستاذ أوليري فيقول إن الأمريكيين على مر القرون اعتبروا أنفسهم أصحاب مهمة مقدسة في سياق خلاص العالم، واعتقدوا أن الله هيأهم منذ بدء الخليقة للاشتراك في تنفيذ خطته للبشرية.

وقد عالج هذه الجوانب من الثقافة الأمريكية عدد كبير من المفكرين والنقاد والمؤرخين، منهم أورنست توفيسون في كتابه ((الأمة المخلّصة: فكرة دور أمريكا الألفي)) (Ernest Tuveson, Redeemer Nation: The Idea of American's Millennial Role, 1968). ودانيال ووجيك في كتابه ((نهاية العالم كما نعرفه)) (Daniel Wojcik, The End of the World As We Know It , 1997).

ولقد حاولنا في فصول هذا البحث أن نتبين أن هذا التصور لدور أمريكا ضمن خطة الله للكون ليس بالأمر الجديد، مع أنه ازداد قوة مع ما حدث في الشرق الأوسط في العقود الخمسة الماضية ومع اقتراب نهاية الألفية الثانية

هذا التصور هو في الواقع جزء من النسيج الثقافي الأمريكي وهو يتكرر مع بعض التنوع في الفترات المختلفة من تاريخ أمريكا، كما تتكرر أنماط وألوان الشكل الزخرفي الواحد في النسيج المصنوع أو في السجادة الشرقية.

يشرح ريتشارد نيبور في كتابه الشهير ((مملكة الله في أمريكا)) الصورة الذاتية الأمريكية ودورها المقدس في خطة الله فيقول: ((من مملكة الله في أمريكا اعتقد الأمريكيون بصورة لا تقبل الشك أنهم مكلفون بمهمة مقدسة وهي نشر نور المسيحية والديمقراطية والأمريكية، واللغة الإنجليزية والثقافة والعلوم

والصناعة والمؤسسات الأمريكية، كل ذلك في خليط مرتبك متخبط. لقد امتلأت أذهان الأمريكيين بصلاحهم وكمالهم، وراحوا يعدون أنفسهم كوسطاء لمملكة العرق الأنجلو – ساكسوني التي اعتقدوا أن قدرها هو أن تنشر النور في العالم بمصابيح صنعت في أمريكا)).

وفي الواقع، حين خرج المعلق الصحافي المشهور جون أوسوليفان على قرائه بعبارة ((قدر أمريكا البيّن)) (Manifest Destiny) في عام ١٨٤٥ كان يلخص مفهوم دور أمريكا في خطة الله للكون في إطار التوسع والاستيطان في الغرب الأمريكي.

يصف المؤرخ الديني وينثروب هدسون هذا القدر البيّن في الفكر الأمريكي بقوله: ((في تقديره المرسوم لأحداث الكون، صمم الله الولايات المتحدة الأمريكية كأداة جديدة لتحقيق أهدافه من أجل البشرية. لقد اعتقد الكثيرون ومنهم أوائل مؤسسي الدولة مثل توماس جيفرسون وبنجامين فرانكلين وجورج واشنطن وغيرهم من أعضاء المؤتمر الدستوري -كما اعتقد رجال الدين الأوائل – بأن الولايات المتحدة قد برزت إلى الوجود كجزء من خطة عظيمة للكون رسمها الله من أجل تنوير الجاهلين وتحرير الإنسان المستعبد في جميع أنحاء العالم)) (ص١١١-١١٤).

الفصل الثالث

الجدال حول القراءة الحرفية

((إن العظماء في تاريخ المسيحية اكتفوا بالاعتقاد بأنهم سوف يلاقون المسيح يوماً ما سواء كان ذلك بعودته أو بموتهم)).

((دليل الألفية الجديد))

كان هدف الأصوليين من المسيحيين واليهود التوصل إلى صيغة لوصف اليهود الموجودين في أنحاء متفرقة من العالم على أنهم أمة ذات صبغة قومية إضافة إلى كونهم أتباع مذهب واحد. بهذا يستطيع الأصوليون ليس فقط أن يفسروا النبوءات التي تقول بعودة اليهود إلى أرض وعدهم بها الله بل أن يبرروا أيضاً تأسيس دولة سياسية في هذه الأرض يتفرد بالمواطنة فيها قوم يتميزون بتفضيل إلهي ودور رئيسي في خطة الإله للبشرية والكون. هذه المحاولات لوصف اليهود بالقومية هو ما سماه الحاخام هيرش بالهرطقة بقوله: ((تريد الصهيونية أن تعرف الشعب اليهودي على أنه كيان قومي... وهذه هرطقة)). (واشنطن بوست ٣/١٠/١٩٧٨).

وهكذا فقد دعمت الأصولية المسيحية المتطرفين اليهود في كل ما قاموا به من أعمال وحشية للاستيلاء على فلسطين، مما أثار قلق بعض اليهود الذين رأوا في هذه الأعمال أموراً منافية للشرائع والحقوق الإنسانية. دفع هذا رئيس الجامعة العبرية جوداس ماغنز أن يقول في خطاب في الجامعة عام ١٩٤٦ ((إن الصوت

اليهودي الجديد يتكلم اليوم من فوهات البنادق. هذه هي التوراة الجديدة لأرض إسرائيل)).

وما هذه الآراء سوى تأكيد للرأي القائل بأن تحريف الكتب السماوية وتشويه نصوصها أدى بالأصوليين المسيحيين واليهود على حد سواء إلى الذهاب لأبعد حد ممكن لتحقيق نبوءات ليست أصلاً من الكتاب المقدس في شيء.

ويشهد على ذلك الدكتور ج.كالفن كين، الرئيس السابق لقسم الدراسات الدينية في جامعة سانت لورنس في نيويورك، إذ يقول:

((إن النصوص الكتابية التي ترد فيها هذه النبوءات المفترضة قليلة جداً، كما أن نظرة فاحصة لها تدل على أنها إما غامضة جداً في دلالاتها وبالتالي غير مقنعة، أو أنها نبوءات لأحداث وقعت بالفعل بعد كتابتها بوقت قصير، أو أنها انتزعت من سياقها وأعطيت دلالات ليست واردة أبداً في ذلك السياق))(١).

وهذا بالضبط هو ما نراه في مواعظ وكتابات الأصوليين الأمريكيين من مسيحيين ويهود حين يلوحون بالكتاب المقدس ويرددون هذه النصوص النبوئية على مسامع الملايين من المؤمنين الذين لا يتسنى لهم التحقق من صحتها أو دقة تفسيرها. يصف الفيلسوف الفرنسي روجيه جارودي هذا السلوك بـ ((هرطقة تشكلت من القراءة الحرفية الاصطناعية لكلام منزل، بهدف جعل الدين أداة للسياسة، بإضفاء القدسية عليها... إنه مرض مميت يصيب نهاية القرن، وهو ما عرّفته سابقاً باسم الأصولية))(٢).

واستغلال النصوص المقدسة لخدمة السياسة هو أمر أتقنه الأصوليون المسيحيون في أمريكا، وهم يصرون بقوة على أن إسرائيل السياسية هي مركز النبوءات المقدسة. ولما كان الأصوليون يعتمدون في مصداقية مذهبهم المتطرف

على تفسيرهم للنصوص المقدسة، فهم لا يتورعون أبداً عن استعمال الظروف والأحداث السياسية لتحقيق أهدافهم. وهذا ما يجعل هذه النزعات الأصولية خطيرة جداً بالنسبة للعالم كله، فهي في ما تعمله وتصرح به تخطط للعالم باسم الله والكتب السماوية. وخاصة عندما تتفق معها أطراف سياسية تشارك في صنع القرارات المصيرية.

وقد تنبه إلى ذلك الكاتب الديني بول جيرسيدالذي قال في مجلة الدورية الكاثوليكية اليسوعية التي تصدر في أمريكا في العدد الصادر في ١٠/٥/١٩٧٥: ((إن الادعاء بسياسة لاهوتية، وخلق ((شعب مختار)) مبني على عناصر عرقية ودينية يعني خلق مشكلة حادة مباشرة بين هذا الشعب وجيرانه. واللجوء إلى الكتاب المقدس لحل مشكلة سياسية هو استغلال للكتاب المقدس دون حس تاريخي أو شعور بالمسؤولية)). لكن الشعور بالمسؤولية لدى الأصوليين كما يصرحون دوماً هو نحو الإرادة الإلهية ومخططاتها فقط. وهم في فيما يقومون به من أعمال إنما يطيعون أوامر الله ويسعون إلى تحقيق الأهداف من هذه المخططات.

لذلك فاليمينيون المتطرفون في أمريكا يستعملون الكتاب المقدس لتبرير عمليات مأساوية أخفق الجميع في إيجاد مبرر سياسي أو أخلاقي لها. فالجواب الذي يعطونه بسيط جداً يمنح المؤمنين راحة الضمير ويجعلهم موافقين عما يحدث، لأن هذا التفسير يستند إلى تنفيذ الإرادة الإلهية وتحقيق عهد قطعه الله على نفسه، وبذلك تصبح الاعتبارات السياسية والإنسانية غير ذات أهمية بل غير واردة أمام إرادة الله.

وكأنما يقول هؤلاء اليمينيون لأتباعهم بصورة غير مباشرة: لا تقلقوا بشأن ما يحدث للشعوب – الفلسطينية والعرب مثلاً – فقد أراد الله تحقيق وعد قطعه لشعبه المختار، وكانت نتائج ذلك من مذابح وتهجير ومآسي أموراً لا بد منها.

فلنتصور ماذا يدور بذهن المؤمن المسيحي في أمريكا من أتباع الكنائس اليمينية عندما يشاهد فيلماً جميلاً مثل فيلم ((أرض الله)) يسرد فيه القس المعمداني الشهير بيلي غراهام وصف الأماكن المقدسة في طول فلسطين وعرضها مستشهداً في كل منعطف بالنصوص المقدسة – التي ((تنبأت)) بما حدث ويحدث في إسرائيل والأراضي الفلسطينية ومؤكدا أن هذه أرض الله التي أعطاها لشعبه المختار. وأن ما حدث هو معجزة تحققت بها إرادة الله.

أو عندما يزور نائب رئيس الجمهورية الأمريكية إسرائيل ويصرح بأنه جاء يحتفل بتحقيق معجزة عمرها ثلاثة آلاف عام. في كلتا الحالتين، وفي مئات الأمثلة المشابهة لها، لا يرد ذكر للنتائج المأساوية ولمعاناة الآخرين، وحتى لو أشير إلى ذلك من بعيد، فالسامع أو المشاهد قد أصابه تخدير إيماني فتجردت مشاعره الإنسانية وأصبح ينظر إلى الأحداث بمنظار ما تعلمه من الكتاب المقدس.

أما فيما يتعلق بالحس التاريخي الذي ذكره جارودي والذي يعتقد أن الأصوليين والمتطرفين يفتقدونه، فالواقع هو أن هؤلاء المتطرفين قرروا ألا يقرؤوا النصوص المقدسة من منظار التاريخ بل هم على العكس من ذلك يكتبون التاريخ حسب قراءتهم للنصوص المقدسة. وهذا هو نوع من اختلاق التاريخ لدعم قضايا سياسية معاصرة باستعمال النصوص المقدسة مرجعاً.

وفي تجربة العالم اللاهوتي كيث ويتلام رئيس قسم الدراسات الدينية في جامعة ستارلينغ في اسكوتلندا ما يوضح هذا الأمر. بدأ ويتلام أبحاثه في فلسطين بهدف كتابه تاريخ فلسطين القديم، فدرس بدقة الفرضيات المقبولة لدى أغلبية علماء اللاهوت والآثار والتي تؤسس لما يعتبر عامة بالدراسات الموضوعية للأثريات الكتابية. لكن ويتلام سرعان ما أدرك أن عليه أن يجابه شبكة معقدة ومترابطة من الدراسات التي تتجاهل تاريخ فلسطين القديم وتسكته لأن هذه الدراسات (الكتابية منها بصورة خاصة) صبت اهتمامها فقط على ما أسمته بإسرائيل القديمة وصورتها للناس على أنها المصدر الأساسي للثقافة الغربية.

وأدرك ويتلام أن البحث عن إسرائيل القديمة كان أقل اهتماماً بإعادة بناء الماضي منه بتبرير القضايا الآنية والمعاصرة المتعلقة بالهوية القومية وسياسة القوة. وجد ويتلام أن هذه الدراسات الكتابية، بدلاً من أن تبحث عن تاريخ فلسطين، أصبحت طرفاً في الصراع المعاصر على الأرض وسخرت نفسها لدعم مزاعم إسرائيل وقراءة الأصوليين للنصوص المقدسة.

كان من نتيجة إدراك كيت ويتلام لهذه الأمور أن وضع مؤلفه الشهير ((اختراع إسرائيل القديمة: وإسكات التاريخ الفلسطيني)) (لندن، ١٩٩٦).

وقد لخص ويتلام أفكاره هذه في ورقة قدمها في ((ندوة القدس السابعة)) في عمان (٢٠٠٢) (شاركت بها شخصياً) وكانت الورقة بعنوان ((الدراسات الغربية وإسكات التاريخ الفلسطيني)).

هذه القراءة الأصولية للنصوص المقدسة تتحول إلى ما وصفه روجيه جارودي بقراءة أصولية للسياسية الصهيونية التي تجعل اليمينيين في أمريكا وغيرها يوافقون على قول الجنرال الإسرائيلي دايان ((إذا كنا نملك أرض التوراة، وإذا كنا نعتبر أنفسنا شعب التوراة... إذن يجب علينا أن نملك كل الأرض التوراتية)) (جيروسلم بوست ١٩٦٧/٨/١٠).

هذه القراءة أصبحت مقبولة دون نقاش لدى اليمين المسيحي الأمريكي في ضوء نشاطات زعمائه مثل بيلي غراهام وجيري فالويل وبات روبرتسون وعشرات آخرين ممن ترد معالجتهم في المواضع المناسبة في هذا الكتاب.

وقد علق روجيه جارودي على هذه الأقوال وغيرها ببلاغة حيث قال في كتابه ((الخرافات المؤسسة للسياسة الإسرائيلية)): ((أردت فضح التبرير اللاهوتي المزعوم للعدوان. لذلك قمت بقراءة كاملة للنصوص التي حولت الخرافات إلى تاريخ نتيجة خضوع إبراهيم لله. لقد حولت هذه الخديعة مباركة الله لكل الشعوب إلى معنى معاكس، فصارت الأرض المغزوة أرضاً موعودة))[٣].

تؤكد هذا التلاعب بالنصوص واختلاق التاريخ العالمة الفرنسية فرانسواز سميث عميدة كلية اللاهوت البروتستانتي في باريس في تحليلها للكتابات والدراسات المعاصرة التي تدعي تفسير الكتاب المقدس. تقول العميدة سميث: ((لقد وصفت الأبحاث التاريخية المعاصرة البيانات الكلاسيكية للخروج من مصر وغزو الكنعانيين، والوحدة القومية الإسرائيلية قبل النفي بأنها مجرد اختلاق. إن الوصف التاريخي التوراتي لا يعلمنا عن الأحداث التاريخية ولكن عن أولئك الذين صنعوها))(٤).

وفي تعليق على هذه القراءات الخرفية والمحرفة للنصوص المقدسة قال غبطة البطريرك أغناطيوس هزيم عام ١٩٨٥ بأن ((المسيحية الشرقية لا تزال مكبوتة إلى حد ما... والمسيحية الأمريكية والغربية تعرضت لجهود التهويد، إذ أنها تعود إلى العهد القديم دون الإنجيل ودون المسيح))(٥).

وهذا بالضبط ما يستمر زعماء المسيحيين اليمنيين خاصة في أمريكا التأكيد عليه. فهم لا يملون من تذكير أتباعهم أن المسيح الذي جاء برسالة من الله هو يهودي وأن تلامذته كلهم يهود وهم مصدر ما يسمونه بالعهد القديم وعلى أنه أصل الدين المسيحي والجزء الأكبر من الكتاب المقدس. وقد استمعت عام ١٩٨٢ إلى سلسلة من المواعظ ألقاها القس جيري فالويل كل يوم أحد على فترة اثني عشر أسبوعاً كان عنوانها ((أبطال المسيحية الاثنا عشرة)) فكان ثمانية من أبطال المسيحية من ملوك وأنبياء إسرائيل وأربعة من التاريخ المسيحي.

يسعى الأصوليون، اليهود والمسيحيون على حد سواء، للترويج لفكرة ((الشعب المختار)) ومكانته التي يتميز بها عن بقية الشعوب. وقد لازمت هذه الفكرة العنصرية الاصطناعية المذاهب المتطرفة من المسيحيين وأصبحت أحد الأسس العقائدية التي يبنون عليها إيمانهم بالكتاب المقدس وتفسيرهم له. فهم لا يترددون أبداً في دعم آراء عنصرية مثل ذلك الذي صرح به رابين كوهين في

كتاب ((التلموذ)): ((يمكن تقسيم سكان العالم إلى قسمين: شعب إسرائيل من جهة، وكل شعوب العالم مجتمعة من جهة أخرى. إسرائيل هي الشعب المختار، هذا مبدأ أساسي)).

هذا المبدأ هو الذي يؤسس أيضا لمقولات الأصوليين حول خطة الله للكون كما نرى في بحثنا لهذا الموضوع.

لقد رد قداسة البابا شنودة ببلاغة جميلة على هذه الادعاءات وغيرها من أفكار الأصوليين المسيحيين حين قال: ((إن اليهود اليوم ليسوا شعب الله المختار حالياً، وإلا فماذا عن بقية الشعوب. كل هذه تعابير غير موجودة في المسيحية)) وأضاف قائلاً:

((هناك جماعات انبثقت من البروتستانتية وأصبح لها خطورتها، وهم جماعة شهود يهوه ليسوا مسيحيين حتى من اسمهم، ولا أدل على ذلك من أنهم يستخدمون اسم يهوه الذي كان مستخدماً في العهد القديم، كما أنهم لا يقولون أنهم مسيحيون، والسبتيون والمجيئيون (أدفينتيست) أيضاً قالوا بمجيء المسيح، وهؤلاء جميعاً لهم أفكار يهودية. البروتستنت يؤمنون بأن المسيح سيأتي إلى الأرض ويسكن ألف سنة وتكون سنوات سلام. ونحن لا نؤمن بشيء من هذا ونرد عليه ولا نعتبره مسيحياً لأن المسيح في كلامه قال: ((مملكتي ليست من هذا العالم)) وكان يدعو إلى ملكوت روحي وليس إلى ملكوت أرضي... كل هذه التعاليم لا علاقة لها بالكتاب المقدس)).

وخلص قداسة البابا شنوده إلى القول: ((لا يوجد شيء في المسيحية عن عودة اليهود إلى القدس، بل إن السيد المسيح قال لهم هوذا بيتكم يترك لكم خراباً وتفرقوا في جهات العالم كلها من سنة ٧٠ ميلادية حينما تحطمت أورشليم والهيكل بواسطة القائد الروماني تيتوس))[٦].

الفصل الرابع

خطة الله للدهر

((قال المسيح: مملكتي ليست من هذا العالم)).

((وكان يدعو إلى ملكوت روحي وليس إلى ملكوت أرضي... كل الأقوال المتعلقة بالمملكة الأرضية لا علاقة لها بالكتاب المقدس)).

قداسة البابا شنودة

يأخذ النبوئيون مجموعة من النصوص من أسفار وكتب العهدين القديم والجديد ويشكلون منها صورة عامة للأحداث التي سوف تقع عند اقتراب آخر الزمان. كل هذه الأحداث كما يدعوّن، هي الفصل الأخير من خطة الله للكون كما يقرؤونها في الكتاب المقدس.

يقرأ القدريون التدبيريون مثلاً في نصوص الكتاب المقدس وخاصة سفر دانيال (٧-٩) كيف أن الله وضع خطته للكون على أسس من علاقته مع إسرائيل. فإسرائيل بسبب خطاياها ستخضع لتسلط أربع أمم الواحدة تلو الأخرى، وعندما ((تكتمل أيام الأمميين)) سيصدر أحد ملوكهم قراراً بإعادة إعمار القدس. وبعد ذلك بتسعة وستين أسبوعاً سوف يعود المسيح إلى المدينة المقدسة لكن شعبه يرفض التصديق به. وفي الأسبوع السبعين يحاول حاكم شرير القضاء على اليهود، لكن المسيح يعود ويهزمه ويجلس على عرش داود.

ويمكن تلخيص الخطوط العريضة لهذه الأحداث الأخيرة كما يلي (علماً بأن النبوئيين يختلفون في التفاصيل):

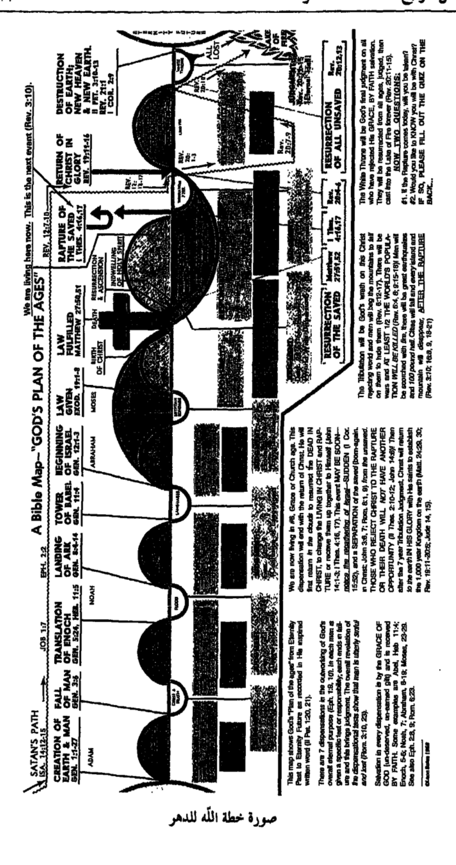
- الحدث الرئيسي الأول هو ((الرقي أو الارتقاء أو النشوة))(Rapture) حيث يظهر المسيح ((في الغيوم)) فيؤخذ المؤمنون إليه في السماء، بدءاً من الأموات ثم الأحياء. هؤلاء هم المؤمنون بالمسيح ((المخلصون)) الذين وعد المسيح بالعودة ((في الغيوم)) لكي يأخذهم ((إلى نفسه)). سيحدث هذا ((الارتقاء)) فجأة في كل أنحاء العالم فيختفي عدد كبير من الناس خاصة الأطفال دون سبب ظاهر. (الرؤيا ٣: ١٠/١٤:٢ –٣. الرسالة الأولى إلى الكورينثيين ١٥: ٥١- ٥٢. الرسالة الأولى إلى التسالونيكيين ٤: ١٦-١٧).

- الحدث الرئيسي الثاني هو ((المحنة الكبرى)) (Tribulation) وهي فترة ((سبع سنوات)) يحكم أثناءها ((المسيح الدجال)) العالم من ((الهيكل)) في القدس. في هذه الفترة تحدث آلام ومعاناة ومآسي رهيبة في العالم. (دانيال ٩:٢٧ / الرسالة الثانية إلى التسالونيكيين ٢: ٣-٤ / الرؤيا ١٣: ٤-٨ / متي ٢٤:٢١).

في نهاية فترة المحنة الكبرى يأتي المسيح ((في مجده أو جلاله)) ويقود جيوش القديسين والمؤمنين ويهزم جيوش الشيطان (جيوش الشر والمسيح الدجال) في معركة مجيدو (Armageddon) قرب حيفا.

مع انتصار جيش المسيح (قوى الخير) على جيش الشيطان (قوى الشر) تبدأ الفترة الألفية (Millennium) وهي فترة ألف عام يحكم أثناءها المسيح العالم من الهيكل في القدس حيث يجلس على عرشه، ويسود العالم السلام والعدل والسعادة.

منذ القرون المسيحية الأولى كان النبوئيون يصورون ((خطة الله للكون)) بأشكال ومخططات تختلف باختلاف المؤلف وفكره الديني والأحداث المعاصرة. ولعل أفضل صورة حديثة لخطة الله للكون هي التي صدرت عام ١٩٦٩ على شكل مخطط تفصيلي ((للعصور السبعة)) التي تتألف منها هذه الخطة. مؤلف هذه الصورة هو الواعظ ليون بيتس (Leon Bates).



صورة خطة الله للدهر

(A bible Map: God's Plan for the Ages) by: Leon Bates (1969).

وفيما يلي شرح لهذه الخطة والنصوص المرافقة لها:

خريطة الكتاب المقدس / الوجه الأول

يقول ليون بيتس مؤلف هذه الخطة التي تشمل ((خريطة الكتاب المقدس)):

((تصور هذه الخريطة خطة الله للدهر منذ الأزل حتى الأبد، كما سجلها الوحي المكتوب (بطرس ١: ٢٠-٢١))). ويضيف بيتس: ((توجد حسب التقدير الإلهي ومقاصد الله وتدبيره سبعة عصور في هذه الخطة (تدابير Dispensations). نحن نعيش الآن في العصر السادس أو عصر الكنيسة. هذا العصر سوف ينتهي عند عودة المسيح. سيعود أولاً وسط الغيوم ليبعث الموتى الذين آمنوا به، وليحول (يهدي) الأحياء إلى الإيمان به، وهم الذين سيرفعون (يُرقى بهم) إلى السماء حيث يلاقيهم المسيح ويأخذهم إليه.

يشرح الكاتب الأحداث المتوقعة حسب هذه الخطة فيقول:

(((ربما تقع هذه الحادثة في المستقبل القريب، وبصورة مفاجئة. تعود إسرائيل من الشتات (1 Cor. 15:52) (الرسالة الأولى للكورينثيين ١٥: ٥٢)، ثم يفصل بين المخلصين (المولودين من جديد في المسيح) وغير المخلصين (الذين يرفضون المسيح)).

((ثم بعد فترة سبع سنوات من ((المحنة)) سوف يعود المسيح بجلاله إلى الأرض مع قديسيه لكي ينشئ مملكة الألف سنة على الأرض)). (متى ٢٤: ٢٩-٣٠ / يوحنا ١٦:١٩:٢٠ / يهوذا: ١٤، ١٥).

((سوف تكون المحنة غضب الله على هذا العالم الذي رفض المسيح، وسوف يرجو الناس الجبال أن تسقط عليهم لتخبئهم (يوحنا ٦: ١٢-١٧).

((سوف تقع الحروب وسوف يقتل نصف سكان العالم على الأقل (يوحنا ٦:٤ /٨/٩: ١٥-١٨).

((سوف تلتهم النار الناس وستثور الزلازل ويسقط البرد الذي تزن حباته مئة أونصة. سوف تهدم المدن وتختفي كل الجزائر والجبال بعد الارتقاء (يوحنا ٣: ١٠/١٦: ٨، ٩، ١٢-١٨).

((سوف يكون عرش الله هو الحكم الوحيد على الذين رفضوا رحمته. سوف يبعثون من العصور ويحاكمون ثم يلقى بهم في بحيرة النار إلى الأبد (يوحنا ٢٠: ١١-١٥))).

خريطة الكتاب المقدس / الوجه ٢

يبين الوجه الثاني لخطة الله للكون وللدهر الاعتقاد الجازم بالتقدير الإلهي لجميع العصور منذ بدء الخليقة وحتى الأبد. كما يبين الاعتقاد بأن كل شيء قد تم تقديره بأدق التفاصيل، كل ذلك مشفوع بالنصوص النبوئية من الكتاب المقدس.

وتقسم خطة الله للدهر إلى سبعة عصور لكل منها عنوان أخذ من نص ديني. ولكل عصر من هذه العصور السبعة فرض الله واجبات ومسؤوليات يترتب على الإخفاق في تنفيذها حكم وعقوبة إلهية.

العصور التي تتصل بموضوع بحثنا هنا هي العصور من الرابع إلى السابع. فالعصران الرابع والخامس يتصلان ببعضهما ويسميان بعصري ((إسرائيل)) (التكوين: ١:١٢-٣) (Gen. 12:1-3) وينتهيان بموت المسيح.

في العصر الرابع يعطي الله ((عهداً)) لإبراهيم وهو يسمى ((بالعهد)). ثم تأتي في العصرين الرابع والخامس فترة ((العبودية المصرية)) وهي العقوبة على عدم حمل مسؤولية ((السكن في كنعان)).

وفي نهاية هذه الفترة يعطي الله ((الناموس)) لموسى، ويسمى العصر الخامس بعصر ((الناموس)).

في نهاية العصر الخامس يولد المسيح، ثم يبدأ العصر السادس الذي يسمى بعصر ((الرحمة)) أو عصر ((الكنيسة)).

العصر السادس (عصر الرحمة أو الكنيسة) يشهد موت المسيح وشتات إسرائيل ثم عودة إسرائيل من الشتات.

في هذا العصر أيضاً يحدث (الارتقاء أو النشوة) وهو ارتقاء المؤمنين بالمسيح – أمواتاً وأحياءً– إلى السماء للقاء المسيح الذي يأتي ((في غيوم)). وتشير الخطة إلى أن البشرية تعيش الآن على شفا هذه الفترة.

وفي نهاية هذا العصر تحدث ((المحنة)) وهي فترة من المآسي والمصائب والأمراض والحوادث التي تصيب الأرض ومن عليها.

مع نهاية العصر السادس وبداية العصر السابع يعود المسيح ((في مجده)) أو ((في جلاله)) إلى الأرض مع جيشه من القديسين والمؤمنين استعداداً لخوض معركة مجيدو في فلسطين قرب حيفا.

في هذا العصر تنزل مملكة المسيح الأرضية بعد انتصار المسيح على جيوش الشر ويعاد تأسيس مملكة إسرائيل.

تسمى هذه المملكة ((بالمملكة الألفية)) حيث يحكم المسيح ((على الأرض)) لمدة ألف عام، قبل أن ترتفع هذه المملكة إلى السماء.

أما الذين لم يؤمنوا بالمسيح فيلقى بهم في النار الأبدية، وتدمر الأرض والسماء لكي يخلق الله الأرض والسماوات الجديدة.

الخطة / الوجه ٢

تبين هذه الخطة المسؤوليات والفروض التي وضعها الله للناس وما يترتب من عقوبة على الإخفاق في تنفيذها. ونورد هنا من هذا الجزء من الخطة ما تنص عليه العصور الرابع إلى السابع لأنها كلها تتعلق بإسرائيل وعلاقتها مع الخالق:

العصر الرابع: الفروض: تسكن إسرائيل في أرض كنعان.

الإخفاق: سكنت إسرائيل في مصر.

العقاب: العبودية في مصر.

العصر الخامس: الفروض: الخروج والمحافظة على الناموس.

الإخفاق: نقضت إسرائيل الناموس ورفضت المسيح.

العقاب: الشتات في أنحاء العالم.

العصر السادس: (عصر الكنيسة أو الرحمة):

الفروض: الإيمان بالمسيح وقبوله والرقي إلى الروح القدس.

الإخفاق: رفض المسيح ووضع الثقة بالأعمال (وليس بالإيمان).

العقاب: المحنة الكبرى.

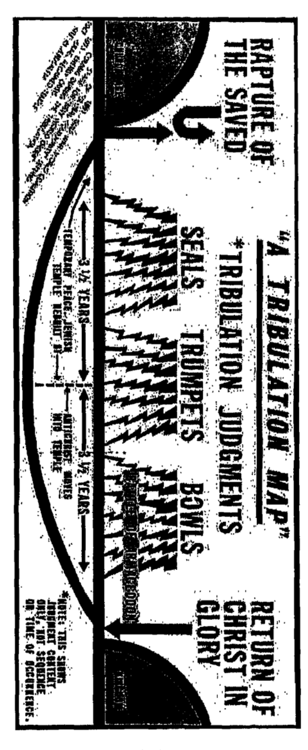
العصر السابع: (إعادة إنشاء مملكة إسرائيل):

الفروض: طاعة المسيح وعبادته.

الإخفاق: التمرد الأخير.

العقاب: الجحيم الأبدي.

ويرفق ليون بيتس مع ((خطة الله للدهر)) وثيقة أخرى بعنوان ((خريطة المحنة)) (١٩٧٤) (A Tribulation Map).



خريطة المحنة

هذه الخريطة هي وثيقة مرافقة ((لخطة الله للدهر)) بقلم الواعظ الديني اليميني ليون بيتس، وهو يرسم فيها صورة تفصيلية لأحداث نهاية الزمان منذ آخر العصر السادس (عصر الكنيسة أو الرحمة) وحتى ارتفاع حكم المسيح إلى السماء بعد الألفية على الأرض. وكل هذه الأحداث هي كما يقول بيتس ما وقع بالفعل وما زال يقع في الأراضي المقدسة الآن.

يقسم الكاتب هذه الفترة من الدهر إلى ثلاث مراحل:

المرحلة الأولى: وهي نهاية العصر السادس (أي ما قبل المحنة). تقع في هذه المرحلة حادثتان هامتان تؤذنان ببدء سلسلة من الأحداث التي تقود إلى النهاية، هما:

١- استعادت إسرائيل القدس وموقع الهيكل عام ١٩٦٧.

٢- حدثت أزمة النفط العالمية عام ١٩٧٣.

المرحلة الثانية: هي فترة المحنة وتتألف من سبعة أعوام:

- في الأعوام الثلاثة والنصف الأولى يحدث سلام مؤقت في الأراضي المقدسة، ويعاد بناء الهيكل.

- في الأعوام الثلاثة والنصف الثانية ينتقل المسيح الدجال إلى الهيكل ليحكم العالم منه مدعياً أنه المسيح الحقيقي لكن المسيح الدجال يكشف عن حقيقته. وفي نهاية فترة المحنة يعود المسيح ((في مجده أو جلاله)) مع جيش من القديسين والمؤمنين وتقع معركة مجيدو.

بعد معركة مجيدو التي ينتصر فيها جيش المسيح على جيوش الشر (أعداء إسرائيل) يعاد تأسيس مملكة الله (وتدعى مملكة المسيح أو مملكة إسرائيل) ويتربع على عرشها ليحكم العالم مدة ألف عام من السلام والعدل والمحبة، وهي المملكة الألفية الأرضية.

إلى جانب ((خريطة المحنة)) توجد صورة ملونة لحادثة ارتقاء المؤمنين من أموات وأحياء للقاء المسيح الذي يظهر في ((الغيوم)).



حادثة ارتقاء المؤمنين من أموات وأحياء للقاء المسيح الذي يظهر في ((الغيوم))

تمثل هذه الصورة جانباً من مدينة ذات أبنية حديثة شاهقة وطرقات واسعة وحقول خضراء فسيحة. كما توجد مقبرة في الطرف الأيمن من المشهد. تفاصيل هذه الصورة هي:

في أعلى وسط الصورة يظهر المسيح في هالة من نور وسط الغيوم باسطاً يديه لاستقبال المؤمنين.

- على اليسار من الصورة ترتطم طائرة بأحد الأبنية وتندلع منها النيران.
- على الطرقات تتصادم السيارات والشاحنات في مشهد مروع.
- ترتفع من الحطام ومن الحقول أجسام بشرية بيضاء رافعة أيديها باتجاه المسيح. كما ترتفع أجساد الأموات من المقبرة على يمين الصورة.

النص تحت الخريطة والصورة

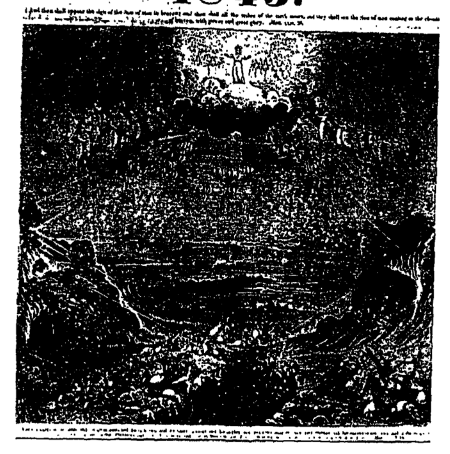
وضع ليون بيتس النص التالي تحت الخريطة والصورة موضحاً الأحداث التي ترمزان إليها وما تمثله من الوقائع التاريخية التي حدثت في الآونة الأخيرة. يقول النص:

إذا بدا لكم أن الهلع والفوضى قد عمت العالم نتيجة الاختفاء المفاجئ الغامض لملايين البشر، فهذا ما حدث بالفعل. الحادثة التي نشير إليها بعبارة الارتقاء قد وقعت بالفعل، لكنها بقيت على هذه الأرض. دعونا أولاً نفهم بوضوح ما قد حدث. بعد ذلك سوف ندرك ما سيحدث لك أثناء ((محاكمة المحنة)).

يشرح النص بعض التعابير والأحداث الواردة في الخريطة:

الارتقاء هو الحدث الأول من أحداث قيام الساعة، حيث يصعد جميع المؤمنين إلى السماء للقاء المسيح. وتعبير ((الارتقاء)) يعني أن يرفع الناس فجأة، وهو تعبير استعمل منذ القدم لتعريف حادثة وعد بها الكتاب المقدس.

فقد وعد عيسى المسيح أن يعود ((في الغيوم)) لكي يلتقي فجأة بجميع الأموات والأحياء المؤمنين به ((المخلّصين)) ويأخذهم لنفسه.

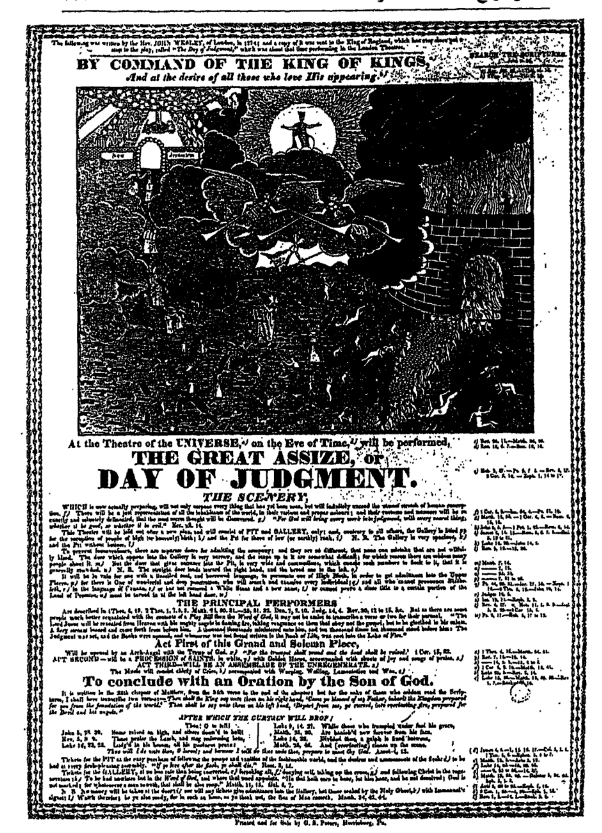


اشكال متنوعة للارتقاء ظهرت على مر السنين

وهذا ما حدث فعلاً قبل المحنة (الرؤيا: ٣:١٠) حين كتب هذا النص (كانون الثاني ١٩٧٤) أشارت الأحداث المعاصرة إلى أن عودة المسيح أصبحت وشيكة.

بعض هذه الأحداث هي:

– حزيران ١٩٦٧: حرب الأيام الستة الإسرائيلية. استعادت إسرائيل ملكية القدس وموقع الهيكل القديم، كان هذا ضرورياً قبل إعادة بناء ((هيكل المحنة)) (الرؤيا ١١: ١-٢).



BY COMMAND OF THE KING OF KINGS,

And at the desire of all those who love His appearing.

At the Theatre of the UNIVERSE, on the Eve of Time, will be performed,

THE GREAT ASSIZE, or

DAY OF JUDGMENT.

THE SCENERY,

THE PRINCIPAL PERFORMERS

Act First of this Grand and Solemn Piece,

To conclude with an Oration by the Son of God.

AFTER WHICH THE CURTAIN WILL DROP!

أشكال متنوعة للارتقاء ظهرت على مر السنين



أشكال متنوعة للارتقاء ظهرت على مر السنين

- ازدياد الأنشطة الشريرة في العالم كالمخدرات واللواطة.

- عام ١٩٧٣ أدرك الناس خطورة أزمة النفط. كما حدث ازدياد كبير في عدد السكان، والتلوث، ونفاذ الوقود والطعام...إلخ.

قد تكون هذه الأحداث إعداداً لمسرح المجاعات التي تصيب الملايين أثناء فترة محاكمة المحنة (الرؤيا ٦: ٥-٨).

ماذا سيحدث الآن؟

حسب نص الكتاب المقدس سوف يظهر ((زعيم عالمي)) ويبدو كأنه مخلّص بقية الناس. وقد يعطي تفسيراً منطقياً لفقدان الملايين من البشر، ويعيد درجة معينة من السلام إلى العالم، لكنه سلام مؤقت. وقد يلعب دوراً كبيراً في

صياغة معاهدة بين إسرائيل والشعوب العربية تتيح لإسرائيل فرصة إعادة بناء هيكل القدس.

هذه الأحداث سوف تبدأ بالفعل فترة ((محاكمة المحنة)) التي تستمر سبع سنوات.

وسوف يتربع ((الزعيم العالمي)) في الهيكل ويدعي أنه الله. ولن يتبين حتى منتصف هذه الفترة (٤٢ شهراً) أنه المسيح الدجال. (الرؤيا ١٣: ٤-٨ / تسالونيكي ٢: ٣،٤).

الأحداث التي تقع أثناء فترة المحنة الكبرى

(ونورد هنا منها فقط ما يتعلق ببحثنا).

- الإعداد لمعركة مجيدو (الرؤيا ١٦: ١٢-١٦).

الأحداث المروعة التي تتبع المحنة الكبرى

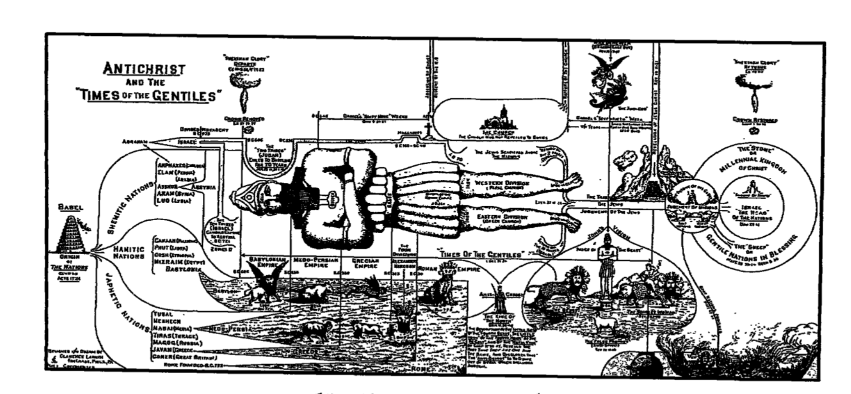
- عودة المسيح ((في جلاله)) (الرؤيا ١٩: ١١-١٦).
- نهاية معركة مجيدو (الرؤيا: ١٩: ١٧ -١٩).
- هزيمة المسيح الدجال (الزعيم العالمي) (الرؤيا ٢٠ :١٩).

ويلخص بيتس دعوته بقوله: ((إذا كان الارتقاء قد حدث، فليس لك مفر من المحنة الكبرى، لكن، ربما كان هنالك بعض الأمل، وذلك يعتمد على استجابتك لهذه الرسالة)).

((خطة الله للكون)) التي صممها ليون بيتس ونشرها ثم وضعها مع كل الشروح على الشبكة العالمية هي نموذج واحد فقط من مئات الأعمال التي يؤلفها دعاة الألفية وآخر الزمان، والتي يمكن للمرء أن يجدها في أية مكتبة عامة



صورة أخرى لخطة اللّه للدهر من القرن الثامن عشر
وقد وضعت في قارورة وألقيت في البحر لكي تبيّن لمن يجدها قرب عودة المسيح



خطة اللّٰه للدهر، كما وضعها المتنبئ المعمداني كلارنس لاركن
(١٨٥٠-١٩٢٤) ليوضح التقدير الإلهي

أو تجارية أو على الشبكة العالمية. وتدل على رواج هذه الأعمال أرقام المبيعات والتوزيع المجاني التي تتجاوز الملايين. فخطة بيتس بيع منها مليونا نسخة في السنة الأولى من نشرها، هذا عدا عن النسخ التي توزع مجاناً على الأفراد والجمعيات والكنائس. كما أن الكثير من المراكز والمؤسسات التعليمية تستعمل هذه الأعمال كوسائل إيضاح في الدورات التبشيرية والتعليمية التي تنظمها.

من الجدير بالملاحظة أن تعبير ((إسرائيل)) يسيطر على ((خطة الله للكون)) كما يقرؤها الحرفيون في العصور الأربعة الأخيرة من هذه الخطة. ومع أن هذا التعبير يؤخذ من النصوص المقدسة في سياق كتابي بمعاني متعددة تختلف باختلاف العصور إلا أن الواضح أن مؤلف هذه الخطة مثله مثل آلاف الكتاب ومصممي المواقع والمواعظ والسياسيين الأمريكيين يرون دولة إسرائيل السياسية المعاصرة في مركز هذه النبوءات وهم أيضاً يقرؤون الأحداث المعاصرة، وخاصة منها ما كان يرتبط بالأراضي المقدسة والشرق الأوسط في هذه النبوءات.

وهكذا فإسرائيل – الدولة السياسية الحديثة– هي في نظرهم امتداد للعصور السابقة في خطة الله وهي تحقيق عملي معاصر للنبوءات المقدسة. فكل ما حدث ويحدث منذ العصر الرابع وإلى نهاية الزمان له علاقة وثيقة بالخرافة الإسرائيلية الكتابية، بل إن كل ما يحدث في خطة الله للبشرية هو نتيجة لتعامل الله مع إسرائيل وتعامل إسرائيل مع الله. ما يحدث للبشرية جمعاء ما هو سوى ملحق بالعلاقة بين الله وإسرائيل – علاقات الواجبات والفروض التي فرضها الله على إسرائيل وتعامل إسرائيل مع هذه الواجبات والفروض – كما يبين جدول الواجبات والعقوبات في الخريطة.

ولا يخفى على المراقب ما حدث من تكثيف للقراءات الحرفية للنبوءات في الأوساط الدينية اليمينية المتطرفة في الغرب في القرن العشرين منذ برزت فكرة إعادة تأسيس إسرائيل في أرض الميعاد وحتى الآن.

وفي كل الحالات التي يربط فيها اليمينيون النبوءات المقدسة بإسرائيل والأحداث المعاصرة يلوحون بالكتاب المقدس ونصوصه في وجه جماهيرهم وأتباعهم مما يضفي على مواعظهم وكتاباتهم صفة القدسية في أذهان هؤلاء الأتباع ويجعلها غير قابلة للمناقشة أو الشك.

ولكي يتبين القارئ بعض التفاصيل التي يوردها هؤلاء النبوئيون في المرحلة الأخيرة من خطة الله للكون وعلاقة هذه التفاصيل الوثيقة بما يحدث وما ((سيحدث)) في المنطقة العربية نورد في ((الملحق٢)) نماذج من ((الآيات)) التي يرى فيها بعض النبوئيون علامات الساعة. ويجدر بنا أن نذكر هنا أن هذه ((الآيات)) والعلامات ترتبط دوماً بالأحداث المعاصرة للنبوئيين سواء أكانت هذه الأحداث سياسية أم اجتماعية أم دينية. ويجب أن نتنبه أيضاً إلى أمر هام يتصل بموضوع هذا البحث وهو الارتباط الوثيق الدائم بين هذه الآيات والعلامات وما حدث ويحدث في الشرق الأوسط، وبخاصة ما يتعلق بإسرائيل.

أحد هذه النماذج التي تلاقي رواجاً في أمريكا بصورة خاصة والتي ترد في أعمال وكتابات عديدة يلخصه موقع على الشبكة العالمية عنوانه ((مركز النبوءات)) (Prophecy Central / Overview).



Main Page | Customer Service | About Our Ministry | Shopping Basket



(Subscription Offer)

Magazine
Articles
Subscription
All 2001 Magazines
All 2000 Magazines
All 1999 Magazines

Bibles
All Available Bibles

Trouble Over The Temple Mount

by J. R. Church

Israel Asks UN to Control Holy Site:

War has broken out in Israel! The fighting that started on Rosh HaShanah, September 29, has erupted in a "holy war" effort to destroy Israel. At the time of this writing, hundreds are dead and thousands are injured. The battleship USS Cole was damaged by Arab terrorists. If you have kept up with the nightly news, then you are familiar with the details.

We have been expecting this Middle East powder keg to explode for several months. It seems to have started *right on schedule*. It all started on the first day of the seventh millennium in the Hebrew calendar. That is the time the prophets called the *"day of the Lord."* The current conflict may be the predicted prelude to the battle of Gog and Magog.

نموذج من المواقع على الشبكة التي تدعو إلى إعادة بناء الهيكل وتحقيق معركة مجيدو

يوضح كاتب هذا الموقع أن تعاليم المسيح فيما يتعلق بخطة الإله للكون موجودة بالتفصيل في ((الموعظة على الجبل))، وأنه حسب هذه التعاليم سيتألف المستقبل من أربعة مراحل. هذه المراحل الأربع، حسب كاتب الموقع، موجودة في سفر متى (٢٤). وهي بخطوطها العريضة كما يلي:

• **المرحلة الأولى:** وهي مرحلة بداية ((آلام الوضع)) (متى ٢٤: ٤-٨) ونحن نعيش هذه المرحلة الآن. ألم يشاهد جيلنا ولادة إسرائيل؟ لم يسبق في تاريخ البشرية أن تم جمع شعب من الشتات بعد (٢٥٠٠) سنة وأعيد إلى أرضه. لقد حدثت معجزات كثيرة منذ أن أعيد بعث إسرائيل عام ١٩٤٨ وتغلبت على كل أعدائها.

تحدث أثناء هذه المرحلة أيضاً كوارث ومجاعات وأمراض وحروب وعمليات إرهابية. يبين كاتب هذا الموقع بقناعة تامة أن قوائم هذه الأحداث كلها ترد في (متي) إضافة إلى (مرقس) (١٣) و(لوقا) (٢١).

هذه كلها ((علامات الساعة)) لأنها تبشر بمجيء المسيح وتزداد فظاعة أثناء ((المحنة الكبرى))، أي في المراحل التالية.

• **المرحلة الثانية:** (مرحلة المحنة) (متي ٢٤: ٩-١٤).

يقول كاتب الموقع أن (حسب دانيال ٩: ٢٤-٢٧) هنالك سبعون أسبوعاً من تاريخ إسرائيل يجب أن تتحقق. وكلمة أسبوع تعني حرفياً (٧) سبعة، لذلك فالأسابيع السبعون تعني عملياً (٤٩٠) عاماً.

يأخذ كاتب الموقع بقول السير روبرت أندرسون (رئيس منظمة سكوتلنديارد) في كتابه ((الأمير قادم)) (عام ١٨٩٥) أن الأسابيع الـ ٦٩ الأولى تحققت عندما ظهر المسيح ودخل القدس منتصراً. كما يستشهد الكاتب أيضاً بكتاب غرانت جيفري (معركة مجيدو: موعد مع القدر ص ٢٧-٣٠).

والأسبوع الأخير (رقم ٧٠) من تاريخ إسرائيل لم يأت بعد، لكنه يجب أن يأتي قبل انتهاء هذا العصر (الذي يسمى ((عصر الكنيسة)))، ((عصر الكنيسة)) يجب أن يتحقق بكامله بين الأسبوع ٦٩ والأسبوع ٧٠ (الرؤيا: الاصحاح ١-٤). وهذا الأسبوع هو السنوات السبع ((للمحنة)) حيث تقع الأحداث التالية:

١- يعاد بناء بابل وينتشر فيها الفساد.

٢- يعقد المسيح الدجال عهد صلح مع إسرائيل لمدة سبع سنوات (دانيال ٢) ويحدث هذا قبيل حدوث ((المحنة الكبرى)). والمحنة الكبرى تشهد حرباً بين روسيا وإسرائيل (الحرب العالمية الثالثة)، ثم ينتشر الاستبداد وارتداد الناس عن الدين، ويحكم المسيح الدجال العالم ويفقد حكم القانون.

تسمى هذه الفترة أيضاً ((وقت الأمميين)) حيث يسيطر الأمميون على القدس. والقدس حتى الآن تقع تحت سيطرة المسلمين ويقبع أقدس الأماكن فيها وهو الهيكل تحت مسجد إسلامي. الجانب المشرق في هذه المرحلة هو أن الكتاب المقدس سينشر في جميع أنحاء العالم وتقبله جميع الأمم، وسوف يحصل أيضاً التعرف على الـ (١٤٤٠٠٠) شخص من ((المختومين)) أي المخلصّين في المسيح. والأمر المثير أيضاً هو أن كل هذا سوف يتحقق بفضل معجزة الشبكة العالمية والصحون اللاقطة لبرامج التلفزيون (وهي الملائكة التي يتحدث عنها الرؤيا ١٤: ٦-٩).

• **المرحلة الثالثة:** مرحلة ((المحنة الكبرى)) (متى ٢٤: ١٥-٢٨) في منتصف الأسابيع السبعة (أي بعد ٣,٥ أسبوع) وهي فترة معاهدة السلام بين إسرائيل والمسيح الدجال. ينجس المسيح الدجال الهيكل وذلك ببناء تمثال له فيه (الرؤيا ١٣: ١٥) ويفرض على الجميع عبادته والركوع له (المسجد الأقصى؟). يحكم المسيح الدجال لمدة (٤٢) شهراً (الرؤيا الاصحاح ١١-١٤). وهي فترة تعادل (١٢٦٠) يوماً أي (٣,٥) عاماً حسب التقويم القمري.

أثناء هذه الفترة (٣,٥ عاماً) يهرب المؤمنون من سكان إسرائيل إلى الجبال، ويعتقد كثير من العلماء الكتابيين أن هذا الجبل هو جبل البترا في الأردن.

● **المرحلة الرابعة:** وهي فترة ما بعد المحنة الكبرى (متى ٢٤: ٢٩-٣١)، التي وردت أيضاً في الرؤيا (الاصحاح ١٩-٢٢). هذه الفترة هي فترة ((النهاية))، والبداية الجديدة.

يعود في هذه الفترة المسيح – ملك الملوك ورب الأرباب- ويهزم الشر في معركة مجيدو. يجتمع حوله المؤمنون المخلّصون الذين نجوا من المحنة والذين سيعمرون المملكة الألفية (الرؤيا ٢٠) وهي الألف سنة من حكم المسيح على مملكة الخير الأرضية. ثم يعلن الشيطان الثورة لآخر مرة لكن المسيح يهزمه ويلقي به في بحيرة النار.

بعد ذلك يخلق الله ((السماوات والأرض الجديدة)) حيث يعيش المؤمنون في المسيح إلى الأبد دون ألم أو مرض أو معاناة.

أوردنا هذه النماذج ذات الرواج الكبير بالتفصيل لكي نبين مدى الأهمية التي يعطيها الألفيون لما يحدث في المنطقة العربية ولإسرائيل على الأخص في ترويجهم لمعتقداتهم. وهذا هو ما يجعل نشاطاتهم خطرة جداً على العالم العربي بسبب ما يمارسونه من تأثير على سياسة أمريكا الخارجية.

كما أن هال ليندزي الواعظ الديني المتطرف الذي يؤمن بالقراءة الحرفية للكتاب المقدس لا يشك أبداً بأن الأحداث المعاصرة هي تحقيق للنبوءات بكل تفاصيلها. ففي أواخر الستينات، بعد احتلال إسرائيل للقدس القديمة كتب بحماس وسعادة: ((يا له من عصر رائع! حين يعيش المرء حياة تفاؤل وتوقع وإثارة. علينا أن نحيا حياة أناس لا يتوقعون أن يعيشوا مدة طويلة. إذا كان عمر الجيل الواحد أربعين عاماً، وإذا كان جيل غصن الزيتون (متى ٢٤: ٣٢-٣٤)

قد بدأ عند إنشاء دولة إسرائيل، فإن يسوع قد يعود عام ١٩٨٨)). (كتاب ((من وحي الرؤيا)))).

وهكذا فالنبوءات، والمستقبل بكل تفاصيله، ترتبط في فكر اليمين المسيحي بما يحدث لإسرائيل.

ولا شك أن أحداث الحادي عشر من أيلول عام ٢٠٠١ كانت الحافز الذي أطلق الكثير من التعليقات والمقولات المتعلقة بخطة الله للكون وبتحقيق النبوءات. من ذلك ما صرح به جون هاجي، الواعظ الذي يدعو إلى صهيونية مسيحية، إذ قال في موعظة بالمصلين في كنيسة في سان أنطونيو بولاية تكساس: ((لقد بدأت المعركة من أجل أمريكا، فليكن)).

والواعظ دافيد ويلكرسون من نيويورك أعلن لأتباعه في موعظة ألقاها يوم ٢٠٠١/١١/١٦: ((أكاد أسمع أصوات فرسان معركة مجيدو الأربعة)).

وفي الفترة نفسها علق مذيع رئيسي على شاشة التلفزيون ((تصوروا! لقد تعرض رمزان من رموز قوتنا للقصف في ساعة واحدة)) مشيراً بذلك إلى بدء أحداث الساعة (الرؤيا ١٠:٨).

ويقرأ المتطرفون في النبوءات دوراً رئيسياً تلعبه روسيا في أحداث النبوءات الأخيرة، فنجد اسم روسيا في مواعظ وكتب كثيرة. في هذا الموضوع قال تيم لاهاي (وهو الواعظ الذي احترف أحداث النبوءات): ((روسيا هي دون أدنى شك الأمة المذكورة في نبوءات حزقيال ٣٨ و ٣٩)) (هل سيدمر الله روسيا؟ ص٢٥٩).

وحتى قبل أحداث أيلول، تنبأ الواعظ جاك فان إمب أنه ((مع حلول عام ٢٠٠١ سوف يدخل العالم في فترة فوضى عامة لم ير الناس مثلها قط. سوف

تشهد قارة أفريقيا الحروب والملاريا والجوع يتأثر بها جميع السكان)). (في كتابه ((على عتبة النهاية))).

حتى الأحداث الطبيعية كانت علامات للمؤمنين بالنبوءات، مثل تصريح القس ريتشارد نون (في ٥/٥/٢٠٠٠) بأن الجليد سيأتي بالكارثة الأخيرة، وأشار بحماس إلى أن الكواكب تتراصف بحيث تطلق سلسلة من الأحداث تسبب انزياح قطبي الأرض. وأضاف بأن ذلك سوف يكون بمثابة معركة مجيدو الجيولوجية.

ولعل أفضل نموذج لقراءة النبوءات في الأحداث المعاصرة هو الرئيس الأمريكي السابق رونالد ريغان الذي كان يعبر دوماً بحماس يقترب من الهوس عن أمله وترقبه لوقوع معركة مجيدو أثناء حياته. ففي عام ١٩٧١ قال ريغان:

((في الفصل ٣٨ من سفر حزقيال نقرأ أن أرض إسرائيل سوف تتعرض لهجوم من جيوش الأمم غير المؤمنة. كما نقرأ أن ليبيا سوف تكون بين هذه الأمم. هل تدركون معنى هذا؟ لقد أصبحت ليبيا الآن شيوعية، وما هذا سوى آية بأن يوم موقعة مجيدو ليس ببعيد!)). ثم أضاف ريغان يتوقع وشوق لرؤية ذلك اليوم:

((لأول مرة في التاريخ يصبح كل شيء مهيئاً لمعركة مجيدو ومجيء المسيح الثاني. يقول سفر حزقيال إن النار والكبريت سوف تنهمر على أعداء الله. لا شك أن ذلك يعني أنهم سوف يدمرون بالأسلحة النووية)).

هذه الأقوال تأتي على لسان شخص أصبح بعد ذلك بقليل رئيس جمهورية أمريكا، وهو الوحيد الذي يعطي الأوامر بالضغط على أزرار القنابل النووية!! وكل من تابع الأحداث السياسية في عهد رئاسة ريغان يذكر أن الأسطول الأمريكي ضرب حصاراً على موانئ ليبيا مدعياً بأن خليج سرت ليست مياهاً

إقليمية، وأن الطائرات الأمريكية أطلقت صواريخها على الأحياء السكنية في طرابلس وأصابت المدنيين بما في ذلك أقارب الرئيس الليبي. كما أن ريغان نفسه علق عام ١٩٨٢ على الاجتياح الإسرائيلي للبنان بقوله ((ربما كانت هذه معركة مجيدو)) متذكراً ولا شك النص الكتابي التالي ((أصعد إلى لبنان وأبك)).

في هذه الأوقات الصعبة حيث تنهك المآسي والأحداث الخطيرة منطقة الشرق الأوسط، والأراضي المقدسة بصورة خاصة، تصبح القراءة الحرفية للنبوءات أكثر من موضوع أكاديمي، سيما وأن إدارة الدولة العظمى لا تتوقف عن استعمال الخطاب الكتابي في وصفها ((لقوى الخير وقوى الشر))، و ((إمبراطورية الشر)) و ((محور الشر)) وغيرها.

الفصل الخامس

الحمى الألفية

الكتب والمطبوعات

((إذا بنيت كنيسة لله، فستكون من أجل الناس، إذا كتبت التراتيل، فلكي يغنيها الناس، وإذا أصبحت تقياً، فلكي أقدم الخير للناس)).

الشاعر وولت ويتمان

تطلع دور النشر والشبكة العالمية على جمهور القراء كل يوم بعشرات العناوين لكتب ومقالات وأفلام وتسجيلات تعالج موضوع نهاية الزمان والنبوءات. معظم هذه الأعمال تحلل الأحداث المعاصرة في إطار القراءات الحرفية لنبوءات النصوص المقدسة، خاصة مع نهاية الألفية الثانية وبداية الألفية الثالثة. ونورد هنا بعض الأمثلة على عناوين ومؤلفي الكتب التي يجدها القارئ على رفوف المكتبات أو على الشبكة العالمية، والتي تعالج مواضيع النبوءات المقدسة وآخر الزمان:

- ((المعركة من أجل القدس)) (٢٠٠١) بقلم جون هاجي.
- ((هيكل الأيام الأخيرة القادمة)) (١٩٩١) بقلم راندل برايس.
- ((خمس وعشرون آية في إسرائيل اليوم)) (٢٠٠١) بقلم نوح هاتشنغز وفيلم بالعنوان نفسه.

- ((القدس في النبوءات: خشبة المسرح الإلهية للمسرحية الأخيرة)) (١٩٩٨) بقلم راندل برايس.

- ((إسرائيل والإسلام ومعركة مجيدو)) (٢٠٠٢) بقلم دافيد هنت (فيديو).

- ((الحرب غير المقدسة: أمريكا وإسرائيل والإسلام المتطرف)) (٢٠٠٢) بقلم راندل برايس.

- ((الحرب الأخيرة: إخفاق عملية السلام والمعركة القادمة من أجل القدس)) (٢٠٠١) بقلم دافيد آلن لويس و جيم فليتشر.

- ((إسرائيل: النعمة أم النقمة)) (٢٠٠١) بقلم جون ماكتيرنان وبيل كونيغ.

- ((غيوم عاصفة في الأفق: النبوءات الكتابية وأزمة الشرق الأوسط الراهنة)) (٢٠٠١) المحرر: تشارلز هاجي.

- ((هيكل الأيام الأخيرة القادم)) (١٩٩٩) بقلم راندل برايس.

- ((خمس وعشرون آية في إسرائيل اليوم)) (٢٠٠١) فيلم فيديو.

- ((خمس وعشرون آية في إسرائيل اليوم)) (١٩٩٩) بقلم نوح هاتشنغز.

- ((القدس في النبوءات: خشبة المسرح الإلهية للمسرحية الأخيرة)) (١٩٩٨) بقلم راندل برايس.

- ((لغز بابل صدام)) (١٩٩٨) بقلم آرنو فروسي.

- ((إسرائيل: الأرض والشعب: إثبات كتابي لوعود الله)) (١٩٩٨) المحرر: هـ. وين هاوس.

- ((هيكل المسيح القادم: رؤيا حزقيال عن هيكل المستقبل)) (١٩٩٧).

- ((وحش الشرق)) (١٩٩٢) بقلم آلفيم شيفليت.

- ((البترا اليوم)) (١٩٩٨) بقلم نوح هاتشينغز.

- ((البترا في التاريخ والنبوءات)) (١٩٩١) بقلم نوح هاتشينغر.

- ((ثمن إسرائيل: في ظل معركة مجيدو)) (١٩٩٧) بقلم مونا جوهانيان.

- ((آخر العمالقة: رفع الستار عن الإسلام ونهاية الزمان)) (١٩٩١) بقلم جورج أوتيس.

- ((الله يتدخل في الشرق الأوسط)) (١٩٩٢) بقلم ماريون كريمرز.

- ((الحرب ضد الإرهاب: الكشف عن النبوءات الكتابية)) (٢٠٠٢) بقلم غرانت جيفري.

- ((نبوءات الظلام القادم: فيلم وثائقي)) (٢٠٠١) بقلم دانيال بوهلر.

- ((الهجوم على أمريكا: نيويورك والقدس ودور الإرهاب في الأيام الأخيرة)) (٢٠٠١) بقلم جون هاجي.

- ((مراجعة نبوئية لعام ٢٠٠١)) (٢٠٠٢) بقلم هال ليندزي.

- ((ما هو موقع أمريكا في النبوءات)) بقلم هال ليندزي.

- ((أمريكا عند تقاطع الطرق: الفناء أو الحياة)) (٢٠٠١) بقلم هال ليندزي.

- ((الإرهاب ضد أمريكا: إدراك المأساة)) (٢٠٠١) بقلم آرنو فروسي.

- ((أمريكا في النبوءات)) (٢٠٠٠) بقلم نوح هاتشينغر.

- ((في نظر النبي)) (٢٠٠٠) بقلم مارشال بيست.

- ((نوستروداموس: الهجوم على نيويورك ونبوءات مدهشة أخرى)) (٢٠٠١) بقلم راي كومبورت (فيلم فيديو).

- ((لماذا نتعرض للمحن؟)) (٢٠٠١) بقلم هال ليندزي.

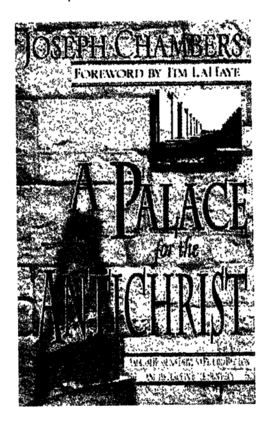
- ((إنذار الله الأخير لأمريكا)) (١٩٩٦، ١٩٩٨) بقلم جون ماكتيرنان.

- ((العد التنازلي لمعركة مجيدو)) (١٩٩٩) بقلم بول ماغواير.

- ((إسرائيل عند مفترق الطرق)) (١٩٩٨) بقلم دافيد دولان.

- ((أمريكا وإسرائيل والإسلام المتطرف)) (٢٠٠٢) بقلم راندل برايس.

أحد هذه الكتب التي حاولت استباق نهاية الألفية الثانية في تفسيرها للنبوءات هو كتاب ((قصر من أجل المسيح الدجال: حملة صدام حسين لإعادة بناء بابل ومكانتها في نبوءات الكتاب المقدس)) (١٩٩٦) بقلم جوزف تشامبرز.



حملة صدام حسين لإعادة بناء بابل، ومكانتها في النبوءات المقدسة

يظهر على غلاف الكتاب ما يبدو أنه جدار قصر بابل، وقد كتبت تحته عبارة: ((بابل واقتراب معركة مجيدو)). ويقدم للكتاب الواعظ المتخصص بالنبوءات تيم لاهاي.

يربط الكتاب بين الأحداث السياسية المعاصرة وبين نبوءات النصوص المقدسة. كما يركز على دور الرئيس العراقي وحرب الخليج في نبوءة إعادة بناء بابل التي تمهد لقدوم المسيح الدجال ومعركة مجيدو.

وقد كتب أحد القراء رأيه بالكتاب على صفحة الموقع على الشبكة العالمية قائلاً: ((مع أن الكتاب لا يغطي معلومات دقيقة مفيدة عن الأحداث التي ستقع قبل وأثناء وبعد بناء بابل، فهو يقدم للقارئ معلومات مفيدة جداً عن النبوءات الكتابية. ولقد وجدت فيه معيناً من الذهب والجواهر، إذ قيض الله لي أن أتمتع ببركاته أثناء قراءة الكتاب)).

كان هال ليندزي من أوائل محترفي تجارة آخر الزمان والمروجين لها، وما زال حتى الآن أكثرهم نشاطاً. ومن أحسن الأمثلة على ما تذهب إليه هذه الأعمال كتابه الشهير ((كوكب الأرض المنقرض العظيم)) (١٩٧٠).

(The Late Great Planet Earth), 1970.

تظهر في أسفل الغلاف عبارة: ((نظرة متعمقة في النبوءات الخارقة التي ترتبط بالجيل الحالي)). يرى ليندزي في الأحداث المعاصرة، خاصة منذ تأسيس دولة إسرائيل علامات هامة على اقتراب الساعة. وهو يقول إن تأسيس دولة إسرائيل عام ١٩٤٨ و ((استعادة)) مدينة القدس عام ١٩٦٧ هما من هذه العلامات. ثم هو يقرأ في الأحداث السياسية الأخرى مثل دعم الاتحاد السوفيتي للعرب تحقيقاً لهجوم تقوم به ((دول الشمال)) على إسرائيل ووقوع معركة مجيدو التي تمهد لنزول مملكة الله الألفية على الأرض. ولا يخفى على القارئ ارتباط كل هذه التعابير بالنصوص النبوئية المقدسة. كما رأى ليندزي في تصاعد قوة إيران والعراق في السبعينات والثمانينات علامات على إعادة بناء بابل وقرب هجوم جيش من الشرق على إسرائيل.

صدر هذا الكتاب عام ١٩٧٠، عقب سقوط القدس الشرقية بيد الإسرائيليين، وكانت مبيعاته مذهلة، وتربع قائمة أكثر الكتب رواجاً في العام نفسه. بيع من هذا الكتاب ٣٥ مليون نسخة في بضع سنوات وترجم إلى ٥٠ لغة، كما أنتج عنه فيلم مثير عام ١٩٧٨ ظهر فيه الممثل والمخرج الشهير أورسن ويلز.

والكاتب هال ليندزي ما زال حتى الآن يظهر دوماً على برامج تلفزيونية منتظمة يتحدث عن علامات الساعة والأحداث المعاصرة، وبالإضافة إلى كتابه المذكور، ألف ليندزي العديد من الكتب وألقى مئات المحاضرات والمواعظ عن هذا الموضوع. من كتبه التي لاقت رواجاً كبيراً:

١- ((الشيطان حي ونشيط في كوكب الأرض)) (١٩٨٠).

٢- ((ثمة عالم جديد قادم)) (١٩٧٣).

٣- ((تحرير كوكب الأرض)) (١٩٧٤).

٤- ((الجيل الأخير)) (١٩٧٦).

٥- ((العد التنازلي نحو معركة مجيدو)) (١٩٨٠).

٦- ((العقيدة المحاربة)) (١٩٨٦).

٧- ((الطريق إلى المحرقة)) (١٩٨٦).

٨- ((المعركة الأخيرة)) (١٩٩٥).

٩- ((شيفرة نهاية العالم)) (١٩٩٧).

١٠- ((كوكب الأرض: الفصل الأخير)) (١٩٩٨).

يلاحظ من يقرأ هذه الكتب ويستمع إلى ليندزي إصراره على وضع إسرائيل في مركز الحركة نحو نهاية الزمان وتفسير الأحداث السياسية والاجتماعية في ضوء النبوءات الكتابية. وهو يقول: ((مع بدء معركة مجيدو في غزو الروس

والعرب لإسرائيل ثم تدمير الغزاة تدميراً تاماً سريعاً ستبدأ فترة هداية اليهود العظمى إلى قبول المسيح الحق)).

ومثال آخر من هذه الكتب هو ((هيكل الأيام الأخيرة القادم)) (١٩٩٩) بقلم راندل برايس. (The Coming Last Days Temple, Randall Price) (1999).



يقول الكاتب: ((الآن في إسرائيل تجري الاستعدادات لبناء الهيكل الجديد. ويتم إعداد كل شيء، من وضع التصميم الأولي إلى تفاصيل الأثاث إلى تدريب وإعداد الكهنوت الجديد، من أجل تحقيق النبوءة وإنجاز ما يمكن وصفه بأنه أكثر مشاريع البناء تميزاً في هذا الزمان)).

وفي الكتاب يصف المؤلف بتفاصيل مغرقة التطورات الأخيرة في عالم السياسة والأحداث في المنطقة وكيف تتفق هذه الأحداث مع نبوءات الكتاب المقدس المتعلقة بالهيكل. كما يزين صفحات الكتاب التي تبلغ ٧٣٢ صفحة بالنصوص المقدسة وفهارس للموضوعات.

الواضح من عناوين هذه الأعمال ومحتوياتها أنها تضع إسرائيل والقدس والهيكل في بؤرة النبوءات الكتابية واقتراب نهاية الزمان. كما أن قراءة هذه الأعمال تبين الجهود التي يبذلها مؤلفوها لتطبيق حرفية النبوءات على تفاصيل الأحداث السياسية والاقتصادية والاجتماعية المعاصرة. والملاحظ أيضاً أن مؤلفي هذه الأعمال من محترفي النبوءات يروجون بصورة محمومة لفكرة اقتراب نهاية الزمان ويدعون «المؤمنين» للإعداد لها بل للمشاركة في تحقيقها. فالشخص المؤمن بالمسيح، في نظرهم، هو الذي سيلتحق به وبمملكته الألفية.

والجدير بالذكر أيضاً أن ثمة مئات من الوعاظ والدعاة المسيحيين المتطرفين الذين يشاركون بصورة مستمرة في أنشطة «نهاية الزمان» والحمى الألفية سواء أكان ذلك في كتاباتهم أم في مواعظهم أم ظهورهم الدائم على شاشات التلفزيون وهم يدعون المؤمنين للإعداد للأحداث العظيمة المرتقبة لكن الأهم من ذلك هو اشتراك هؤلاء الدعاة بأمور تتعلق بصميم بحثنا وهي:

١- ربط النبوءات حرفياً وتفصيلياً بما يجري من أحداث عالمية، وبصورة خاصة ما يجري في المنطقة العربية.

٢- وضع إسرائيل الدولة السياسية في بؤرة هذه الأحداث، على أنها موضوع النبوءات الرئيسي، والدعوة إلى دعم هذه الدولة سياسياً ومادياً وعسكرياً لأن ذلك من علامات الساعة.

٣- العداء الرهيب الذي يكنه هؤلاء الدعاة للإسلام والمسلمين، بل دعوتهم إلى إبادة الإسلام كشرط من شروط تحقيق النبوءات.

٤- وأخيراً اشتراك هؤلاء الدعاة بالنشاط التبشيري المحموم وخاصة في العالم الإسلامي لأن ذلك أيضاً يعجل بتحقيق هذه النبوءات.

تبين الإحصاءات التي تصدرها دور النشر والجهات الأكاديمية أن مبيعات هذه الكتب تبلغ الملايين من النسخ، خاصة في العقود الأربعة الأخيرة، بعد تأسيس دولة إسرائيل وسقوط القدس ونهاية الألفية الثانية. كما أن الشبكة العالمية قد ساعدت كثيراً على الترويج لهذه الكتب نتيجة سهولة الإطلاع عليها وعلى محتوياتها. ولا أدل على رواج هذا النوع من الكتب من القوائم الكبيرة الواردة على الشبكة العالمية. فالمطالع لهذه الشبكة يجد مثلاً في موقع واحد هو «كتب معركة مجيدو» أكثر من ثلاثين صفحة من هذه القوائم تشمل ما يقارب الألف عنوان. كما يجد المرء وضعاً شبيهاً بذلك عند زيارته للمكتبات العامة والتجارية.

وتجدر الملاحظة هنا أيضاً أن سيل هذه الكتب لم ينقطع أبداً، بل تدل تواريخ صدورها على حركة محمومة من التأليف والنشر في هذا الموضوع، وما زالت هذه الحركة مستمرة حتى الآن.

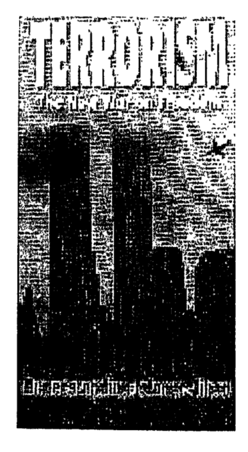
إن أعداد نسخ هذه الكتب المباعة هي إعداد مذهلة وتدل على رواج وشعبية كبيرتين. هذه الشعبية توضح ما لهذا التفكير النبوئي من تأثير على جمهور القراء ومشاهدين التلفزيون وزوار الشبكة العالمية، سيما وأن المكتبات العامة في أمريكا إضافة إلى مكتبات المدارس والجامعات تقتني مثل هذه الكتب بصورة مستمرة. وهذا بالطبع يتيح لأكثر من قارئ واحد الاطلاع على النسخة الواحدة. وفي بحث أجريته على مقتنيات المكتبات العامة في منطقة واحدة من أمريكا وجدت ما يشبه الإجماع على اقتنائها فور صدورها.

إن أحداث الهجوم على المركز التجاري في نيويورك وقيادة الأركان الأمريكية قرب واشنطن العاصمة أعطت محترفي تجارة آخر الزمان مادة كبيرة لكتاباتهم ومواعظهم. وأكثر ما يلفت النظر في هذه الأعمال هو ظهور ميل واضح إلى تحديد مكانة أمريكا في المسرحية الكونية وخاصة في أحداث

وعلامات الساعة. كما وفرت هذه الأحداث للمسيحيين المتطرفين فرصة وضع الإسلام والمسلمين في صف الشيطان وأمريكا وإسرائيل في جيش المسيح في مجابهات أحداث الساعة الأخيرة.

وتبين النماذج التالية من الكتب ما ذهب إليه مؤلفو كتب نهاية الزمان في هذا المضمار.

- ((الإرهاب: الحرب الجديدة على الحرية وفهم الجهاد الإسلامي)) (فيلم فيديو).



تظهر على الغلاف عبارة ((الإرهاب)) بشكل بارز يصيب مشاهده بالرعب نتيجة الهجوم الأخير على أمريكا، ثم يربط العنوان بين مفهومين أصبح لهما رواج كبير في أمريكا هما:

١- **الحرب على الحرية**: إذ أن الهجوم على أمريكا يصور على أنه هجوم على مبادئ الحرية والديمقراطية، ولا حاجة للتذكير بعدد المرات التي وردت بها هذه العبارة على لسان مسؤولين وقادة أمريكيين.

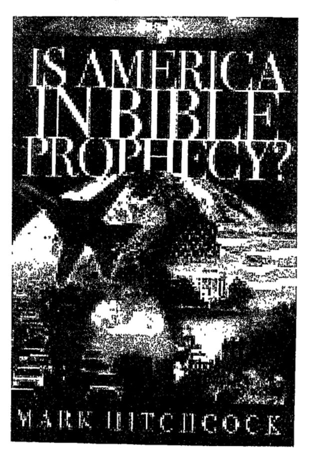
٢- **الإرهاب والجهاد الإسلامي**: ثم إن العنوان يضع مفهوم الإرهاب ومفهوم الجهاد الإسلامي في مجابهة واضحة مع الحرية والديمقراطية.

وهكذا فالانطباع الأول الذي يأخذه المشاهد من الغلاف هو انطباع سلبي عن الإسلام والمسلمين لأنهم أصحاب معتقد الجهاد. والإسلام في هذا الانطباع هو الذي يشن الحرب على أمريكا.

وتكتمل الصورة لدى المشاهد وتأخذ أبعاداً أخرى عندما ينتهي من مشاهدة الفيلم. فالكاتب يأخذ بيد المشاهد من ((موقع الصفر)) (موقع برجي مركز التجارة العالمي) في نيويورك حيث وقع الهجوم الإرهابي الذي هز أمريكا كلها، إلى ((جبال السودان)) في إفريقيا حيث ((تستمر عملية ذبح الملايين بالنشاطات الإرهابية التي تمارسها الحكومة الإسلامية)). وبذلك يضيف الفيديو إلى تفكير الأمريكي عنصر ((الإرهاب الإسلامي في السودان ضد المسيحيين الجنوبيين)) إلى صورة الهجوم الإرهابي على أمريكا. يرتبط هذا الفيلم بالكثير من الأفلام والكتب والتصريحات التي تنشر بواسطتها أخبار ((نشاط المبشرين الأمريكيين في جنوب السودان)) والعنف الذي يتعرضون له من ((قبل الحكومة الإسلامية هناك)). ففي يوم واحد شاهدت على شاشات التلفزيون في أمريكا كلاً من الزعماء الدينيين جيري فالويل وفرانكلن غراهام وبات روبرتسون وغيرهم يشحنون العواطف حيال ((الملايين من المسيحيين الذين تقتلهم الحكومة السودانية أو تستعبدهم)). كل هذا يحدث فيما يبدو أنه تنسيق إعلامي بين هؤلاء الوعاظ. ولا شك أن هذا الفيديو يدخل في إطار هذه البيئة الإعلامية والفكرية في أمريكا.

يجد القارئ في الكتب التي صدرت في الآونة الأخيرة محاولات مستمرة لرسم معادلة أمريكا وإسرائيل في طرف بينما الإسلام والإرهاب في الطرف الآخر، كل ذلك ضمن اعتقاد جازم بالإطار النبوئي لتلك المعادلة. مثال على ذلك كتاب بعنوان:

((هل لأمريكا مكان في نبوءات الكتاب المقدس؟)) (٢٠٠٢) بقلم مارك هيتشكوك. حيث يتحدث الكاتب عن أكثر القضايا الساخنة في الوقت الحالي ويربط بين أمريكا وهذه القضايا، آخذاً بيد القارئ في جولة قدرية تتبنى الفكرة التي طالما تغنى بها الأمريكيون وهي وجود أمريكا منذ بداية الخليقة كوسيلة من وسائل الخالق لتنفيذ مهمة مقدسة رئيسية في المسرحية الكونية.



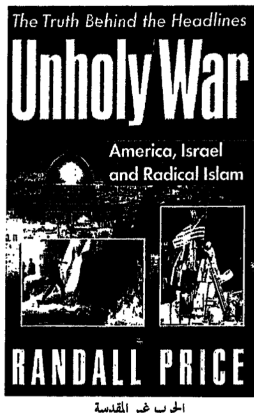
هل لأمريكا مكان في نبوءات الكتاب المقدس؟

وكذلك يفعل غرانت جيفري مؤلف كتاب ((الحرب ضد الإرهاب: كشف النقاب عن النبوءات المقدسة)) (٢٠٠٢). جيفري، الذي تباع ملايين النسخ من مؤلفاته، يبحث في ((حوافز وأهداف الإرهابيين الإسلاميين في شن الحرب على أمريكا والغرب)) فيجد أن كراهية الإسلام لأمريكا مرتبط ارتباطا وثيقاً بكراهيتهم لإسرائيل، وأن أهداف روسيا من تحالفها مع العرب ضد إسرائيل هي ما تنبأ به الكتاب المقدس. ويرى الكاتب أن الحرب التي أعلنها الغرب على الإرهاب والعراق هي في الواقع ما تنبأ به سفر أرمياء منذ (٢٥٠٠) سنة. من النبوءات أيضاً يستخلص جيفري أن هذا الحلف الشرير ضد أمريكا وإسرائيل هو أيضاً وسيلة يستعملها الله لحدوث معركة مجيدو ونزول مملكة المسيح الألفية.

وفيما يلي نورد ملخصاً لمواضيع بعض هذه الكتب والإصدارات نبين فيه اشتراكها في حملة لتهيئته جمهور القراء الأمريكيين لقبول سياسة تدخل أمريكي في شؤون المنطقة العربية لأنها تتفق مع إرادة الله وخطته.

((نبوءات الظلام القادم: فيلم وثائقي)). هذا الفيلم ((الوثائقي)) يؤكد وجود أمريكا في نبوءات الكتاب المقدس ويوضح دورها في تحقيق هذه النبوءات. كما يحث الفيلم الأمريكيين، على مراقبة الأحداث والعلامات القادمة من إسرائيل لأنهم بذلك سوف يعرفون كيف سينفذون الدور الذي خصهم به الله عندما تحين فترة المحنة الكبرى.

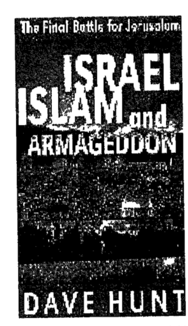
((الحرب غير المقدسة: أمريكا وإسرائيل والإسلام المتطرف)) (٢٠٠٢) راندل برايس، مؤلف محترف بعلامات آخر الزمان، يوضح في هذا الكتاب مقاصد الله في جلب الإرهاب إلى عقر دار أمريكا. ويشرح برايس في هذا السياق العقيدة التدبيرية في خطة الله للكون التي تقع إسرائيل وأمريكا في مركزها.

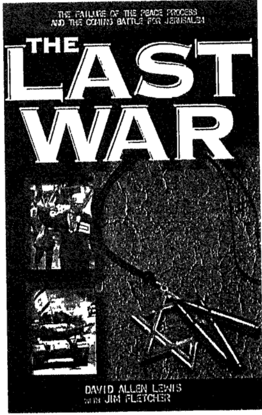


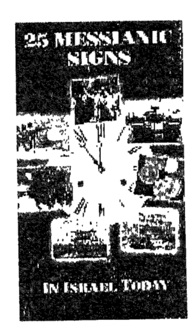
الحرب غير المقدسة

((الهجوم على أمريكا: نيويورك والقدس ودور الإرهاب في الأيام - الأخيرة)) (٢٠٠١) جون هاجي يبحث في هذا الكتاب بمقاصد الله في إصابة أمريكا بالهلع والجهود المبذولة لإعادة بناء الهيكل.









نماذج من الكتب المطبوعة

JOHN HAGEE

THE BATTLE FOR JERUSALEM

- WHY THE ARAB-ISRAELI CONFLICT?
- HOW DOES IT THREATEN AMERICA?
- WHAT DOES BIBLE PROPHECY REVEAL?
- WILL THERE BE PEACE?



نماذج من الكتب المطبوعة

((نظرة نبوئية إلى عام ٢٠٠١)) (٢٠٠٢) وضع هال ليندزي خلاصة أفكاره النبوئية التي بدأت بكتاب ((كوكب الأرض العظيم المنقرض)) (١٩٧٠) وحتى أيلول (٢٠٠١) على قرص مرن ليسهل على الجمهور مطالعته على شاشة الكمبيوتر. ويشرح ليندزي في هذا العمل ((القفزة النوعية)) التي حققتها النبوءات في عام ٢٠٠٢ خاصة بعد هجوم أيلول ٢٠٠١. ويؤكد ليندزي مقاصد الخالق بالحفاظ على أمريكا لأنها الوسيلة التي ستقضي على ((الأصولية الإسلامية)) وتجعل من إسرائيل النقطة المركزية في العالم كله.

((المملكة الخفية: الولايات المتحدة في النبوءات الكتابية ومعنى ١١ أيلول)) (٢٠٠٢). يوضح المؤلف تشارلز نيكولا في هذا الكتاب أن أمريكا ما زالت في وسط الأحداث النبوئية منذ أن أعطى الله عهده لإبراهيم وورثته وللأجيال المتعاقبة من نسله. والمملكة الخفية التي ذكرت في الكتاب المقدس هي في نظر المؤلف أمريكا التي تعمل في خطة الله للكون منذ الأول.

((نوستروداموس: الهجوم على نيويورك)) (٢٠٠١) بقلم راي كومفورت الذي يجيب على بعض الأسئلة النبوئية مثل:

- هل تنبأ نوستروداموس بالهجوم على نيويورك؟
- هل تنبأ نوستروداموس باغتيال جون كنيدي؟
- هل ذكر نوستروداموس أمريكا بالاسم؟

يخلص القارئ من هذه الكتب والأفلام والكثير غيرها إلى القناعة بالعلاقة الأكيدة بين أمريكا ومقاصد الله، وبدور أمريكا في تحقيق النبوءات وفي المساعدة على إعادة بناء الهيكل في القدس بأية طريقة لأن ذلك شرط لمجيء المسيح والمملكة الألفية. وتؤكد هذه الأعمال اليقين لدى المسيحيين المتطرفين في

أمريكا بأهمية دورهم في الحرب بين الخير والشر. وبالطبع يؤكد المؤلفون أن الإسلام هو جيش الشر وأن القضاء عليه هو مهمة مقدسة وشرط لدخول مملكة الله. وبهذا تساهم هذه المطبوعات في الحملة التي يشترك فيها الدعاة من الصهاينة المسيحيين والمبشرين وبعض السياسيين اليمينيين لدعم إسرائيل بأي ثمن.

الفصل السادس

الحمى الألفية

الشبكة العالمية والنبوءات

((إن المجيء الثاني للمسيح إلى القدس في نهاية الزمان يمكن أن يحدث مع حلول عام ٢٠٠٧)).

موقع ((لهاية العالم والمجيء الثاني))

أصبح لوسائل الإعلام على مختلف أنواعها من محطات إذاعية وتلفزيونية ومن مواد مطبوعة منذ عدة عقود أثر كبير في دعم نشاطات اليمين المسيحي ودعاته وقادته الدينيين. وقد أفاد من هذه الوسائل بصورة خاصة جماعات ((الساعة الأخيرة)) والنبوئيون وتجار المملكة الأرضية. وجاءت الشبكة العالمية (الإنترنت) فوفرت لجميع هذه الفئات وسيلة ساعدت على نشر أفكارهم على مستوى عالمي وبسرعة مذهلة كما عملت على بعض التوحيد في مواقفهم وآرائهم النبوئية. وقد بدأ أساتذة الفكر الديني والمؤرخون له في أمريكا بإدراك قوة هذه الوسيلة الجديدة وأثرها في الثقافة الدينية الجماهيرية. فمثلاً قال أستاذ الإعلام ووسائل الاتصالات في جامعة جنوب كاليفورنيا الدكتور ستيفن أوليري بأن الوسائل الإذاعية والشبكة العالمية قد أحدثت تغييرا جذرياً في الوضع الثقافي والاجتماعي لخطاب نهاية الزمان. حدث ذلك أولاً بزيادة هائلة لكمية

المعلومات وأنواعها التي أصبحت متوفرة للألفيين لبناء عروضهم الألفية. وثانياً: عملت هذه الوسائل على إضفاء مقاييس موحدة مشتركة للزمن والساعة الألفيين وتعويد الجماهير على قياس الدهر بوحدات أصغر فأصغر مبنية على رؤى مروجي هذه الأفكار لخطة الله للكون. وأخيراً جعلت هذه الوسائل من الممكن تشكيل جماعات جديدة توحدها الاهتمامات الألفية وليس الجغرافيا فقط.

فإذا أخذنا مثالاً واحداً من الأحداث التي يفترض أن ترافق وقائع نهاية الزمان وهو ((الحروب وشائعات الحروب)). لما كان من الطبيعة البشرية أن تكون هنالك نزاعات وحروب في مكان ما من العالم في أي وقت كان، فإن الوجود الجديد لكاميرات المحطات الإعلامية العالمية توفر للجماهير التي تستخدم الشبكة العالمية صوراً حية مثيرة. يمكننا إذن أن نتصور الاستخدام الذكي بل والخبيث لهذه الأحداث من قبل مروجي الأفكار الألفية الذين يقولون إن من علامات الساعة ((الحروب وشائعات الحروب)). فما بالك إذا حدث انفجار في سوق تجاري في تل أبيب بإسرائيل، وكان هؤلاء المروجون قد وضعوا في مقدمة هذه العلامات النزاع المتوقع بين ((قوى الشر)) من جهة و ((قوى الخير (إسرائيل))) من جهة أخرى. وماذا لو كانت القدس والهيكل (الذي يجثم فوقه بناء إسلامي دخيل) في مركز صراع بين هذه القوى لأكثر من نصف قرن، وعلى عتبة ألفية جديدة؟ سنرى فيما يلي كيف يكتمل هذا الخطاب الديني الألفي في جوقة كبيرة من المواقع على الشبكة العالمية التي تستمر يومياً في غزو أذهان ومشاعر الملايين من زوارها.

أضافت هذه المواقع أيضاً إلى حدة الحمى الألفية بما تنشره من أخبار وأحداث وتوقعات مثيرة ومستمرة، قال عنها أحد المتخصصين ((إن الشبكة العالمية تردد طبولها اهتزازات النبوءات الألفية وصداها))[1]. فقد استطاع

الألفيون استخدام الشبكة استخداماً ناجحاً، وراحوا يخيفون الجمهور بقرب تحقيق نبوءة نهاية الزمان ويحثونهم على الاستعداد للمحنة الكبرى. فمن هذه المواقع ما ينشر مقاييس لدرجة اقتراب المحنة بناء على الأحداث المعاصرة – السياسية منها والاجتماعية. فهنالك موقع ((ميزان الارتقاء)) (Rapture Index) وموقع ((ميزان يأجوج)) (Gog Index) وموقع ((على عتبة منتصف الليل)) (Nearing Midnight) وموقع ((نبوءات الكتاب المقدس)) (Bible Prophecy) والكثير غيرها.



1	False Christs	4+1	18	Ecumenism	5	35	Date Settings	3
2	Occult	3	19	Globalism	5	36	Volcanoes	5
3	Satanism	2	20	Tribulation Temple	5	37	Earthquakes	4
4	Unemployment	5	21	Anti-Semitism	5	38	Wild Weather	5
5	Inflation	2	22	Israel	5	39	Civil Rights	5
6	Interest Rates	1	23	Gog (Russia)	3	40	Famine	5
7	The Economy	5	24	Persia (Iran)	4	41	Drought	5
8	Oil Supply/Price	2-1	25	The False Prophet	3	42	Plagues	5
9	Debt and Trade	5	26	Nuclear Nations	5	43	Climate	5
10	Financial unrest	5	27	Global Turmoil	5	44	Food Supply	3
11	Leadership	5	28	Arms Proliferation	5	45	Floods	5
12	Drug abuse	2	29	Liberalism	3			
13	Apostasy	5	30	The Peace Process	1		Rapture Index	178
14	Supernatural	2	31	Kings of the East	4		Net Change	unch
15	Moral Standards	5	32	Mark of the Beast	5			
16	Anti-Christian	4	33	Beast Government	5		Updated:	15 Oct 0
17	Crime Rate	3	34	The Antichrist	3			

1997 High 168 1998 High 174 1999 High 176 2000 High 172 2001 High 179
1997 Low 137 1998 Low 152 1999 Low 164 2000 Low 158 2001 Low 160

Record High 179 Record Low 57
24 Sept 01 12 Dec 93

موقع ((ميزان يأجوج)) الذي يصدر بصورة دورية ويعطي ((درجة حرارة))

اقتراب الساعة حسب معايير ومؤشرات معينة

وكثيراً ما تلجأ هذه المواقع إلى استعمال الأساليب الفنية من صور مرعبة وأشكال متحركة وملونة تلويناً مخيفاً في تصوير أحداث نهاية الزمان لكي تنذر المؤمنين بالإسراع للإعداد لها، مثل صورة ((الارتقاء)) الفوتوغرافية التي تبين الأحداث التي ترافق ((رفع)) المؤمنين لملاقاة ((المسيح في الغيوم)).



صورة الارتقاء كما ترد على مواقع الشبكة

ويجدر الذكر هنا أن هذه المواقع – إضافة إلى سيناريوهات آخر الزمان التي تقدمها- تشكل مجتمعة شبكة من آلاف المراجع التي تعرضها على الجمهور ليطلع عليها بنقرة واحدة على مفتاح جهازه. فكل واحد من هذه المواقع يروج لمئات المنتجات من كتب ومقالات وأشرطة فيديو وبرامج كمبيوتر والكثير غيرها إما للبيع الإلكتروني عبر الشبكة أو للطلب بريدياً. وفي مقابل ذلك يحصل أصحاب هذه المواقع على ثروة مادية هائلة إضافة إلى قوائم من العناوين لها قيمة كبيرة للترويج البريدي والإلكتروني للمنتجات والأفكار والمعتقدات الألفية.

نظرة واحدة إلى مواقع ((مصادر الكتاب المقدس)) (Bible Resources) و ((نبوءات الكتاب المقدس)) (Bible Prophecy) و ((مركز النبوءات)) (Prophecy Center) تبين للمتجول على الشبكة الأعداد الكبيرة التي تزوده بها من الموارد والمصادر عن موضوع الألفية ونهاية الزمان. ففي الموقع الأخير مثلاً نجد نموذجاً من أربع صفحات مكتظة بقوائم لمواقع أخرى ولمحتوياتها، إضافة إلى صفحات كثيرة من الوراقة الشاملة الحديثة لهذا الموضوع. لقد أحدثت الشبكة العالمية تغييراً كبيراً في طبيعة أساليب البحث ومناهجه التقليدية في كل العلوم ومنها هذا الحقل الجديد مما يمكن أن نصفه ((بعلم الألفية الدينية))، وأصبح بإمكان المرء أن يطلع على مواد لا حصر لها في هذا الموضوع.

كما يسرد الكثير من المواقع سرداً ((دقيقاً)) أحداث نهاية الزمان والنبوءات بتفصيل يكاد يكون مسلياً لولا ما يحمله من إرهاب وآلام. مثال ذلك ما نجده على مواقع ((مصادر الكتاب المقدس)) و((نبوءات الكتاب المقدس)) و ((مركز النبوءات)). فهي تعطينا مثلاً ما نسميه ((عرضاً شاملاً)) لأحداث النبوءات وخطة الله للكون، ومنها ما يضيف سرداً لآراء ومعتقدات رجال الدين المرموقين في هذا الموضوع، مبشرة بأن خبراء الكتاب المقدس والقادة الدينيين

يؤمنون بأحداث الأيام الأخيرة وهم يتوقعون عودة المسيح أثناء حياة الجيل الحالي.

وتبني هذه المواقع نبوءاتها وتوقعاتها ((المؤكدة)) على أمرين رئيسيين هما الأحداث الراهنة وموقع إسرائيل المركزي ودورها في هذه الأحداث. وهي إلى ذلك تستفيد من إمكانيات الشبكة العالمية لكي تقوم بمتابعة للأخبار العالمية فتجري تحديثاً وتجديداً على نبوءاتها حسب الوقائع والأحداث كل يوم تقريباً. وبهذا تنجح في إبقاء المتجول متحفزاً ومتشوقاً لما يحدث باستمرار وإعطاء سمة الخطورة والعجالة لما تعرضه من توقعات مبنية على أحداث حقيقية واقعية يسمع الجميع أخبارها ويشاهدونها.

موقع واحد عنوانه ((آخر الزمان: قريباً)) (Apocalypse Soon) يقدم كاتبه و ((باحثه)) بول روبرتسون وثيقة من (٥٦) ست وخمسين صفحة مليئة بالتوقعات والفرضيات والمواعيد باليوم والساعة، كلها مشفوعة بالنصوص المقدسة. ثم يخلص ((الباحث)) إلى الاستنتاج اليقيني بأن ((الهيكل سوف يكون قائماً في موعد أقصاه شهر أيار عام ٢٠٠٧)). فقد أخبرني -يقول الباحث- حاخام يهودي أورثوذوكسي بأن باستطاعة اليهود بواسطة التقنيات الحديثة بناء الهيكل الثالث في ثلاثة أعوام. وهكذا فيمكن الشروع ببنائه في شهر أيار عام ٢٠٠٤. لكن قبل إكمال تشييده، يجب أن تكون معركة يأجوج ومأجوج قد انتهت وتكون دمشق قد دمرت وأصبحت ركاماً. لذلك فإن تدمير دمشق أصبح وشيكاً.

وموقع ((على عتبة منتصف الليل)) يصر على وجود خطة إلهية يلعب فيها الإيفانجيليون الأمريكيون والإسرائيليون الدور المركزي. وموقع آخر يسرد ما يحدث الآن على الساحة العالمية ثم يتساءل: ((متى سيظهر المسيح الدجال لكي يتزعم الوحدة الأوروبية؟)) ثم يجيب على هذا السؤال بنفسه بالإشارة إلى الأحداث المعاصرة التي تثبت يقينه باقتراب الساعة:

١- يقول الكتاب المقدس إن أوروبا ستتوحد على يد المسيح الدجال الذي يضلل المؤمنين بادعائه بأنه المسيح المنتظر، وها هي أوروبا توشك أن تتوحد.

٢- يقول الكتاب المقدس إن أوروبا ستكون لها عملة واحدة، وهذا الأمر أصبح حقيقة واقعة.

٣- يقول الكتاب المقدس إن القدس ستكون نقطة نزاع عنيف في المستقبل، وقد بدأ الصراع على القدس يأخذ شكلاً محموماً.

٤- يقول الكتاب المقدس إن الصين ستغزو الأراضي المقدسة من الشرق بجيش قوامه مئتا مليون جندي، والصين اليوم تتمتع باقتصاد قوي يمكنها من حشد جيش كهذا وشن حرب على إسرائيل من الشرق.

تتابع المواقع الدينية الأحداث العالمية وبخاصة الأحداث المتصلة بالنزاع العربي– الإسرائيلي وتقدمها للقراء كعلامات على اقتراب الساعة الأخيرة. ففي السابع من آذار عام ٢٠٠٢ أفاد كاتب موقع ((ميزان يأجوج)) أن حرارة الميزان ترتفع إلى نقطة حاسمة بسبب ((الشائعات بأن إسرائيل وأمريكا ستتعرضان لضربات بالأسلحة الكيميائية والبيولوجية وحتى النووية)).

ويستعمل موقع آخر في التاريخ نفسه العامل الإسرائيلي فيقول إسرائيل وما يحدث لإسرائيل يبقى في مركز اهتمامنا في رصد علامات الساعة. فهنالك تحالف عالمي ضد إسرائيل وكل يوم يشهد إطلاق رصاص من قبل الإرهابيين على الإسرائيليين. ويضيف الموقع أنه عندما ترد إسرائيل على هذه الهجمات رغم معارضة جميع الأمم فلنأخذ حذرنا، إذ أن التحالف يزيد من قوته إعداداً لتحقيق نبوءة حزقيال (٣٨).

وينذر موقع آخر عنوانه ((الألفية ونهاية الزمان)) بأن الساعة وشيكة. يعمل في هذا الموقع ((مراقب أحداث الألفية)) الذي يتابع دلالات الأحداث العالمية ويستنتج منها نبوءات نهاية الزمان، وهو يحّدث نبوءاته يومياً على الموقع. ففي

تاريخ ١٣/١٠/٢٠٠٠ قال ((المراقب)) إن أحدث المعلومات في هذا اليوم تشير إلى أن الحدث النبوئي التالي سيكون حرباً في إسرائيل سوف تساعد على إنجاز جزء من خطة الله للكون. سوف تقع هذه الحرب ((في أيام أعياد إسرائيل حسبما حددها الله)). هذه الحرب التي ستكون بين يأجوج ومأجوج سوف تحقق عدة أمور تتعلق بالنبوءات:

أولاً: انتصار إسرائيل المعجزة سوف يهدي الناس ثانية إلى الله وإلى اليهودية. وسيكون هذا حافزاً على إعادة بناء الهيكل.

ثانياً: يتحدث سفر حزقيال عن قتلى جيوش يأجوج ومأجوج التي ستلوث الأرض، مما سيتطلب من اليهود طقوساً لتطهير أنفسهم وهذا سيجعل إعادة بناء الهيكل أمراً حتمياً.

أخيراً يقول ((مراقب الأحداث الألفية)): سوف تكون معركة يأجوج ومأجوج مقدمة لتحقيق نبوءة معركة مجيدو الأخيرة (زكريا، ١٤) وسوف يتوقع اليهود ظهور مسيحهم بعد هذه الحرب العظمى. ويضيف، هذه هي دراستنا لتتابع أحداث يوم العيد. ومع اقتراب أمسية ((عيد الهيكل)) يبدو أن حدثاً عظيماً يلوح في الأفق.

وتنتهي توقعات المراقب لهذا اليوم بالطلب من القارئ أن ينقر على نافذة موسومة ((ميزان يأجوج: إسرائيل والنبوءات)).

وحين يزور المتجول موقع ((ميزان يأجوج)) يقابله هناك صاحب الموقع بتاريخ ١٠/١٢/٢٠٠٠ بتحليل للأحداث في العالم العربي – فلسطين بصورة خاصة – مبني على نبوءات العهد القديم ويقول:

((دعونا نذكر ما حذرت منه في السابق:

١- الدول العربية في الحقيقة لا تريد السلام مع إسرائيل، بل هي ترغب بتدمير إسرائيل بأية وسيلة بما فيها هجوم مباغت.

٢- روسيا، في محاولة لاستعادة نفوذها العالمي، سوف تساعد الشعوب العربية في تحالفها ضد إسرائيل.

٣- ستكون القدس القضية المركزية التي ستبدأ المعركة من أجلها.

٤- وأخيرا ستوقع اتفاقية سلام تمهيداً لتقديم الأضحية على الهيكل ثم لظهور المسيح الدجال.

تحتل القدس والهيكل مركز الصدارة في نبوءات المواقع الألفية على الشبكة العالمية. وتتجه كل هذه المواقع نحو تقديم الأحداث المعاصرة على أنها مقدمات لهدم المسجد الأقصى وقبة الصخرة وإعادة بناء الهيكل. ويقول موقع ((النبوءة في الأخبار)) (Prophecy in the News) في مقالة طويلة بعنوان ((محنة على جبل

The GOG INDEX



THE GOGINDEX CONTINUES TO REMAIN AT AN ALL-TIME HIGH LEVEL AS TENSION IN THE MIDDLE EAST BUILDS TO A BREAKING POINT. This year may be far more dangerous than the last with fears of an India vs. Pakistan War, and the Islamic countdown to the day when they use a nuclear weapon against Israel.

((ميزان يأجوج)) موقع يحدد قرب الساعة بناء على معايير معظمها يتعلق بإسرائيل

الهيكل)) إن موقع الهيكل الآن ليس فيه سوى مسجد عمر (كذا) وفيه الصخرة ولا شيء آخر. وبعد تحليل الأحداث الحالية والمتوقعة يخلص الكاتب إلى أن ((المسيح (متي ٢٤: ٣-١٤) أعطى علامات أكيدة على مجيئه، ولا يمكن فهم هذه الإشارات إلا بقراءة سفر دانيال وهو الذي يخبرنا بأن الهيكل سيتم بناؤه قبل عودة المسيح بثلاث سنين ونصف)). وبالطبع لن يتم ذلك إلا إذا أزيل المسجد الموجود على الموقع.

ويقدم موقع ((المجيء الثاني)) (The Second Coming) في ست صفحات العديد من النصوص الكتابية لكي يثبت بأن اتفاقية شرم الشيخ التي تم توقيعها يوم ١٩٩٩/٩/٥ هي بالتأكيد ((وثيقة نبوئية)) لأنها تحدد موعداً معيناً للاتفاق على تفاصيل الاتفاق الأخير فيما يتعلق بالوضع النهائي للقدس. ثم ينتقل الموقع إلى تقديم نصوص نبوئية وحسابات زمنية لكي يبين أن الوقت قد اقترب من موعد إعادة بناء الهيكل. كما يقدم الموقع ما يسميه ((خريطة طريق للنبوءة الكتابية والأحداث المعاصرة في القدس)) بديلاً لكل الحلول السياسية المقترحة. ويضرع كاتب الموقع إلى الله ((أن يجعل سياسة أمريكا الخارجية تدرك أن الله أعطى القدس لإبراهيم وإسحاق ويعقوب ونسلهم إلى الأبد. نرجو من الجميع أن يفهموا أننا إنما نقتبس من الكتاب المقدس أو نفسره، إلا أننا نحب المسيحيين واليهود والعرب وجميع الأمميين. وأن يفهموا أيضاً أن مدينة القدس وليس فقط أرض إسرائيل هي موضوع نبوءات عظيمة في الكتاب المقدس خاصة في حزقيال ودانيال وزكريا ومتي ولوقا والرؤيا)). وقد أجلت اتفاقية شرم الشيخ القرار بشأن وضع القدس حتى ٢٠٠٠/٩/١٥، مما يعني أن الهيكل سوف يعاد بناؤه ضمن هذه الفترة في موضع قبة الصخرة. الكتاب المقدس (زكريا ١٢-١٤) حسب كاتب الموقع يصف هذه الفترة وأحداثها بالتفصيل، والمسرح الآن معد لهذا العمل.

وموقع آخر عنوانه ((الألفية وسفر الرؤيا)) (Millennium and Apocalypse) يقدم صاحبه معلومات وتنبوءات عن المؤامرات التي ستؤدي إلى نهاية الزمان. يقول ((مراقب الأحداث الألفية)) في هذا الموقع بتاريخ ١٣/١٠/٢٠٠٠: ((لقد استنتجت من الأحداث المعاصرة بأن حرباً في إسرائيل ستكون الحدث النبوئي التالي في سياق خطة الإله. وحرب إسرائيل هذه ستنتج عنها نبوءة يأجوج ومأجوج، حيث تتحقق الأمور التالية:

١- إن معجزة انتصار إسرائيل سوف تهدي الناس ثانية إلى الله وإلى الدين اليهودي. وسيكون هذا هو الحافز على إعادة بناء الهيكل.
٢- سوف تبدو معركة يأجوج ومأجوج وكأنها تحقيق لمعركة مجيدو الأخيرة. وسوف يتوقع الناس ظهور مسيحهم بعد هذه الحرب الكبيرة، لكن المسيح الدجال سيظهر.

وفي إحدى صفحات الموقع (على عتبة منصف الليل Nearing Midnight) تبين خلفية صفحة العنوان ساعة تشير عقاربها إلى الساعة ١١,٥٥. وهذا موقع نبوئي هام لأنه يتتبع كل الأحداث المعاصرة حتى اليوم ويربطها بنبوءات الكتاب المقدس ويستنتج من ذلك اقتراب حلول الساعة تحت عنوان:

((الأحداث الأخيرة وملاحظاتي الشخصية على الأمور التي تتصل بالكتاب المقدس)).

يرى كاتب هذا الموقع أن الأحداث العالمية كلها تتناسق وتتفق مع صورة نهاية الزمان التي تنبأ بها الكتاب المقدس. ويعطي الكاتب أمثلة كثيرة على هذه الأحداث ويوثقها بذكر عناوين وأرقام النصوص المقدسة، لكنه لا يورد من هذه النصوص إلا القليل. وبذلك فالقارىء -خاصة القارئ المؤمن- يقبل هذه الأقوال دون نقاش بل هي تصبح مسلّمات لا تحتاج إلى دليل. كما أن كتاب

هـذه المواقـع يسـتغلون الصفـة المبهمـة التعميميـة لهـذه النصـوص فيعمـدون إلى تفسيرها بما يتفق مع معتقداتهم وبرامجهم الترويجية.

من الأحداث العالمية التي يوردها الكاتب لإثبات أقواله:

١- توحيد أوروبا أو تبنيها سياسة موحدة وعمله موحدة.
٢- تربع المسيح الدجال على عرش الوحدة الأوروبية ثم على عرش العالم.
٣- هذه كلها مقدمات لنزول مملكة الله الحقيقية، وتربع المسيح على عرشها.
٤- القدس هي مركز جميع الأحداث الهامة والحروب.
٥- الصين تغزو الشرق الأوسط بجيش قوامة ٢٠٠ مليون جندي.

يقترح الكاتب هذه الأحداث وعدداً من الأحداث الأخرى ويعتبرها علامات على اقتراب ((منتصف الليل)) (الساعة الأخيرة)، ثم يجعلها مقياساً يسميه ((ميزان)) الساعة. يقول بنتيجة تحليليه لهذه الأحداث: ((لم تكن علامات الساعة في أي وقت مضى أكثر وضوحاً مما هي عليه اليوم)).

يعطي الكاتب، حسب هذا الميزان، الأحداث المعاصرة درجة ١٧٩ من مئتين. على هذا الموقع، وفي يوم ٢٠٠١/١٠/٨، أي بعد أحداث أيلول بمدة قصيرة، يجد كاتب الموقع مادة غنية بدلالاتها في سياق أحداث آخر الزمان. يبدأ الكاتب موضوع ذلك اليوم بعنوان:

((اسم إسرائيل يظهر دوماً في سياق آخر الزمان))

ثم يسوق أقوال بن لادن عن ((السلام في فلسطين)) في اليوم الذي بدأت فيه أمريكا قصف أفغانستان وتهديد بن لادن. ثم يقول: ((لم أستغرب أبداً كلام بن لادن لأنني أعلم أنه يخضع لأرواح الشر التي تعكس الكراهية الأزلية نحو إسرائيل)). وهكذا ينسى الكاتب ما أصاب وطنه، الولايات المتحدة

الأمريكية، ويعتبر ذلك كله تقديراً إلهياً في الطريق إلى سلامة إسرائيل وخلاصها. يقول إن ذكر بن لادن لإسرائيل يهيئ المسرح العالمي لمجيء المسيح الدجال، زعيم أوروبا الشرير، وتوقيعه على اتفاقية السلام الزائف الذي يمنح الأراضي المقدسة سلاماً قصير الأمد.

هذا الحدث في أيلول ٢٠٠١، كما يقول الكاتب، يعجل بقدوم هذا السلام الزائف المذكور في الكتاب المقدس أما أحداث رسائل الأنثراكس فما هي إلا دليل على الفوضى والمآسي التي تأتي بالمحنة الكبرى. وهو يرى في سفر يعقوب من الكتاب المقدس نبوءة بسيطرة الشيطان على أحداث العالم.

ويخلص كاتب موقع ((على عتبة منتصف الليل)) إلى القول: ((القلق الأكبر الذي ينتابني هو ما سيحصل لإسرائيل، خاصة وأن أمريكا ترتكب خطأ بدعوة بعض الدول العربية إلى الانضمام إلى التحالف ضد الإرهاب)). فالكتاب المقدس يقول إن إسرائيل سوف تدخل في صراع كبير مع جيرانها العرب وستكون روسيا حليفاً لأعداء إسرائيل. ((هذه هي معركة يأجوج)).

وقد طلع موقع ((على عتبة منصف الليل)) في يوم ٢٠٠١/١٠/٥ بعد حوادث أيلول بأقل من شهر بالإعلان للقراء بأن حالات التسمم بالأنثراكس ما هي سوى ((إنذار من الله يؤذن بأمور أعظم))، ويضيف كاتب الموقع بأنه يجد في كل يوم علامات جديدة على اقتراب ساعة المحنة. ويقول الكاتب بأننا كلما اقتربنا من الساعة الأخيرة سنجد أن الأحداث العالمية تتناسق مع بعضها في تحقيق النبوءات المقدسة. ولا يشك كاتب الموقع بأن الأحداث تشير إلى أن ((ميزان المحنة((يشير إلى أعلى درجات القرب من تحقيق النبوءات.

وفي الوقت نفسه دعا موقع آخر المؤمنين إلى الاستعداد وإلى ((الصلاة، فالوقت يكاد يداهمنا)). بل ينذر الموقع بأن ((هذا الجيل سوف يشاهد هذه

الأحداث التي صرح بها الله)). ويزين الموقع هذه الصفحة بصورة لحادثة ((الارتقاء)). ويلجأ موقع ((ميزان يأجوج)) إلى الوعيد بغضب الله فيعزو له قوة قاسية ووجهاً غاضباً، ويأخذ من الكتاب المقدس دليلاً على ذلك: ((وسيحدث كما قال الله في النبوءات أن يأجوج سيهاجم أرض إسرائيل، حتى يظهر غضبي على وجهي. فلقد لفظت بلهيب غضبي من فمي)).

ولعل من أكثر المواقع إثارة لشعور المؤمنين بالألفية هو موقع عنوانه ((الملفات الرائعة)) (The Xcellent Files) الذي طلع على القراء في شهر أيار عام ٢٠٠٢ بعنوان كبير باللون الأحمر يقول:

((دمشق لن تبقى مدينة بعد الآن))

ويتبع الموقع هذا العنوان بنص من سفر إشعياء (١٧:١) يقول: ((نبوءة متعلقة بدمشق: انظروا فإن دمشق لن تبقى مدينة بعد الآن، بل ستصبح كومة من ركام)).

ولسنا هنا بصدد ربط الأحداث والتصريحات السياسية بهذه المواقع النبوئية ومواضيعها. لكن الحقيقة هي أنه في يوم ٢٠٠٢/٣/٩ صدر تصريح رسمي مفاده أن الولايات المتحدة الأمريكية لديها خطط احتياطية لاستعمال ضربات نووية ضد سبع دول ضمنها سورية. وفي الشهر نفسه اقترح موقع ((ميزان يأجوج)) (الذي يقول إنه ((يتم تحديثه باستمرار لكي يتناسب دوماً مع الأخبار الأخيرة عن إسرائيل وأمريكا))) اقترح بأنه ((قبل وقوع معركة يأجوج ومأجوج سوف تحدث حرب تدمر فيها دمشق حسب سفر إشعياء (١٧))) ويورد الموقع النص المذكور عن النبوءة المتعلقة بدمشق.

ومنذ ذلك الوقت لاقت فكرة تدمير دمشق بضربة نووية رواجاً وترحيباً في عدد من المواقع. وفي شهر نيسان قدم موقع ((نشرة الأخبار النبوئية)) تبريراً

منطقياً لهذه الضربة النووية مشفوعاً بالرضى النفسي وراحة الضمير الذين يغمران المؤمن من قراءة نصوص مقدسة تدعم هذا التبرير. يذكر الموقع القراء ((أننا نعلم يقيناً أيضاً ماذا سيحدث نتيجة المؤامرات هنا على الكرة الأرضية)).

ويطرق ((ميزان يأجوج)) هذه القصة مرة أخرى لكي يتنبأ بأنه حين تقع الحرب ضد إسرائيل من قبل تحالف دولي ستستطيع إسرائيل دحر الفلسطينيين وسورية. ومع أن العالم لا يريد أن ترد إسرائيل على هذه الحرب ولكنها حين تفعل ذلك فليحذر الجميع مما سيحدث. حينئذ ستتحقق نبوءات حزقيال (٣٨).

ولعل في اختتام موقع ((نشرة الأخبار النبوئية)) هذا الخبر مثال واضح على تناسق جوقة المواقع النبوئية وإثارة توقعات المؤمنين من أتباعهم وانتظارهم لتحقيق النبوءات. يقول كاتب هذا الموقع ((إن نبوءات الكتاب المقدس هي التاريخ الذي كتب قبل وقوعه لذلك فالله هو الذي سيكتب نهاية تاريخ البشرية)).



The Xcellent Files

Damascus Will No Longer Be a City

"An oracle concerning Damascus: See, Damascus will no longer be a city but will become a heap of ruins."
The Prophet Isaiah
Chapter 17, verse 1 NIV

Researched by Paul Robertson. Edited by Thomas Lee. First version October, 1997. Updated November 30, 1998.

truthresearch@hotmail.com

"Go, Daniel! For the matters are obscured and sealed until the time of the End. They will be elucidated and clarified and refined by many [people]; the wicked will act wickedly, and none of the wicked will understand; but the wise will understand."
Daniel 12:9-10 1

Introduction

Many who study Bible prophecy believe that the world's next imminent prophetic event is the destruction of Damascus prophesied in Isaiah 17. This document presents a hypothetical scenario for Damascus' destruction, based on biblical research,

نماذج من المواقع التي تدعو إلى تدمير دمشق والمساجد الإسلامية في القدس تحقيقاً للنبوءات

What's next?

The Rapture of the believers can occur at any time, since there is no prophecy that must be fulfilled before its taking place.

The next event that we will probably see is the attack upon Israel by a coalition of Arab and ex-Soviet states, as written over 2500 years ago by the prophet EZEKIEL (see chapters 38, and 39), who describes this attack and identifies these nations as: Gog of the land of Magog, of Rosh, Mesheck and Tubal, (this area corresponds to parts of the ex Soviet Union) - Persia, (Iran) - Cush, (Ethiopia) - Put, (Libya) - Gomer, (parts of eastern Turkey and Ukraine) - and the house of Togarmah, (southern Turkey). (This attack will probably be a retaliation against Israel's prior nuclear attack on Syria, in which Damascus will be obliterated)

In this list we find some of Israel's most rabid enemies of our days. The ex-Soviet Moslem states have intensified contacts with fundamentalist Moslem countries like Iran, certainly one of the most fanatical enemies of Israel. We also have heard that Iran has acquired nuclear expertise and fission material from Russia and is always shopping for more. It's a well documented fact that Iran in particular, is constantly shopping for warfare technology, having no problem to pay for it through the sale of its petroleum while its population lives rather meagerly the joys of the revolution, (At of the writing of this article (1998), come the news of Russia's sale of a powerful submarine to the Iranian fleet and a news report from the Iranian State Agency that Iran has just developed a missile capable of hitting Israel). Soon these nations will join together with the sole purpose of destroying Israel once and for all. But they are in for a big surprise, as is also the rest of the world.

The Bible expressly states that these nations will be defeated and destroyed, by a direct Act of God, both their armies and their home countries. Please check out our X-files for updated information on this subject.

> I will set My glory among the nations; all the nations shall see My judgement which I have executed, and My hand which I have laid on them.
>
> So the house of Israel will know that I am the Lord their God from that day forward.
> *Ezek. 39:21, 22*

http://www.apocalypsesoon.org/count.html

Though the verses in Ezekiel 38 and 39 explain these events quite graphically, they will, nonetheless, leave the whole world gasping as they will unfold. Many will be the outcomes of this defeat, but we can name two main ones:

1) the end to Islam's expansion, (today easily the fastest growing religion) and to Arab bloody fundamentalism. (I will go one step further and say that this will be the end of Islam).

2) Israel will become the most influential nation on earth.

Only after this will Israel be able to build the Temple and experience a spiritual awakening, a prelude to her final conversion to the Lord Jesus Christ. Or does anybody in his right mind believes that Israel will be allowed to build the Temple as things stand presently, and with the two Moslem Mosques right in the Temple Wall area? Furthermore, Israel is as worldly and apostate as she can be, with only a small percentage of Jews desperately (and blindedly) clinging to their beloved Torah. This situation will reverse itself after the supernatural victory that God will grant Israel over their enemies.

The Temple must be built, because it is fundamental to the Tribulation period. The Antichrist will use it and so, it is obvious that before it can be built there must be a shakedown of the present situation. We know that preparations are being made for the sacrifices, (the "red heifer" news). The sacred vessels and the priest's garments are being readied, as are the the priests who will perform the rites.

So, as we study the End Times prophecies, we must keep our eyes focused upon Israel, God's timepiece.

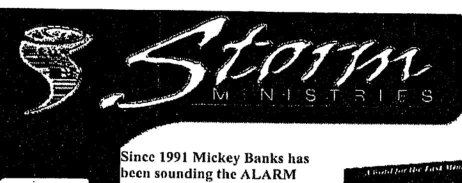
APOCALYPSE soon

Home E-Mail

| Apocalypse Soon | Christian? | Jew? | Gentile? | Got to have faith | Purpose | Orient Express | What it's all about | State of the Church | Surprise | Countdown | Cults | Key Words | X files | Strange Days | Hi-Tech | Interesting Mail | Signs of the End | Selected Links | Info | Maps & Charts | Brave New

http://www.apocalypsesoon.org/count.html

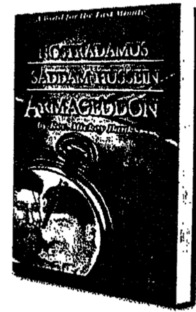
نماذج من المواقع التي تدعو إلى تدمير دمشق والمساجد الإسلامية في القدس تحقيقا للنبوءات



Since 1991 Mickey Banks has been sounding the ALARM that a terrible "STORM" was coming. THE STORM IS HERE! DANIELS SEVENTIETH WEEK or the "TRIBULATION" as it is better known, is upon us. Seven years of DEATH, HELL and DESTRUCTION! The worst times ever known to mankind.

The "DOOR" of Salvation is about to be closed FOREVER! WE MUST HEED THIS LAST MINUTE WARNING FROM GOD! God has shown me a VISION of HELL! People thrashing in the flames, weeping wailing, and gnashing their teeth! Screaming in torment and pain. The majority of Americans, including most Church members, are headed to that forbidden place which burns forever and ever. Unless WE HEED to God's ways, found ONLY in the HOLY BIBLE, we too will go to that forbidden place. The Dispensation of Grace has ended...Wrath and Judgement are HERE!

Storm Ministries
P.O.Box 6071
Moore, OK
73153-1631



"GOD is the only shelter during the STORM!"

To read an excerpt from the book click here.

If you would like to order a copy of "Nostradamus, Saddam Hussein, Armageddon" The 94 Page Book by Rev. Mickey Banks Click Here.

ORDER NOW!

مواقع على الشبكة تنذر باقتراب الساعة



October 12, 2002
ARE YOU READY FOR THE "REAL HOLY WAR"... ...ARMAGEDDON?

This book boldly predicts a "Seven" year agreement being made between Israel and the Palestinians! In 1991 I wrote a book prediciting a "Seven-Year Agreement" between Israel and the Palestinians. In 1993 the Oslo Accords was made between Israel and the Palestinians which was a seven-year agreement. This was not the agreement that the Lord showed me. Another agreement will soon be made between Israel and the Palestinians and it will be for "Seven-Years," as the Lord has said! When this agreement is made it will confirm Deut. 18:22 (NIV) "If what a prophet proclaims in the name of the Lord does not take place or come true, that is a message the Lord has not spoken. That prophet has spoken presumptuously. Do not be afraid of him."

The reason I wrote this book is I have an obligation as a **Watchman** to sound the warning that **"THE STORM"** is here. I am also in the process of writing my next book so that as many as have "an ear to hear what the **Spirit** is saying to the **Bride**;" may be warned and survive the coming **STORM!**

THE APOCALYPSE Means: Any of a

مواقع على الشبكة تنذر باقتراب الساعة

هوامش الباب الرابع

الفصل الثالث: ((الجدال حول القراءة الحرفية))

١- Lilienthal, p. 488.

٢- جارودي، ص ١٣.

٣- جارودي، ص ٨-٩.

٤- جارودي، ص ٢٩.

٥- جريدة المستقبل ١٩٨٥/٧/٦.

٦- الأسبوع ٢٠٠٢/٨/١٢، ص١ .

الفصل السادس: ((الحمى الألفية: الشبكة العالمية والنبوءات))

١- The New Millennial Manual, p. 64.

الباب الخامس

الملاحق

- الملحق ١: شرح لبعض التعابير المستعملة.
- الملحق ٢: النبوءات والكتاب المقدس.
- الملحق ٣: الألفية والنبوءات: سرد تاريخي.

الملحق (١)

شرح لبعض التعابير المستعملة

فيما يلي شرح مختصر لبعض التعابير المستعملة في هذا البحث، مع العلم بأن هذه الشروح تأخذ بعين الاعتبار بصورة خاصة السياق الذي تستعمل فيه وليس بالضرورة المعنى القاموسي المجرد.

اليمين المسيحي (The Christian Right)

هو التعبير العام الذي يطلق على جميع المسيحيين المتطرفين في التعبير عن آرائهم وفي سلوكهم حيال القضايا السياسية والاجتماعية الداخلية وحيال قضايا السياسة والعلاقات الخارجية، وخاصة ما يتعلق منها بإسرائيل والنزاع العربي الإسرائيلي. ومن الجدير بالذكر أن هذا التعبير لا يشير إلى منظمة أو مجموعة معينة ولا إلى مذهب أو كنيسة بعينها. بل هو صفة تطلق على اتجاه ديني موجود في الحياة الأمريكية منذ بداية المجتمع الأمريكي كما يبين هذا البحث. وهكذا فتعبير اليمين المسيحي ليس مرادفاً لتعابير «الأصوليين» أو «الايفانجيليين» أو غيرهما، مع أنه هو المظلة العريضة التي تضم كل هذه المؤسسات والمنظمات. وهو بالتالي يضم أيضاً أعداداً كبيرة من الأمريكيين الذين يؤمنون بمبادئ المسيحية المتطرفة دون أن ينتموا إلى أي من هذه المجموعات المنظمة. وفي هذه الحقيقة الأخيرة تكمن قوة القضايا والمبادئ التي

تروج لها المؤسسات والمنظمات اليمينية، إذ هي تلاقي رواجاً في أوساط هذا اليمين إضافة إلى المنتمين إلى هذه المنظمات.

يؤمن كل من ينتمي إلى اليمين المسيحي بعصمة الكتاب المقدس بعهديه القديم والجديد وبحرفية نبوءاته، وخاصة ما يتعلق بخطة الله للكون. وهذا ما يجعله حليفاً وداعماً لإسرائيل وسياستها التوسعية وأهدافها البعيدة الأمد.

المعمدانيون (Baptists)

المعمدانيون الأمريكيون البيض هم أعضاء الكنيسة المعمدانية التي تنتمي إلى «مؤتمر المعمدانيين الجنوبي» ويرأسه القس بيلي غراهام يساعده مجموعة من الرعاة المعمدانيين منهم ابنه فرانكلن غراهام. المعمدانيون البيض كانوا أكثر اعتدالاً من الأصوليين الجدد والقدامى، لكنهم يؤمنون بعصمة الكتاب المقدس وحرفيته ونبوءاته، وهم يؤيدون إسرائيل تأييداً تاماً ويعتقدون بأنها تحقيق لنبوءات الكتاب المقدس ومشيئة الله.

أما المعمدانيون الأمريكيون السود فهم أعضاء الكنيسة المعمدانية التي تنتمي إلى «مؤتمر المعمدانيين القومي»، وهم أيضاً يؤمنون بعصمة الكتاب المقدس وحرفية نبوءاته ويدعمون إسرائيل.

الأصوليون (Fundamentalists)

الأصوليون في التطور الحديث للفكر الديني الأمريكي هم مجموعة كبيرة من المسيحيين البروتستانت الذين يقعون في مركز اليمين المسيحي. والأصوليون في أمريكا اليوم هم الناشطون الذين يعملون بحماس في القضايا الاجتماعية والسياسية، ويعارضون بصورة خاصة الاتجاهات الحديثة في الثقافة الأمريكية التي يعتبرونها ليبرالية ومخالفة للعقيدة المسيحية الحرفية.

يدعي جيري فالويل أنه زعيم الأصوليين المسيحيين في أمريكا ويفاخر بأنه متطرف في دعمه لإسرائيل لأن شعب إسرائيل هو شعب الله. وقد تزايدت قوة الأصوليين في أمريكا حتى أصبحوا فئة يحسب لها حساب في جميع نواحي الحياة السياسية والاجتماعية. من مؤسساتهم القوية جامعة ((ليبرتي كوليدج)) التي أسسها ويترأسها جيري فالويل، وجامعة ((بوب جونز)) في ولاية كارولينا الجنوبية. ولمعرفة تفاصيل المبادئ الأصولية الأمريكية يمكن الرجوع إلى معالجة جيري فالويل في هذا البحث.

الكنيسة الكاريزماتية (Charismatic)

يعتقد أتباع هذه المجموعة المسيحية اليمينية بالقوة الروحية الخارقة التي يملكها الأنبياء وبعض الأتقياء، والتي تمكنهم من التنبؤ بالمستقبل والشفاء بالدعاء والتأثير القوي على أتباعهم و ((التحدث بالألسن)).

يدعي عدد كبير من الدعاة المسيحيين الأمريكيين المتطرفين هذه القوة ومنهم بات روبرتسون وبيني هين وورود بارسلي.

البنتاكوستاليون (Pentecostal)

كلمة ((Pentecost)) تشير إلى عيد العنصرة عند اليهود وهو اليوم الخمسين بعد عيد الفصح اليهودي (Passover) كما أن الكلمة تشير إلى عيد العنصرة عند المسيحيين وهو اليوم الخمسين (الأحد السابع) بعد عيد الفصح (Easter)، وهو ذكرى نزول الروح القدس على الحواريين.

لكن هذا التعبير في سياق تطور الفكر المسيحي في الغرب، وفي أمريكا بصورة خاصة،يصف الإتجاه اليميني المتطرف في القراءة الحرفية للكتاب المقدس وخاصة ما يتعلق بنزول الروح القدس على الإنسان المسيحي تقليداً للحواريين.

وحلول الروح القدس في الشخص العادي، حسب اعتقادهم يعطيه قوى خارقة ((كالتحدث بالألسن)) واستجابة الدعاء. وأكثر القادة المسيحيين الأمريكيين نفوذاً وتأثيراً والذي يسمي نفسه ((بنتاكوستالي)) هو بات روبرتسون.

((المولودون من جديد في المسيح)) (Born –Again Christians)

في التفكير الديني الأمريكي الحديث يستعمل تعبير ((ولدت مسيحياً من جديد)) أو((أصبحت مسيحياً)) أو ((ولدت في المسيح من جديد)) عند حدوث تحول جذري في عقيدته و ((اهتدائه إلى الإيمان بالمسيح)). مثلاً قد قيل إن جورج بوش الابن عندما بلغ الأربعين من عمره، وكان غير ملتزم بالحياة الدينية بصورة مناسبة، أمضى ليلة كاملة مع القس المعمداني الشهير بيلي غراهام في صلاة ومواعظ ودعاء لساعات طويلة، خرج منها مع بزوغ الصبح ((مسيحياً مولوداً من جديد)).

وهذا التعبير غالباً ما يرتبط بالمعتقدات اليهودية– المسيحية. فمثلاً صرح القس المتطرف جيري فالويل بأنه ((أصبح مسيحياً)) في سن الثامنة عشره، وقرأ الكتاب المقدس قراءة دقيقة فتبين له أن المسيحية شهدت بداياتها في أرض إسرائيل فصار منذ ذلك الوقت من أكبر أصدقاء إسرائيل تأثيراً على المسيحيين في أمريكا. كما يبين فالويل في أكثر من مناسبة أن العهد القديم هو أصل المعتقدات المسيحية وأن اليهود هم شعب الله المختار وإسرائيل هي تحقيق للنبوءات المقدسة.

الإيفانجليون (Evangelists or Evangelicals)

درج بعض الكتاب العرب والقواميس الإنجليزية — العربية على ترجمة هذا التعبير الإنجليزي بكلمة ((الإنجيليون)). هذه الترجمة ليست دقيقة لأنها تقود

القارئ العربي إلى الافتراض بأنها مشتقة من كلمة الإنجيل، أي الكتاب المقدس الذي نزل على المسيح أو أحد الأناجيل الأربعة التي كتبها أتباع المسيح متى وبولس ولوقا ويوحنا. كلمة ((Evangel)) هي من أصل لاتيني وتعني الشخص الذي يأتي بالأخبار السعيدة أي ببشارة المسيح، أطلق هذا التعبير في الأصل على كتاب الأناجيل الأربعة.

لكن هذا التعبير ((الإيفانجيلي)) في سياق تطور الفكر الديني في أمريكا يطلق الآن على المسيحيين اليمينيين المتطرفين الذين يؤمنون إيماناً مطلقاً بحرفية الكتاب المقدس بعهديه القديم والجديد والذين يعملون بحماس على نشر مبادئ ومعتقدات هذا الكتاب وخاصة في نطاق النبوءات المقدسة وخطة الله للكون ونهاية الزمان.

علم آخر الأمور والآخرة (Eschatology)

وهو تعبير مشتق من اليونانية بمعنى ((آخر الأمور)). وفي سياق إيمان المسيحيين الغربيين يشمل هذا التعبير دراسة وبيان الأحداث الأخيرة الهامة التي ستقع في آخر الزمان قبل المجيء الثاني للمسيح بما في ذلك مملكة الله الأرضية. تشمل هذه الأحداث ((جمع شتات اليهود)) في ((أرض الميعاد)) و ((إعادة تأسيس)) إسرائيل وحادثة ((ارتقاء)) المؤمنين لملاقاة المسيح وحادثة المحنة الكبرى ومعركة مجيدو بين جيش المسيح وجيش المسيح الدجال ثم تأسيس مملكة الله الأرضية.

العهد أو الميثاق (Covenant)

يعرِّف قاموس الكتاب المقدس العهد أو الميثاق بأنه ((بمكانة القلب من علاقة حب الله لشعبه في العهد القديم)). هذا العهد أو الميثاق هو الذي أعطاه الله

حسب نصوص الكتاب المقدس لإبراهيم وموسى وداود كل بدوره. فقد وعد الله إبراهيم بأرض كنعان وبأمة إسرائيل، وبأنه سيكون رحمة لجميع الناس (التكوين ٩:١٥-٢١ /١٧). وقد وعد الله موسى (الخروج ١٩ —٢٤) بأن يكون إله إسرائيل وحاميها والمدافع عنها. ووعد الله داود وأسرته مملكة وعرشاً أبديين (صموئيل الثاني ٥:٧-١٦).

وقد أخذ اليمين المسيحي الغربي هذه النصوص ووضعوها ضمن ما وصفوه بخطة الله للكون والنبوءات المقدسة.

الارتقاء أو الصعود (Rapture)

هو التعبير الذي يطلق في سياق تطور الفكر المسيحي الغربي على عملية صعود المؤمنين (أو رفعهم بقدرة إلهية) إلى السماء لملاقاة المسيح حين يظهر «في الغيوم». ويحدث هذا قبيل فترة «المحنة الكبرى» وبذلك يتم إنقاذ المؤمنين من الأحداث المروعة التي تقع في فترة «المحنة الكبرى» والتي يتعرض لها أولئك الذين يبقون على الأرض.

المحنة الكبرى (The Great Tribulation)

هي فترة من الآلام والمآسي والفوضى تعم الأرض بعد أن يُرفع المؤمنون إلى السماء وقبيل نزول مملكة المسيح الأرضية. تستمر هذه الفترة سبع سنوات يحكم فيها الشيطان (أو المسيح الدجال) الأرض من الهيكل في القدس ويعاد بناء بابل وتجتمع جيوش الشيطان من الشرق والشمال ضد إسرائيل.

تنتهي هذه الفترة بمعركة مجيدو وتأتي بعد ذلك فترة الألف عام. ولا يبقى من البشر بعد تلك الفترة العظيمة سوى (١٤٤,٠٠٠) شخص.

معركة مجيدو (Armageddon)

التعبير ((هارمجيدون)) مشتق من العبرية بمعنى جبل مجيدو. لكن هذه الكلمة في سياق تطور الفكر الديني المسيحي الغربي تطلق على المعركة التي ستقع في سهل جزريل في سفح جبل مجيدو بالقرب من حيفا بين جيوش الخير التي يقودها المسيح وجيوش الشر التي يقودها المسيح الدجال. تقع هذه المعركة في نهاية فترة ((المحنة الكبرى)) ويكون النصر فيها لجيوش المسيح وبذلك تبدأ فترة حكمه على مملكته الألفية الأرضية. والجدير بالذكر أن هذه الكلمة لا ترد إلا في نص واحد في الكتاب المقدس وهو في كتاب الرؤيا (١٦:١٦).

الألفية (Millennial)

هو التعبير الذي يطلق في سياق الفكر الديني المسيحي الغربي على فترة الألف عام التي يحكم المسيح فيها مملكته الأرضية بعد أن تكون الأحداث الأخيرة لنهاية الزمان قد جاءت بنهاية العالم.

ومع أن النصوص التي ترد فيها هذه الكلمة هي نصوص غامضة تحتمل عدداً من التفسيرات إلا أن اليمين المسيحي المتطرف يصر على وضع هذه الفترة في نهاية الأحدث الأخيرة وعلى أن المملكة الألفية ستكون على الأرض حرفياً. حتى أننا نجد مرجعاً رئيسياً مثل ((قاموس التراث الأمريكي)) يعرف تعبير الألفية بأنه ((فترة ألف عام يحكم فيها المسيح والأرض)).

وقد درجت بعض الفئات المسيحية المتطرفة على ربط بداية هذه المملكة الألفية ببداية كل ألفية تقويمية. وقد أدى ذلك إلى حماس ديني شديد يوصف ((بالحمّى الألفية)) مع نهاية الألف الأول والألف الثاني من التقويم الميلادي.

الرؤيا (Apocalypse) (Revelation)

وهو تعبير مشتق من اليونانية بمعنى ((الكشف عن المستقبل)) أو ((الوحي))، وهو يطلق بصورة عامة على الاعتقاد بنهاية العالم كما نعرفه، والتنبؤ بأحداث نهاية الزمان.

هذا التعبير (Revelation) هو أيضاً عنوان كتاب من كتب العهد الجديد ((الرؤيا)) أو ((يوحنا))، وهو أكثر أجزاء الكتاب المقدس تنبؤاً بالمستقبل.

لم يُعترف بهذا الكتاب كجزء من العهد الجديد إلا في مجمع نيقية الكنسي عام ٣٢٥. كما أن مارتن لوثر شكك في مصداقية كتاب ((الرؤيا)) ووضعه في ملحقات الكتاب المقدس. وكتاب ((الرؤيا)) يصور المسيح على أنه المنتقم المبعوث من السماء، وهو الكتاب الوحيد في العهد الجديد الذي يبرر أعمال العنف والانتقام.

الملحق (٢)

النبوءات والكتاب المقدس

نورد فيما يلي تعريفاً مختصراً لبعض أسفار الكتاب المقدس، خاصة ما كان منها متصلاً بموضوع هذا البحث من حيث المواد والمعلومات الواردة فيها أو النبوءات التي ترفد التراث اليهودي - المسيحي في الغرب وتدعمه. ويجدر الذكر هنا أن ((الكتاب المقدس)) هو العنوان الذي يشار به إلى الكتاب الديني للمسيحية وهو يتألف من العهد القديم والعهد الجديد. وكل من يتابع الاستماع إلى المواعظ والدروس والكتابات الدينية في أمريكا بصورة خاصة لا بد أن يتبين التركيز فيها على مواد العهد القديم وقصصه ونبوءاته وشخصياته.

ومع أن كلمة ((Bible)) تعني ((الإنجيل)) أي العهد الجديد، إلا أن هذا العنوان أيضاً يستعمل في الغالب كرديف لعنوان ((الكتاب المقدس)) بكامله. وقد اعتمدنا في هذا البحث تعبير ((الكتاب المقدس)) للإشارة إلى الكتاب الديني للمسيحية الغربية بعهديه القديم والجديد. كما نستعمل صفة ((كتابي)) و((كتابية)) إشارة إلى ما يتصل بالكتاب المقدس. علماً بأن المعلومات الواردة في تعريف هذه الأسفار والكتب هي مختصرة من ((القاموس الوجيز للكتاب المقدس)).

(NIV Compact Dictionary of the Bible) (Grand Rapids, Mich, 1989).

سفر التكوين: (Genesis)

سفر التكوين هو أول أسفار الكتاب المقدس وبخاصة العهد القديم. وكلمة التكوين تشتق من أصل عبري بمعنى ((البداية)). يعزى سفر التكوين إلى النبي موسى تقليدياً، إلا أن الكثير من مادته التاريخية تعود إلى ما قبل زمانه، مما يقود إلى الاعتقاد بأنه قد جمع هذه المادة ورتبها لتصبح جزأً من التركيب الأدبي لهذا السفر.

ويسرد هذا السفر في ثلاثة أجزاء تاريخ الخليقة حتى موت أبي إبراهيم، ثم تاريخ إبراهيم وإسحاق ويعقوب، وأخيراً قصة يوسف. وسفر التكوين هو الذي يسجل لأول مرة وعد الله لإبراهيم الذي أصبح فيما بعد يوصف ((بالعهد)) الذي أعطى ميراثاً لشعب الله في كل الأزمنة.

وقصة يوسف في سفر التكوين هي التي تزود القارئ بالمادة التاريخية لسفر ((الخروج)) الذي يسجل وقائع عبودية الإسرائيليين في مصر ثم خروجهم منها.

سفر الخروج: (Exodus)

هو ثاني أسفار العهد القديم في الكتاب المقدس والاسم مشتق من الإغريقية بمعنى ((الخروج)). ويعزى هذا السفر تقليدياً للنبي موسى. وسفر الخروج يسرد تاريخ الإسرائيليين منذ الخروج إلى أن أعطى الله ((القانون)) في سيناء.

في الجزء الأول يروي سفر الخروج قصة تزايد أعداد الأمة اليهودية في مصر وولادة موسى، والجزء الثاني يروي قصة الرحلة من مصر إلى سيناء، ويروي الجزء الثالث ما حصل للإسرائيليين في سيناء خاصة إعطاء الله ((القانون)) الذي يشمل ((الوصايا العشر)).

في هذا السفر وصف لعبور الإسرائيليين صحراء سيناء والبحر الأحمر بما في ذلك معجزة انشطار البحر الأحمر وعمود النار الذي قادهم في رحلتهم وأنقذهم من جيش فرعون. يرجح بعض المؤرخين عام ١٤٥٠ ق.م. لكتابة هذا السفر والبعض الآخر يرجح عام ١٢٩٠ ق.م.

سفر إشعياء: (Isaiah)

اسم كاتب هذا السفر يعني ((خلاص يهوه)) وهو مماثل لمعنى يشوع: ((يهوه هو الخلاص))، والاسم يشوع يظهر في العهد الجديد على شكل ((يسوع)) اسم المسيح الذي تنبأ به إشعياء. وتتراوح آراء المؤرخين لزمن كتابة هذا السفر بين ٤٨٥ ق.م. و ٧٤٠-٦٨٠ ق.م.

يقول بعض المؤرخين إن حادث تدمير بابل على يد كزيرسيس هو الذي أوحى بهذا الكتاب، وهو يمثل نموذجاً رئيسياً للكتب التنبؤية اليهودية. يرد في سفر إشعياء عدد كبير من النبوءات، خاصة تلك المتعلقة بتدمير بابل، والتي تصدر الأحكام ضد الأمم مثل الفلسطينيين ومؤاب ودمشق ومصر ودوما وجزيرة العرب والقدس وصور. وفيه أيضاً نبوءات تتعلق بالمستقبل القريب والبعيد.

ويقال إن أول ما قرأه المسيح من الكتب اليهودية هو سفر إشعياء.

سفر إرمياء (Jeremiah)

يتميز سفر إرمياء بأنه كتاب ((الوحي النبوئي)) حيث يشمل نبوءات إرمياء ضد مصر والفلسطينيين ومؤاب والعامونيين وإيدوم ودمشق وإيلام وبابل. كما أن سفر إرمياء يروي أحداث الأسر البابلي وحصار مدينة القدس وتدميرها.

هذه الأحداث والنبوءات تأتي هنا من خلال سيرة إرمياء الذاتية ودون ترتيب تاريخي متسلسل.

سفر حزقيال ٥٩٣-٥٨٦ ق.م. (Ezekial)

أحد أكثر كتب العهد القديم نبوئية. كانت كتابته ردة فعل لغزو نبوخذ نصر للقدس ونفي اليهود إلى بابل.

حزقيال هو نبي عبري في المنفى. نشأ في يهودا أثناء سنوات الاستقلال العبري الأخيرة، ونفي إلى بابل عام ٥٧٩ ق.م. كان معاصراً لأروميا ودانيال. دُعي للنبوة في السنة الخامسة لأسره في بابل ودامت نبوته ٢٢ سنة: ٥٩٣-٥٧١ ق.م. بعد نفيه بعشر سنوات دُمرت القدس. الجزء الثالث والأخير من نبوته يهتم بما سيحدث في المستقبل وبالتطلع إلى مملكة الله. وأهم هذه الأحداث النبوئية هي:

- سيعاد تأسيس مملكة إسرائيل وسيعيد الله الشعب إلى أرضه.
- سيحكم إسرائيل ((ابن داود)).
- جمع كل الأمم.
- هزيمة إسرائيل.
- يأجوج ومأجوج.
- إعادة بناء الهيكل.
- يسكن شعب إسرائيل في المدينة حول الهيكل.

سفر دانيال (Daniel)

معظم المؤرخين يقولون إن سفر دانيال كتب عام ١٦٧ ق.م. وسفر دانيال هو المصدر الثاني بعد سفر يوحنا من حيث الأهمية بالنسبة للنبوئيين الحديثين الذين يدعون إلى تحقيق نبوءات العهد القديم.

جاء دانيال في الحلم أن إسرائيل (ويدعى هنا ((ابن الإنسان))) سوف يرث أعظم الممالك بعد أن يدمر الله أربع ممالك للشر آخرها اليونان. والمرجح أن هذا السفر كتب نتيجة ثورة اليهود المكابيين.

يشترك هذا السفر مع غيره من الكتب النبوئية بالقول بأن الشر سيسيطر على العالم ثم يهزمه جيش الخير الذي يعمل حليفاً مع الله.

إنجيل متي (Matthew)

أول أسفار العهد الجديد، يعتبر إنجيل متي أكثر الأسفار قرباً من تعاليم المسيح المباشرة لأن مؤلفه كان موظفاً في مصلحة الضرائب وشخصاً مقرباً إلى المسيح مما جعل مؤرخي الكتاب المقدس يعتبرونه مؤهلاً لجمع وتسجيل أقواله. ولا يجزم المؤرخون بتاريخ معين لكتابة هذا الإنجيل، لكنهم يرجحون أنه كتب قبل عام ٧٠ م. وأن كتابته تمت في انطاكية.

وإنجيل متي هو تعليمي بالدرجة الأولى وهو الكتاب الوحيد الذي يذكر ((الكنيسة)) بالاسم. وتكمن أهميته هنا في أنه يعتبر الإنجيل الذي يقول إن المسيحية هي إكمال وتحقيق للعهد القديم. كما يذكر في مواضيع عديدة أن ((المسيح هو ملك اليهود)) و((ابن داود)) وهذا يدعم اليمين المسيحي اليوم في ترويجه للتراث اليهودي المسيحي.

إنجيل مرقس (Mark)

وهو أقصر كتاب في العهد الجديد. يعتقد الكثيرون أنه كتب في روما بين عامي ٦٥-٧٠ قبل تدمير القدس بفترة قصيرة. يقول ((قاموس الكتاب المقدس)) إن هذا الإنجيل لا يحتوي إلا على القليل من مولد المسيح أو حياته أو تعاليمه. بل هو في الحقيقة يأخذ معظم مادته من تعاليم بطرس. وأهمية هذا الإنجيل هنا

هي أنه يحتوي على ما يوصف ((بالرؤيا الصغرى)) (مرقس ١٣) وهي حديث المسيح مع تلامذته عن آخر الزمان.

يوحنا (الرؤيا) (John or Revelation)

يعّرف ((قاموس الكتاب المقدس)) كتاب يوحنا (أو الرؤيا) كما يلي: ((آخر كتب العهد الجديد، وهو يعزى إلى يوحنا. والمرجح أن يوحنا كتبه في أواخر القرن الأول الميلادي حينما كان منفياً في جزيرة باتموس)). هذا الكتاب يناشد الكنائس أن تعمد إلى إصلاح أمورها والتخلي عن الشر استعداداً لما هو مقبل من الأحداث، وهو عودة المسيح وهزيمة الشر وتأسيس مملكة الله.

يوحنا ينتمي إلى نوع الأعمال التي تعالج نبوءات آخر الزمان، وهو يمثل النموذج الأكثر شيوعاً من هذه الأعمال. ومع أن هذا الكتاب هو واحد من عدد من الأسفار التي تعالج النبوءات، إلا أنه أكثر شعبية بين صفوف الدعاة والوعاظ المنشغلين بالنبوءات وآخر الزمان.

ويقدّر بعض المؤرخين المسيحيين أن يوحنا كتب هذا العمل حين كان يعيش في روما أثناء حريق المدينة الشهير، وحين نجا هو من المجازر التي تعرض لها المسيحيون هناك. والجدير بالذكر أن يوحنا لم يقبل رسمياً كأحد كتب العهد الجديد إلا في أوائل القرن الرابع الميلادي في المجمع الكنسي في نيقية عام ٣٢٥م، حين اعتمد يوحنا كمؤلفه. كما أن مارتن لوثر (مؤسس الكنيسة البروتستانتية) لم يقتنع بمصداقية تأليف هذا الكتاب، ووضعه في ملاحق الكتاب المقدس. لكن رغم هذا الشك في مصداقية تأليفه، فلقد كان له أكبر الأثر على ملايين المسيحيين وعلى سلوكهم النبوئي، خاصة في الفترة الحديثة.

مقدار المواد النبوئية في الكتاب المقدس ونسبتها إلى مواد الكتاب كاملة:

أ- مقدار المواد النبوئية في الكتاب المقدس: ٨,٣٥٢ عدد.

مجموع مواد الكتاب المقدس: ٣١,١٢٤ عدد.

نسبة المواد النبوئية إلى المجموع: ٢٧٪.

نسبة المواد النبوئية إلى مجموع مواد العهد القديم: ٢٨,٥٪.

نسبة المواد النبوئية إلى مجموع مواد العهد الجديد: ٢١,٥٪.

ب- الأسفار التي تحتوي على أكبر نسبة من المواد النبوئية:

١- في العهد القديم: سفر حزقيال ٨٢١ عدد.

سفر إرمياء ٨١٢ عدد.

سفر إشعياء ٧٥٤ عدد.

٢- في العهد الجديد: إنجيل متي ٢٧٨ عدد.

إنجيل الرؤيا (يوحنا) ٢٥٦ آية.

إنجيل لوقا ٢٥٠ عدد

ج- الأسفار الأكثر نبوئية نسبة إلى مجموع موادها:

١- العهد القديم: صفنيا ٨٩٪

عوبديا ٨١٪

ناحوم ٧٤٪

٢- العهد الجديد: الرؤيا (يوحنا) ٦٣٪

الرسالة إلى العبرانيين ٤٥٪

بطرس٢ ٤١٪

د- أكثر الأسفار نبوئية بالأسلوب الرمزي

دانيال ٢٤ عدد

الرؤيا ٢٠ عدد

المصدر: ((موسوعة النبوءات الكتابية)) (١٩٨٠).

(Encyclopedia of Biblical Prophecy, Grand Rapids, 1980).

النصوص النبوئية في الكتاب المقدس

فيما يلي نورد نماذج للنصوص النبوئية التي يستعملها دعاة القراءة الحرفية للترويج لفكرة خطة الله للكون والبشرية وأحداث نهاية الزمان. وقد تم ترتيب هذه النصوص في ثلاثة مواضيع رئيسية هي، أولاً الأحداث المتصلة باقتراب نهاية الزمان، وثانياً النصوص المتعلقة بالعهد، وثالثاً النصوص المتعلقة بالمملكة الألفية. وتأتي هذه النصوص من كل من العهدين القديم والجديد. علماً بأن النصوص العربية هي من ((الكتاب المقدس)) (دار الكتاب المقدس في الشرق الأوسط، بدون تاريخ).

أولاً: أحداث نهاية الزمان

القدس

زكريا (٢:١٢-٣)

يقول رب إسرائيل:

٢- ((هاأنذا أجعل أورشيلم كأس ترنّح لجميع الشعوب حولها وأيضاً على يهوذا تكون في حصار أورشيلم)).

٣- ((ويكون في ذلك اليوم أني أجعل اورشليم حجراً مشوالاً لجميع الشعوب وكل الذين يشيلونه ينشقون شقاً. ويجتمع عليها كل أمم الأرض)).

لبنان

سفر إرمياء (٢٢: ٢٠)

١٠- ((اصعدي على لبنان واصرخي في باشان أطلقي صوتك واصرخي من عباريم لأنه قد سحق كل محبيك)).

دمشق

سفر إشعياء (١٧: ١)

١- ((وحي من جهة دمشق: هوذا دمشق تزال من بين المدن وتكون رجمة ردم)).

(٧: ٦-٩) ((تآمرت عليك بشر مع افرايم وأبن رملياً قائلة نصعد على يهوذا ونقوضها ونستفتحها لأنفسنا ونملك في وسطها ملكاً ابن طبئيل. هكذا يقول السيد الرب لا تقوم لا تكون. لأن راس ارام ورأس دمشق رصين وفي مدة خمس وستين سنة ينكسر افرايم حتى لا يكون شعباً. وراس افرايم السامرة وراس السامرة ابن رمليا. ان لم تؤمنوا فلا تأمنوا)).

ثانياً: الخطة والأحداث

(الارتقاء)

تسالونيكي (٤: ١٧ -١٨)

١٦- ((لأن الرب نفسه بهتاف بصوت رئيس ملائكة وبوق الله سوف ينزل من السماء والأموات في المسيح سيقومون أولاً)).

١٧- ((ثم نحن الأحياء الباقين سنخطف جميعاً معهم في السحب لملاقاة الرب في الهواء)).

لوقا (٢٣:٢١: ٢٨)

٢٣- ((وويل للحبالى والمرضعات في تلك الأيام لأنه يكون ضيق عظيم على الأرض وسخط على هذا الشعب)).

٢٤- ((ويقعون بفم السيف ويسبون إلى جميع الأمم. وتكون أورشليم مدوسة من الأمم حتى تكمل أزمنة الأمم)).

٢٥- ((وتكون علامات في الشمس والقمر والنجوم. وعلى الأرض كرب أمم بحيرة. البحر والأمواج تضج)).

٢٦- ((والناس يغشى عليهم من خوف وانتظار ما يأتي على المسكونة لأن قوات السماوات تتزعزع)).

٢٧- ((وحينئذ يبصرون ابن الإنسان آتياً في سحابة بقوة ومجد كثير)).

القيامة

متي (٢٤: ٢٩- ٣٤).

٢٩- وللوقت بعد ضيق تلك الأيام تظلم الشمس والقمر لا يعطي ضوءه والنجوم تسقط من ا لسماء وقوات السماوات تتزعزع.

٣٠- وحينئذ تظهر علامة ابن الإنسان في السماء. وحينئذ تنوح جميع قبائل الأرض ويبصرون ابن الإنسان آتياً على سحاب السماء بقوة ومجد كثير.

٣١- فيرسل ملائكته ببوق عظيم الصوت فيجمعون مختاريه من الأربع الرياح من إقصاء السماوات إلى أقصاها.

٣٢- فمن شجرة التين تعلموا المثل متى صار غصنها رخصاً وأخرجت أوراقها تعلمون أن الصيف قريب.

٣٣- هكذا أنتم أيضاً متى رأيتم هذا كله فأعلموا أنه قريب على الأبواب.

٣٤- الحق أقول لكم لا يمضي هذا الجيل حتى يكون هذا كله.

يوئيل (٢:١٥-٢٢)

١٥-٢٢- منه ترتعد الشعوب، كل الوجوه تجمع حمرة. يجرون كأبطال يصعدون السور كرجال الحرب ويمشون كل واحد في سبيله وبين الأسلحة يقعون ولا ينكسرون. يتراكضون في المدينة يجرون على السور يصعدون إلى البيوت يدخلون من الكوى كاللص. قدامه ترتعد الأرض وترتجف السماء. الشمس والقمر يظلمان والنجوم تحجر لمعانها. والرب يعطي صوته أمام جيشه. أن عسكره كثير جداً. فإن صانع قوله قوي لأن يوم الرب عظيم ومخوف جداً فمن يطيقه.
ولكن الآن يقول الرب ارجعوا إلي بكل قلوبكم وبالصوم والبكاء والنوح ومزقوا قلوبكم لا ثيابكم وارجعوا إلى الرب إلهكم لأنه رؤوف رحيم بطيء الغضب وكثير الرأفة ويندم على الشر. لعله يرجع ويندم فيبقى وراءه بركة تقدمه وسكيباً للرب إلهكم.
اضربوا بالبوق في صهيون قدسوا صوماً باعتكاف. اجمعوا الشعب.

المسيح الدجال في الخطة ملك على أوروبا

الرؤيا (١٣: ٤)

٤- ((وسجدوا للتنين الذي أعطى السلطان للوحش وسجدوا للوحش قائلين من هو مثل الوحش. من يستطيع أن يحاربه)).

الرؤيا (١٢:١٧)

١٢- ((الملوك العشرة يعطون ملكهم للوحش إلى أن تتحقق كلمة الله)).

الجيش القادم من الشرق

الرؤيا (٩: ١٦)

١٦- ((وعدد جيش الفرسان مئتا ألف ألف. وأنا سمعت عددهم)).

الخطة (ملك الشمال)

دانيال (١١: ٤٤ -٤٥).

٤٤- ((وتفزعه أخبار من الشرق ومن الشمال فيخرج بغضب عظيم ليخرب وليحرّم كثيرين)).

٤٥- ((وينصب فسطاطه بين البحور وجبل بهاء القدس ويبلغ نهايته ولا معين)).

الخطة: هجوم جيوش الشمال.

حزقيال (٣٨: ١٤ -١٦).

لذلك تنبأ يا ابن آدم وقل لجوج. هكذا قال السيد الرب. في ذلك اليوم عند سكنى شعبي إسرائيل آمنين أفلا تعلم. وتأتي من موضعك من أقاصي الشمال أنت وشعوب كثيرون معك كلهم راكبون خيلاً جماعة عظيمة وجيش كثير. وتصعد على شعبي إسرائيل كسحابة تغشي الأرض. في الأيام الأخيرة يكون. وآتي بك على أرضي لكي تعرفني الأمم حين أتقدس فيك أمام أعينهم ياجوج.

ثالثاً: العهد

وعد الله لإبراهيم (البركة)

التكوين (١٢: ١ -٣)

١- ((وقال الله لإبرام أذهب من أرضك ومن عشيرتك ومن بيت أبيك إلى الأرض التي أريك)).

٢- ((فأجعلك أمة عظيمة وأباركك وأعظم اسمك. وتكون بركة)).

٣- ((وأبارك مباركيك ولا عنك ألعنه. وتتبارك فيك جميع قبائل الأرض)).

وعد الله لإبراهيم (الأرض)

التكوين (١٢: ٥،٧)

٥- ((فأخذ أبرام ساراي امرأته ولوطاً ابن أخيه وكل مقتنياتهما التي اقتنيا والنفوس التي امتلكا في حاران. وخرجوا ليذهبوا إلى أرض كنعان. فأتوا إلى أرض كنعان)).

٧- ((وظهر الرب لإبرام وقال لنسلك أعطي هذه الأرض. فبنى هناك مذبحاً للرب الذي ظهر له)).

التكوين (١٨:١٥)

١٨- ((وفي ذلك اليوم قطع الرب مع أبرا هام ميثاقاً، قائلاً: لنسلك أعطي هذه الأرض من نهر مصر إلى النهر الكبير نهر الفرات)).

عهد إبراهيم وإسحق

التكوين: (١٧:٢٠ -٢١)

٢٠- ((وأما إسماعيل فقد سمعت لك فيه. ها أنا أباركه وأثمره وأكثره كثيراً جداً. إثني عشر رئيساً يلد وأجعله أمة كبيرة)).

٢١- ((ولكن عهدي أقيمه مع إسحاق الذي تلده لك سارة في هذا الوقت في السنة الآتية)).

الأرض لإسرائيل

صموئيل الثاني: (١٠:٧).

١٠- ((وعينت مكاناً لشعبي إسرائيل وغرسته فسكن في مكانه ولا يضطرب بعد ولا يعود بنو الإثم يذللونه كما في الأول)).

الوعد والشعب

التثنية (٢٦: ١٥ -١٩)

١٥- ((اطلع من مسكن قدسك من السماء وبارك شعبك إسرائيل والأرض التي أعطيتنا كما حلفت لآبائنا أرضاً تفيض لبناً وعسلاً)).

١٦- ((هذا اليوم قد أمرك الرب إلهك أن تعمل بهذه الفرائض والأحكام فاحفظ وأعمل بها من كل قلبك ومن كل نفسك)).

١٧- ((وقد واعدت الرب اليوم أن يكون إلهاً لك وأن تسلك في طرقه وتحفظ فرائضه ووصاياه وأحكامه وتسمع لصوته)).

١٨- ((وواعدك الرب اليوم أن تكون له شعباً خاصاً كما قال لك وتحفظ جميع وصاياه)).

١٩- ((وأن يجعلك مستعلياً على جميع القبائل التي عملها في الثناء والاسم والبهاء وأن تكون شعباً مقدساً للرب إلهك كما قال)).

الشعب

الخروج (٦: ٢٢)

٢٢- ((هكذا يقول الرب: إسرائيل ابني البكر)).

عهد الله لإسرائيل ـ اليهود

حزقيال (٢٠:١٧:١١).

١٧- ((لذلك قل. هكذا قال السيد الرب. أني أجمعكم من بين الشعوب وأحشركم من الأراضي التي تبددتم فيها وأعطيكم أرض إسرائيل)).

١٨- ((فيأتون إلى هناك ويزيلون جميع مكرهاتها وجميع رجساتها منها)).

١٩- ((وأعطيهم قلباً واحداً وأجعل في داخلكم روحاً جديداً وأنزع قلب الحجر من لحمهم وأعطيهم قلب لحم)).

٢٠- ((لكي يسلكوا في فرائضي ويحفظوا أحكامي ويعملوا بها ويكونوا لي شعباً فأنا أكون لهم إلهاً)).

وعد إسرائيل

إشعياء (١٤: ١)

((لأن الرب سيرحم ويختار أيضاً إسرائيل ويريحهم في أرضهم فتقترن بهم الغرباء وينضمون إلى بيت يعقوب)).

الموعد

دانيال (٩:١٢:١٩- ١٣).

١٩-١٣ ((وأنا سمعت وما فهمت، فقلت يا سيدي ما في آخر هذه، فقال أذهب يا دانيال لأن الكلمات مخفية ومختومة إلى وقت النهاية. كثيرون يتطهرون ويبضّون ويمحصون. أما الأشرار فينفعلون شراً ولا يفهم أحد الأشرار لكن الفاهمون يفهمون. ومن وقت إزالة المحرقة الدائمة وإقامة رجس المخرب ألف ومئتان وتسعون يوماً. طوبى لمن ينتظر ويبلغ إلى الألف والثلاث مئة والخمسة والثلاثين يوماً. أما أنت فاذهب إلى النهاية فتستريح. وتقوم لقرعتك في نهاية الأيام)).

نبوءة مجيء المسيح

متي (١:٢٤-١٤)

((أنباء يسوع بخراب الهيكل وبالعلامات الدالة عليه وبعلامات آتيان ابن الإنسان أن تلك الساعة لا يعرفها أحد وجوب السهر كالعبد الأمين المنتظر أتيان سيده)).

١-١٤ ((ثم خرج يسوع ومضى من الهيكل. فتقدم تلاميذه لكي يروه أبنية الهيكل. فقال لهم يسوع أما تنظرون جميع هذه. الحق أقول لكم إنه لا يترك ههنا حجرعلى حجر لا ينقص)).

((وفيما هو جالس على نجبل الزيتون تقدم إليه التلاميذ على انفراد قائلين قل لنا متى يكون هذا وما هي علامة مجيئك وانقضاء الدهر. فأجاب يسوع وقال لهم انظروا لا يضلكم أحد. فإن كثيرين سيأتون باسمي قائلين أنا هو المسيح ويضلون كثيرين. وسوف تسمعون بحروب وأخبار حروب. انظروا لا ترتاعوا. لأنه لا بد أن تكون هذه كلها. ولكن ليس المنتهى بعد. لأنه تقوم أمة على أمة ومملكة على مملكة وتكون مجاعات وأوبئة وزلازل في أماكن. ولكن هذه كلها مبتدأ الأوجاع. حينئذ يسلمونكم إلى ضيق ويقتلونكم وتكونون مبغضين من جميع الأمم لأجل اسمي. وحينئذ يعثر كثيرون ويسلمون بعضهم بعضاً ويبغضون بعضهم بعضاً. ويقوم أنبياء كذبة كثيرون ويضلون كثيرين)).

((ولكثرة الإثم تبرد محبة الكثيرين، ولكن الذي يصبر إلى المنتهى فهذا يخلص ويكرز ببشارة الملكوت هذه في كل المسكونة شهادة لجميع الأمم. ثم يأتي المنتهى)).

مملكة المسيح

دانيال (٩:٧، ١٣ -١٤)

٩- ((كنت أرى أنه وضعت عروش وجلس القديم الأيام، لباسه أبيض كالثلج وشعر رأسه كالصوف النقي وعرشه لهيب نار. وبكراته نار متقدة)).

١٣-١٤ ((كنت أرى في رؤى الليل وإذا مع سحاب السماء مثل ابن إنسان آتي وجاء إلى القديم فقربوه قدامه. فأعطي سلطاناً ومجداً وملكوتاً لتتعبد له كل الشعوب والأمم والألسنة. سلطانه سلطان أبدي ما لن يزول وملكوته ما لا ينقرض)).

مملكة المسيح

دانيال (٢:٤٤)

٤٤- ((وفي أيام هؤلاء الملوك يقيم إله السماوات مملكة لن تنقرض أبداً وملكها لا يترك لشعب آخر وتسحق وتفنى كل هذه الممالك وهي تثيب إلى الأبد)).

مملكة المسيح

إشعياء (١:٤)

الأمور التي رآها إشعيا بن آموص من جهة يهوذا وأورشليم.

((ويكون في آخر الأيام أن جبل بيت الرب يكون ثابتاً في رأس الجبال ويرتفع فوق التلال وتجري إليه كل الأمم. وتسير شعوب كثيرة ويقولون هلم نصعد إلى جبل الرب إلى بيت إله يعقوب فيعلمنا من طرقه ونسلك في سبله لأنه من صهيون تخرج الشريعة ومن أورشليم كلمة الرب. فيقضي بين الأمم وينتصف لشعوب كثيرين فيطبعون سيوفهم سككاً ورماحهم مناجل. لا ترفع أمة على أمة سيفاً ولا يتعلمون الحرب في ما بعد)).

المملكة الألفية

الرؤيا (٢٠: ١- ١٤)

((ورأيت ملاكاً نازلاً من السماء معه مفتاح الهاوية وسلسلة عظيمة على يده. فقبض على التنين الحية القديمة الذي هو إبليس والشيطان وقيده ألف سنة وطرحه في الهاوية وأغلق (عليه) وختم عليه لكي لا يضل الأمم في ما بعد حتى تتم الألف السنة وبعد ذلك لا بد أن يحل زماناً يسيراً)).

((ورأيت عروشاً فجلسوا عليها وأعطوا حكماً ورأيت نفوس الذين قتلوا من أجل شهادة يسوع ومن أجل كلمة الله والذين لم يسجدوا للوحش ولا لصورته ولم يقبلوا السمة على جباههم وعلى أيديهم فعاشوا وملكوا مع المسيح ألف سنة. وأما بقية الأموات فلم تعش حتى تتم الألف السنة. هذه هي القيامة الأولى. مبارك ومقدس من له نصيب في القيامة الأولى. هؤلاء ليس الموت الثاني سلطان عليهم بل سيكونون كهنة لله والمسيح وسيملكون معه ألف سنة)).

((ثم متى تمت الألف السنة يحل الشيطان من سجنه ويخرج ليضل الأمم الذين في أربع زوايا الأرض جوج ومأجوج ليجمعهم للحرب اللذين عدهم مثل رمل البحر. فصعدوا على عرض الأرض وأحاطوا بمعسكر القديسين وبالمدينة المحبوبة فنزلت نار من عند الله من السماء وأكلتهم. وإبليس الذي كان يضلهم طرح في بحيرة النار والكبريت حيث الوحش والنبي الكذاب وسيعذبون نهاراً وليلاً إلى أبد الآبدين)).

((ثم رأيت عرشاً عظيماً أبيض والجالس عليه الذي من وجهه هربت الأرض والسماء ولم يوجد لهما موضع. ورأيت الأموات صغاراً وكباراً واقفين أمام الله وانفتحت أسفار وانفتح سفر آخر هو سفر الحيوة ودين الأموات مما هو مكتوب في الأسفار بحسب أعمالهم. وسلم البحر الأموات

الذين فيه وسلم الموت والهاوية والأموات الذين فيهما ودينوا كل واحد بحسب أعماله. وطرح الموت والهاوية في بحيرة النار. هذا هو الموت الثاني. وكل من لم يوجد مكتوباً في سفر الحيوة طرح في بحيرة النار)).

مملكة المسيح

الرؤيا (٧:١ –١٧).

((الملائكة الأربعة الماسكة الرياح. ختم ملاك آخر عبيد الله في جباههم. عدد المختومين من كل أسباط إسرائيل الجمع الكثير لا يحصى عدده الواقف أمام العرش. تسبحتهم تسبحة الملائكة والشيوخ والحيوانات غبطة الذين خرجوا من الضيقة العظيمة ومجدهم)).

١–١٧ ((وبعد هذا رأيت أربعة ملائكة واقفين على أربع زوايا الأرض ممسكين أربع رياح الأرض لكي لا تهب ريح على الأرض ولا على البحر على شجرة ما. ورأيت ملاكاً آخر طالعاً من مشرق الشمس معه ختم الله الحي فنادى بصوت عظيم إلى الملائكة الأربعة الذين أعطوا أن يضروا الأرض والبحر قائلاً لا تضروا لأرض ولا البحر ولا الأشجار حتى نختم عبيد الهنا على جباههم. وسمعت عدد المختومين مئة وأربعة وأربعين ألفاً مختومين من كل سبط من بني إسرائيل. من سبط يهوذا اثنا عشر ألف مختوم. من سبط رأوبين اثنا عشر ألفاً. من سبط جاد اثنا عشر ألفاً مختوم. من سبط أشير اثنا عشر ألفاً مختوم. من نفتالي اثنا عشر ألف مختوم. من سبط منسى اثنا عشر ألف مختوم. من سبط شمعون اثنا عشر ألف مختوم. من سبط لاوي اثنا عشر ألفا مختوم. من سبط يساكر اثنا عشر ألف مختوم. من سبط زبولون اثنا عشر ألف مختوم. من سبط يوسف اثنا عشر ألفا مختوم. من سبط بنيامين اثنا عشر ألفاً مختوم)).

((بعد هذا نظرت وإذا جمع كثير لم يستطع أحد أن يعده من كل الأمم والقبائل والشعوب والألسنة واقفون أمام العرش وأمام الخروف متسربلين بثياب بيض وفي أيديهم سعف النخل. وهم يصرخون بصوت عظيم قائلين الخلاص لالهنا الجالس على العرش وللخروف. وجميع الملائكة واقفين حول العرش والشيوخ والحيوانات الأربعة وخروا أمام العرش على وجوههم وسجدوا إلى الله قائلين آمين. وأجاب واحد من الشيوخ قائلاً هؤلاء المتسربلون بالثياب البيض من هم ومن أين أتوا. فقلت له يا سيد أنت تعلم. فقال لي هؤلاء الذين أتوا من الضيقة العظيمة وقد غسلوا ثيابهم وبيضوا ثيابهم في دم الخروف. من أجل ذلك هم أمام عرش الله ويخدمونه نهاراً وليلاً في هيكله والجالس على العرش يحل فوقهم. لن يجوعوا بعد ولن يعطشوا بعد ولا تقع عليهم الشمس ولا شيء من الحر لأن الخروف الذي في وسط العرش يرعاهم ويقتادهم إلى ينابيع ماء حية ويمسح الله كل دمعة من عيونهم)).

الملحق (٣)

الألفية والنبوءات

سرد تاريخي

نورد هنا قائمة ببعض الأمثلة على النبوءات بنهاية الزمان ومجيء المسيح مرتبة بالتسلسل التاريخي. هذا مع العلم بأن هذه القائمة لا تضم سوى جزء يسير من العدد الإجمالي للنبوءات التي أطلقها بعض الأشخاص أو الفئات في الغرب عبر القرون. فعدد النبوءات التي أعلن عنها قادة كنيسة الميثوديين مثلاً يزيد عن المئة. والهدف من هذه القائمة هو إيضاح أمرين هامين بالنسبة لهذا البحث، أولهما التنوع في المعتقدات المذهبية لمن أطلق هذه النبوءات، وثانيهما العلاقة المستمرة في النبوءات بين نهاية الزمان واليهود وأرض الميعاد.

عام ٦٠ قاد تفسير ((رسائل القديس بولس)) الحرفي بعض الزعماء الدينيين إلى التنبؤ بأن عودة المسيح ستكون قبل انتهاء القرن الأول.

عام ٩٠ تنبأ القديس كليمنت الأول أن نهاية الزمان ستحدث في أية لحظة.

عام ٤٢٦ في هذا العام أنهى أوغسطين كتابة عمله الرئيسي ((مدينة الله)) (The City of God). بعد أن كان أوغسطين من المؤمنين بالأفكار

الألفية النبوئية جعله تطرف دعاتها يتحول إلى المغزى الرمزي للنبوءات. وكان كتابه هذا تعبيراً عن هذا الإيمان وتتويجاً لابتعاد الكنيسة المستمر عن التفسير الحرفي لأدبيات الساعة الأخيرة. اعتبر أوغسطين مفهوم المملكة الألفية مفهوماً مجازياً كحالة روحية إيمانية تدخلها الكنيسة بشكل جماعي في عيد العنصرة (Pentecost) وكحالة إيمانية يدخلها كل فرد مؤمن. وهكذا فالصراع الرئيسي الذي يتنبأ به سفر الرؤيا هو رمز للصراع الذي يعتمل في نفس الإنسان الفرد. كانت الكنيسة الكاثوليكية قد أصبحت مؤسسة قوية جداً، وأبعدها أوغسطين بأفكاره هذه عن تجارة آخر الزمان، أو على الأقل عن التفسير الحرفي للنبوءات. اعتقد أوغسطين أن فترة الألف عام بدأت عند المجيء الأول للمسيح وستنتهي عند المجيء الثاني في نهاية الزمان. وقال أوغسطين إن القدس الجديدة هي حالة روحية موجودة فعلاً وهي المدينة السماوية التي يدخلها كل من في الإيمان. والألفية، إذن، هي حالة ذهنية روحانية في قلب المؤمن، وبذلك خالف أوغسطين القائلين بأن المسيح سيحكم مملكة أرضية. وقال أوغسطين عن الساعة الأخيرة ((إن الذي يحب عودة الرب هو ليس الذي يؤكد أنها سوف تحدث في المستقبل البعيد، ولا ذلك الذي يؤمن بقرب حدوثها. إنه الشخص الذي ينتظرها بإيمان حق وأمل راسخ وحب كبير سواء كانت قريبة أو بعيدة)).

إلا أن أوغسطين قال بأن المعركة الأخيرة التي يتنبأ بها الكتاب المقدس سوف تقوم بين قوى الخير وقوى الشر، وتلك ستكون الحرب بين يأجوج ومأجوج.

كان لأفكار أوغسطين، خاصة عن الألفية ونهاية الزمان، تأثير كبير في العالم المسيحي، واستمر هذا التأثير لعدة قرون.

عام ٦٢٢ هجرة محمد إلى المدينة وبدء انتشار رسالة الإسلام. وجاءت سيطرة المسلمين على القدس فوضعت الدين الجديد في موقف مجابهة مع العالم المسيحي. ومنذ ذلك الحين استمر المسيحيون المؤمنون بالأفكار الألفية يصورون الإسلام والمسلمين على أنهم أتباع المسيح الدجال وجيش الشر، وما زال هؤلاء يتوقعون المعركة الأخيرة بين جيش المسيح وهذا الجيش.

عام٩٥٠ وضع الراهب الفرنسي أدسو (Adso) كتابه بعنوان «رسالة المسيح الدجال» (Message of the Antichrist) الذي انتشر في أنحاء أوروبا، وكان عاملاً مؤثراً في الفكر الشعبي والكنسي لعدة قرون. أرسى الراهب أدسو بهذا الكتاب أسس مفهوم «آخر أباطرة العالم» الذي سيوحد العالم المسيحي ويقهر المسلمين محتلاً القدس والهيكل حيث يحكم العالم. ثم بعد ذلك يكشف عن حقيقته – المسيح الدجال– ويمهد لعودة المسيح الحقيقي. غلبت على الفكر الديني الغربي نتيجة لهذا المفهوم القراءة الحرفيةللنصوص المقدسة، وكان ذلك قبل الحروب الصليبية بمدة قصيرة نسبياً. وأعطت هذه القراءة شعبية كبيرة للكتابات النبوئية، وخاصة كتاب الرؤيا (يوحنا)، وعمد الحرفيون إلى قراءة الأحداث المعاصرة في ضوء هذه النبوءات.

عام ٩٩٩ مع انتهاء الألفية التقويمية الأولى عمت الأفكار الألفية ونشاطاتها أوروبا،وأقيم احتفال ديني كبير في منتصف الليل في الفاتيكان برئاسة البابا سيلفستر. كان المصلون حينذاك يرتعدون من توقعات نهاية الزمان.

عام١٠٠٠ مع اقتراب عام (١٠٠٠م) سيطر على الكثير من المجتمعات الأوروبية ما وصفه كاتب معاصر ((جو من الذعر)) خاصة في صفوف الفقراء والمسحوقين، وأضاف إلى هذا الجو مئات من المدعين بأنهم المسيح المنتظر الذين راحوا يتجولون في أنحاء أوربة المسيحية. كان أحد مصادر هذا الذعر الجماهيري عمل ضخم عنوانه ((خمسة مجلدات من التاريخ)) الذي أرخ للأحداث العالمية المستقبلية في الفترة من عام ٩٠٠ إلى عام ١٠٤٤م.

أيار،١٠٠٠ جرى إخراج جثة الإمبراطور شارلمان في عيد العنصرة، لأن بعضهم أشاع أن إمبراطوراً سوف ((يقوم من سباته)) للقتال ضد المسيح الدجال.

عام١٠٥٤ انقسمت المسيحية إلى كنيستين رئيسيتين هما كنيسة روما (الغربية) والكنيسة البيزنطية (الشرقية) في القسطنطينية. وأصبح كل من الطرفين من ذلك الوقت يستعمل أفكار آخر الزمان والقراءة الحرفية للنصوص المقدسة ضد الآخر.

عام١٠٩٦ أعلن البابا أوربان الثاني أن ((إرادة الله)) تقضي بشن ((حملة صليبية)) لدفع الأتراك خارج آسيا الصغرى ثم ((استرجاع)) الأراضي المقدسة، وخاصة القدس. استطاع البابا استثارة الحماس الديني الشعبي في أنحاء أوربة حيث كانت جماهير المؤمنين مهيأة لقبول القراءة الحرفية لنبوءات النصوص المقدسة.

اجتاحت أوروبا أخبار ((استعادة)) الأراضي المقدسة، خاصة بعد حصار القدس وسقوطها بيد الجيوش الأوروبية.

عام١١٥١ في خضم الحروب الصليبية أتمت الراهبة هيلد يغارد من برينغن كتابها الشهير ((سكيفياس)) وهو كتاب يعالج نبوءات آخر الزمان بمشاهد جميلة الزخرفة ويشمل رؤيا الساعة الأخيرة وصورة المسيح الدجال.

عام١١٤٧ قالت إحدى النبوءات إن فترة الألف عام بدأت مع صعود الإمبراطور قستنطين إلى السلطة، لذلك فعام ١١٤٧ هو الموعد المحدد ((لهجوم الشيطان على الكنيسة)).

عام١١٨٤ أعلن الراهب واكيم الفيوري (Joachim of Fiory) أن الوحي قد أتاه فيما يتعلق بخطة الله للكون وما أصبح يعرف ((بتعاليم آخر الزمان)). وكان ذلك في فترة الحروب الصليبية فانتشرت أفكاره في أوروبا انتشاراً سريعاً وظلت تؤثر في الفكر الشعبي والرسمي حتى الآن. في كتابه ((كشف النقاب عن النبوءات)) قسم واكيم الدهر إلى ثلاث مراحل هي: عصر الأب (القانون)، عصر الابن (الكتاب)، عصر الروح. قال الراهب ان البشرية وصلت إلى عصر الابن وان عصر الروح سيبدأ بين عامي ١٢٠٠ و ١٢٦٠. وقد ركز واكيم (بعكس ما فعل القديس أوغسطين) على القيمة النبوئية الحرفية للنصوص المقدسة وخاصة كتاب الرؤيا، واعتبرها تاريخاً للماضي والمستقبل.

عام١١٩٠ بعد أن استعاد جيش صلاح الدين القدس عام ١١٨٧ دعا البابا غريغوري الثالث لشن حملة صليبية ثالثة ((لاستعادة)) المدينة المقدسة. كان ممن استجابوا للدعوة ريتشارد قلب الأسد الذي توقفت بمدينة مسينا لبضعة أيام للتحادث مع الراهب واكيم حول نبوءاته. وتنبأ له واكيم بأنه هو الذي سيهزم صلاح الدين - المسيح الدجال- وسيطرده من القدس.

عام١٤٩٢ بعد فترة سبع سنوات من التجول بين قصور ملوك وأمراء أوروبا لمحاولة إقناعهم بدعم رحلته غرباً، أبحر كريستوفر كولومبس على متن السفينة (آنا ماريا) واكتشف جزر ويتلينغ

معتقداً أنه وصل إلى الهند. كان الدافع الرئيسي وراء حماس كولومبس هو رؤيا متكررة جاءته تخبره بأن سوف يكون له شأن في هزيمة إمبراطورية محمد ((واستعادة)) الأراضي المقدسة والتمهيد لنهاية الزمان.

عام١٧١٦ هو موعد عودة المسيح الذي تنبأ به كوتون ماذر زعيم الطهوريين في بداية الاستيطان في أمريكا. كما أن كوتون ماذر تنبأ فيما بعد أن ذلك الموعد هو عام ١٧٣٦.

عام١٧٣٤ هو الموعد المحدد لعودة المسيح الذي تنبأ به الفيلسوف الديني كاردينال نيكولاس دي سوسا. ويذكر أن دي سوسا كان من أوائل العلماء المسيحيين الذين ترجموا بعض آيات القرآن وكتبوا عن الإسلام ومحمد.

عام١٧٩٢ الموعد الذي حددته حركة ((الهزازين)) (Shakers) لنهاية الزمان.

عام١٧٩٤ حدد أحد مؤسسي المذهب الميثودي (Methodism) هذا العام كموعد محتمل لنهاية الزمان.

عام١٧٩٨ أي قبل انعقاد المؤتمر الصهيوني بمئة عام، أثناء حملة نابليون بونابرت على مصر، أصدر نابليون بيانه الشهير يحث فيه اليهود على ((إعادة تأسيس)) ما سماه ((بالمملكة اليهودية القديمة في القدس)).

وقد عبر نابليون فيما بعد عن أساه لعدم استطاعته احتلال فلسطين والمساعدة على بلوغ هذا الهدف الكتابي.

عام١٨٢٣ أتى جوزيف سميث، مؤسس مذهب المورمون، الوحي في حلم يأمره بأن يجمع شتات بقايا شعب الله المختار وأن يبني صهيون الجديدة.

عام١٨٣٠ تنبأت ((النبية)) المسيحية مارغريت ماكدونالد أن روبرت أوين هو المسيح الدجال، وهو مؤسس بلدة نيو هارموني في ولاية إنديانا.

عام١٨٣٢ سمع جوزيف سميث مؤسس مذهب المرمون صوت ملاك يقول له إنه إذا عاش حتى يبلغ سن ٨٥ سنة سيعود المسيح، وكان هذا التاريخ المتوقع هو عام ١٨٩٠.

عام١٨٣٦ مؤسس المذهب الميثودي (Methodism) المصلح الديني جون وولزي حدد هذا العام كموعد لبدء الألفية، وهو العام الذي سوف يظهر فيه الوحش المذكور في كتاب الرؤيا (يوحنا) من البحر.

عام١٨٥٦ رأى بعض المتنبئين أن حرب القرم (١٨٥٣-١٨٥٦) هي معركة مجيدو. روج هؤلاء المتنبئون للفكرة القائلة بأن من علامات هذه المعركة نية روسيا غزو فلسطين و((استرجاعها)) من الإمبراطورية العثمانية.

عام١٨٤٣ بعد أن أجرى ويليم ميلر دراسة دقيقة للكتاب المقدس استمرت سنتين قرر أن عودة المسيح ستكون عام ١٨٤٣. وحين لم يتحقق ذلك في اليوم المحدد أعاد ميلر حساباته وقرر أن:

عام١٨٤٤ هو الموعد الصحيح، قاد هذا عدداً كبيراً من أتباعه إلى التخلص من كل ممتلكاتهم ومتاعهم وصعدوا إلى قمة إحدى التلال لكي ينتظروا الحدث العظيم.

عام١٨٦٠ نشر أرنست لاهاران، السكرتير الشخصي لنابليون الثالث، كتابه الشهير بعنوان:

((مشكلة الشرق: إعادة تأسيس الأمة اليهودية)).

عام١٨٧٨ صدر كتاب ويليم بلاكستون (William Blackstone) بعنوان ((المسيح آت)) (Jesus Is Coming) وكان بلاكستون من أوائل من دعوا إلى تأسيس دولة يهودية سياسية في فلسطين نتيجة اعتقاده بتحقيق النبوءات حرفياً. نظم بلاكستون أول مؤتمر للمسيحيين واليهود في مدينة شيكاغو، روج فيه لتأسيس الدولة اليهودية. وعندما انعقد أول مؤتمر صهيوني في مدينة فيلادلفيا عام ١٩١٨ منحه المؤتمر لقب ((أبو الصهيونية)).

عام١٩١٤ تنبأ أتباع مذهب ((شهود يهوه)) أن بداية الحرب العالمية الأولى هي بداية معركة مجيدو. وقد كررت مؤسسة ((برج المراقبة)) للكتاب المقدس المتحدث باسم هذا المذهب تنبؤاتها للأعوام ١٩١٢، ١٩٢٠، ١٩٤١، ١٩٩٤، وغيرها.

عام١٩٣٦ تنبأ هربرت آرمسترونغ مؤسس كنيسة الله العالمية أن هذا هو عام عودة المسيح. فيما بعد قرر آرمسترونغ أن الموعد هو ١٩٧٥.

عام١٩٤٨ أثار إنشاء دولة إسرائيل في فلسطين العشرات من النبوءات عن اقتراب موعد نهاية الزمان.

عام١٩٦٧ أثناء حرب حزيران ١٩٦٧ حين استولى الجيش الإسرائيلي على القدس، راح المسيحيون اليمنيون في أمريكا بصورة خاصة يلقون المواعظ ويؤلفون الكتب والنشرات عن قرب ((تحقيق النبوءات)).

عام١٩٨٢ هذا العام هو الموعد الذي حدده الواعظ اليميني بات روبرتسون.

عام١٩٨٥ عقدت هيئة تسمى ((السفارة المسيحية العالمية)) أول ((مؤتمر مسيحي صهيوني)) دولي في مدينة بال في سويسر، في مكان انعقاد المؤتمر الصهيوني الأول عام (١٨٩٧). قرر المؤتمر أن ((القدس- مدينة داود- هي عاصمة إسرائيل الأبدية)).

عام١٩٨٨ عقـدت ((السـفارة المسـيحية العالميـة)) مؤتمرهـا ((المسـيحي الصهيوني)) الثاني في القدس وقرر المؤتمر أن لليهود حقاً مقدسـاً في كامل ((أرض إسرائيل)).

عام١٩٨٨ هو العام الذي قال هال ليندزي أنه موعـد ((الارتقـاء)) الـذي يرتفع فيه المؤمنـون إلى المسـيح. لأن هـذا العـام جـاء بعـد تأسـيس إسرائيل بجيل واحد أو أربعين عاماً حسب النبوءات.

عام١٩٩٥ المصمم باكورابان Paco Robbanne قال إن الخسوف الـذي تنبـأ به نوستروداموس سوف يحدث يوم ١٩٩٩/٨/١١.

ولا يتسع المجال لذكر المئات من المواعيد التي ترد الآن، خاصة في مواقـع النبـوءات علـى الشـبكة العالميـة وفي كتـب النبوئيـين وصحفهم ودورياتهم ونشراتهم.

المصادر العربية

جارودي، روجيه: ((الخرافات المؤسسة للسياسة الإسرائيلية)) ترجمة م. ع. كيلاني (دمشق، دار الكاتب، ١٩٩٦).

جارودي، روجيه: ((محاكمة الصهيونية الإسرائيلية)) (بيروت، الفهرست، ١٩٩٨).

رزوق، أسعد: ((إسرائيل الكبرى)) (بيروت، مركز الأبحاث، ١٩٧٣).

الزين، محمد فاروق: ((المسيحية والإسلام والاستشراق)) (دمشق، دار الفكر، الطبعة الثانية، ٢٠٠٢).

طمسن، توماس: ((الماضي الخرافي للتوراة والتاريخ)) ترجمة عدنان حسن (دمشق، دار قدس، ٢٠٠١).

((الكتاب المقدس)) (دار الكتاب المقدس في الشرق الأوسط، ١٩٩٧).

كنعان، جورجي: ((أمجاد إسرائيل في أرض فلسطين)) (بيروت، دار الطليعة، ١٩٧٨).

كنعان، جورجي: ((العنصرية اليهودية)) (بيروت، دار النهار، ١٩٨٣).

كنعان، جورجي: ((وثيقة الصهيونية في العهد القديم)) (بيروت، دار النهار، ١٩٧٧).

اليازجي، ندره: ((رد على اليهودية واليهودية المسيحية)) (دمشق، دار طلاس، ١٩٧٨).

المصادر الأجنبية

BIBLIOGRAPHY

Adams, Hannah. *A Dictionary of Religions and Religious Denominations*. Boston: Cummings and Hilliard, 1817.

Ahlstrom, Sydney E. "Theology in America: A Historical Survey." In James W. Smith and A. Leland Jamison (eds.), *Religion in American Life*. Princeton, N.J.: Princeton University Press, 1961.

Andrews, Charles Wesley, *Private Correspondence*. Duke University Manuscript Department.

Barclay, J. T. *The City of the Great King; or Jerusalem as it was, as it is, and as it is to be*. Philadelphia: James Challen, 1858.

Barlow, Joel. *The Works of Joel Barlow*. With an Introduction by William K. Bottorff and Arthur L. Ford. 2 vols. Gainesville, Fla.: Scholars' Facsimiles & Reprints, 1970.

Bellah, Robert N. "Civil Religion in America", Daedalus, 96 (1967) pp. 1-21.

Bergh, Charles Edwin. *Private Correspondence*. Duke University Manuscript Department.

Bradford, William, *The History of Plymouth Plantation, 1606-1646*. Edited by William T. Davis. New York: Charles Scribner's Sons, 1908.

Bradford, William. History of Plymouth Plantation." *Old South Leaflets*. Vol. 7 (No. 153). Boston, n.d.

Brewer, Josiah. *A Residence at Constantinople*, in the year 1827. 2nd ed. New Haven: Durrie & Peck, 1830.

Buck, Charles. *A Theological Dictionary*. New American Edition, revised and improved...George Bush and Will D. Howe. Philadelphia: Crissy & Markley, 1843.

Burner, David, Eugene D. Genovese, and Forrest McDonald. *The American People*. St. James,

N. Y.: Revisionary Press, 1980.

Bush George. *The Life of Mohammad, Founder of the Religion of Islam, and of the Empire of the Saracens*. New York: Harper, 1847.

Carpenter, Frederic Ives. *Emerson and Asia*. Cambridge, Mass.: 1930.

Casaa, Bartolome de las. "History of the Indies," transl. A. Collard (N. Y., 1971).

Clouse, Robert, Robert Hosack and Richard Pierard. The New Millennial Manual (Grand Rapids, Mich., Baker Books, 1999).

Cotton, John. God's Promise to his Plantation." *Old South Leaflets* III, (51-57). Boston, n.d.

Cummins, J. S. "Christopher Columbus: Crusader, Visionary and Servus Dei" *Medieval Hispanic Studies* (London, 1976).

"The Divinity of Missions," *American Theological Review* I (Nov. 1859): 605-618.

Dorr, David F. *A Colored Man Round the World, By a Quadroon*. [Cleveland?]: Printed for the Author, 1858.

Duffield, George. *A Sermon Preached in the Third Presbyterian Church* (Phil., 1784).

Dwight, Timothy. *The Major Poems of Timothy Dwight (1752-1817)*...With an Introduction by William J. McTaggart and William K. Bottorff. Gainesville, Fla.: Scholar's Facsimile & Reprints, 1969.

Encyclopedia of the American Religious Experience (N. Y. 1988), Scribner American Civilization Series.

Esposito, John L. *The Islamic Threat: Myth or Reality* (N. Y., 1995).

Feidelson, Charles, Jr. *Symbolism and American Literature*. Chicago: The University of Chicago Press, 1953.

Field, James A. *America and the Mediterranean World: 1776-1882*. Princeton, N.J.: Princeton University Press, 1969.

Finkelstein, Dorothee Metlisky. *Melville's Orienda*. New Haven: Yale University Press, 1961.

"Frontline Roundtable," Frontline Website.

Gibbon, Edward. *The Decline and Fall of the Roman Empire*. 2 vols. New York: The Modern Library, 1932.

The Great Commission. Hartford: Silas Andrus, 1856.

Haight, Sarah Rogers. *Letters from the Old World by a Lady of New York*. 2 vols. New York: Harper, 1840.

Harland, Marion. *Under the Flag of the Orient*. Philadelphia: Historical Pub. Co., 1897.

Harley, J. Brian. *Maps of the Columbian Encounter* (Milwaukee, 1990).

Hatch, Nathan O. "The Origins of Civil Millenialismin America: New England Clergymen, War with France, and the Revolution." *William & Mary Quarterly*, Third Series, 31 (1974), pp 407-430.

Hayward, John. *The Book of Religions; Comprising the Views, Creeds, Sentiments, or Opinions, of All the Principal Religious Sects in the World*...Boston: John Hayward, 1843.

Horay, Philip M. "America: A Model for the World" (Philip Hosay) Web Wite.

Horton, Rod and Herbert Edwards, *Backgrounds of American Literary Thought* (N. Y., 1952).

Hudson, Winthrop S. *Religion in America* (N. Y., 3rd ed., 1981).

Humphrey, Heman. *The Promised Land: A Sermon, delivered at Godhen, (Conn.) at the ordination of the Rev. Messrs. Hiram Bingham & Asa Thurston, as missionaries to the Sandwich Island, Sept. 29, 1819*. Boston: Samuel T. Armstrong, 1819.

Humphrey Prideaux, *The Old and New Testament Connected in the History of the Jews and Neighboring Nations from the Declension*

of the Kingdoms of Israel and Judah to the Time of Christ, 2 vols. (London, 1716-1718).

Irving, Washington. *The Life and Voyages of Christopher Columbus* (N. Y. 1849).

Irving, Washington. *Mahomet and His Successors*. New York: The Co-operative Publication Society, 1849.

Jessup, Henry Harris. *Fifty-Three Years in Syria*. 2 vols. New York: Fleming H. Revell, 1910.

_____. *The Mohammedan Missionary Problem*. Philadelphia: Presbyterian Board of Publications, 1879.

Lewis, R. W. B. *The American Adam*. 3rd ed. Chicago: The University of Chicago Press, 1961.

Lilienthal, Alfred. *The Zionist Connection: What Price Peace?* (N. Y., 1979).

Lipset, Seymour. *The First New Nation* (N. Y., 1963).

Lynch, William F. *Narrative of the United States' Expedition to the River Jordan and the Dead Sea*. 9th ed., rev. Philadelphia: Blanchard and Lea, 1853.

Maclear, J. F. "The Republic and the Millenium", in Elwyn A. Smith, ed. *The Religion of the Republic* (Phil., 1971).

Marsden, George F. *Fundamentalism and American Culture* (1875-1925) (N. Y., 1980).

Mather, Cotton. *The Diary of Cotton Mather* in *Collections of the Massachusetts Historical Society*. Seventh Series, Vol. 7, May 26, 1716, Aug. 11, 1716, Mar. 6, 1717.

_____. *Magnalia Christi Americana; or, The Ecclesiastical History of New-England, From its First Planting, in the Year 1620, unto the year of Our Lord 1698*. 2 vols. Hartford, 1853-1855 [v. 1, 1855]

Mather, Increase. *Early History of New England*. Albany, N. Y.: J. Munsell, 1864.

Merk, Frederick, *Manifest Destiny and Mission: in American History*. New York: Alfred A. Knopf, 1963.

Millard, David. *A Journal of Travels in Egypt, Arabia Petrae, and the Holy Land*. New York: Lamport, Blakemann & Law, 1853.

Miller, Kevin A. "Why Did Columbus Sail" *Christian History* (Issue 35, vol. XI, no. 3).

Miller, Perry, *Errand into the Wilderness*. Cambridge, Mass.: Belknap Press of Harvard University Press, 1956.

Morison, Samuel Eliot. *Admiral of the Ocean Sea: A Life of Christopher Columbus* (Boston, 1942).

_____. *The New England Mind: From Colony to Province*. Cambridge, Mass.: Harvard

University Press, 1953.

_____. *The New England Mind: The Seventeenth Century*. Cambridge, Mass.: Harvard University Press, 1954.

Niebuhr, H. Richard. *The Kingdom of God in America*. Chicago, New York: Willett, Clark, 1937.

Olin, Stephen. *The Life and Letters of Stephen Olin*...Late President of the Wesleyan University. 2 vols. New York: Harper, 1854.

_____. *The Works of Stephen Olin*. 2 vols. New York: Harper, 1852.

O'Sullivan, John L. *The Democratic Review*. July and Aug., 1845.

Parrington, Vernon Lewis. *Main Currents in American Thought*. New York: Harcourt, Brace, 1927-1930.

Parrington, Vernon Lewis. "The Puritan Divines, 1620-1720," *Cambridge History of American Literature*, Vol. I. New York: G. P. Putnam, 1917-21. 4 vols.

Pierpont, John. *Airs of Palestine: A Poem*. Baltimore: B. Edes, 1816.

Ray, William. *Poems on Various Subjects*. Auburn: U. F. Doubleday, 1821.

Schaff, Philip. *The Principles of Protestantism as related to the Present State of the Church* (Chambersberg, 1845).

Sha'ban, Fuad. *Islam and Arabs in Early American Thought: The Roots of Orientalism in America* (Durham, N.C., Acorn Press, 1991).

Sherwood, Samuel. *The Church's Flight into the Wilderness* (N. Y., 1776).

Shuler, Lydia. "A Letter from the Holy Land." *The Monthly Gospel-Visiter.* Vol. V., No. 12 (July 1859).

Siegfried, Andre. *America Comes of Age* (N. Y. 1927).

Simon, Merrill. *Jerry Falwell and the Jews* (N. Y., 1984).

Smith, James Ward and A. Leland Jamison (eds.) *Religion in American Life.* 2 vols. Princeton,

N. J.: Princeton University Press, 1961.

Smith, J. V. C. *A Pilgrimage to Palestine.* Boston: David Clapp, 1853.

Stephens, John Lloyd. *Incidents of Travel in Egypt, Arabia Petraea, and the Holy Land.* Edited by Victor Wolfgang von Hagen. Norman: University of Oklahoma Press, 1970.

Stiles, Ezra. *The United States Elevated to Glory and Honor.* 1783.

The Inaugural Addresses of the Presidents of the United States (Washington, D. C., 1961).

"The United States a Commissioned Missionary Nation," *American Theological Review.* (1859): 152-173.

Tindall, George and David Shi. *America* (N. Y., 1989).

Tocqueville, Alexis de. *Democracy in America* (N. Y. 1954.)

Tuveson, Ernest Lee. *Redeemer Nation: The Idea of America's Millennial Role* (Chicago, 1968).

Washington, George. "Washington's Addresses to the Churches," *Old South Leaflets*, III (65). Boston.

Watts, Pauline Moffitt. "Science, Religion, and Columbus's Enterprise of the Indies" *OAH Magazine of History* (vol. 5, no. 4, Spring, 1991).

Webber, Timothy. "How Evangelicals Became Israel's Best Friends," Christianity Today, Oct. 5, 1998.

Wessinger, Catherine. "Frontline" Web Site.

West, Delnol. "Columbus and His World", In *The Proceedings of the First San Salvador Conference, Nov. 1986.*

Whittier, John Greenleaf. "Man's Property in Man", *The Annals of America*, (1976), vol. 6.

Williams, Roger. "Letters of Roger Williams to Winthrop," *Old South Leaflets*, III (53). Boston.

Winthrop, John. *Papers.* Edited by A. B. Forbes. Vol. II, Boston, 1929-1947.

_____. "Winthrop's Conclusions for the Plantation in New England," *Old South Leaflets* II (50). (Boston, n.d.)

Woodward, Bob. *Bush at War* (N. Y., 2002).

Worcester, Samuel. *Two Discourses, on the Perpetuity and Provision of God's Gracious Covenant with Abraham and His Seed.* (Salem: Haven Pool, 1805).

بعض الآراء التي قيلت
في المؤلف وأعماله

- كشف وتصنيف دقيقان لمصادر الفكر، وتحليل منطقي لتركيب علاقاتها بعضها ببعض. هذا العمل يمثل عرضاً ماهراً يفرض على القارئ الاحترام والإعجاب.

أ. د. رالف بريبانتي
أستاذ العلوم السياسية - جامعة ديوك
محاضر متميز - كرسي الملك فيصل
مجلس الشؤون الأمريكية - العربية
مدير مركز الدراسات العربية والإسلامية

- في زمن يصبح فيه التفاهم بين الثقافات أمراً لا بد منه يقدم البروفسور فؤاد شعبان بديلاً مثيراً ومفيداً لجذور الاستشراق الأمريكي وتطوره المبكر.

أ. د. جون إسبوزيتو
رئيس جمعية دراسات الشرق الأوسط
مدير مركز التفاهم الإسلامي - المسيحي
جامعة جورج تاون

- عرض شامل ورائع لجانب من تاريخ الفكر الديني والأدبي الأمريكي لم ينتبه إليه دارسو الأدب من قبل.

الدكتور شعبان، الأستاذ الرائد في تقديم الأدب الأمريكي في العالم العربي، يجمع في دراسته هذه التزامه بتراثه العربي - الإسلامي ومعرفته الواسعة بالفكر الأمريكي.

أ. د. ويليم هالوران
عميد كلية الآداب والعلوم
جامعة ويسكونسن - ميلووكي

- يجمع الأستاذ شعبان بصورة متوازنة الموضوعية والانتماء لأصوله الشرق أوسطية من جهة، ومن جهة أخرى دراسته وروابطه الأمريكية الوثيقة. ومع إدراكه التام للاستشراق البريطاني والأوروبي، فهو لا يدين الأمريكيين بالتفرد بالخطأ، بل يترك المجال للقارئ لاتخاذ قراره بنفسه.

وبينما يدرس الأستاذ شعبان الولايات المتحدة بتمعن وتعمق، يجعل الثقافة الشرقية أكثر وضوحاً للغربيين. إن كتابه يحذر مرة أخرى بأن الخطايا الفكرية لا بد وأن ترتد لتعاقب مرتكبيها. لا شك أن هذا الكتاب سوف يكون للغربيين دافعاً على الإقبال على المسلمين بقدر أكبر من حب المعرفة والانفتاح والمتعة.

أ. د. لويس باد

أستاذ الأدب الأمريكي - جامعة ديوك

- يستعرض هذا الكتاب تطور التراث اليهودي - المسيحي في أمريكا، واضعاً إياه في مركز ((رؤيا صهيون)) الأمريكية: استغراق أمريكا بصورتها الذاتية كمدينة على الجبل أو القدس الجديدة. يقدم فؤاد شعبان بياناً مقنعاً جداً للطريق الذي اتخذته مسيرة هذا المفهوم الذاتي الأمريكي في المجالات الدينية والسياسية والاجتماعية والأدبية، وتأثيره على سياسة أمريكا تجاه العالم العربي. ويجمع هذا العمل بين الاطلاع الواسع على تنوع كبير في المصادر الأولية والثانوية، وبين المعالجة التحليلية لأوجه عديدة من الحياة الأمريكية.

أ. د. طارق إسماعيل

رئيس قسم العلوم السياسية، جامعة كالغاري، كندا
مدير المركز الدولي لدراسات الشرق الأوسط المعاصرة
جامعة شرقي البحر الأبيض المتوسط - شمال قبرص

- في هذا الكتاب الذي يتصف بأسلوب سهل وممتع يقدم فؤاد شعبان إسهاماً علمياً هاماً نحو فهم أفضل للاستشراق الأمريكي. ولا شك أن تحليله الرائع وتوثيقه الدقيق لمفهوم ((صهيون)) عند المسيحيين الأمريكيين الأوائل، ثم سعيهم لإنشاء ((إسرائيل الأمريكية)) في ((أرض الميعاد)) يزودنا بالأسس التي صدرت عنها مواقف أمريكا المعادية للعرب والإسلام.

كما أنه يلقي الضوء على تطورات سياسة أمريكا الراهنة إزاء الصراع العربي -الإسرائيلي.

أ. د. نورتون ميزفينسكي

أستاذ التاريخ في جامعة ولاية كونيتكت
مؤلف (بالاشتراك مع إسرائيل شاحاك)
((الأصولية اليهودية في إسرائيل))

الفهرس العام

* * *

الأستاذ الدكتور فؤاد شعبان

- عربي سوري من مواليد دمشق عام ١٩٣٥م.
- بكالوريوس في اللغة الإنكليزية وآدابها، جامعة دمشق ١٩٥٨م.
- ماجستير في الأدب الإنجليزي، جامعة ديوك ١٩٦٠م.
- الدكتوراه في الأدب الإنجليزي، جامعة ديوك ١٩٦٥م.
- عمل أستاذاً في جامعات دمشق، والرياض، والإمارات، وجامعة ديوك بأمريكا.
- شغل مناصب رئيس قسم اللغة الإنكليزية وآدابها، عميد كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، ومساعد رئيس الجامعة لشؤون البحث العلمي.
- حاضر في عدد من الجامعات العربية والأمريكية.
- يعمل منذ عام ١٩٩٥م أستاذاً في جامعة البتراء الأهلية – عمان.

• **له عدد من الكتب المترجمة، منها:**

- عصر التنوير (إيزيا برلين).
- ثمن السلام: الحلقة الصهيونية (ألفرد ليلينتال).
- تاريخ الأدب الغربي (بالاشتراك).

- عضو استشاري في هيئة الموسوعة العربية وعضو في عدد من المجالس والجمعيات العلمية.
- محكم لعدد من الدوريات والمجلات العلمية الأكاديمية.
- مقيم خارجي لعدد من الجامعات والمؤسسات الثقافية.

• **وله من الكتب المؤلفة:**

1- *Ashort Dictionary of literary Terms.* Dar Elfikr. Damascous 1969.
2- *Drama and the theatre: An Introduction,* Dar Elfikr, Damascous 1970.
3- *Syria; Atourists Guide,* Alef - Ba'- Al - Adib press Damascous 1976.
4- *Studies in the litorary Essay* Damascous univercity press Damascous 1979.
5- *Islam and the Arabs in Early American thought: The Roots of Orientalism in America.* The Acorn press Durham North Carolina 1990.

FOR ZION'S SAKE

The Judaeo-Christian Tradition in American Culture

Min Ajl Ṣahyūn

Al-Turāth al-Yahūdī al-Masīḥī Fī al-Thaqāfah al-Amrīkīyah

by: Dr. Fu'ād Sha'bān

النبوءات التي اثــارت (حمى الالفية)

اعادة بناء الهيكل على انقاض المسجد الاقصى وقبة الصخرة

ارتقاء المؤمنين لملاقاة المسيح في الغيوم

معركة مجيدو (هارمجيدون) تقع قرب حيفا

الف عام يحكم فيها المسيح الارض

حدد لنا خراصو موقع (Apocalypose soon)

شهر أيار من عام ٢٠٠٤ موعداً للبدء ببناء الهيكل.

والشهر ذاته من عام ٢٠٠٧ للانتهاء من بنائه.

وبين البدء والختام ستكون دمشق قد دمرت واصبحت ركاماً.

نسجت الادارة الأمريكية من هذه النبوءات خطة للدهر

بنت عليها خططها واحلامها الامبراطورية

ونسبتها الى الله لتسوغ بها سائر اختراقاتها لحقوق الانسان وقيمه

فهل ستذعن الانسانية لهذه النبوءات كقدر محتوم؟!

ام ستكلها الى قوانين التاريخ الصارمة

التي يواصل الانسان فيها سعيه

للتقدم والارتقاء وللتخلص من الفساد وسفك الدماء.

غير مكترث بنبوءات الخراصين.



ISBN 1-59239-159-1
9 781592 391592